

تأليف

الإمام صالح بن عبد الله بن حميد الكتامي الشافعي

المعروف بالعماد

المتوفى ٩٩١ هـ

تحقيق

السيد يوسف أحمد

الجزء الثاني

Title: **Bustān al-fuqarā° wanuzhat al-qurrā°**

Author: Ṣaliḥ ben °Abdullah al-Katāmi

Editor: Al-Sayyid Yūsuf Aḥmad

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 1512 (3 volumes)

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: بستان الفقراء ونزهة القراء

المؤلف: الإمام صالح بن عبدالله الكتامي

المحقق: السيد يوسف أحمد

الناشر: دار الكتب العلميــــة ـ بيروت

عدد الصفحات: 1512 (3 أجزاء)

سنة الطباعة: 2007 م

بلد الطباعة: لبنـــان

الطبعة: الأولى


ISBN 2-7451-4555-X




الطبعة الأولى
٢٠٠٧ م ـ ١٤٢٨ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
هاتف: ١٢/ ١١/ ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ رياض الصلح - بيروت ١١٠٧ ٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الحادي والأربعون

فيما يتعلق بالإيمان والإسلام، ويحتاج إلى معرفته كل مسلم، ويستغني به في كل طريق مظلم، ويقتدي به كل جاهل، ويتذكر به كل عالم وفاضل، ودليله من الكتاب والسنة مرتب في عشر مسائل، المسألة الأولى، في تعريف الإسلام الحقيقي المنجي. المسألة الثانية، في أركانه. المسألة الثالثة، في شروطه. المسألة الرابعة، في شعاره. المسألة الخامسة، في أقسامه. المسألة السادسة، في تعريف الإيمان. المسألة السابعة، في أركان الإيمان. المسألة الثامنة، في شروطه. المسألة التاسعة، في الفرق بين الإيمان والإسلام. المسألة العاشرة، في درجاته.

المسألة الأولى، في تعريف الإسلام الحقيقي المنجي

يقال: هو تسليم الأمر قلبًا ولسانًا لصاحب الدعوة الصادقة، عن الله عند مشاهدة المعجز الذي هو الصدق، واعتقاده بما تواتر من المعجزات الباهرات المقتضية لوجوب اتباع ما جاء به من أمر ونهي وخير.

وعن أبي حازم: الإسلام في تعريف الحقيقة: تسليم الأمور كلها لله تعالى واعتقاد صدق ما جاء به عن رسول الله ﷺ.

المسألة الثانية، في أركان الإسلام

وهي خمسة بنص الرسول عليه الصلاة والسلام[1]: الشهادتان وشرطهما مع النطق والمحبة لله وللرسول عليه الصلاة والسلام، فلو نطق بهما ولا محبة لم يفده نطقه شيئًا غير عصمة الدم والمال لظاهر الحديث، وأما بقية الأركان فهو كما في الحديث: «إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً»، وزاد بعضهم: الجهاد، حيث وجب.

---

(١) حديث: «بني الإسلام على خمس» : أخرجه البخاري في صحيحه (٨) كتاب الإيمان، ١-باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس» ، ومسلم في صحيحه (٢٠-١٦)، (٢١) كتاب الإيمان، ٥-باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، والترمذي (٢٦٠٩)، كتاب الإيمان، باب ما جاء: بني الإسلام على خمس، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٦، ٩٣).

المسألة الثالثة، في شروط الإسلام

وهي سبعة: العقل، وبلوغ دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام، والبلوغ بالسن، أو الاحتلام فلا يصح إسلام صبي استقلالاً، وأسقط البلقيني هذا الشرط فصحح إسلام الصبي كإسلام الإمام عليٍّ قبل البلوغ.

والشرط الرابع: الإيمان بالله وحده وبملائكته وكتبه ورسله.

الشرط الخامس: الإيمان بالقدر خيره وشره، والبعث الآخر.

الشرط السادس: سلامة كل مسلم من يده ولسانه[1] في دم وعرض ومال مع النصيحة له.

الشرط السابع: الصدق والتصدق في القول والعمل والاتباع والمحبة، فلو حصل منه شك في وجوب الإسلام أو في شيء من الأركان، أو حلل محرمًا أو حرم حلالاً مجمع عليه عامداً كفر.

المسألة الرابعة، في شعار الإسلام

ولا ينحصر، لكن آكد ذلك الجهاد، وهو فرض كفاية، وقد يجب عند النفير العام والاستنان بجميع سنن الأنبياء والمرسلين قولاً وفعلاً، كالختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وأن يدهن غبًا ويكتحل وتراً، ويجتنب جميع ما نهى عنه ﷺ، ويفعل ما استطاع من الأوامر الشرعية، ويتأسى بجميع الصفات النبوية لا فيما اختص به ﷺ ولم يبح لنا كجمعه بين تسع نسوة[2]، وتزويجه بغير ولي.

وليكثر من الاستغفار والتوبة ولو كثرت، أو تكررت، ولا ييأس من روح الله، ورحمته وعفوه سبحانه أوسع من ذنبك، وأن يلازم الخمس في أوقاتها، وبقية الأركان، والخوف من عقابه والرجاء والطمع في ثوابه، والرضا بقدره وقضائه، والصبر على بلائه

---

(١) حديث: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» ، أخرجه البخاري (١٠) كتاب الإيمان، ٤-باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ومسلم (٦٥) ، كتاب الإيمان ، والترمذي (٢٦٢٧) ، والنسائي (٨/ ١٠٥-المجتبى)، وأبو داود (٢٤٨١)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٣، ١٩٢)، والحاكم (١/ ١٠)، والدارمي في سننه (٢/ ٣٠٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٨٧).

(٢) قبض النبي ﷺ عنهم وهم خمس من قريش: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وأم سلمة، وسودة بنت زمعة، والباقي: ميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بن الحارث الخزاعية، وزينب بنت جحش الأسدية، وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية. وقد قبض ﷺ عن هؤلاء رضي الله عنهن، انظر الذهبي في تاريخ الإسلام في السيرة العطرة، ذكر أزواجه ﷺ وعددهن.

والشكر على نعمائه وكثرة الخضوع والخشوع للربوبية والإلهية والتوسل إليه بأسمائه وأنبيائه وبملائكته وأوليائه، والتفويض إليه في حركاته وسكناته، وحسن الظن به في جميع حالاته، والتأدب بما في جبلة الأنبياء والمرسلين من الصفح والعفو مع القدرة عمن أذنب والإحسان إلى من أساء وأن لا يظلم أخاه المسلم ولا يخجله ولا يخذله ولا يحقره وأن يكون عدلاً منصفًا في حكمه وقسمته وشهادته، ولو على أبيه وولده، وناصحًا في قوله وفعله وصنعته ولو على عدوه، ومكرمًا لشيخه وحاكمه ووالده وقريبه وجاره، وشفوقًا على كل أحد ولو ذمي ودابة إلا ما وجب قتله، وقوامًا في الله لاسيما في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأن يحافظ على طلب العلم لاسيما فيما وجب عليه من معرفة الوضوء، وشروط الصلاة والزكاة والصوم والحج، وأركان العبادات وأذكارها، ومعرفة فرضها من سننها، وصفة التيمم، وغسل النجاسات، ومعرفة الأوقات، وما يحل ذبحه وأكله وشرابه ونكاحه ولبسه، وما يحرم من ذلك كله، وأن يبادر إلى فعل الخيرات من عيادة المريض، وتشييع الجنائز، وتشميت العاطس [(١)]، وإجابة الداعي، وإغاثة الملهوف، وإرشاد الضال، ومواساة المحتاج، ونصرة المظلوم، وصلح ذات البين، وبذل السلام، وإكرام الضيف، وحفظ الجار ولو جَارَ.

والمحافظة على المروءة والحياء والستر والأمانة وصلة الرحم وبر الوالدين وتجنب الغيبة [(٢)] والنميمة، فإنهما يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب، وكذا الحسد، وهجران أخيه فوق ثلاث، وكذلك الموبقات ومجالس[(٣)] والتوطن إليهم والفسوق والجدال والمراء والرياء والسمعة والتعصب بالباطل وإفشاء الفاحشة، وانتهار السائل وكسر قلبه بقول أو فعل والإعجاب والتكبر والغلظة وحب الرياسة والشهرة والقول بغير علم ونقل ما يسمع فيما يؤدي إلى الضرر والتجسس والظن المحرم والمكروه ونية الشر والفجور، ويجتنب جميع ما بقي من الكبائر، وهي معروفة مشهورة، وبلغت الكبائر مع بعض العلماء إلى سبعين كبيرة، وبعضهم إلى ثلثمائة كبيرة، عرفها الإمام حجة الإسلام الغزالي في إحيائه في مواطن متفرقة.

---

(١) روى مسلم في صحيحه (٤-٢١٦٢) كتاب السلام، ٣-باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((خمس تجب للمسلم على أخيه: رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض واتباع الجنائز)).

(٢) روى مسلم في صحيحه (٧٠-٢٥٨٩)، كتاب البر والصلة، ٢٠-باب تحريم الغيبة، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: ((أتدرون ما الغيبة؟)) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ((ذكرك أخاك بما يكره)) ، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: ((إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته)).

(٣) لعل هنا سقطًا، فإن الكلام هكذا غير مستقيم.

ومن تمام شعاره: المحافظة على محبة العلماء، فإن بغض العلماء كفر عند الجمهور لما صح: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب»[1].

وإذا لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي.

وكذلك محبة الفقراء والصديقين والمجذوبين فإنه ما جذب عقولهم منهم إلا لرفع الإصر عنهم، وذلك عنده قرب ومحبة.

وكذلك يعود نفسه الأدب مع الله ومع خلقه حتى في الخلوة وأن يحرص غاية الحرص على حفظ دينه ونفسه الأمارة بالسوء، واتباع الهوى وإبليس حيث يزين سوء عمله فيراه حسنًا، وأن يغسل بطنه من الحرام والآثام، وطهارة القلب من الشكوك والرياء والمكر والحسد والجوارح من تعاطي المحرمات، وأن يقلع كل وقت عن الذنوب ويبكي ويندم على فعلها، وعلى ما ضيع من عمره في غير طاعة الله، ويعزم أن لا يعود إلى شيء من الذنوب.

وأن يخوف نفسه عن كل وقت عقاب الله، ويزجرها بوعيد النار، ويجاهدها ويصرفها عن محبة الدنيا والشهوات. فقد ورد أنه لا يجتمع حبها مع حب الله في قلب مسلم.

المسألة الخامسة: في أقسام الإسلام

قال الإمام البلقيني رحمه الله: ينطلق مسمى الإسلام على خمسة، والمقبول منها واحدة والأربعة تكون مردودة وهم المذكورون في كتاب الله تعالى:

الأول: من أسلم في عهده الشريف ظاهراً، وهو على نفاقه في الباطن، وجعل إسلامه خوفًا من قتل أو لطمع فيما يحصل من مغنم ونحوه، فيأتون بالشهادتين ويفعلون الأركان، ولا يعتقدون من ذلك شيئًا بقلوبهم، كما أخبر عنهم سبحانه وتعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾.

الثاني في هذا المعنى: من أسلم تقليداً لأبويه أو قريته أو فرقته، ولم يفحص عن معرفة الإسلام ولا عن أركانه وشروطه، بل ولا يتحقق معنى لا إله إلا الله، ولا يعرف توحيد معبوده أصلاً، فإذا هو وحد، يوحد بلسانه لا بقلبه، كالهمج والأعراب يومئذ، وهؤلاء

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٢٤٣، ٢٤٤)، ٨١-كتاب الرقاق، ٣٨-باب التواضع، رقم الحديث (٦٥٠٢) ، وابن ماجه في سننه (٣٩٨٩)، كتاب الفتن، ١٦-باب من ترجى له السلامة من الفتن. والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٤٦)، وابن حجر في التلخيص (٣/ ١١٧)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٤٠).

اسمهم المقلدون [١].

الثالث: من أسلم لرغبة في حكم أو لظهور كلمة بين المسلمين ولحب رياسة على الأمور ونحو ذلك، كالقبطة الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ويسعون في ضرر المسلمين، وهؤلاء اسمهم: الضالون والمرتزقون.

الرابع: من أسلم وهو على بدعة أو ضلالة، كاعتقاد مذهب المجسمة والقدرية والخوارج ونحو ذلك، وقد يلحق بهذا الصنف من يجعل فوق رأسه الطيلسان وينصب نفسه للإشارة إليه ولا يعرف شيئًا مما وجب عليه، وربما يعلو في نفسه ويجهل بحقيقته ورسمه، وهؤلاء هم المبتدعون، ويلحق به أيضًا من عرف قليلاً من العلم وطلب العلو والاستظهار والرياسة وترك العمل بما علم، فهو كإبليس، وربما يفتي بغير علم كي لا يعترف بالعجز فيضل نفسه والناس معه.

(....) [٢] ، هذا من نصب نفسه شيخ (تسليك)[٣]، وفقر ولا يعرف شيئًا من تسليك ولا حد الفقر ولا المسكنة ولا حقيقة المحبة والزهد، وإنما اتخذ العكازة والسجادة والسبحة والمرقعة والعلم والإشارة والسماع شعاراً لفقره، ويرشد كثيراً إلى ارتكاب بدعة ولو طلب منه معرفة الإسلام وأركانه وشروطه، أو الوضوء أو الفاتحة، لا يحسن شيئًا من ذلك.

وهؤلاء كلهم لا إسلام لهم إلا أن يشأ الله بنجاتهم.

الخامس: إسلام الناجي وهو على قسمين:

الأول: من أسلم معتقداً وحدانية ربه بما عرفه من الأدلة النقلية ثم العقلية، كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]. وقوله : ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾ الآية [المؤمنون: ٩١]. ويعتقد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وعمل بما جاء به من الأركان، واعتقاد ما بعث به عليه الصلاة والسلام.

الثاني: من أسلم تقليداً لأبويه أو قبيلته بالتقليد الجازم السالم من الشكوك فيه، المنزل

---

(١) مما قاله الشوكاني عن المقلدة: ومن عجيب صنع المقلدة أنهم يقبلون ممن ينتسب إلى مذهبهم الترجيح بين الروايتين لإمامهم، وإن كان ذلك المرجح مقلداً غير مجتهد ولا قريب من رتبة المجتهد ولو جاء من هو كإمامهم أو فوق إمامهم، وأخبرهم عن الراجح من ذينك القولين لم يلتفتوا إليه ولا قبلوا قوله ولو عضد ذلك بالآيات المحكمة والأحاديث المتواترة، بل يقبلون من موافقيهم مجرد التخريج على مذهب إمامهم، والقياس على ما ذهب إليه ويجعلونه دينًا ويحلون به ويحرمون، ثم قال: والعجب أن هؤلاء مكاسير المقلدة لم يقفوا حيث أوقفهم الله من القصور وعدم العلم النافع فقاموا على أهل العلم قومة جاهلية وقالوا: باب الاجتهاد قد انسد. انظر قطر الولي على حديث الولي (ص ١٦٢، ١٦٣)، من تحقيقنا، ط. دار الكتب العلمية.

(٢) كلمة غير واضحة.

(٣) كذا بالأصل وأظن معناها : طريق، وهو مصطلح صوفي.

في حكم اليقين، فيعتقد أن أبويه على الحق فينطق بالتوحيد تبعًا مقلدًا متيقنًا أنه ناج بذلك لكنه يجهل معرفة الأدلة العقلية على الوحدانية، فهذا القسم وإن كان صنفًا من المقلدين لكنه بسبب عدم شكهم وكونهم يعتقدون أنهم على الحق يجوز بذلك تصحيح إسلامهم خلق كثير من العلماء، ومنع ذلك قوم منهم الشيخ أبو هاشم، فقالوا: لا يصح إسلام المقلدين، كجهلة العوام وأهل البوادي، وكثير من التركمان والعربان، وهم إلى مشيئة الله فيهم، وحيث حكمنا لهؤلاء بالإسلام على قول فشرطه السلامة لمن وصف الأقسام الأربعة السابقة.

المسألة السادسة، في تعريف الإيمان

وهو في اللغة: التصديق المطلق، وفي الشرع: تصديق القلب على وحدانية الرب، ونطق اللسان بالشهادتين وشرطهما: محبة الله ورسوله، وعمل الجوارح بالأركان.

وقد سئل الشافعي رحمه الله عن تعريف الإيمان فقال: هو توحيد الرحمن بالقلب واللسان، وعمل بالأركان، فدخل في جوابه ما لا يخفى.

قال الإمام البلقيني رحمه الله: قد قدمنا أقسام الإسلام ووجدنا الإيمان على قسمين[(١)]: مستقر بداية ونهاية، ومستودع، يعني سلوب النهاية، والسبب في ذلك: أنه لما اختار سبحانه في الأول أن يكون الخلق على قسمين: فريق في الجنة، وفريق في السعير، وذلك بعد إقرار الجميع بالربوبية حين النداء الأزلي، وهم في عالم الذر فخاطبهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾، ثم أخبر عنهم بالإسلام فقال: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، فقضى بالجنة لمن أجاب طوعًا، وبالنار لمن أجاب كرهًا، ثم قبضهم قبضتين ليعرف الكل أنهم تحت قهره وقضائه، فقال: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي، ذلك فضلي أوتيه من أشاء، ولا أسأل عما أفعل، فمن سبقت له الإجابة طوعًا حين قال: ﴿أَلَسْتُ

---

(١) قال الإمام أبو الحسن علي بن خلف بن بطال في شرح صحيح البخاري: مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها: أن الإيمان: قول وعمل، يزيد وينقص، والحجة على زيادته ونقصانه ما أورده البخاري من الآيات، يعني قوله ﷻ: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾، وقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾.... إلى آخره.

ثم قال ابن بطال: فإيمان من لم تحصل له الزيادة ناقص، قال: فإن قيل: الإيمان في اللغة: التصديق؟ فالجواب: إن التصديق يكمل بالطاعات كلها فما ازداد المؤمن من أعمال البر كان إيمانه أكمل، وبهذه الجملة يزيد الإيمان وبنقصانها ينقص، فمتى نقصت أعمال البر نقص كمال الإيمان، ومتى زادت زاد الإيمان كمالاً هذا توسط القول في الإيمان، وأما التصديق بالله تعالى ورسوله ﷺ فلا ينقص ولذلك توقف مالك رحمه الله في بعض الروايات عن القول بالنقصان إذ لا يجوز نقصان التصديق لأنه إذا نقص صار شكًا وخرج عن اسم الإيمان. النووي في شرح مسلم (١/ ١٣١)، ط. دار الكتب العلمية.

بِرَبِّكُمْ﴾ بعنايته تعالى وبقدره، كان إيمانهم مستقراً سالماً من الشكوك والتزلزل والانقياد إلى الوسواس الخناس مدحوراً إلى الوفاة، وختم له بالسعادة المقدمة بالعناية الإلهية من أزل الأزل، ولا يضرهم ما قدر عليهم من الذنوب ونحوها لما سبق في علمه، وهذا الصنف هم أهل الإيمان الحقيقي المنجي.

قال الإمام البلقيني: وهم على سبعة مراتب، على سبعة عوالم: عالم الملكوت والرسالة والنبوة والعلماء والأولياء وصالح هذه الأمم وعاصيها المختوم لهم بالسعادة.

فإن قلت: إذا كان المجيبون طوعًا هم أهل الإيمان المستقر، فهؤلاء كانوا في المنزلة سواء، وكيف ومع التفضيل حتى صار محمد ﷺ أفضل الخلق.

وعالم الرسالة أفضل النبوة، والنبوة على العلماء، والعلماء على غيرهم، والطائع على العاصي ونحو ذلك.

(....) [١] أن توجب الترقي ما وقع من المبادرة إلى إجابة الخطاب الأزلي حين قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فمن بادر إلى الجواب بالربوبية من تلقي الخطاب كان فاضلاً على حسب السبق.

وقيل: الموجب السبق إلى حكم سماع النداء والإجابة جميعًا، فكان سيد المرسلين أسبقهم إلى الخطاب والإجابة لرب العالمين.

قال أبو هاشم: الترقي فيض النور الإلهي على القلوب والجوارح حيث التسبيح في عالم الأزل، فمن كثر عليه الفيض ترقى بحسب ما له من ذلك الفيض ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وقيل: الإيمان المستودع، فهو المسلوب عند الاحتضار للموت بما قدر سبحانه، وقبل ذلك ومع ذلك يكون مصاحبًا للمؤمنين في العبادات، وشعار الإسلام والإيمان من نشأته إلى حين السلب ولا يثبت إيمانه معه كالمستقر، بدليل ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾، الآية.

وقد أشار المشرِّع إلى ذلك في السُّنة فقال: «وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب -يعني الذي كتب من الأزل- أنه

---

(١) كلمة غير واضحة.

من أهل الشقاوة، فيعمل بعمل أهل النار»[1] يعني يعدل إلى طاعة إبليس والنفس الأمارة بالسوء والافتتان حين ساعة الاحتضار فيدخل النار.

وإلى ذلك أشار الشيخ عبدالقادر بقوله: كم من ساع مع العصاة واسمه في ديوان الأحباب، وكم من مجتهد في الطاعة والتقوى ومصيره إلى العقاب، والأعمال بالخواتيم، ونسأله حسن الخاتمة.

فإن قلت: هل في قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]، ما يدل على نسخ المقادير بالسعادة والشقاوة؟

فالجواب: أن المحو والإثبات وقع في الناسخ والمنسوخ فيما يتعلق بالأحكام فينسخ الثقيل على العباد بالخفيف، كنسخ الخمسين صلاة إلى الخمسة، والسنة في عدة الوفاة إلى أربعة أشهر وعشر، ونحو ذلك.

ووقع أيضًا فيما علقه سبحانه وتعالى على وجوب الأسباب كمد الأجل بصلة الرحم[2]، بدليل: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ [الأنعام: ٢]، ومزيد الرزق بالصلاة، وحفظ المال بالزكاة، وغفران الذنب بالحج، والصحة بالصوم، ورفع البلاء بالصدقة والدعاء.

وأما ما وقع من الأزل من السعادة والشقاوة فقد جف القلم بما حكم، وكل ميسر لما خلق له[3].

وقد أمرنا بالدعاء والعمل وإن كان أمرًا قد فرغ منه فهو المالك لا يعترض عليه ولا يسأل عما يفعل وله تعذيب الطائع وتنعيم العاصي، وهو الفعال لما يريد.

المسألة السابعة، في أركان الإيمان

وهي عشرون ركنًا: أن يعتقد بقلبه أن الإيمان عليه، فيوحد الذي خلقه، ويعتقد أنه الصانع وأنه واجب الوجود، وأنه لا شريك له ولا ولد ولا والد ولا صاحبة ولا ضد وأنه

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (٦٥٩٤)، ٨٢-كتاب القدر، ١- في فاتحته. ومسلم (١-٤٦)، كتاب القدر، ١-باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته.

(٢) روى الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٢٧٠)، بلفظ: «من أراد أن يبسط له في رزقه ويمد له في عمره فليتق الله وليصل رحمه».

(٣) أخرج مسلم في صحيحه (٩-٢٦٤٩)، كتاب القدر، ١-باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، عن عمران بن حصين قال: قيل: يا رسول الله، أعُلم أهل الجنة من أهل النار؟ قال: فقال: «نعم»، قال: قيل: ففيم يعمل العاملون؟ قال: «كل ميسر لما خلق له».

غني عن ذلك وأنه مستوٍ على العرش كما أراد من غير كيف ولا حصر ولا شبيه، وأنه خلق جميع الخلق أعمالهم من خير وشر وطاعة ومعصية وهداية وكفر.

وله التصريف فيهم كيف شاء، ولا ينسب إلى جور، ولو عذب أهل السموات والأرض وأنه أرسل الرسل، وأنزل الكتب لتركيب الحجة إذ حذروا أو بشروا، وأن جميع ما جاء به النبيون والمرسلون حق وصدق.

وأنه لو كشف الغطاء عما قالوه لا يزداد يقينًا في ذلك وأنه خلق الجنة للطائعين، والنار للعاصين، وجعل الموقف والحشر والحساب والميزان في القيامة لأجل تفرده بالحكم والقضاء والقصاص والعدل وظهور المخبآت وما تخفي الصدور، وتخفيف ما وقع في وعده ووعيده بين صالح الأعمال وطالحها، إنه سبحانه لا يضيع عمل عامل.

وأن يؤمن بالقدر خيره وشره وحلوه ومره.

وأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق لأنه صفة من صفات الله ﷻ.

المسألة الثامنة: في شروط الإيمان

من كتاب الله وصريح السنة في البخاري ومسلم، وهي بعض ما قدمناه في شروط الإسلام من العقل وغيره.

والأركان عشرون ركنًا: أن لا يشك في الوحدانية ولا يتزلزل طرفة عين عنه، فمن شك كفر وانسلخ من الإيمان، وأن يعبد الله كأنه يراه[١].

وأن يحب الله ورسله وما جاءوا به عنه أمرًا ونهيًا، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن ولده ووالده، وأن يكون متبعًا جميع ما ورد عن الله ورسوله، غير مبتدع ولا جاحد ولا معاند، وأن يوافق السنة والجماعة -أعني علماء الإسلام-، وإن أحب المرء لا يحبه إلا لله، فالحب في الله والبغض في الله من الإيمان، وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأن لا يكون كذابًا، ومنهم من حمله على من يستحل الكذب ويتكرر منه مرة بعد أخرى، كما أجيب على حديث: «لا يسرق السارق ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[٢].

---

(١) ذلك هو الإحسان كما ورد في الحديث، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال النووي: مقصود الكلام: الحث على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك. النووي في شرح مسلم (١/ ١٤١).

(٢) أخرجه البخاري في الحدود، باب إثم الزناة، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله، والترمذي (٢٦٢٥)، كتاب الإيمان، باب ما جاء: «لا يزني الزاني وهو مؤمن»، والنسائي (٨/ ٦٤، ٦٥ - المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٤٣).

والشرط العاشر: الأخذ في القول والعمل بدليل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾.

الحادي عشر: أن لا يؤذي جاره بقول ولا فعل ولا ينظر إلى حليلة جاره.

الثاني عشر: لا يغضب ضيفه وقريبه ولا يعق أبويه، لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾، ولما صح في السنة: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، وليكرم ضيفه**» [1].

الثالث عشر: طاعة أولي الأمر وإن جاروا فيما رجح. لما صح في السنة: «**وإن تأمر عليكم عبد حبشي، فاستمعوا له وأطيعوه**» ، وفي رواية : «**وإن جرد الثياب وأخذ المال**».

وذهب بعضهم أنه لا تجب طاعة الجائر.

الرابع عشر: أنه لا يحب الدنيا بقلبه حبًا يفضي به إلى الاشتغال بها عن طاعة ربه، وإنما يجوز أن يمسكها بيده مع الرغبة عنها والإعراض عن طلب نموها إذا كان في ضرورة إليها بسبب إنفاق ونحوه.

الخامس عشر: أن لا يخالط إيمانه عجب ولا فخار، ولا سمعة، ولو منحه الله بكبر أو حكم أو علم أو تعبد، بل يكون قليلاً بنفسه كبيراً بغيره، بصيراً بذنبه، خائفًا من عيبه.

السادس عشر: أن يعقب ذنبه بتوبة والندم الأكبر، ولا يترخص بتأويل ولا حيلة ولا يستحل ما قيل بتحريمه ولا ما فيه شبهة.

السابع عشر: أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بيده، فإن لم يطق فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان.

الثامن عشر: أن يعتقد أفضلية[2] رسول الله ﷺ على جميع الخلق أرضًا وسماء، وبراءة عائشة رضي الله عنها، وتقديم أبيها على جميع الصحابة، وأن الأئمة الأربعة على الحق،

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومسلم في اللقطة، باب الضيافة ونحوها، والترمذي (١٩٦٧)، كتبا البر والصلة، باب ما جاء في الضيافة كم هو؟ ، وأحمد في مسنده (١/ ٢٠)، (٢/ ١٧٤)، والبيهقي في السنن (٥/ ٦٤)، (٨/ ١٦٤).

(٢) في حديث مسلم (٣-٢٢٧٨)، كتاب الفضائل، ٢-باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة...» الحديث. قال النووي: هذا الحديث دليل لتفضيله ﷺ على الخلق كلهم لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة وهو ﷺ أفضل الآدميين وغيرهم. النووي في شرح مسلم (١٥/ ٣٠).

ومن سبقهم من علماء السنة ولحقهم على هديهم وسنتهم، وأن المخطئ منهم في اجتهاده مأجور، وأن بغضهم كفر [١].

التاسع عشر: أنه لا يقع في تنقيص رسول الله ولا نبي ولا ولي ولا عالم ولا البيت الحرام ولا الأقصى ولا مسجد رسول الله ﷺ ونحوه.

ولا يحقر المصحف وصحيح السنة والكتب وبيوت الله لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ الآية.

العشرون: أن يكون قوامًا لله وفي الله، وعلى والده وولده وحبيبه، ويقيم الشهادة لله ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

المسألة التاسعة، في الفرق بين الإسلام والإيمان، وهل الإيمان مخلوق أم لا؟ وهل يزيد وينقص أم لا؟ وهل يدخل أحدهما في الآخر؟

وقد صنف بعض العلماء في هذه المسألة مجلدًا ضخمًا، ورجح أن الإيمان غير الإسلام، وأن بينهما عموم وخصوص من وجه، وقد نقل عن البخاري والشافعي القول بترادفهما، وعن أبي حنيفة ومالك القول بالتغاير، لكن حيث قال الشافعي بالترادف، أراد أنه يطلق كل منهما على الآخر تسمية وعرفًا مجازًا لا حقيقة.

والظاهر أن البخاري حيث نحا إلى ترادفهما لم يرد إلا الترادف المجازي لا الحقيقي، والخلاف مشهور.

وقد ساق في صحيحه حديثين، أحدهما يدل على أن الإيمان غير الإسلام، وهو حديث مجيء جبريل إلى رسول الله ﷺ [٢] ليعلم من سأل كيف يصنع، فلهذا وضع يديه على

---

(١) قال النووي: أما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها، وكلهم عدول رضي الله عنهم، ومتأولون في حروبهم وغيرها، ولم يخرج شيء من ذلك أحدًا منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون، اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها ، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم، واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام: قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف وأن مخالفه باغ، فوجب عليهم نصرته وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده، وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه، وقسم ثالث اشتبهت عليه القضية وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين. النووي في شرح مسلم (١٥/ ١٢١، ١٢٢).

(٢) الحديث أخرجه مسلم (١-٨)، كتاب الإيمان، ١-باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى. وأبو داود في السنة، باب القدر، والنسائي (٨/ ٩٨-المجتبى)، والترمذي (٢٦١٠)، كتاب الإيمان، باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام.

ركبتيه -يعني على ركبتي نفسه- فقال: أخبرني يا رسول الله عن الإيمان؟ فقال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث الآخر**».

فقال: أخبرني عن الإسلام؟ فقال: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله ...**» إلى آخره.

ثم ساق حديث وفد عبد القيس[1] حين قدموا عليه ﷺ فسألوه عن الإيمان فقال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة ... إلى آخره، فسمى رسول الله ﷺ الإيمان في حديث وفد عبد القيس بما سمى به الإسلام في حديث جبريل، ولو لم يطلق كل منهما على الآخر لما سمى الإيمان كالإسلام، ولكن أجابهم كما أجاب جبريل، وإذا تأمل المحقق وجد أن كلاً من الإيمان والإسلام على صفة يلازم كل منهما صاحبه فلا يتم الإيمان إلا بالإسلام، ولا يتم الإسلام إلا بالإيمان.

وبيان ذلك أن الإيمان لا يجتمع إلا من ثلاث: اعتقاد، وقول، وعمل، والإسلام لا يجتمع إلا من ثلاث: اعتقاد، وقول، وعمل.

نعم قد يقع التغاير في إسلام المقلد، كالعوام وأهل البوادي، ويكون الإطلاق في إسلام المقلد إطلاقًا مجازًا، ويحمل عليه قول من قال بالتغاير بين الإيمان والإسلام إذ لا اعتقاد في إسلام المقلد.

وقد قدمنا أن الإسلام الحقيقي المنجي لابد فيه من اعتقاد الوحدانية بمقتضى الأدلة النقلية والعقلية في قلبه ولا يوجد ذلك في إسلام كثير من العوام وأهل البادية، وعلى هذا يصح قول من قال: كل مؤمن مسلم، ولا ينعكس لأن المسلم تقليداً ليس بمؤمن، وقد ينعكس إن أردنا الإطلاق المجازي، ويقال: الإيمان أصل كالشجرة، وله ثمرة، وهي القول والعمل فيما ذكرنا.

ومنهم من قال: الإيمان أصل، والإسلام ثمرة.

وأما الإيمان هل مخلوق: نقل عن جماعة القول بخلق الإيمان ، لأنه عمل لقوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، والحق كما أجاب البلقيني رحمه الله فقال: ما فيه من قول وعمل مخلوق، وما فيه من الاعتقاد فيفصل فيه، فما كان باكتساب العبد تعليماً مخلوقًا، وما كان من الفيض النور الإلهي المستقر من عالم الأزل إلى حين الوفاة ليس بمخلوق.

---

(١) أخرجه البخاري في الصلاة، باب ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، وفي كتاب الخمس، باب أداء الخمس من الدين، ومسلم في الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ، والترمذي (٢٦١١)، وفي الإيمان، باب ما جاء في إضافة الفرائض إلى الإيمان.

وأما زيادة الإيمان ونقصانه[1]: فالراجح أنه يزيد وينقص، وزيادته بالبر والتقوى، ونقصانه بالفجور والعصيان. وقد رجح البخاري ومسلم ذلك، وبوبا له كثيراً من الاستدلال بالآيات والأحاديث، يقصدا بذلك الرد على أبي حنيفة وأتباعه حيث جنحوا إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

وقال البلقيني رحمه الله: إن أراد أبو حنيفة بالإيمان: الاعتقاد القلبي فقط لا العمل التابع له فقد يسلم ذلك باعتبار أنه لا يزيد ولا ينقص، وإن أراد مجموع الإيمان من اعتقاد وقول وعمل فلا.

المسألة العاشرة: في درجات المؤمنين وشعب الإيمان وشعاره

وقد جعل الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين درجات المؤمنين أربعة:

الأولى: درجة العدل.

الثانية: درجة الصالحين.

الثالثة: درجة المتقين.

الرابعة: درجة الصديقين والعارفين والأولياء والنبيين.

واستدل لكل درجة من السُّنة الشريفة:

فالأولى: المؤمن إذا أراد العدالة يكون محافظًا على فعل جميع الواجبات في الأوقات، وعلى إكمال الشروط والآداب والمستحبات، وعلى تجنب المحرمات والمكروهات، وعلى ما يزرى بمثله من المباحات كالأكل في سوق ونحوه.

والمزح يطفئ نور البصيرة، ولا يلتمس ما فيه شبهة أبداً ولا يقول إلا حقًا ولا يغتاب أحداً.

ولهذا قال البلقيني رحمه الله: العدل في هذه الأزمنة يندر وجوده ولا يجب تسمية شهود هذا الزمان بالعدول، ونقل عن ابن دقيق العيد أنه كان قاضياً بصالحية مصر فجاءه دوادار السلطان، فقال: إن السلطان يريد أن تجهز له عدلين، فقام وجعل يمشي حول الفسقية ويكرر

---

(١) مذاهب السلف وأئمة الخلف متظاهرة على كون الإيمان يزيد وينقص وهذا مذهب السلف والمحدثين وجماعة من المتكلمين، وأنكر أكثر المتكلمين زيادته ونقصانه، وقالوا: متى قبل الزيادة كان شكًا وكفراً، قال المحققون من أصحابنا المتكلمين: نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والإيمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة ثمراته وهي الأعمال ونقصانها. قالوا: وفي هذا توفيق بين ظاهر النصوص التي جاءت بالزيادة وأقاويل السلف وبين أصل وضعه في اللغة وما عليه المتكلمون، وهذا الذي قاله هؤلاء وإن كان ظاهراً حسنًا فالأظهر والله أعلم أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة، النووي في شرح مسلم (١/ ١٣٣).

قول عدلين، فعاد الدوادار وحكى ما رأى فقال كاتم سره: طلبتم منه ما لا وجود له في معتقده، لعلكم تقولون له شاهدين، فبعثه إليه، فأذن لشاهدين توجها معه.

وكان البلقيني رحمه الله يقول: من ثلاثمائة سنة ندر وجود عقد صحيح في نكاح على مقتضى النص، فيما جاء: «لا نكاح إلا بولي مرشد، وشاهدي عدل»[١].

الدرجة الثانية: درجة الصالحين وعمدة طريقهم الحديث الذي فيه : «الإثم ما حاك في نفسك»[٢]، مثلما يكون حلالاً عند قوم وقد حرمه آخرون، أو إمام لا يقر به، بل يبعد عنه كأكل لحم الخيل وشرب المثلث الذي أباحه أبو حنيفة، والمعاملة لمن يخالط ماله الحرام ولو قل، وقبول هدية من في ماله شبهة، فإن هو استحيى أن يردها فيسأل مراده كما فعل عليه الصلاة والسلام كان إذا بُعث إليه بشيء ويحتمل هو هدية أم صدقة؟ سأل عنه.

وقد نسي الشافعي ديناراً في مصلاه، فلما عاد وجده، فلما حاك في صدره جواز أن يكون غيره حضر ونسيه، وأن يكون ديناره قد أُخذ، فترك الدينار ولم يأخذه.

وسأل بعضهم عن نهاية الصالح؟ فقال: احرص على الحلال الذي لا شبهة فيه كشربك من ماء السماء والبحر والنهر، وكأكلك الصيد من بر وبحر، واجتنب ما عدا ذلك، فإن لم تجد فكل من صنعة يدك أو من إرث لا شبهة فيه أو وقف ونحو ذلك.

الدرجة الثالثة: درجة المتقين، وهي منتهى درجة الصالحين، وعمدتهم العمل بحديث: «لا يبلغ العبد المؤمن درجة التقوى حتى يدع ما لا بأس مخافة ما به بأس» .

ولهذا قال الإمام عمر لولده: يا عبدالله، اترك تسعة أعشار الحلال مخافة أن تقع في الحرام.

---

(١) أخرجه ابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ١٦٢)، وذكره أيضًا ابن حجر في الفتح (٩/ ١٩١). أما حديث: «لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل» أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٢٤٧-الموارد)، والدارقطني في سننه (٣/ ٢٢١)، وعبدالرزاق في مصنفه (١٠٤٧٣).

أما حديث: «لا نكاح إلا بولي» أخرجه أبو داود (٢٠٨٥)، كتاب النكاح، باب في الولي، والترمذي (١١٠١)، كتاب النكاح، باب ما جاء: لا نكاح إلا بولي، وابن ماجه (١٨٨٠، ١٨٨١)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٩٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٦٩-١٧٠)، والدارمي في سننه (٢/ ١٣٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٠٧، ١٠٨).

(٢) روى مسلم في صحيحه (١٤-٢٥٥٣)، كتاب البر والصلة والآداب، ٥-باب تفسير البر والإثم، عن النواس بن سمعان الأنصاري: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس» .

وكان الزبير[١] يقول لوكلائه في البيع والشراء: إذا قبضتم فخذوا النقص، وإذا وفيتم الأثمان فزيدوا، وهيهات إن حصلتم، فإن لم تفعلوا فنحن وأنتم في النار.

وحكي عن أحمد بن حنبل أنه رمى العجين في الدجلة من أجل ملح أخذه من بيت ولده، ثم تورع عن أكل السمك خشية أن يأكل سمكة أكلت من ذلك العجين.

وحكي عن معبد: أنه أخذ ترابًا من حائط، فرمل به كتابًا، فرأى رب العزة في المنام فقال: يا معبد، ستعلم غداً حال المتهونين في أمر الدين وكيف أحاسب على الذرة والنظرة؟

واستفتت أخت حسان الراعي أحمد بن حنبل عن غزلها في ضوء مشعل الوالي، فقال لها: من أنت؟ قالت: أخت حسان الراعي، فقال: صدقت، لمثلك لا ينبغي، ولكل مقال مقام.

الدرجة الرابعة: هم منتهى درجة المتقين وهي مقام الصديقين، وأول منازل النبوة، وحد الحلال عنهم هو الذي لا يتطرق إليه بشبهة بوجه من الوجوه، ولا يختال في النفس ولا يتقدم له سبب في معصية ولا مسيئة يد عاص، ولا زلة (نيتها) [٢].

ويشترط مع ذلك أن لا يتناوله بيده بلا نية عبادة ولا يضعه في فمه بلا نية عبادة، وأن يشارك لسانه قلبه، فإن ذلك أعلى مقامًا، فيقول: اللهم لم أتناول ذلك لقضاء وطر دنيوي، ولا لقضاء شهوة نفسانية، إنما تناولت ذلك ليكون عونًا على طاعتك، وعلى العمل بما يرضيك عني، فالنبي والصديق والقطب والعارف بالله، إن لبس لبس لله، وإن أكل أكل لله، وإن شرب شرب لله، وعندهم متى لم يحضرهم هذه النية من الأفعال كلها، كان الفعل حرامًا.

وأما شعب الإيمان: فقد أفردها الحليمي وغيره كما عدها رسول الله ﷺ وهي بضع وسبعون شعبة يطول شرحها فراجعها، «والحياء شعبة من الإيمان»[٣].

وقد تمت المسائل العشر ولله الحمد وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي أبو عبدالله، أبو الطاهر، الأسدي القرشي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، حواري رسول الله ﷺ، وأول من سل سيفاً في الإسلام. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٣/ ٣١٨)، تقريب التهذيب (١/ ٢٥٩).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) روى مسلم في صحيحه (٥٧-٣٥)، كتاب الإيمان، ١٢-باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان» ، وأخرجه النسائي (٨/ ١١٠)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٦٩).

وهذه مسائل ذكرت في فتاوى الافتخار مما يتعلق بهذا الباب

فإن قيل: الإيمان ظاهر أم باطن؟

فقل: هو ظاهر وباطن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾، يعني الإيمان.

ثم الإيمان على أربعة أوجه:

إيمان متبوع، وهو إيمان الملائكة؛ لأنهم خلقوا قبل الأنبياء بخمسمائة ألف عام.

وإيمان مقبول، وهو إيمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وإيمان معصوم، وهو إيمان المؤمنين.

وإيمان مردود، وهو إيمان المنافقين.

فإن قيل: أي موضع موضع الإيمان؟

قيل: للإيمان أربعة مواضع:

الأول: القلب، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧].

الثاني: الصدر كما قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢].

الثالث: الفؤاد، قال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١].

الرابع: اللسان ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩]. أراد به اللسان.

فإن قيل: الإيمان ذكر أم أنثى؟

فإن قيل: ذكر، فقل: أين زوجته.

وإن قيل: أنثى، فقل: أين زوجها.

وإن قيل: ذكر وأنثى، فقل: أين أولادهما.

الإيمان غير ذكر وأنثى، ولكن يميلان الذكر والأنثى؛ لأن الإيمان إقرار وهداية، والهداية صنع الرب جل جلاله فهو بمنزلة الذكر، والإقرار صنع العبد وهو بمنزلة الأنثى، وأولادهما هما الطاعات والخيرات، والإيمان منزه عن الذكر والأنثى.

فإن قيل: الإيمان قديم أم حادث؟

فقل: معرفته قديمة وإقراره حادث.

فإن قيل: الإيمان في المؤمن أم المؤمن في الإيمان؟

قيل: الإيمان في خزائن الله تعالى، وخزائنه قلب المؤمن بلا شك، فإن شك كفر[١].

فإن قيل: الإيمان فيك أم أنت في الإيمان؟

فالجواب: أنا في الإيمان والإيمان فيّ.

فإن قيل: الإيمان على العقل أم العقل على الإيمان؟

فالجواب: قال أبو حنيفة رحمه الله: الإيمان مع العقل، والعقل مع الإيمان.

فإن قيل: الإيمان على الجسد أم على الروح؟

فقل: مفرق في الجسد والروح.

فإن قيل: الإيمان جمع أم تفريق؟

فقل: جمع عند الله، وتفريق بين العباد، وجمع في القلب وتفريق في الأعضاء.

فإن قيل: الإيمان عتيق أم جديد؟

فبأي وجه أفتى فقد أخطأ، وهو أن عند الله عتيق وعند المخلوق جديد.

فإن قيل: ما رأس الإيمان؟ وما وسطه؟ وما أصله؟ وما عروقه؟ وما غصنه؟ وما ورقه؟ وما ثمراته؟ وما أرضه؟ وما نهره؟ وما ماؤه؟ وما اسمه؟

فالجواب: رأسه التوحيد، ووسطه الإقرار، وأصله اليقين، وعروقه الإخلاص، وغصنه الأمر والنهي، وورقه الخوف، وثمرته رحمة الله، وأرضه قلب المؤمن، ونهره علمه، وماؤه كلام الله تعالى، واسمه شجرة مباركة.

وقيل: أرض تلك الشجرة التوفيق، وسماؤها العناية، وماؤها الرعاية، وأغصانها الكفاية، وأوراقها الولاية، وثمرها الوصلة، ومحلها الإنس، وأصلها ثابت في قلب المؤمن، وفرعها في السماء ثابت بالمزيد من عند الجبار الغفار.

فإن قيل: إذا مات العبد أين يذهب إيمانه: مع روحه أم مع بدنه؟

فالجواب: لا بذاك ولا بذاك، ولكن بالمعنى الذي صار به العبد أهلاً للإيمان.

فإن قيل: أي شيء ذلك المعنى؟ فقل: هو تنوير الله وصفته.

فإن قيل: أين تذهب سائر أعماله؟ قلنا: تقبل بثواب الله تعالى أو بعقابه.

---

(١) اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقاداً جازماً خالياً من الشكوك ونطق بالشهادتين، فإن اقتصر على إحداهما لم يكن من أهل القبلة أصلاً إلا إذا عجز عن النطق لخلل في لسانه أو لعدم التمكن منه لمعالجة المنية أو لغير ذلك، فإنه يكون مؤمناً. النووي في شرح مسلم (١/ ١٣٣).

فإن قيل: ما الدليل على أن الله تعالى واحد لا شريك له ؟ فقل: الدليل من وجهين: أحدهما بالنص. والآخر بالمعقول.

أما النص: فقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : ١] ، وفي رواية أخرى : ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وأما المعقول : فاختلاف الأشياء في الخلقة دليل على أن الله تعالى واحد لا شريك له.

فإن قيل: ما الدليل على أن محمداً ﷺ رسول الله؟

فقل: من وجهين: أحدهما بالنص، والآخر بالمعقول:

أما النص: فقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وأما المعقول: فانشقاق القمر وانفلاق الحجر دليل على أن محمداً ﷺ رسول الله [١] .

فإن قيل: ما الدليل على أن القرآن كلام الله تعالى؟ فقل: من وجهين: أحدهما بالنص، والآخر بالمعقول:

أما النص: فقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وأما المعقول: فهو أن ضد الكلام صفة قبيحة وهي الخرس والله منزه عن ذلك.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

***

---

(١) تقدمت معجزات النبي ﷺ وتخريجات الأحاديث من قبل.

الباب الثاني والأربعون

في بر الوالدين ومراعاة حقهما والوصية بهما

قال الله تعالى : ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ۝٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء:٢٣، ٢٤].

وقل جل جلاله: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗا﴾ [العنكبوت: ٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾[1] [لقمان:١٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ﴾ شدة بعد شدة. وقال الضحاك: ضعفًا على ضعف. وقال قتادة: جهداً على جهد. وقال مجاهد بن كيسان رحمه الله: مشقة على مشقة. وقال البغوي رحمه الله: قال الزجاج رحمه الله: إذا حملت المرأة توالى عليها الضعف والمشقة، ويقال: الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف .

قوله: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾: فطامه.

وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟، قال: ((الصلاة على وقتها)).

قلت : ثم أي؟

قال: ((بر الوالدين))، قلت: ثم أي ؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله))[2]، رواه البخاري ومسلم .

---

(١) قال ابن كثير: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ﴾: قال مجاهد: مشقة وهن الولد. وقال قتادة: جهداً على جهد. وقال عطاء الخراساني: ضعفًا على ضعف. وقوله تعالى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ﴾ أي: تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين، كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾. تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٣٤)، كتاب التوحيد، ٤٨-باب: وسمى النبي ﷺ الصلاة عملاً. ومسلم (١٣٧-٨٥)، كتاب الإيمان، ٣٦-باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، والترمذي (١٨٩٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٨٧)، وأحمد في مسنده (١/ ٤١٨، ٤٤٤)، والبيهقي في السنن (٢/ ٢١٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجزي ولد والدًا إلاَّ أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه»[١]. رواه مسلم

وعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال : «أمك». قال: ثم من ؟ قال: «أمك»، قال: ثم من ؟ قال: «أمك»، قال: ثم من ؟ قال: «أبوك»[٢]. رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية قال: يا رسول الله من أحق بحسن الصحبة؟ قال: «أمك، ثم أمك، ثم أباك، ثم أدناك وأدناك».

قال النووي رحمه الله: والصحابة بمعنى الصحبة.

وفي رواية: «ثم أبوك» وهو أصح.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى. فقال: «هل من والديك أحد حي؟». قال: نعم، قال: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»[٣].

رواه البخاري ومسلم، وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية : جاء رجل فاستأذنه في الجهاد. فقال: «أحي والداك؟»، قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»[٤].

وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت: قدمت عليَّ أمي وهي

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥-١٥١٠)، كتاب العتق، ٦-باب فضل عتق الوالد، عن أبي هريرة، وأبو داود (٥١٣٧)، كتاب الأدب، باب في بر الوالدين، والترمذي (١٩٠٦)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حق الوالدين، والنسائي في الكبرى، كتاب العتق، باب من ملك ذا رحم محرم، وابن ماجه (٣٦٥٩)، كتاب الأدب، باب بر الوالدين، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٨٩)، والمنذري في الترغيب (٣/ ٣١٤).

(٢) أخرجه مسلم (١-٢٥٤٨)، كتاب البر والصلة، ١-باب بر الوالدين وأنهما أحق به.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٦مكرر)، كتاب البر والصلة والآداب، ١-باب بر الوالدين وأنهما أحق به. قال النووي: هذا كله دليل لعظم فضيلة برهما وأنه آكد من الجهاد، وفيه حجة لما قاله العلماء أنه لا يجوز الجهاد إلا بإذنهما إذا كانا مسلمين أو بإذن المسلم منهما فلو كانا مشركين لم يشترط إذنهما عند الشافعي ومن وافقه ، وشرطه الثوري هذا كله إذا لم يحضر الصف ويتعين القتال وإلا فحينئذ يجوز بغير إذن. والحديث أخرجه أيضاً: أحمد في مسنده (٥/ ٣٦٨)، والبيهقي (٩/ ٢٦).

(٤) أخرجه مسلم (٥-٢٥٤٩)، كتاب البر والصلة والآداب، ١-باب بر الوالدين، وأنهما أحق به.

راغبة، أفاصل أمي؟ فقال ﷺ: «**نعم صلي أمك**»[١]. رواه البخاري ومسلم.

قال النووي رحمه الله: وقولها: «راغبة» أي: طامعة فيما عندي فتسألني شيئًا، قيل: كانت أمها من النسب، وقيل: من الرضاعة، والصحيح الأول.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان تحتي امرأة، وكنت أحبها، وكان عمر والدي يكرهها، فقال لي: طلقها، فأبيت، فأتى عمر ﷺ النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ «**طلقها**»[٢]. رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: إن رجلاً أتاه فقال: إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه**»[٣]. رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح.

وروى أبو القاسم الأصبهاني بإسناده عن عطاء رحمه الله قال: إن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**من أصبح مرضيًا لوالديه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة، وإن كان واحد فواحد، وإن أمسى فمثل ذلك، وإن أصبح مسخطًا لوالديه أصبح وله بابان مفتوحان إلى النار، وإن كان واحد فواحد، وإن أمسى فمثل ذلك**». ثم قال رسول الله ﷺ: «**وإن ظلما، وإن ظلما**»[٤].

وبإسناده إلى سفيان بن عيينة عن عمارة بن القعقاع[٥] عن أبي زرعة بن عمرو بن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٨)، كتاب الأدب، باب صلة الوالد المشرك، ورقم (٥٩٧٩)، باب صلة المرأة أمها، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٤٤، ٣٤٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩٩٣٢)، والمنذري في الترغيب (٣/ ٣٢٢)، والهيثمي في المجمع (٨/ ١٤٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٣٨)، كتاب الأدب، باب في بر الوالدين، عن عبدالله بن عمر، والترمذي (١١٨٩)، كتاب الطلاق، باب ما جاء في الرجل يسأله أبوه أن يطلق زوجته. وابن ماجه (٢٠٨٨)، كتاب الطلاق، باب الرجل يأمره أبوه بطلاق امرأته. وأحمد في مسنده (٤/ ٣٣، ٢١١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٥٤، ١٥٥)، وابن حبان (١٥٩، ٢٠٢٤-موارد)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ١٨٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣١٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٢٩).

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٠٠)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الفضل في رضا الوالدين. وابن ماجه (٢٠٨٩)، كتاب الطلاق، باب الرجل يأمره أبوه بطلاق امرأته، ورقم (٣٦٦٣)، في الأدب، باب بر الوالدين. وأحمد في مسنده (٥/ ١٩٦)، (٦/ ٤٤٥، ٤٤٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣١٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٥٢)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٦٩)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٩١٤).

(٤) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ٣١٤)، وابن حجر في المطالب العالية (٢٥٠٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢١٦).

(٥) عمارة بن القعقاع بن شبرمة، أبو شبرمة الضبي، الكوفي، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وتوفي سنة (١٤٠ تقريباً)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٧/ ٤٢٣)، التقريب (٢/ ٥١)، الكاشف (٢/ ٣٠٤)، التاريخ الكبير (٦/ ٥٠١)، التاريخ الصغير (٢/ ٧٩)، الجرح والتعديل (٦/ ٢٠٣٣)، سير الأعلام (٦/ ١٤٠)، الثقات (٧/ ٢٦٠).

جرير عن أبي هريرة ﷺ قال: قام رجل إلى النبي ﷺ فقال: من أولى بحسن الصحبة؟ قال: «أمك»، قال: ثم من ؟ قال «أمك»، قال: ثم من ؟ قال: «أبوك».

قال سفيان: فيرون أن للأم الثلثين من البر واللين.

قال المقدام بن معديكرب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى يوصيكم بأمهاتكم ثم يوصيكم بآبائكم ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب» [(١)].

وروي إسماعيل بن محمد الصفَّار بإسناده عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أراه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يزيد في العمر إلاّ البر، ولا يرد القدر إلاّ الدعاء، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب الذي يصيبه» [(٢)].

وقال ثوبان ﷺ: «وإن في التوراة مكتوبًا: يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك أمد لك في عمرك، وأيسر لك يسرك وأصرف عنك عسرك».

وروى أبو يعلى المهلبي عن أبي هريرة ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «بر الوالدين يزيد في العمر، والكذب ينقص الرزق، والدعاء يرد القضاء»[(٣)].

وروى البخاري بإسناده إلى ميمون بن سياه قال: سمعت أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يمد له في عمره، ويزاد له في رزقه فليبر والديه»[(٤)].

ويعارضه ما روي عن ابن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «ثم يؤمر الملك بأربع كلمات: رزقه وعمله». وفي رواية: «وأجله وشقي أو سعيد».

وفي رواية حذيفة بن أسيد [(٥)]: «فلا يزاد عليه ولا ينقص».

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٦٦١)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٣٢)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ١٧٩)، والهيثمي في الجمع (٤/ ٣٠٢)، (٨/ ٣١٩)، والسيوطي في الدر (٤/ ١٧٦)، والشجري في أماليه (٢/ ١٢٠)، والألباني في الصحيحة (١٦٦٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٣٩)، كتاب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، وابن ماجه (٩٠)، في المقدمة، باب في القدر، ورقم (٤٠٢٢)، كتاب الفتن باب العقوبات. وأحمد في مسنده (٥/ ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٢)، وابن حبان في صحيحه (١٠٩٠- موارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٨١)، (٣/ ٣١٧)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٩٥)، (٦/ ٢٣٣).

(٣) أخرجه الشجري في أماليه (١/ ٥٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٩٦).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٢٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧٣)، والقرطبي في تفسير (٩/ ٣٣٠).

(٥) حذيفة بن أسيد، أبو سريحة الغفاري، صحابي من أصحاب الشجرة، وأخرج له: مسلم وأصحاب السنن، توفي سنة (٤٢). انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٢/ ٢١٩)، تقريب التهذيب (١/ ١٥٦)، الكاشف (١/ ٢١٠)، تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٩٦)، الجرح والتعديل (٣/ ١١٤١)، أسد الغابة (١/ ٤٦١)، الإصابة (١/ ٣١٧)، الاستيعاب (١/ ٣٣٥)، الوافي بالوفيات (١١/ ٤١١)، الثقات (٣/ ٨١).

والجمع بين الخبرين أن يقال: إن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يخلق نسمة جعل أجلها إن برت والديها كذا وكذا وإن لم تبر والديها كذا وكذا دون ذلك، وإن عملت كذا حرمت كذا، وإن لم تعمله رزقته كذا، ويكون ذلك مما يكتب في الصحيفة التي لا يزاد على ما فيها ولا ينقص ، ومثل ذلك ما روي: ((لا يرد القضاء إلاّ الدعاء)) (١).

وقال: ((إن الله تعالى إذ أراد أن يخلق النسمة قال: إن كان منها الدعاء رد عنها كذا وكذا وإن لم يكن منها الدعاء نزل بها كذا وكذا)).

وروى أبو القاسم بإسناده إلى عطاء عن أبي عبد الرحمن قال: كان في الحي فتى في أهل بيت، فلم تزل به أمه حتى زوجته ابنة عم له فعلقت منه معلقًا، ثم قالت له: طلقها، فقال: لا أستطيع علقت مني معلقًا ما أستطيع طلاقها. قالت: طعامك وشرابك عليَّ حرام حتى تطلقها، فخرج إلى أبي الدرداء ﷺ بالشام فذكر له شأنه فقال: ما أنا بالذي آمرك بأن تعق والدتك، ولا آمرك أن تطلق امرأتك، فأعاد عليه، فقال: سمعت النبي ﷺ يقول(٢): ((الوالد وسط أبواب الجنة فإن شئت فاحفظه وإن شئت دعه))، قال: فرجع وطلقها.

وروى الثعلبي بإسناده عن ابن عمرو اليحصبي ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل أعمله يقربني إلى الله ﷻ. قال: ((هل لك والد ووالدة؟))، قال: نعم: قال : ((فإنما يكفي مع البر بالوالدين العمل اليسير)) (٣).

وروى أبو القاسم بإسناده عن عطاء بن السائب عن أبيه أنه سمع عبدالله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أبايعك على الهجرة وتركت أبوي يبكيان. قال: ((ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما)) (٤).

وبإسناده عن أبي هريرة ﷺ قال: بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ طلع علينا شاب من الثنية، فلما رمينا بأبصارنا قلنا: لو أن هذا الشاب جعل شبابه ونشاطه وقوته في

---

(١) انظر ما تقدم وهو في الترمذي (٢١٣٩)، كتاب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، وابن ماجه (٩٠، ٤٠٢٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٩٣).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٠٠)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الفضل في رضا الوالدين، وابن ماجه (٢٠٨٩)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٩٦)، (٦/ ٤٤٥، ٤٤٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣١٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٥٢)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٦٩)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٩١٤).

(٣) أخرج النسائي (٦/ ١١-المجتبى)، بلفظ: ((هل لك من أم؟)) وأخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٢٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٢٢)، وعبدالرزاق في مصنفه (٩٢٩٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٣٢٤)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٠١).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٥٢٨)، كتاب الجهاد، باب في الرجل يغزو وأبواه كارهان، وابن ماجه في سننه (٢٧٨٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣١٥)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٣٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٢).

سبيل الله تعالى. قال: فسمع رسول الله ﷺ مقالتنا. فقال: «وما سبيل الله؟! ألا ومن يسعى على والديه ففي سبيل الله، ومن سعى على عياله ففي سبيل الله، ومن سعى على نفسه ليعفها ففي سبيل الله، ومن سعى على التكاثر ففي سبيل الشيطان»[١].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين»[٢]. وروي القاسم بن فورك رحمه الله بإسناده عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الجنة تحت أقدام الأمهات»[٣].

وفي الخبر: إنما صرف الله سليمان عن عذاب الهدهد لبره بوالديه، نقله الثعلبي في الأنبياء.

وروي أبو بكر محمد بن أحمد بن علي السمسار بإسناده عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بروا آباءكم يبركم أبناءكم، وعفوا تعف نساءكم ومن تُنصل إليه فلم يقبل لم يرد عليَّ الحوض يوم القيامة»[٤].

قال أهل اللغة: التنصل: الاعتذار.

وروى أبو بكر بن مردويه بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن حسن الخلق، وبر الوالدين، وصلة الرحم يزدن في الأعمار ويعمرن الديار ويكثرن الأموال، وإن كان القوم فجارًا».

وروى بشر بن موسى الحميدي، عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه»[٥].

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٣٧، ٣٣٨).

(٢) الترمذي (١٨٩٩)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٢٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٣٦)، والزبيدي في الإتحاف (٣٣٠٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٢)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٥٢٠).

(٣) بلفظ: «الجنة بناؤها أقدام الأمهات» ، أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٧٠)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٠١)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٢٢).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٣٥)، والسيوطي في الدر (٤/ ١٧٥)، والمنذري في الترغيب (٣/ ٤٩٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٤)، والشجري في أماليه (٢/ ١١٨)، والهيثمي في المجمع (٨/ ٣٨)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٨٥، ١٠٧).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (١١)، كتاب البر والصلة، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما. والترمذي (١٩٠٣)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في إكرام صديق الوالد، وأبو داود (٥١٤٣)، كتاب الأدب، باب في بر الوالدين. وأحمد في مسنده (٢/ ٨٨، ٩٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٢٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٤١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «إذا نظر الوالد إلى ولده فسره كان للوالد عتق نسمة»[١]. رواه البخاري.

وروى أبو القاسم بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «انطلق ثلاثة نفر يمشون فدخلوا في غار فأرسل الله عليهم صخرة فأطبقت الغار عليهم فقال بعضهم لبعض: تعالوا فلينظر كل منا أفضل عمل عمله فيما بينه وبين ربه فليذكره، فليدع الله؛ لعله أن يفرج عنا ما نحن فيه، ويلقى عنا هذه الصخرة[٢].

فقال رجل منهم: اللهم إنك تعلم أنه كانت لي بنت عم فطلبت منها نفسها، فقالت: لا أفعل حتى تعطيني مائة دينار فجمعتها من حس ولبس حتى أتيتها بها، فلما قعدت منها مقعد الرجل من امرأته ارتعدت وبكت، وقالت: يا عبدالله اتق الله ولا تفتح هذا الخاتم إلاَّ بحقه. فقمت عنها وتركتها. فإن كنت تعلم أني تركتها من مخافتك فأفرج عنا منها فرجة نرى السماء، ففرج الله عنهم منها فرجة فنظروا إلى السماء.

وقال الثاني: اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان، وكان لي ولد صغار، وكنت أرعى على أبوي، وكنت أجيء بالحلاب فأبدأ بأبوي فأسقيهما حتى أجيء بفضله إلى ولدي، وإني جئت ليلة بالحلاب فوجدت أبوي نائمين والصبيان يتضاغون من الجوع، فلم أزل بهم حتى ناموا ثم قمت بالحلاب عليهما حتى قاما فشربا، ثم انطلقت إلى الصبية بفضله فسقيتهم، فإن كنت تعلم أني صنعت ذلك من مخافتك فأفرج عنا فرجة، ففرج الله عنهم فرجة منها.

وقال الثالث: اللهم إنك تعلم إنه كان لي أجير فأعطيته أجره فغبطه وذهب وتركه، فعملت له بأجره حتى صار له بأجره بقر وراعيها.

قال: فأتى يطلب أجره، فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها، فخذها.

فقال: يا عبدالله اتق الله ولا تهزأ بي.

---

(١) هو في الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٢٣٩).

(٢) قال النووي: استدل أصحابنا بهذا على أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ويتوسل إلى الله تعالى به لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم، وذكره النبي ﷺ في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم. وفي هذا الحديث فضل بر الوالدين وفضل خدمتهما وإيثارهما عمن سواهما من الأولاد والزوجة وغيرهم، وفيه فضل العفاف والانكفاف عن المحرمات، لا سيما بعد القدرة عليها والهم بفعلها وتترك لله تعالى خالصًا، وفيه جواز الإجارة وفضل حسن العهد وأداء الأمانة والسماحة في المعاملة، وفيه إثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل الحق. النووي في شرح مسلم (١٧/ ٤٧)، ط. دار الكتب العلمية.

فقلت: انطلق فخذها. فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من مخافتك فألقها عنا، فألقاها الله تبارك وتعالى عنهم»[(١)].

قال أبو القاسم : فغبطه: أي احتقره.

وذكر أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: إن أمي حزفت عندي وأنا أطعمها بيدي وأسقيها وأحملها على عاتقي، فهل جازيتها؟ قال: «لا ولا واحدًا من مائة، ولكنك قد أحسنت والله يثيب على القليل كثيرًا».

وروي أحمد بن مردويه بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «من حج عن أبويه أو قضى عنهما مغرمًا بعث يوم القيام مع الأبرار»[(٢)].

وروى أبو بكر محمد بن إسماعيل التغلبي بإسناده عن عبد العزيز بن بن عبدالله بن عبدالله بن عبدالله بن عمر[(٣)]، عن أبيه عن جده رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من حج عن والديه بعد وفاتهما كتب الله له عتقًا من النار».

وقال ﷺ: «ما وصل ذو رحم رحمه بأفضل من حجة يدخلها عليه بعد موته في قبره».

وروى أبو القاسم الأصبهاني بإسناده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ ليبلغ العبد الدرجة فيقول: يا رب أنى لي هذه الدرجة. فيقول: باستغفار ولدك لك».

ويقال: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء:٢٤] يعني يدعو لهما بالمغفرة في حال حياتهما وبعد مماتهما ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾، كما قاما عليَّ في حال صغري حتى كبرت فأجزهما عني بالمغفرة لهما.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٤)، كتاب الأدب، باب إجابة دعاء من بر والديه، ومسلم (١٠٠-٢٧٤٣)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ٢٧-باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بصالح الأعمال. قال النووي: احتج بهذا الحديث أصحاب أبي حنيفة وغيرهم ممن يجيز بيع الإنسان مال غيره والتصرف فيه بغير إذن مالكه إذا أجازه المالك بعد ذلك، وموضع الدلالة قوله: «فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرًا ورعاها»، وفي رواية البخاري: «فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال». النووي في شرح مسلم (١٧/ ٤٩).

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٤٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٤٦)، وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (٧٨٩)، والدارقطني في السنن (٢/ ٢٦٠).

(٣) عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، أبو محمد العدوي المدني، القرشي، ثقة، أخرج له النسائي. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٦/ ٣٤٤)، تقريب التهذيب (١/ ٥١٠)، الكاشف (٢/ ٢٠٠)، تاريخ البخاري الكبير (٦/ ٦٣)، الجرح والتعديل (٥/ ١٨٠١)، لسان الميزان (٧/ ٢٨٨)، الثقات (٧/ ١٠٩).

وروي عن بعض التابعين رحمهم الله أنه قال: من دعا لأبويه في كل يوم خمس مرات فقد أدى حقهما لأن الله تعالى قال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾.

فشكر الله تعالى أن يصلي له كل يوم خمس مرات، فكذلك شكر الوالدين يدعو لهما في كل يوم خمس مرات.

قلت: يريد كل يوم وليلة، فإن الصلوات الخمس إنما تصلى في اليوم والليلة، فحذف للعلم بالمحذوف، ومثله جائز للدليل عليه.

ثم قال تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ [الإسراء:٢٥] يعني أنه عالم بما في قلوبكم من الدين والبر للأبوين.

﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾ يعني تكونوا بارين بالوالدين. فتستوجبوا على الله بذلك الأجر ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾.

ويقال: للوالدين على الولد عشرة حقوق:

أحدها : أنه إذا احتاجا إلى إطعام أطعمهما.

والثاني: أنه إذا احتاجا إلى الكسوة كساهما إن قدر عليها ، كما روي عن النبي ﷺ وقد سئل عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[لقمان: ١٥][1]. فقال: «مصاحبة المعروف: أن تطعمهما إذا جاعا وتكسوهما إذا عريا».

والثالث: أنه إذا احتاجا إلى خدمة خدمهما.

والرابع: أن الأب إذا دعاه أجابه وحضره.

والخامس: أنه إذا أمره بأمر أطاعه ما لم يأمره بالمعصية.

والسادس: أن يتكلم معه باللين ولا يتكلم معه بالكلام الغليظ.

والسابع: أن لا يدعوه باسمه.

والثامن: أن يمشي خلفه إذا رافقه.

والتاسع: أن يرضى له ما يرضى لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه.

والعاشر: أن يدعو له بالمغفرة كما يدعو لنفسه.

وقال الله تبارك وتعالى حكاية عن نوح عليه السلام : ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾[نوح:٢٨]، وهكذا حكى عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[إبراهيم:٤١].

وروي عن بعض الصحابة رضي الله عنه أنه قال: «ترك الدعاء للوالدين يضيّق

---

(١) أي ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفًا أي محسنًا إليهما. تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦١).

العيشَ على الولد».

وعن فرقد السبخي[١] بسين مهملة، وياء مفتوحة، ثم خاء معجمة بعدها بياء مشددة ﷺ أنه قال: قرأت في بعض الكتب: أنه لا ينبغي للولد أن يتكلم إن شهد والديه إلا بإذنهما، ولا يمشي بين أيديهما ولا عن يمينهما ولا عن يسارهما إلا أن يدعواه فيجيبهما ولكن يمشي خلفهما كما يمشي العبد خلف مولاه.

قال أبو الليث رحمه الله: لو لم يذكر الله تعالى في كتابه حرمة الوالدين ولم يوص بها لكان يعرف بالعقل أن حرمتهما واجبة، وكان الواجب على العاقل أن يعرف حرمتهما ويقضي حقهما، فيكف وقد ذكر الله تعالى في جميع كتبه من التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.

وقد أمر في جميع كتبه وأوحى إلى جميع رسله وأوصاهم بحرمة الوالدين ومعرفة حقهما وجعل رضاه في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما.

ويقال: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل واحدة منهن بغير قرينتها:

أولها: قوله تعالى: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٢]، فمن صلى ولم يزك لم تقبل منه.

والثانية: قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [التغابن: ١٢] فمن أطاع الله تعالى، ولم يطع الرسول ﷺ لا يقبل منه.

والثالثة: قوله ﷻ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[لقمان: ١٤]. فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه.

وسئل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها، ثم: بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله»[٣].

وحكي: أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أن

---

(١) فرقد بن يعقوب، أبو يعقوب السبخي، البصري الكوفي، صدوق، عابد لكنه لين الحديث كثير الخطأ، أخرج له: الترمذي وابن ماجه، توفي سنة (١٣١)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٨/ ٢٦٢)، تقريب التهذيب (٢/ ١٠٨)، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ١٣١)، الكاشف (٢/ ٣٧٩)، التاريخ الصغير (١/ ٢١٠، ٣١٧)، ميزان الاعتدال (٣/ ٣٤٥)، الجرح والتعديل (٧/ ٤٦٤)، المغني (٤٨٩٩)، تراجم الأحبار (٣/ ٢٦٠)، الحلية (٣/ ٤٤).

(٢) سورة البقرة (٤٣، ٨٣، ١١٠)، وغيرها الكثير من السور.

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد، باب فضل الجهاد والسير والتوحيد، باب وسمى النبي ﷺ الصلاة عملاً، ومسلم في الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال.

اخرج إلى ساحل البحر ترى عجبًا، فخرج سليمان عليه السلام ومعه جماعة من الجن والإنس، فلما وصل إلى الساحل التفت يمينًا وشمالاً، فلم ير شيئًا، فقال لعفريت: غص في هذا البحر، ثم ائتني بعلم ما تجد فيه. فغاص ثم رجع بعد ساعة وقال: يا نبي الله إني ذهبت في هذا البحر مسيرة كذا وكذا فلم أصل إلى قعره ولا نظرت فيه شيئًا، فقال لعفريت آخر: غص في هذا البحر وائتني بعلم ما تجد فيه. فغاص ثم رجع بعد ساعة، وقال مثل قول الأول، إلاَّ أنه غاص مثل الأول مرتين.

فقال لآصف بن برخياء وهو وزيره الذي ذكره الله تعالى في القرآن ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَـٰبِ﴾ [النمل:٤٠]: غص في هذا البحر وائتني بعلم ما فيه.

فغاص ثم جاءه بقبة من الكافور الأبيض لها أربعة أبواب: باب من در، وباب من ياقوت، وباب من جوهر، وباب من زبرجد أخضر والأبواب كلها مفتحة، ولا يدخل فيها قطرة من الماء وهي في داخل البحر في مكان عميق مثل مسيرة ما غاص فيه العفريت الأول ثلاث مرات، فوضعها بين يدي سليمان عليه السلام فإذا في وسطها شاب حسن الشباب نقي الثياب وهو قائم يصلي.

فدخل سليمان عليه السلام القبة فسلم على ذلك الشاب وقال له: ما أنزلك في قعر هذا البحر؟ قال: يا نبي الله إنه كان أبي رجلاً مقعدًا، وكانت أمي عمياء، فأقمت في خدمتهما سبعين سنة. فلما حضرت وفاة أمي قالت: اللهم أطل حياة ابني في طاعتك، ولما حضرت وفاة أبي قال: اللهم استخدم ولدي في مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل.

فخرجت إلى هذا الساحل بعد أن دفنتهما فنظرت هذه القبة موضوعة فدخلتها لأنظر حسنها فجاء ملك من الملائكة عليهم الصلاة والسلام، فاحتمل القبة وأنا فيها، وأنزلني في قعر هذا البحر.

قال سليمان عليه السلام : ففي أي زمان كنت أتيت هذا الساحل؟ قال: في زمان إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، فنظر سليمان عليه السلام في التاريخ فإذا له ألفا سنة وأربعمائة سنة، وهو شاب لا شيبة فيه.

قال: فما كان طعامك وشرابك داخل البحر؟ قال: يا نبي الله ، يأتيني كل يوم طائر أخضر في منقاره شيء أصفر مثل رأس الإنسان فآكله فأجد فيه طعم كل نعيم في دار الدنيا، فيذهب عني الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والنعاس والفترة والوحشة.

فقال سليمان عليه السلام: أتحب أن تقف معنا أو نردك إلى موضعك؟ فقال: ردني

يا نبي الله.

فقال: رده يا آصف[1]، فرده، ثم التفت فقال: انظروا كيف استجاب الله دعاء الوالدين يرحمكم الله.

وحكي: أن موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام سأل ربه أن يريه رفيقه في الجنة، وسار موسى عليه السلام حتى انتهى إلى مدينة فتلقاه شاب فسلم عليه، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام أن هذا الشاب رفيقك في الجنة.

فقال له موسى عليه السلام : يا عبدالله أنا ضيفك الليلة. فقال له الشاب: هذا إن رضيت بما عندي أنزلتك عندي وأكرمتك.

فقال له موسى عليه السلام : قد رضيت.

فأخذه الشاب ولم يعلم أنه موسى بن عمران، ومضى به إلى حانوته، وكان الشاب جزاراً، فأجلسه، ثم فرغ من بيعه وكان الشاب لا يمر بشحم ولا مخ إلاَّ عزله. فلما كان وقت الانصراف أخذ بيد موسى عليه السلام وانطلق به إلى البيت، ثم أخذ الشاب الشحم والمخ وطبخهما، ثم دخل بيتًا فيه قفتان معلقتان في السقف فأنزل إحداهما إنزالاً رفيقاً، وإذا فيها شيخ كبير قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، فأخرجه من القفة وغسل وجهه وثيابه وجففهما ثم ألبسه إياهما، ثم أخذ خبزاً ثم صب عليه الشحم والمخ وأطعمه حتى شبع وسقاه حتى روي. وأنزل القفة الأخرى، وفعل بأمه مثل ذلك.

فقال الشيخ: يا ولدي، لا خيب الله سعيك وجعلك رفيقًا لموسى بن عمران عليه السلام في الجنة، ودعت أمه كذلك ثم ردهما إلى مكانهما وخرج إلى موسى عليه السلام وهو يبكي رحمة لهما، فقدم له طعامًا فقال له: يا أخي ما أنا بمحتاج إلى طعامك، ولكن سألت الله تعالى أن يريني رفيقي في الجنة، فأوحى الله تعالى أن رفيقي في الجنة أنت، فقال الشاب: من أنت يرحمك الله؟

فقال موسى عليه السلام : أنا موسى بن عمران ، فخر الشاب مغشيًا عليه، فلما أفاق دخل على والديه، وأخبرهما أن الله عز وجل استجاب دعاهما وأن هذا موسى عليه السلام قد أخبر بذلك عن رب العالمين، فلما سمعا ذلك شهقا شهقة فماتا فغسلهما موسى عليه السلام وصلى عليهما،

---

(١) هو آصف، قال ابن عباس: كاتب سليمان، وكذا روى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان أنه آصف برخياء، وكان صديقًا يعلم الاسم الأعظم، تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٦).

وصحبه الشاب إلى أن مات ، رحمة الله عليه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وروي أن أبا بكر الكناني رحمه الله استأذن أمه في الحج مرة فأذنت له فخرج، فأصاب ثوبه البول في البادية فقال: إن هذا الخلل لأمر حدث في حالي.

فرجع، فلما دق باب داره أجابته أمه وفتحت الباب فرآها جالسة خلف الباب فسألها عن جلوسها.

فقالت: منذ خرجت اعتقدت أن لا أبرح من هذا الموضع حتى أراك.

وحكي عن ذي النون المصري رحمه الله عليه أنه قال: مررت يومًا إلى بعض الأسواق فرأيت جنازة محمولة على أربعة أنفس، فقلت: والله لأكوننَّ خامسهم لأنال الأجر.

قال: فلما وصلنا إلى الجبانة قلت لهم: يا قوم أين ولي هذا الميت فيصلي عليه؟ فقالوا: يا شيخ كلنا في الأمر سواء ليس منا أحداً يعرفه قال: فتقدمت وصليت عليه ثم أنزلناه في لحده وحثونا عليه التراب فلما هموا بالانصراف قلت لهم: ما شأن هذا الميت؟ فقالوا: لا نعلم له خبراً غير أن امرأة اكترتنا بحمله إلى هذا المكان وهي لاحقة بنا الآن.

فبينما نحن في الحديث إذا جاءت المرأة وعليها سيمة الخير والصلاح، وهي باكية العين حزينة القلب حتى وقفت على القبر فكشفت وجهها ونشرت شعرها ثم رفعت يديها إلى السماء وتضرعت إلى الله ﷻ ثم سقطت مغشيًا عليها.

قال: فلما أفاقت بعد ساعة وهي تضحك فقلت لها: أخبريني بخبرك وخبر هذا الميت وكيف هذا الضحك بعد ذلك البكاء الشديد؟ فقالت لي: من أنت؟ قلت: ذو النون المصري.

فقالت: والله لولا أنك من أعيان الصالحين ما أخبرتك، ولكن هذا ولدي وقرة عيني، كان في الدنيا تائهًا بشبابه لابسًا ثياب إعجابه، لم يدع سيئة إلا ارتكبها، ولا معصية إلا مشى إليها وطلبها.

وقد بارز ربه بالمعاصي والآثام، فحصل له ألم من الآلام منذ ثلاثة أيام إلى أن أدرك الموت فقال لي: يا أماه سألتك بالله أن تقبلي وصيتي إذا أنا مت فلا تعلمي بموتي أحداً من

إخواني وجيراني ، فإنهم لا يترحمون عليَّ لسوء فعلي ولكثرة ذنوبي وحملي[1]. وأنشد يقول:

لي ذنـــوب شغلتـــني ... عـــن صيـــامي وصلاتـي

تركت جسمــي عليلاً ... مات مـــن قبل وفاتـــي

ليتني تبـــت لربـــي ... من جـــميع سيئاتــــي

أنا عبد لإلهي مغضـــ ... ـــب في الخلـــواتـــي

بحت جهراً بذنوبـــ ... ـــي وعيوبـــي قائلاتـــي

قد توالـــت سيئـــ ... ـــاتي وتلاشـــت حسناتـــي

ثم بكى وقال: يا أماه واحسرتاه على ما فرطت في جنب الله، بالله عليك يا أماه إذا أنا مت فضعي خدي على الأرض في التراب، وضعي قدمك على الخد الآخر وقولي: هذا جزاء من عصى مولاه وخالفه واتبع هواه، فإذا دفنتيني فاطلعي على القبر وارفعي يديك إلى السماء وقولي: إني قد رضيت عنه فارض عنه يا رب.

فلما مات فعلت جميع ما أوصاني به. ولما رفعت يدي إلى السماء ودعوت الله سبحانه وتعالى، سمعته من داخل القبر وهو يقول: انصرفي يا أماه فقد قدمت على كريم حليم غير غضبان عليَّ.

فلما سمعت ذلك ضحكت.

***

(١) كذا بالأصل.

الباب الثالث والأربعون

في التحذير من عقوق الوالدين

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[1] [الإسراء:٢٣، ٢٤].

قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أي وأمر ربك. قاله ابن عباس وقتادة والحسن.

وقال مجاهد: ووصى ربك، وكذلك قرأ علي وعبدالله وأبي رضي الله عنهم ﴿ووصى ربك﴾ وكذلك قرأها الضحاك بن مزاحم.

وقال الربيع بن أنس: وأوجب ربك أن لا تعبدوا إلا إياه.

قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ أي وأمر بالوالدين إحسانًا برًا بهما وعطفاً عليهما.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[2] قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي كلما كراهة.

وقال مقاتل رحمه الله: الكلام الرديء.

وروى أبو الليث بإسناده إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «لو علم الله شيئًا من العقوق أدنى من الأف لنهى عن ذلك، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة، وليعمل

---

(١) قال مجاهد: ﴿وَقَضَىٰ﴾ يعني وصى، وكذا قرأ أبي بن كعب وابن مسعود والضحاك بن مزاحم ﴿ووصى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين، فقال: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ إي وأمر بالوالدين إحسانًا، وكقوله في الآية الأخرى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾، تفسير ابن كثير (٣/ ٣٥).

(٢) قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾، اي لا تسمعهما قولاً سيئًا حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيء ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ اي ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح، كما قال عطاء بن أبي رباح في قوله: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾، اي لا تنفض يدك عليهما، ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح أمره بالقول الحسن والفعل الحسن، فقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، تفسير ابن كثير (٣/ ٣٥).

البار ما شاء فلن يدخل النار»[١].

قال أبو عبيدة: أصل الأف والتف: الوسخ على الأصابع بعد فتلته، وفرق آخرون بينهما فقيل: الأف: ما يكون بين المغابن من الوسخ والعرق، والتف: ما يكون في الأصابع.

وقيل: الأف: وسخ الأذن، والتف: وسخ الأظفار.

وقيل: الأف وسخ الأظفار، والتف: ما رفعت يداك من الأرض من شيء حقير.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي ولا تزجرهما.

قوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾[٢] أي حسنًا جميلاً.

وقال مجاهد في هذه الآية: إن بلغا من الكبر ما يبولان ويخريان فلا تتقذرهما، ولا تقل لهما: أف حيث ترى الأذى، وتميط عنهما الخراء والبول كما كانا يميطان عنك صغيراً ولا تؤذهما.

وقال عطاء: لا تبهتهما ولا تكنهما، ﴿وَقُل لَّهُمَا﴾: يا أبتاه ويا أماه.

قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾[٣].

قال عروة بن الزبير رحمه الله: لِنْ لهما حتى لا يمتنعا من شيء أحباه.

وقال مقاتل: ألن لهما جانبك واخضع لهما.

قال الحسن وسعيد بن جبير وعاصم الجحدري: جناح الذل بكسر الذال، أي لا تستصعب معهما.

قال الجوهري: والذل بالكسر: اللين وهو ضد الصعوبة يقال: دابة ذلول بينة الذل من دواب ذلل.

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء:٢٤]: قال ابن عباس رضي الله عنهما هو منسوخ بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ﴾[التوبة:١١٣].

قلت: لعل المراد النسخ هنا التخصيص أي المنع من الاستغفار للأبوين المشركين دون المؤمنين.

وروي الثعلبي بإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يقال

---

(١) أخرجه القرطبي في تفسيره (١٠/ ٢٤٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧١)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٢٣٣).

(٢) أي لينًا طيبًا حسنًا، بتأدب وتوقير وتعظيم.

(٣) أي تواضع لهما بفعلك: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ أي في كبرهما وعند وفاتهما. تفسير ابن كثير (٣/ ٣٥).

للعاق: اعمل ما شئت فإني لا أغفر لك، ويقال للبار: اعمل ما شئت فإني سأغفر لك»[(١)].

قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ أي من الوالدين وعقوقهما.

قوله تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾ أي أبرار مطيعين فيما أمركم الله تعالى به بعد تقصير منكم.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾[الإسراء:٢٥]: قال سعيد بن جبير في هذه الآية: هو الرجل يكون منه النادرة إلى والديه ولا يريد بذلك إلا الخير، فإنه لا يؤخذ به.

واختلف المفسرون في معنى «الأوابين» فقال سعيد بن المسيب: هو الذي يذنب ثم يتوب، وقال سعيد بن جبير : الراجعين إلى الخير.

وقال مجاهد عن عبيد بن عمير[(٢)] : هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله تعالى منها.

وقال عمرو بن دينار رحمه الله : هو الذي يقول: اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا. وقال ابن عباس رضي الله عنهما : هو الراجع إلى الله تعالى فيما يحزنه وينوبه.

والأواب اسم فاعل على فعال من قولهم: آب إذا رجع. قال عبيد بن الأبرص:

وكل ذي غيبة يؤوب   وغائب الموت لا يؤوب

وقال عمرو بن شرحبيل: هم المسبِّحون، وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ودليله قوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ وقيل: هم المطيعون المحسنون.

وقال قتادة: هم المسلمون.

وقال عون العقيلي[(٣)]: هم الذين يصلون صلاة الضحى.

وقال ابن المنكدر رحمه الله: هم الذين يصلون بين المغرب والعشاء.

وروى الثعلبي بإسناده عن سعيد بن جبير رحمه الله قال: الأوابين: الدعائين، وقال الله

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/ ٢١٦)، وفي الإتحافات السنية (٣١٩).

(٢) عبيد بن عمير بن قتادة بن سعيد بن عامر بن جندع بن ليث، أبو عاصم، أبو عبدالله الليثي الجندع، المكي قاص أهل مكة الحجازي، أخرج له الستة وهو مجمع على ثقته، توفي سنة (٦٨، ٧٤)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٧/ ٧١)، تقريب التهذيب (١/ ٥٤٤)، الكاشف (٢/ ٢٣٩)، التاريخ الكبير للبخاري (٥/ ٤٥٥)، الثقات (٥/ ١٣٢)، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٥٦).

(٣) عون بن أبي شداد، أبو محمد العقيلي العبدي البصري، أخرج له ابن ماجه وهو مقبول، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٧/ ١٧١)، تقريب التهذيب (٢/ ٩٠)، الكاشف (٢/ ٣٥٧)، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ١٦)، ميزان الاعتدال (٣/ ٣٠٦)، المغني (٤٧٧٤).

تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك**».

ثم قال رسول الله ﷺ: «**اقرأوا إن شئتم** ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾»[١]. رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله**»[٢].

قال بعض العلماء رحمهم الله بتأويل الأخبار في معنى هذا الحديث: يخلق الله تعالى ملكًا من ثواب صلة الرحم يقول هذا الكلام.

وعن أبي بكرة بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور -أو: قول الزور-**».

وكان رسول الله ﷺ متكئًا فجلس فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٠)، كتاب تفسير القرآن، ١-باب: ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾، ومسلم (١٦-٢٥٥٤)، كتاب البر والصلة، ٦-باب صلة الرحم، وابن حبان في صحيحه (٢٠٣٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٩)، كتاب الأدب، ومسلم (١٧-٢٥٥٥)، كتاب البر والصلة، ٦-باب صلة الرحم. قال النووي: الرحم التي توصل وتقطع وتبر إنما هي معنى من المعاني ليست بجسم، وإنما هي قرابة ونسب تجمعه رحم والدة ويتصل بعضه ببعض، فسمي ذلك الاتصال رحمًا والمعنى: لا يتأتى منه القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصليها وعظيم إثم قاطعيها بعقوقهم، لهذا سمي العقوق قطعًا والعق: الشق، كأنه قطع ذلك السبب المتصل. شرح مسلم للنووي (١٦/ ٩١)، ط. دار الكتب العلمية.

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٧٦)، كتاب الأدب، ٦-باب عقوق الوالدين من الكبائر، ومسلم (١٤٣-٨٧)، كتاب الإيمان، ٣٨-باب بيان الكبائر وأكبرها. قال النووي: أما قوله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر...»، فليس على ظاهره المتبدر إلى الأفهام منه، وذلك لأن الشرك أكبر منه بلا شك، وكذا القتل، فلابد من تأويله، وفي تأويله ثلاثة أوجه: أحدها: أنه محمول على الكفر، فإن الكافر شاهد بالزور وعامل به. والثاني: أنه محمول على المستحيل فيصير بذلك كافرًا، والثالث: أن المراد: من أكبر الكبائر كما قدمناه في نظائره، وهذا الثالث هو الظاهر أو الصواب. النووي في شرح مسلم (٢/ ٧٦)، ط. دار الكتب العلمية.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»[(١)] . رواه البخاري.

قال أبو زكريا النووي رحمه الله : اليمين الغموس التي يحلفها عامداً، وسميت غموساً لأنها تغمس الحانث في النار .

وعن عبدالله بن عمرو أيضًا رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه»، قيل: يا رسول الله كيف يشتم الرجل والديه؟ قال: «يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه». رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه»، قيل: يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه» [(٢)].

وعن أبي محمد جبير بن مطعم ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع» [(٣)]. قال سفيان رحمه الله: يعني قاطع رحمه. رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي عيسى المغيرة بن شعبة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى حرم عليكم: عقوق الأمهات، ومنعًا وهات، ووأد البنات، وكره لكم : قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال» [(٤)]. رواه البخاري ومسلم.

قال النووي رحمه الله قوله ﷺ: «ومنعًا» معناه: منع ما وجب عليه، «وهات»: طلب ما ليس له، «ووأد البنات»: دفنهن في الحياة.

وقيل: وقال: معناه : الحديث بكل ما يسمعه فيقول: قيل كذا ، وقال فلان كذا، مما لا يعلم صحته ولا يظنها وكفى بالمرء كاذبًا أن يحدث بكل ما سمع.

---

(١) أخرجه البخاري في استتابة المرتدين والمعاندين، وفي الديات، باب قوله تعالى: ﴿ومن أحياها﴾، والأيمان والنذور، باب اليمين الغموس، والترمذي (٣٠٢١)، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة النساء، والنسائي في تحريم الدم، باب ذكر الكبائر والقسامة.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٧٣)، كتاب الأدب، ٤-باب لا يسب الرجل والديه، ومسلم (١٤٦-٩٠)، كتاب الإيمان، ٣٨-باب بيان الكبائر وأكبرها، وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٤، ١٩٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٩/ ٨٨).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، كتاب الأدب، ١١-باب إثم القاطع، ومسلم (١٨-٢٥٥٦)، كتاب البر والصلة والآداب، ٦-باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، والترمذي (١٩٠٩)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في صلة الرحم، وأحمد في مسنده (٤/ ٨٠، ٨٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٧).

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٧٥)، كتاب الأدب، ٦-باب عقوق الوالدين من الكبائر، ومسلم (١٢-٥٩٣)، كتاب الأقضية، ٥-باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٦٣).

وإضاعة المال: بتبذيره وصرفه في غير الوجوه المأذون فيها من مقاصد الآخرة والدنيا، وترك حفظه مع إمكان الحفظ.

«وكثرة السؤال»: الإلحاح فيما لا حاجة إليه.

وروى أبو القاسم الأصبهاني بإسناده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا يدخل الجنة عاق، ولا منان، ولا مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قتات**))(١). قيل: يا رسول الله وما القتات؟ قال: ((**الذي يسعى بأموال الناس ودمائهم**)).

وبإسناده عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما الكبائر؟ قال: ((**الإشراك بالله**)).

قال: ثم ماذا؟ قال: ((**ثم عقوق الوالدين**))، قال: ثم ماذا؟ ، قال: ((**اليمين الغموس**))، فقال: قلت لعامر: وما اليمين الغموس؟ قال: الذي يقتطع مال امرئ مسلم بيمين وهو كاذب(٢).

وروى محمد بن إسماعيل البخاري بإسناده عن أبي الدرداء ﷺ، عن النبي ﷺ قال: ((**لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر ولا مكذب بالقدر**))(٣).

وروى البخاري أيضًا عن أبي أمامة الباهلي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((**ثلاثة لا يقبل الله منهم صدقاً ولا عدلاً: عاق(٤) ومنان ومكذب بالقدر**))(٥).

وعن ابن عباس ﷺ أنه قال: عاد النبي ﷺ طلحة بن أبي طلحة وهو مريض فقال له:

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٠٣)، (٦/ ٤٤١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٥٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٢٣)، والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٤٥٢)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٢٠)، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، ١-باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٥)، والهيثمي في الجمع (٨/ ١٥١).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٠٣)، (٦/ ٤٤١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٨، ٣٥٦).

(٤) قال النووي: أما عقوق الوالدين فهو مأخوذ من العق وهو القطع، وذكر الأزهري أنه يقال: عق والده يعقه بضم العين عقاً وعقوقًا، إذا قطعه ولم يصل رحمه ، وجمع العاق: عققة، بفتح الحروف كلها، وعُقق بضم العين والقاف. وقال صاحب المحكم: رجل عقق، وعقق وعق وعاق بمعنى واحد وهو الذي شق عصا الطاعة لوالده، هذا قول أهل اللغة، وأما حقيقة العقوق المحرم شرعاً فقل من ضبطه، وقال الشيخ الإمام أبو محمد بن عبدالسلام رحمه الله: لم أقف في عقوق الوالدين وفيما يختصان به من الحقوق على ضابط أعتمده ، فإنه لا يجب طاعتهما في كل ما يأمران به وينهيان عنه باتفاق العلماء. النووي في شرح مسلم (٢/ ٧٥)، ط. دار الكتب العلمية.

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٤٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٦)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٥١)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٨٥).

«كيف تجدك؟» قال: الموت يا رسول الله. قال: «صدقت فما الذي ترى؟». قال: أرى ملكًا شديد البطش كريه المنظر يقول: يا طلحة هلم إلى النار، قال: فالتفت النبي ﷺ إلى أمه وقال: «يا أم طلحة ما شأن ابنك؟». قالت : يا رسول الله ، إنه لشديد الغضب، فقال لها رسول الله ﷺ: «هل كان منه إليك شيء؟». قالت : لا إلا أنه كان يسألني يومًا طعامًا فأخذت حسواً وقربته إليه فولى وجهه عني فساءني ذلك، فقال النبي ﷺ: «يا أم طلحة أدركيه قومي الآن فصلي ركعتين ثم استغفري الله له». فقامت وصلت ركعتين، ثم قالت: اللهم اغفر لطلحة ما كان منه إليَّ. فقال النبي ﷺ عند ذلك : «يا طلحة ماذا ترى؟» قال: ذهب عني ذلك وجاءني ملك آخر حسن الهيئة يقول: هلم إلى الجنة.

وروى علي بن أبي طالب ﷺ: أن رجلاً شكا إلى النبي ﷺ سوء خلق أمه فقال رسول الله ﷺ: «هلا كانت سيئة الخلق حيث حملتك تسعة أشهر في بطنها؟»، قال: إنها لسيئة الخلق، قال: «هلا كانت سيئة الخلق حيث أرضعتك سنتين؟»، قال: إنها لسيئة الخلق، فقال: «هلا كانت سيئة الخلق حين سهرت بك لياليها وأظمأت نهارها؟» فقال: إنها لسيئة الخلق، فقال: «هلا كانت سيئة الخلق حين حملتك على عاتقها سبع سنين وحفظتك من آفات الدنيا؟»، فقال: إني جازيتها عن ذلك كله يا رسول، قال: «بماذا جازيتها؟»، قال: حججت بها على عاتقي والناس يحجون على ظهور الجمال. فقال النبي ﷺ: «إنك لم تجازيها بطلقة واحدة يا لكع».

وقيل: أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام: اصعد إلى جبل كذا ترى رجلاً ورعًا وهو يعبدني سبعمائة عام ويعتذر إليَّ من ذنب واحد، وهو أنه كان يومًا يمشي على سطحه ووالدته في المنزل تحت ذلك السطح فأصابها التراب من مشيه، ولم يعلم بذلك فهو يعتذر من ذلك سبعمائة عام؛ يا داود أذهب إليه وبشره بالمغفرة.

فصعد داود عليه السلام إلى الجبل، فإذا برجل نحيف الجسم من العبادة وهو في الصلاة، فسلم عليه داود فلما فرغ من الصلاة رد عليه السلام ثم قال له: من أنت؟، قال: أنا داود. قال: يا داود كنت مررت على السطح وتحته والدتي وقد أصابها تراب مني تمشي عليه، ولي سبعمائة عام أعتذر إلى الله تعالى من ذلك الذنب، لا أتقرع لا أكل ولا شرب. فقال داود عليه السلام : جئتك أبشرك أن الله تعالى راض عنك وقد غفر لك، وقد خرجت والدتك من الدنيا وهي راضية عنك.

قال: فلما سمع العابد ذلك قال: لا أحب الحياة بعد هذا. فسجد وقال: اللهم اقبضني إليك ، فمات من ساعته تلك وهو ساجد.

وحكي: أنه مات رجل في عهد عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، وكان عاقًا

لأمه، فلحقها شفقة الأمهات، فجاءت إلى عيسى عليه الصلاة والسلام وقالت له: ادع الله أن يحيي ابني فأسأله عن حاله، فدعا عيسى ربه فأحياه الله تعالى لها. فقالت له: ما حالك؟ قال: يا أماه، كل صيحة صحتها في وجهك صاح عليَّ مالك خازن النار مكانها سبعين صيحة، كل صيحة كأن أهل المشرق والمغرب صاحوا عليَّ بأجمعهم.

وحكي عن عطاء بن يسار رحمة الله عليه: أن قومًا سافروا فنزلوا البرية فسمعوا نهيق حمار حتى أسهرهم ذلك النهيق، فلما أصبحوا نظروا فلم يجدوا هناك حماراً، وإذا ببيت شعر وفيه عجوز.

فقالوا لها: سمعنا نهيق حمار ولا نرى عندك حماراً. فقالت: ذاك ابني، كان يقول لي: يا حمارة تعالي، يا حمارة اذهبي. فدعوت الله أن يصيره حماراً، فمنذ مات ينهق كل ليلة. قالوا: فانطلقي بنا إليه، فانطلقوا فإذا هو في القبر وعنقه عنق حمار.

وحكي عن وهب بن منبه[1] رحمه الله أنه قال: لما خرج نوح عليه الصلاة والسلام من السفينة شرب عصيراً ونام، فكشف الريح عورته، وكان عنده ابن له يقال له: حام، فلم يستره وضحك من كشف سوءة أبيه، فبلغ سامًا ويافثًا صنع أخيهما حام، فأقبلا على أبيهما ومعهما ثوب فألقياه عليه وهو نائم، فلما انتبه أُخبر بذلك، ولعن حامًا وقال له: غير لونك، فجعل الله السودان من نسله، وصار الذل في أولاده يُملكون إلى يوم القيامة.

وقد ذكر ذلك في قصتهم المطولة.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال[2]: «أربع من كن فيه حرم الله تعالى عليه النار وحفظته من الشياطين: من ملك نفسه حين يرهب، وحين يرغب، وحين يشتهي، وحين يغضب[3].

وأربع من كن فيه نشر الله تعالى عليه رحمته وأدخله في جنته: من أوى المسلمين، ورحم الضعيف، ورفق بالمملوك، وأنفق على الوالدين».

---

(١) وهب بن منبه بن كامل بن سيح بن ذي كناز، أبو عبدالله اليماني الصنعاني الذماري الأبناوي، ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة ١١٤ ، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١١/ ١٦٦)، وتقريب التهذيب (٢/ ٣٣٩).

(٢) ذكره الهندي في كنز العمال (٤٣٤١٥).

(٣) حديث: «ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد من يملك نفسه عند الغضب» أخرجه البخاري (٨/ ٣٤)، ومسلم في البر والصلة رقم (١٠٧، ١٠٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٥، ٣٤١)، وعبدالرزاق في مصنفه (٢٠٢٨٧)، والمنذري في الترغيب (٣/ ٤٢٠).

ثم قال ﷺ : «ليعمل البار ما شاء فله الجنة، وليعمل العاق ما شاء فله النار»[(١)].

وحكي أن شخصًا كان كثير المال، وكان له عز وجاه، وله والدة كبيرة السن. فكان كلما رأى والدته ينزل عن دابته ويقوم بين يديها فتقول له: بارك الله في مالك. فلما كان ذات يوم وقد تعاطى المسكر، جازت عليه أمه وهو على فرسه فلم ينزل ولم يلتفت إليها، فتأذت منه وقالت له: لم فعلت ذلك؟ فلم يسمع لها، فدعت عليه وقالت: اللهم لا تخرجه من الدنيا حتى تذيقه الفقر، وتفضحه وتجعله نكالاً.

قال: فذهب ماله حتى صار يسأل الناس وهم يرجمونه بالأحجار.

وروى أبو القاسم بإسناده عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس من قواصم الظهر : عقوق الوالدين، وامرأة يأمنها زوجها وتخونه، ورجل وعد خيرًا وأخلفه، وإمام يطيعه الناس ويعصي الله تعالى، ووقيعة المرء في أنساب الناس، وكلهم لآدم وحواء».

وبإسناده عن عمرو بن مرة الجهني[(٢)] رضي الله عنه : «[..........][(٣)] فأقرئها مني السلام وقل لها : إن قدرت المصير إلى رسول الله ﷺ وإلاَّ فقَرِّي حتى يأتيك».

فأخبرها فقالت: نفسي لنفسه الفداء، أنا أحق بإتيانه، فأخذت العصا فمشت حتى دخلت على رسول الله ﷺ، فلما أن سلمت رد عليها السلام فجلست بين يدي رسول الله ﷺ فقال لها: «أصدقيني، فإن كذبتي جاءني بهذا الوحي من الله تعالى: كيف كان حال علقمة؟» قالت : يا رسول الله، كان يصلي كذا وكذا، وكان يتصدق بجملة دراهم ما يدرى ما وزنها وما عددها؟. قال: «فما حالك وحاله؟» قالت: يا رسول الله، أنا عليه ساخطة واجدة. قال لها: «ولم ذلك؟» قالت: كان يؤثر امرأته عليَّ ويطيعها في الأشياء.

فقال رسول الله ﷺ: «سخط أمه حجب لسانه عن شهادة أن لا إله إلا الله».

ثم قال لبلال: «انطلق واجمع حطبًا كثيرًا حتى أحرقه بالنار».

فقالت: يا رسول الله ابني وثمرة فؤادي تحرقه بين يدي، فكيف يحمل قلبي. فقال لها رسول الله ﷺ : «يا أم علقمة فعذاب الله أشد وأبقى، فإن سرك أن يغفر الله له فارضي عنه، فوالذي نفسي بيده لا ينتفع بصلاته ولا صدقته ولا صيامه ما دمت عليه ساخطة».

---

(١) أخرجه القرطبي في تفسيره (١٠/ ٢٤٣).

(٢) عمرو بن مرة، أبو طلحة، أبو مريم الجهني الأزدي الأسدي صحابي مات بالشام، أخرج له الترمذي، توفي في خلافة معاوية. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٨/ ١٠٣)، تقريب (٢/ ٨٩)، الكاشف (٢/ ٣٤٣)، التاريخ الكبير (٦/ ٣٨٠)، الجرح والتعديل (٦/ ٢٥٧)، أسد الغابة (٤/ ٢٥٧).

(٣) كلام ساقط من الأصل في قصة علقمة المشهورة.

فرفعت رأسها وقالت: أشهد الله في سمائه وأنت يا رسول الله ومن حضرني أني رضيت عن علقمة.

فقال رسول الله ﷺ: «يا بلال انطلق فانظر هل يستطيع علقمة أن يقول: لا إله إلا الله فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياء من رسول الله ﷺ»، فانطلق بلال، فلما انتهى إلى الباب سمع علقمة يقول: لا إله إلا الله، فلما دخل بلال قال: «يا هؤلاء إن سخط أمه حجب لسانه عن الشهادة، وإن رضاها أطلق لسانه»، فمات من يومه فأتاه رسول الله ﷺ فأمر بغسله وتكفينه وصلى عليه.

ثم قام على شفير القبر وقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار من فضَّل زوجته على أمه فعليه لعنة الله، ولا يقبل منه صرف ولا عدل» يعني الفرائض والنوافل.

وروى أبو القاسم الأصبهاني بإسناده عن وهب بن منبه رحمه الله قال: إن في الألواح التي كتب الله ﷻ لموسى بن عمران عليه الصلاة والسلام: يا موسى وقِّر والديك فإنه من وقَّر والديه مددت في عمره ووهبت له ولداً يبره. ومن عق والديه قصرت من عمره ووهبت له ولداً يعقه.

وقال بعض الحكماء: من عصا والديه لم ير السرور من ولده، ومن لم يستشر في الأمور لم يصل إلى حاجته، ومن لم يدار أهله ذهبت لذة عيشه.

وعن ثابت البناني رحمه الله أنه قال: روي: أن رجلاً كان يضرب أباه في موضع، فقيل له: ما هذا؟

فقال الأب: خلّوه فإني كنت أضرب أبي في هذا الموضع فابتليت بابني يضربني في هذا الموضع.

ويقال: كل ذنب يذنبه العبد ربما تؤخر عقوبته إلا العقوق فإنها تعجل كما عجلت عقوبة يوسف عليه السلام حيث عق والده وترك نهيه حيث نهاه أن يقص رؤياه على إخوته[1] فبهذا القدر من العقوق ناله ما ناله من المحن وذاق ما ذاق من الفتن.

---

(١) قال ابن كثير: خشي يعقوب عليه السلام أن يحدث بهذا المنام أحداً من إخوته فيحسدونه على ذلك فيبغون له الغوائل حسداً منهم له، ولهذا قال له: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾، أي يحتالون لك حيلة يردونك فيها. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٨٠).

وروى الليث بإسناده عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من حق الولد على الوالد ثلاثة أشياء: أن يحسن اسمه إذا وُلد، ويعلمه الكتاب إذا عقل، ويزوجه إذا أدرك».

وروي عن عمر ﷺ قال: إن رجلاً جاء إليه بابنه فقال: إن ابني هذا يعقني. فقال عمر ﷺ للابن: أما تخاف الله في عقوق والدك؛ فإن من حق الوالد كذا، ومن حق الوالد كذا فقال الابن: يا أمير المؤمنين أما للابن على والده حق؟ قال: نعم، عليه أن يستنخب أمه، يعني أن أباه لا يتزوج امرأة دنية لكي لا يعير الابن. قال: ويحسن اسمه، ويعلّمه الكتاب.

قال: فوالله ما استنخب أمي، ما هي إلاَّ سندية اشتراها بأربعمائة درهم، ولا أحسن اسمي، سماني جعران، ولا علمني آية من كتاب الله.

فالتفت عمر ﷺ إلى الأب وقال: وتقول ابني يعقني، وقد عققته قبل أن يعقك؟! فقم عني.

وروى الشعبي رحمه الله، عن النبي ﷺ أنه قال: «رحم الله والدًا أعان ولده على بره»[(١)].

قال أبو الليث رحمه الله: لا يأمره بأمر يخاف أن يعصيه فيه.

وروي عن بعض الصالحين رحمهم الله : أنه كان لا يأمر ابنه بأمر وكان إذا احتاج إلى شيء يأمر به غيره فسئل عن ذلك فقال: إني أخاف أني لو أمرت ابني بذلك يعصيني في ذلك فيستوجب النار، فأنا لا أريد أن أحرق ابني بالنار .

قال أبو الليث رحمه الله: فإن سأل سائل: الوالدان إذا ماتا ساخطين على الولد هل يرضيهما بعد وفاتهما؟

قيل له: يرضيهما بثلاثة أشياء: أولها: أن يكون الولد صالحًا في نفسه لأنه لا يكون شيء أحب إليهما من صلاحه.

والثاني: أن يصل قرابتهما وأصدقائهما.

والثالث: أن يستغفر لهما ويدعو لهما ويتصدق عنهما.

وروى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه: أن النبي ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ من ثلاثة أشياء: صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به من بعده»[(٢)].

وعن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقطع من كان يصل أباك فيطفئ بذلك نورك، فإن ودك

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٥٧)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٥١٤)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ٣١٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤)، كتاب الوصية، وأبو داود (٢٨٨٠)، كتاب الوصايا، ١٤-باب ما جاء في الصدقة على الميت، والترمذي (١٣٧٦)، كتاب الأحكام، باب في الوقف، والمنذري في الترغيب (١/ ٩٩، ١١٠)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ٦٨)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ١١٤)، (٥/ ٢٢).

ود أبيك))[١].

وذكر أن رجلاً من بني سلمة جاء إلى النبي ﷺ فقال: إن أبواي قد ماتا، فهل بقي من برهما شيء؟

قال: ((نعم، الاستغفار لهما، وإنفاذ وعدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلاَّ بهما)).

وروى أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله بإسناده إلى أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الرجل ليموت أبواه عنه أو أحدهما وإنه لهما عاق، فما يزال يدعو لهما ويستغفر لهما حتى يكتبه الله تعالى بارًا)).

وبإسناده عن العوام بن حوشب[٢] رحمه الله قال: نزلت مرة حيًا إلى جانب ذلك الحي مقبرة، فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج منه رجل رأسه رأس حمار وجسده جسد إنسان، فنهق ثلاث نهقات، ثم انطبق عليه القبر، فإذا عجوز تغزل شعراً أو صوفًا. فقالت امرأة: ترى تلك العجوز هذه أم هذا.

قلت: وما كان قصته؟

قالت: كان يشرب الخمر، فإذا راح تقول له أمه: يا بني اتق الله إلى متى تشرب الخمر؟! فيقول لها: إنما أنت تنهقين كما ينهق الحمار.

قالت: فمات العصر، قالت فهو ينشق عنه القبر بعد العصر كل يوم فينهق ثلاث نهقات، ثم ينطبق عليه القبر.

وحكى أن شخصًا من الرجال الثقات مر بمقبرة لقرية من قرى الصعيد. قال: فرأيت رِجْل ميت بارزة من القبر.

قال: فسألت بعض أهل تلك القرية عن ذلك الميت فقال: كان هذا الميت عاقاً لوالدته، فغضبت عليها يومًا فضربها برجله هذه البارزة.

فلما مات ودفن نبذت الأرض رجله التي ضرب بها أمه ولم تقبلها وكلما دفنت

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٩/ ٣٢).

(٢) العوام بن حوشب بن يزيد بن الحارث، أبو عيسى، أبو عبس، الشيباني، الربعي، الواسطي الكوفي، ثقة، ثبت، فاضل، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٤٨، ١٤٧)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٨/ ١٦٣)، تقريب التهذيب (٢/ ٨٩)، الكاشف (٢/ ٣٥٦)، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٦٧)، تاريخ البخاري الصغير (٢/ ٤٧)، الجرح والتعديل (٧/ ١١٧)، تاريخ الثقات (٣٧٦)، الثقات (٧/ ٢٩٨)، تراجم الأحبار (٣/ ١٥٨)، سير الأعلام (٦/ ٣٥٤)، معرفة الثقات (١٤٤٧).

تنبذها الأرض ولا تقبلها فهذا ذنبه .

وذكر القرطبي رحمه الله في تذكرته: أنه يستوي كفتا الميزان لرجل، فيقول الله تعالى له: لست الآن من أهل الجنة ولا من أهل النار. فيأتي الملك بصحيفته فيضعها في كفة الميزان فيها مكتوب: أف، فترجح على الحسنات لأنها كلمة عقوق، يرجح بها جبال الدنيا، فيؤمر به إلى النار.

قال: فيطلب الرجل أن يرد إلى الله تعالى، فيقول: ردوه، فيقول له: أيها العبد العاق لأي شيء تطلب الرد إليَّ؟ فيقول: إلهي رأيت أني سائر إلى النار، وأن لابد لي منها، وكنت عاقاً لأبي وهو سائر إلى النار مثلي، فضعّف عليَّ بعذابه على عذابي وأنقذه منها.

قال: فيضحك الله تعالى ويقول: عققته في الدنيا وبررته في الآخرة، خذ بيد أبيك وانطلق إلى الجنة.

اللهم سامحنا كما سامحتهما في الدنيا والآخرة يا رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

الباب الرابع والأربعون

في فضل الإحسان إلى اليتيم والبنات

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩، ١٠]. وقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١-٣]، أي يقهر ويزجره ويدفعه عن حقه. والدَّع: الدفع، قاله الثعلبي.

وعن سهل بن سعد[(١)] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة». وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما[(٢)]. رواه البخاري.

قال النووي رحمه الله: وكافل اليتيم القائم بأموره.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة».

وأشار الراوي -وهو مالك بن أنس رضي الله عنه- بالسبابة والوسطى[(٣)]. رواه مسلم.

قال النووي: وقوله ﷺ: «اليتيم له أو لغيره»، يعني قريبه والأجنبي.

والقريب مثل أن تكفله أمه أو جده أو أخوه أو غيرهم من أقاربه، والله أعلم[(٤)].

---

(١) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة أبو العباس، أبو يحيى الأنصاري الساعدي الخزرجي، أخرج له الستة، صحابي مشهور، توفي سنة (٨٨، ٩١، ٩٦)، أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٤/ ٢٥٢)، تقريب (١/ ٣٣٦)، الكاشف (١/ ٤٠٧)، أسد الغابة (٢/ ٤٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٠٥)، كتاب الأدب، ٢٤-باب فضل من يعول يتيمًا، وأبو داود (٥١٥٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٨٣)، الترغيب (٣/ ٣٤٦)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ٢٩٠، ٢٩١)، ومالك في الموطأ (٩٤٨)، والقرطبي في تفسيره (٢٠/ ١٠٠)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٨٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤٢-٢٩٨٣)، كتاب الزهد والرقاق، ٢-باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم.

(٤) قال النووي: كافل اليتيم القائم بأموره من نفقة وكسوة وتاديب وتربية وغير ذلك وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه أو من مال اليتيم بولاية شرعية، وأما قوله: «له أو لغيره»، فالذي له أن يكون قريبًا له كجده وأمه وأخيه وأخته وعمه وخاله وعمته وخالته وغيرهم من أقاربه، والذي لغيره أن يكون أجنبيًا. النووي في شرح مسلم (١٨/ ٨٨)، ط. دار الكتب العلمية.

وروى أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعبأ بشيء من عمله: من لم يكن ورع يحجزه عن معاصي الله تعالى، أو حلم يكف السَّفيه، أو خلق يعيش به في الناس.

وثلاث من كان فيه واحدة منهن زوج من الحور العين: رجل أئتُمن على أمانة خفية شهية فأداها من مخافة الله ﷻ، ورجل عفا عن قاتله، ورجل قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ في دبر كل صلاة.

وثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه [كان الله خصمه](١): رجل استأجر أجيراً فظلمه ولم يوافه أجره، ورجل حلف بالله فغدر، ورجل باع حرًا فأكل ثمنه».

وقال رسول الله ﷺ: «من كفل ثلاثة أيتام كان كالذي قام الليل وصام النهار».

وروى أبو عبدالله الطالقاني رحمه الله بإسناده عن علي أبي الورقاء قال: سمعت عبدالله بن أبي أوفى(٢) ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «من مسح على رأس يتيم رحمة له كتب الله تعالى له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة، ومحا عنه بكل شعرة سيئة، ورفع له بكل شعرة درجة»(٣).

وروى فارس بن مردويه بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من ضم يتيمًا من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى، أوجب الله تعالى له الجنة ألبتة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر له، ومن أذهب الله عنه كريمتيه أي عينيه فصبر واحتسب أوجب الله له الجنة ألبتة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر له»(٤).

قال: «ومن كان له ثلاث بنات فأدبهن وأنفق عليهن حتى يزوجهن أو يمتن أوجب الله له الجنة ألبتة إلاّ أن يعمل عملاً لا يغفر له».

فقام رجل من الأعراب، فقال: يا رسول الله أو ابنتان؟ فقال رسول الله ﷺ: «أو ابنتان»(٥).

وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا حدث بهذا الحديث قال: هذا والله من غريب الحديث.

---

(١) غير موجودة بالأصل.

(٢) عبدالله بن أبي علقمة بن خالد بن الحارث بن أبي أسيد الأسلمي، صحابي شهد الحديبية وعمر بعد النبي ﷺ وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة، أخرج له الستة، توفي سنة (٨٧)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٥/ ١٥١) تقريب (١/ ٤٠٢).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٨٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٦٠).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٤٤)، (٥/ ٢٩)، والهيثمي في الجمع (٤/ ٢٤٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣١).

(٥) أخرجه الهيثمي في الجمع (٨/ ١٥٧)، وابن أبي شيبة (٨/ ٣٦٥)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٢٧).

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: إن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فشكا إليه قسوة قلبه، فقال له النبي ﷺ: ((إن سرك أن يلين قلبك فامسح برأس اليتيم وأطعمه)).

وعن زيد بن أسلم ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: ((أنا وكافل اليتيم المصلح كهاتين)) ، وجمع بين إصبعيه السبابة والوسطى[١].

وروى الطبراني بإسناده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم ليله أو الصائم نهاره، وكافل اليتيم له أو لغيره إذا اتقى الله ﷻ أنا وهو في الجنة كهاتين)) يعني إصبعيه السبابة والوسطى[٢].

وبإسناده عن عدي بن حاتم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((من ضم يتيمًا له أو لغيره حتى يغنيه الله عنه وجبت له الجنة))[٣].

وروى أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله بإسناده عن مالك بن عمرو ﷺ، عن النبي ﷺ قال: ((من ضم يتيمًا بين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبت له الجنة، ومن اعتق أمرىء مسلماً أعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار، أو قال: كان فداءه))[٤].

وبإسناده عن عبدالله بن أبي أوفى ﷺ قال: كنت عند رسول الله ﷺ فأتاه غلام فقال: يا رسول الله، غلامًا يتيمًا له أخ وأرملة وأخت يتيمة، أطعمنا مما أطعمك الله أعطاك الله من (......)[٥] حتى ترضى.

فقال: ((ما أحسن ما قلت يا غلام، يا بلال اذهب إلى أهلك فائتنا بما وجدت عندهم من طعام))، فذهب فجاء بواحدة وعشرين تمرة، فوضعهن في كف رسول الله ﷺ، فرفعها رسول الله ﷺ إلى فيه فدعا فيها بالبركة، ثم قال: ((سبعًا لك وسبعًا لأخيك وسبعًا لأمك (خذهن بثمرة)[٦] وتعيش بأخرى)) فلما انصرف الغلام قام إليه معاذ بن جبل ﷺ فوضع يده على رأسه وقال: يا غلام جبر الله يتمك وجعلك خلفًا من أبيك، وكان من أولاد

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٠٥)، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيمًا، وأبو داود (٥١٥٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٨٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٠٦)، كتاب الأدب، باب الساعي على الأرملة، وفي رقم (٦٠٠٧)، باب الساعي على المسكين، ومسلم في الزهد رقم (٤١)، وفي الزكاة (٧٦)، والترمذي (١٩٦٩)، والنسائي (٥/ ٨٧ –المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٦١).

(٣) أخرجه الهيثمي في المجمع (٨/ ١٦٢)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٩٠).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ٣٠٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٤٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٦١).

(٥) كلمة غير واضحة.

(٦) كذا بالأصل.

المهاجرين فقال له رسول الله ﷺ: «قد رأيتك يا معاذ ما صنعت؟». قال: رحمة له يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: «لا يلي مسلم يتيمًا فيحسن ولايته فيضع يده على رأسه إلا رفعه الله بكل بشعرة درجة، وكتب له بكل شعرة حسنة، ومحا عنه بكل شعرة سيئة».

وبإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من يفتح له باب الجنة إلاَّ أني أرى امرأة تبادرني فأقول لها: ما لك؟ أو: من أنت؟». فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتامي [(١)].

وروى أبو القاسم رحمه الله بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة في ظل العرش يوم لا ظل إلاَّ ظله ولا يكربهم الحساب ولا يهولهم الفزع: امرأة مات زوجها وترك عليها أيتامًا فذكرت فقالت: أصبر على أيتامي حتى يموتوا أو يعينهم الله عز وجل» [(٢)].

قوله: يكربهم: أي ما يبالوا به، قاله الجوهري.

وقوله: فذكرت: أي رجعت لعقلها.

وبإسناده عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما قعد يتيم على مائدة مع قوم في صحفتهم، فيقرب صحفتهم شيطان» [(٣)].

وروى الحاملي بإسناده عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أكل يتيم مع قوم في صحفتهم فيقرب صحفتهم شيطان» [(٤)].

وروى أبو القاسم رحمه الله بإسناده عن عمر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «خير بيوتكم بيت فيه يتيم مكرم» [(٥)].

وروى الطبراني بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي بعثني بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم ولان له الكلام ورحم يتمه وضعفه ولم

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب(٣/ ٣٤٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٦٢)، وابن حجر في المطالب العالية (٢٥٣٦).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٨٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٧٩).

(٣) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية (٢٥٣٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٤٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٦٠).

(٤) ذكره الهندي في كنز العمال (٦٠٣٨).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٣٦٧٩)، كتاب الأدب، ٦-باب حق اليتيم، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٤٨)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٠)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ٢٩١).

يتطاول على جاره بفضل ما أعطاه الله تعالى)).

وقال: ((يا أمة محمد والذي بعثني بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون إلى صلته ويصرفها إلى غيرهم، والذي نفسي بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة)).

وروى إبراهيم بن محمد الطيان رحمه الله بإسناده عن كعب بن مالك ﷺ قال: إن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أخبر: أن أباه قتل يوم أحد شهيداً[1] وعليه دين فاشتد الغرماء عليه في حقوقهم. قال جابر ﷺ : فأتيت رسول الله ﷺ فكلمته فسألهم أن يقبلوا ثمرة حائطه ويحللوا أبي فأبوا، فلم يعطهم النبي ﷺ حائطه ولم يكسره لهم ولكن قال: ((سأغدو عليك إن شاء الله))، فغدا عليه حين أصبح وطاف في النخل ودعا في ثمره بالبركة.

قال: فجذذناها فقضيت منها حقوقهم، وبقي لنا من ثمرها بقية، فجئت إلى النبي ﷺ فأخبرته بذلك فقال النبي ﷺ لعمر ﷺ وهو جالس : ((اسمع يا عمر)) فقال عمر ﷺ: ألا يكون لنا ، قد علمنا أنك رسول الله، فوالله إنك لرسول الله.

قال رسول الله ﷺ لأبي لبابة[2] في يتيم خاصمه في نخله فقضى بها رسول الله ﷺ لأبي لبابة ﷺ، فقال له: ((أعطه نخلتك))، وقال: لا أعطه، قال: ((أعطه إياها ولك عذق في الجنة))، فسمع بذلك أبو الدحداح ﷺ فقال لأبي لبابة: أبيع عذقك بحائطي هذا؟ قال: نعم.

ثم جاء رسول الله ﷺ فقال: النخلة التي سألت لليتيم إن أعطه ألي بها عذق في الجنة؟ فقال رسول الله ﷺ: ((رب عذق مذلل لأبي الدحداح في الجنة))[3].

قال أهل اللغة: جذذت الثمرة: قطعتها، والعذق بفتح العين: النخلة، وبالكسر: الغصن، والذلل : الذي ذلل حتى يسهل تناوله من غير مشقة.

قال الله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا﴾.

---

(١) كان ممن مات من الأنصار من بني سلمة هم من الخزرج وهو والد جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام رضي الله عنهما، ودفن في قبر واحد مع عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام، وكانا متآخيين وصهرين. وترك لجابر إخوة من البنات فكان جابر يعولهن وينفق عليهن، وكان النبي ﷺ يبر جابر ويرحمه لسبب ذلك. انظر تاريخ الإسلام للذهبي، غزوة أحد، وكذلك انظر الترمذي، عقب حديث رقم (٣٨٥٢)، في المناقب.

(٢) أبو لبابة بن عبدالمنذر الأنصاري المدني، صحابي مشهور وكان أحد النقباء ﷺ، أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه، عاش إلى خلافة علي ﷺ، وقيل: اسمه : بشير، وقيل: رفاعة بن رافع بن عبدالمنذر، ووهم من سماه مروان. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٢/ ٢١٤)، تقريب التهذيب (٢/ ٤٦٧)، التاريخ الكبير (٩/ ٨٩).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٩٤، ١٥٨)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٧٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١١٣)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣١٢).

قال الثعلبي: يأكلون من ثمارها قيامًا وقعوداً ومضطجعين يناولونها ويتناولونها كيف شاءوا، وعلى أي حال كانوا.

وروى الثعلبي بإسناده عن مجاهد رحمه الله قال: أرض الجنة من ورق وترابها من مسك، وأصول شجرها من ذهب وورق، وأفنانها لؤلؤ وزبرجد وياقوت، والنهر تحت ذلك، فمن أكل قائمًا لم يؤذه ومن أكل قاعداً لم يؤذه، ومن أكل مضجعًا لم يؤذه ، فذلك قوله تعالى ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾.

وروى أبو بكر بن مردويه بإسناده عن قيس بن أبي حازم عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن امرأة أتتها فقالت: يا أم المؤمنين إن عندي فضل ذهب لي فأردت أن أضعه في أزكى ما أقدر عليه فأجهز به بعض سرايا رسول الله ﷺ أو أحج به إلى بيت الله ﷻ، أو أعود به على ولد أخت لي يتامى؟

فقالت عائشة رضي الله عنها: اليوم يومي والساعة يجيء رسول الله ﷺ فأسأله لك فاجلسي حتى يجيء.

فلم يلبث أن جاء النبي ﷺ، فقال: «يا عائشة من هذه عندك؟». فقالت: يا رسول الله، هذه فلانة زعمت عندها فضل ذهب لها فأرادت أن تضعه في أزكى ما تقدر عليه، أتجهز به بعض سراياك، أو تحج به، أو تعود به على ولد أخت لها أيتام؟ قال: «على ولد أختها فهو أعظم لأجرها».

وروى أبو بكر بن مردويه بإسناده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم وبكاء اليتيم فإنه يسري في الليل والناس نيام»[١].

وروى أبو القاسم رحمه الله بإسناده عن أنس ﷺ رفعه: «إن رجلاً قال ليعقوب عليه السلام: ما الذي أذهب بصرك وحني ظهرك؟ فقال: أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف، وأما الذي حنى ظهري فالحزن على أخيه بنيامين. فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال: أتشكو الله؟ قال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٢] [يوسف:٨٦]. قال جبريل ؑ: الله أعلم بما قلت منك».

قال: ثم انطلق جبريل، ودخل يعقوب بيته فقال: أي رب أذهبت بصري وحنيت ظهري فاردد عليَّ ريحانتي فأشمهما شمة واحدة، ثم اصنع بي بعد شئت.

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٤٩).

(٢) ذكر القصة ابن كثير نقلاً عن ابن أبي حاتم بسنده عن أنس بن مالك، قال رسول الله ﷺ: «كان ليعقوب النبي ؑ أخ مؤاخ له فقال له ذات يوم .....» وذكره بطوله. وقال ابن كثير في آخره: وهذا حديث غريب فيه نكارة. تفسير ابن كثير (٢/ ٥٠١).

فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا يعقوب إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول: أبشر فإنهما لو كانا ميتين لنشرتهما لك لأقر بهما عينك.

ويقول لك: يا يعقوب، ألم تدر لم أذهبت بصرك وحنيت ظهرك؟ ولم فعل أخوة يوسف بيوسف ما فعلوا؟ قال: لا، قال: إنه أتاك يتيم مسكين وهو صائم جائع وذبحت أنت وأهلك شاة فأكلتموها ولم تطعموه، ويقول: إني لم أحب من خلقي شيئًا حب اليتامى والمساكين، واصنع طعامًا وادع المساكين».

قال أنس رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ: «فكان يعقوب إذا أمسى نادى مناديه: من كان صائماً فليفطر على طعام يعقوب، فإذا أصبح نادى مناديه: من كان مفطراً فليحضر طعام يعقوب».

وروى محمد بن الفضل رحمه الله بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه سئل عن الكبائر فقال: هن تسع: الشرك بالله، وقتل المؤمن متعمداً، والفرار من الزحف، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين، واستحلال بيت الله الحرام.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠] يعني: يدخلون النار.

وروى عبد الرحمن بن أبزى[١] قال: «قال الله تعالى لداود عليه السلام : كن لليتيم كالأب الرحيم، وأعلم أنك كما تزرع كذلك تحصد ، وأعلم أن المرأة الصالحة لزوجها كالملك المتوج بالذهب، كلما رآها قرت عينه، والمرأة السوء لزوجها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير».

وعن أبي عمران الجوني[٢]، عن أبن خالد قال: «قرأت في مسألة داود عليه السلام : أنه قال: إلهي ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن أظله في ظلي

---

(١) عبدالرحمن بن أبزى الخزاعي مولاهم مولى نافع بن عبدالحارث الكوفي، صحابي صغير وكان في عهد عمر رجلاً، وكان على خراسان لعلي، أخرج له الستة. انظر ترجمته في التهذيب (٦/ ١٣٢)، التقريب (١/ ٤٧٢)، الكاشف (٢/ ١٥٤)، التاريخ الكبير (٥/ ٢٤٥)، التاريخ الصغير (١/ ٦٤)، الجرح والتعديل (٥/ ٢٠٩)، أسد الغابة (٣/ ٤٢٢)، الإصابة (٤/ ٢٨٢).

(٢) أبو عمران الجوني عبدالملك بن حبيب أبو عمران، أبو عمرو الأزدي الكندي الجوني البصري، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة ١٢٨، ترجمته في التهذيب (٦/ ٣٨٩)، التقريب (١/ ٥١٨)، الكاشف (٢/ ٢٠٨)، التاريخ الكبير (٥/ ٤١٠)، التاريخ الصغير (١/ ٣١٨)، الجرح والتعديل (٥/ ١٦٣٦) ، سير الأعلام (٥/ ٢٥٥)، الثقات (٥/ ١١٧).

يوم لا ظل إلاَّ ظلي. يعني ظل العرش».

ويقال: طوبى للبيت الذي فيه اليتيم، وويل للبيت الذي ليس فيه اليتيم.

وروي: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: عندي يتيم فبم أضربه يا رسول الله؟ قال: «**بما تضرب به ولدك**».

قال أبو الليث رحمه الله: يعني لا بأس بأن تضربه لتأديبه ضربًا غير مبرح مثل ما يضرب به الوالد ولده.

وروي عن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه قال: رب لطمة أنفع لليتيم من أكله الخبيص[١]، ولكن إذا كان يقدر أن يؤدبه بغير ضرب فينبغي أن يفعل ذلك ولا يضربه، فإن ضرب اليتيم أمر شديد.

ثم استدل أبو الليث رحمه الله لذلك بما رواه بإسناده عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ[٢]: «**إن اليتيم إذا ضرب اهتز عرش الرحمن لبكائه، فيقول الله تعالى: يا ملائكتي من أبكى الذي غيبت أباه في التراب -وهو تعالى أعلم به- قال: تقول الملائكة: ربنا لا علم لنا. قال الله تعالى: فإني أشهدكم أن من أرضاه فإني أرضيه من عندي يوم القيامة**».

وكان رسول الله ﷺ يمسح برءوسهم ويتلطف بهم.

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يفعل ذلك.

وحكي عن بعض المشايخ رحمه الله أنه قال: كان سبب توبتي وقد كنت مغرمًا بالشراب ومعاشرة البطالين أني ظفرت بيتيم من أيتام المسلمين عريانًا فكسوته وغسلته، فلما كان في تلك الليلة رأيت في منامي كأن القيامة قد قامت وأحضرت مع الخلائق، ونوقشت الحساب فأمر بي إلى النار.

فبينما أنا في الطريق إذا رأيت اليتيم فقال للزبانية: يا ملائكة ربي هذا الرجل قد أحسن إليَّ في الدنيا، فأمهلوه حتى أشفع فيه إلى ربي. فقالوا: لم نؤمر في حقه [........][٣].

فإذا النداء: أطلقوا أسره فقد وهبت مكان ما عصى (اللحف)[٤] الذي كان قد أحسن إليه.

---

(١) الخبيص: الحلواء المخبوصة من التمر والسمن، وجمعها أخبصة.

(٢) أخرجه القرطبي في تفسيره (٢٠/ ١٠١)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/ ٢٩٩)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٧٢٢).

(٣) كلمات غير واضحة بالأصل.

(٤) كلمة غير واضحة بالأصل.

فلما انتبهت من منامي تبت إلى الله تعالى مما كان مني وبذلت جهدي في إيصال الرحمة إلى أيتام المسلمين.

وعن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «من عال جاريتين حتى يبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين» وضم إصبعيه [١]. رواه مسلم.

قال النووي رحمه الله: جاريتين أي بنتين.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليَّ امرأة ومعها ابنتان لها، فسألتني فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئًا، ثم قامت فخرجت وابنتاها فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته. فقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار» [٢]. رواه البخاري ومسلم.

وعن عائشة أيضًا رضي الله عنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث ثمرات فأعطت كل واحدة منها تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت التي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: «إن الله تعالى قد أوجب لها بها الجنة، أو: أعتقها بها من النار» [٣]. رواه مسلم.

وروى يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: من حمل من السوق طرفة إلى ولده كان كمن حمل صدقة حتى يضعها في فيهم، وليبدأ بالإناث فإن الله تعالى رق للإناث، ومن رق للأنثى كان كمن بكى من خشية الله تعالى، ومن بكى من خشية الله تعالى غفر الله له، ومن فرح أنثى فرحه الله تعالى يوم القيامة يوم الحزن [٤].

وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «للجنة باب يقال: باب الفرح، لا يدخله إلاَّ من فرح الصبيان» [٥].

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٩-٢٦٣١)، كتاب البر والصلة والآداب، ٤٦-باب فضل الإحسان إلى البنات، والترمذي (١٩١٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٦٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ١٣٦)، ومسلم (١٤٧-٢٦٢٩)، كتاب البر والصلة، ٤٦-باب فضل الإحسان إلى البنات.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤٨-٢٦٣٠)، كتاب البر والصلة والآداب، ٤٦-باب فضل الإحسان إلى البنات، وأحمد في مسنده (٦/ ٩٢)، والمنذري في الترغيب (٣/ ٦٦)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٣٨)، والقرطبي في تفسيره (١٠/ ١١٨).

(٤) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢٧٦)، وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (١٩٢).

(٥) أخرجه السيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ٤٤).

● **فائدة:**

قال : في الصبيان لغتان: ضم الصاد والمشهور كسرها، والصبيان يشمل الذكور والإناث تغليبًا.

وروى أبو القاسم رحمه الله بإسناده عن علي كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ[1]: «ما من أمتي أحد فولد له جارية فلم يسخط ما خلق الله تعالى إلاَّ هبط من السماء ملك له جناحان أخضران موضح بالدر والياقوت في سلم من در يدف من درجة إلى درجة حتى يأتيها بالبركة فيضع يده على رأسها وجناحه على جسدها ويقول: بسم الله محمد رسول الله، ربي وربك الله، نعم الخالق الله، ضعيفة خرجت من ضعيفة، المنفق عليها معان إلى يوم القيامة».

قوله ﷺ: «يدف»: أي ينزل على مهل، والدفيف: الدبيب، وهو السير اللين.

وروى أبو عبدالله الجرجاني بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم تكون له ابنتان فيحسن إليها ما صحبهما وصحبتاه إلاَّ أدخلتاه الجنة»[2].

وروى أبو القاسم رحمه الله بإسناده عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من عال ابنتين أو أختين أو ثلاثًا حتى تبن أو يموت عنهن كنت أنا وهو في الجنة هكذا»، وأشار بإصبعيه الوسطى والسبابة[3].

قال أبو القاسم رحمه الله قوله ﷺ: «حتى تبن»: يعني حتى تفارقن وتتزوجن.

وبإسناده إلى علي بن زيد، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله ﷺ قال: خطب رسول الله ﷺ فحث على صلة الرحم، ثم قال[4]: «من كان له ثلاث بنات يكفهن

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢٧٥)، والسيوطي في اللآلئ (٢/ ٩٧).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٠٤٣-الموارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٦٧)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٣٨).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٠٤٥ -موارد)، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٨١)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٣٨٦)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ٩٦).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٣٥)، (٤/ ١٥٢)، وأبو داود في الأدب، باب فضل من عال يتيمًا، والترمذي (١٩١٢)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات، وابن ماجه (٣٦٦٩)، في الأدب، ٣-باب بر الوالد =

ويرزقهن ويرحمهن دخل الجنة». فقال قائل: يا رسول الله وبنتان؟ فقال ﷺ: «وبنتان».

فقال علي بن زيد: فلو كانت واحدة رجونا أن يقول: واحدة.

ثم قال علي بن زيد: ما كذبت على محمد، ولا محمد كذب على جابر، ولا كذب جابر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ.

وبإسناده أيضًا عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من عال ثلاث بنات كن له حجاباً من النار»(١).

قال أبو القاسم رحمه الله : قوله ﷺ: «عَالَ»: أي قام بأمرهن والنفقة عليهن، والله أعلم.

***

= والإحسان إلى البنات، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٢٥)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٣٨)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٣١٦، ٣٨٦).

(١) أخرجه الترمذي (١٩١٣)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات، بلفظ: «من ابتلي بشيء من البنات فصبر عليهن كن له حجابًا من النار» ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٢١٧)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٣١٦).

الباب الخامس والأربعون

في اصطناع المعروف والشفقة على خلق الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[البقرة: ١٩٧]. وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾[النساء: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال جل وعلا ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[الزلزلة: ٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وقال جلت عظمته: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]. فالآيات في هذا الباب كثيرة.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة**»[١]. رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، التقوى ههنا، بحسب امرئ من الشر أن يحتقر أخاه المسلم**»[٢]. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»[٣]. رواه البخاري ومسلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٦٨)، (٩/ ٢٨)، كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه، ومسلم في صحيحه (٥٨-٢٥٨٠)، كتاب البر والصلة والآداب، ١٥- باب تحريم الظلم، وأبو داود في النذور رقم (٤٨٩٣)، وابن ماجه في سننه (٢١١٩، ٢٢٤٦)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٧٧، ٣١١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٣٢٠)، (٦/ ٩٢، ٩٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٨)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٥٠٤).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٢٧)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٨٣).

(٣) أخرجه البخاري في المظالم، باب نصر المظلوم، ومسلم (٦٥-٢٥٨٥)، كتاب البر والصلة، ١٧-باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، والترمذي في سننه (١٩٢٨)، في البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم، والنسائي (٥/ ٧٩-المجتبى)، وأحمد في مسنده (٤/ ٤٠٤، ٤٠٥).

وعن أبي موسى ﷺ أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «من مر في شيء من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل فليمسك على نصالها بكفه أن يصيب أحدًا من المسلمين منها بشيء»[١]. رواه البخاري ومسلم أيضًا.

وعن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٢]. رواه البخاري ومسلم أيضًا.

وروي عن أبي هريرة ﷺ قال: قبَّل النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس ﷺ فقال الأقرع بن حابس ﷺ: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: «من لا يرحم لا يُرْحم»[٣].

وروى البخاري ومسلم أيضًا عن جرير بن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله ﷻ»[٤].

وروى أبو مطيع مكحول بن الفضل رحمه الله بإسناده عن الشعبي قال: صعد النعمان ابن بشير ﷺ على المنبر بالكوفة فحمد الله تبارك وتعالى وأثنى عليه، ثم قال ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينبغي للمسلمين أن يكونوا بينهم بالنصيحة بعضهم على بعض وترحمهم فيما بينهم كمثل العضو من الجسد إذا اشتكى تداعى الجسد كله بالسهر والحمى حتى يذهب ألم ذلك العضو»[٥].

وقال النبي ﷺ: «من لم يهتم للمسلمين فليس منهم»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٧٥)، كتاب الفتن، ٧-باب قول النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا» ، والقرطبي في تفسيره (١٢/ ٢٧٨)، وأخرجه مسلم (١٢٣-٢٦١٥)، (١٢٤)، كتاب البر والصلة والآداب، ٣٤-باب أمر من مر بسلاح في المسجد أو سوق أو غيرهما من المواضع.

(٢) أخرجه مسلم (٦٦-٢٥٨٦)، كتاب البر والصلة، ١٧- باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، وأحمد (٤/ ٢٧٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٩٧)، كتاب الأدب، ١٨-باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ومسلم (٦٥-٢٣١٨)، كتاب الفضائل، ١٥-باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، وأبو داود في الأدب، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٤١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٦٩)، وابن حبان في صحيحه (٢٢٣٦-الموارد)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٧٩، ٤٠١، ٤٠٤).

(٤) أخرجه مسلم (٦٦-٢٣١٩)، كتاب الفضائل، ١٥- باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٥٨، ٣٦٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٧٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٣٦٣).

(٥) ذكره الهندي في كنز العمال (٧٦٦).

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣١٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ٢٩٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٣٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٤٨)، والعراقي في المغني (٢/ ٢٠٨)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٣١٠).

وقال الحسن ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بدلاء أمتي لا يدخلون الجنة بكثرة صلاة ولا صيام ولكن دخلوها برحمة الله وسلامة الصدور وسخاوة النفس والرحمة لجميع المسلمين»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء»[٢]. رواه البخاري ومسلم. وفي رواية: «وذا الحاجة».

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم».

وعن عائشة ﷺ قالت: نهاهم النبي ﷺ عن الوصال رحمة لهم. قالوا: إنك تواصل. قال: «إني لست كهيئتكم إني يطعمني ربي ويسقيني»[٣]، رواه البخاري ومسلم.

قال النووي: ومعناه: يجعل فيَّ قوة من أكل وشرب.

وقيل: إن الله كان يطعمه ويسقيه حقيقة.

وعن أبي قتادة الحارث بن ربعي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: «إني لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطول، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه»[٤]. رواه البخاري.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا – ويشير إلى صدره ثلاث مرات– بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الأولياء (٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٠٣)، كتاب الأذان، باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء، ومسلم (١٨٥-٤٦٧)، كتاب الصلاة، ٣٧-باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، والنسائي (٢/ ٩٤-المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٧١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١١٧)، ومالك في الموطأ (١٣٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٦٤)، كتاب الصوم، باب الوصال، ومسلم (٦١-١١٠٥)، كتاب الصيام، ١١-باب النهي عن الوصال في الصوم.

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٧)، كتاب الأذان، ٦٥-باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، وابو داود (٧٨٩)، في استفتاح الصلاة، والنسائي (٢/ ٥٩-المجتبى)، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٠٥).

وعرضه»[(١)]. رواه مسلم.

قال النووي رحمه الله: النجش: أن يزيد في ثمن سلعة ينادى عليها في السوق ونحوه ولا رغبة له في شراءها بل ليخدع غيره ويغشه، وهذا حرام.

والتدابر: أن يعرض عن الإنسان ويهجره ويجعله كالشيء الذي وراء الظهر والدبر.

وعن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[(٢)]. رواه البخاري ومسلم.

وعن أنس ﷺ أيضًا قال: قال النبي ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**. فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلومًا، أرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟»».

قال: «**تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره**»[(٣)]. رواه البخاري.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: إن النبي ﷺ قال: «**حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس**»[(٤)]. رواه البخاري ومسلم.

وعن رواية لمسلم: «**حق المسلم على المسلم ست**» قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: «**إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فَعُده وإذا مات فاتبعه**»[(٥)].

وعن أبي عمارة البراء بن عازب ﷺ قال: «أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنازة، وتشميت العاطس وإبرار القسم أو المقسم، ونصر

---

(١) أخرجه مسلم (٣٢-٢٥٦٤)، كتاب البر والصلة والآداب، ١٠-باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، والترمذي (١٩٢٧)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم، وفيه لفظه الأخير، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٧٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٣)، كتاب الإيمان، ٧-باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ومسلم (٧١-٤٥)، كتاب الإيمان، ١٧-باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، والترمذي (٢٥١٥)، كتاب صفة القيامة.

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤٣، ٢٤٤٤)، كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلومًا، وأحمد في مسنده (٣/ ٩٩، ٢٠١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٩٤).

(٤) أخرجه البخاري (١٢٤٠)، كتاب الجنائز، ٢-باب الأمر باتباع الجنائز، ومسلم في صحيحه (٤-٢١٦٢)، كتاب السلام، ٣-باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٤٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٨٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٤٥، ٤٢٦).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٥-٢١٦٢)، كتاب السلام، ٣-باب من حق المسلم للمسلم رد السلام.

المظلوم، وإجابة الداعي وإفشاء السلام، ونهانا عن: خواتيم أو عن تختم بالذهب، وعن شرب بالفضة، وعن المياثر، وعن القس، وعن لبس الحرير والإستبرق والديباج»[١]. رواه البخاري ومسلم.

قال النووي رحمه الله المياثر[٢] : بياء ومثناة من تحت قبل الألف، وثاء مثلثة بعدها وهي جمع ميثرة وهي شيء يتخذ من حرير يحشى بقطن أو غيره، وتجعل من السرج وكور البعير يجلس عليه الراكب.

والقسي: بفتح القاف وكسر السين المهملة المشددة، وهي ثياب تنسج من حرير وكتان مختلطين. وإنشاد الضالة: تعريفها.

وروى أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله بإسناده إلى أبي القاسم محمد بن محمد بن جعفر قال: حدثني أبي، عن أبيه محمد بن عبدالله، عن أبيه محمد عن أبيه[٣] علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «**للمسلم على المسلم ثلاثون حقًا لا براء له منها إلاَّ بالأداء أو العفو يغفر زلته ويرحم عبرته ويستر عورته، ويقبل عثرته، ويقبل معذرته ويعود مرضته، ويشهد ميتته، ويرد غيبته، ويديم نصيحته ويحفظ حلته، ويرعى ذمته ويجيب دعوته ويقبل هديته، ويكافئ صلته ويشكر نعمته ويحسن نصرته ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته وتشميت عطسته، ويرشد ضالته، ويرد سلامه، ويطيب كلامه، ويبرأ نعمائه، ويصدق إقسامه وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقه ولا يسلمه ولا يخذله ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه**».

ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالبه به يوم القيامة**».

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٥)، كتاب المظالم، ٥- باب نصر المظلوم، ومسلم في صحيحه (٣/ ٢٠٦٦)، كتاب اللباس والزينة، ٢-باب تحريم استعمال إناء الذهبي والفضة على الرجال والنساء.

(٢) قال النووي: أما لبس الحرير والإستبرق والديباج والقسي وهو نوع من الحرير فكله حرام على الرجال، سواء لبسه للخيلاء أو غيرها ، إلا أن يلبسه للحكة فيجوز في السفر والحضر، وأما النساء فيباح لهن لبس الحرير وجميع أنواعه وخواتيم الذهب وسائر الحلي منه ومن الفضة، سواء المزوجة وغيرها والشابة والعجوز والغنية والفقيرة، وهذا الذي ذكرناه من تحريم الحرير على الرجال وإباحته للنساء هو مذهبنا ومذهب الجماهير، وحكى القاضي عن قوم إباحته للرجال والنساء، وعن ابن الزبير تحريمه عليهما ، ثم انعقد الإجماع على إباحته للنساء وتحريمه على الرجال . النووي في شرح مسلم (١٤/ ٢٩).

(٣) محمد بن عليّ بن أبي طالب أبو القاسم ابن الحنيفية، أبو عبدالله الهاشمي، المدني ، ثقة ، عالم ، أخرج له الستة ، توفي سنة (٨٠، ٧٣)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٩/ ٣٥٤)، التقريب (٢/ ١٩٢)، الكاشف (٣/ ٨٠)، الجرح والتعديل (٨/ ١١٦)، سير الأعلام (٤/ ١١٠).

وقال أمير المؤمنين [......][١] ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أحدكم ليدع تشميت أخيه إذا عطس[٢] فيطالبه به يوم القيامة، فيقضى له عليه».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»[٣]. رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لا يستر عبد عبدًا في الدنيا إلاَّ ستره الله يوم القيامة»[٤]. رواه مسلم.

وعن أبي هريرة أيضًا ﷺ، عن النبي ﷺ قال[٥]: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلاَّ نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه».

وروى أبو القاسم رحمه الله بإسناده عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال

---

(١) غير واضحة بالأصل.

(٢) قال النووي: أما تشميت العاطس فهو أن يقول له: يرحمك الله، ويقال بالسين المهملة والمعجمة. قال الأنباري: يقال منه: شمته، وسمت عليه إذا دعوت له بخير، وكل داع بالخير فهو مشمت ومسمت. وتسميت العاطس سنة وهو سنة على الكفاية إذا فعل بعض الحاضرين سقط الأمر عن الباقين وشرطه أن يسمع قول العاطس: الحمد لله. شرح مسلم للنووي (١٤/ ٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٦٨)، (٩/ ٢٨)، ومسلم في صحيحه (٥٨-٢٥٨٠)، كتاب البر والصلة والآداب، ١٥-باب تحريم الظلم.

(٤) أخرجه مسلم (٧٢-٢٥٩٠)، كتاب البر والصلة والآداب، ٢١-باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا، بأن يستر عليه في الآخرة، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٠٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٨٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٣٧).

(٥) أخرجه مسلم (٣٨-٢٦٩٩)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ١١-باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر. قال النووي: هو حديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب، ومعنى نفس الكربة: أزالها، وفيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة وغير ذلك، وفضل الستر على المسلمين، وفضل إنظار المعسر، وفضل المشي في طلب العلم، ويلزم من ذلك الاشتغال بالعلم الشرعي بشرط أن يقصد به وجه الله تعالى وإن كان هذا شرطًا في كل عبادة لكن عادة العلماء يقيدون هذه المسألة به بكونه قد يتساهل فيه بعض الناس ويغفل عنه بعض المبتدئين ونحوهم، النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٨)، ط. دار الكتب العلمية.

رسول الله ﷺ: «من قاد مكفوفاً أربعين خطوة غفر له ما تقدم من ذنبه»[١].

وبإسناده عن جابر بن عبدالله ﷺ قال: إن النبي ﷺ قال: «من نظر في حاجة أخيه نظر الله في حاجته».

وروى أحمد بن عبدالرحمن الذكواني بإسناده عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة، ومحا عنه سبعين سيئة إلى أن يرجع من حيث فارقه، فإن قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وإن هلك فيما بين ذلك دخل الجنة بغير حساب»[٢].

وروى أبو القاسم رحمه الله بإسناده عن أبي سابط رجل من أهل الشام قال: غزونا الروم، فلما رجعنا قال عبدالله بن (مخبر بن)[٣] رجاء بن حيوة. قال رسول الله ﷺ: «من رفع حاجة ضعيف إلى ذى سلطان لا يستطيع رفعها إليه ثبت الله قدميه يوم القيامة».

وبإسناده إلى أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان وصله لأخيه إلى سلطان في مبلغ أو مدفع مكروه رفعه الله في الدرجات»[٤].

وروى علي بن يحيى بن جعفر الإمام بإسناده عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى أهل الجنة صفوفًا. وأهل النار صفوفًا. قال: فينظر الرجل من صفوف أهل النار إلى الرجل من صفوف أهل الجنة فيقول: يا فلان أما تذكر يوم صنعت إليك في الدنيا معروفًا فيأخذه بيده ويقول: اللهم إن هذا اصطنع إليَّ في الدنيا معروفًا فيقال له: أدخله الجنة برحمتي»[٥].

قال أنس ﷺ: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله.

وروى أبو الحسن الذكواني وحامد الغزالي بإسناديهما عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج خلق من أهل النار فيمر الرجل بالرجل من أهل الجنة فيقول: يا فلان أما تعرفني؟ فيقول: ومن أنت؟ فيقول: أنا الذي بعثتني في حاجة كذا وكذا

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٧٦).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٧٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٩٩)، (٨/ ١٩٠، ١٩٣)، والسيوطي في اللالئ المصنوعة (٢/ ٤٦).

(٣) كذا بالأصل.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٦ع)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٠٦٩-الموارد)، والشجري في أماليه (٢/ ١٧٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٩١، ١٩٢)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٩٢)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٢٩).

(٥) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٢٧٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٣٣٢).

فقضيتها لك. فَيَشْفع له فيُشفَّع فيه)).

وروى أبو القاسم رحمه الله بإسناده عن أبي لبابة الباهلي ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: ((ما من رجل طلب حاجة لأخيه المسلم فقضاها له وفرح بها قلبه إلاَّ قال الله ﷻ لبعض ملائكته: بشر عبدي هذا بالجنة، ثم يجعل لكل عضو من أعضائه ومفصل من مفاصله سبعين لسانًا يحمدون الله ﷻ ويمجدونه، ثم يقدسونه بتلك الألسن كلها ويكتب له ذلك في ملكوت السموات)).

وبإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن لله قومًا يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم)) [(١)].

وروى أبو بكر بن عمر بن حفص النيسابوري بإسناده عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله تعالى؟

قال[(٢)]: ((أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله ﷻ سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينًا أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد -يعني مسجد المدينة- شهرًا، ومن كظم غيظه ستر الله عورته ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا، ومن مشى مع أخيه في حاجة يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام)).

وروى عبد الرحمن بن أحمد الواحدي بإسناده عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم وإشباع جوعته، وتنفيس كربته)) [(٣)].

وروى أبو القاسم رحمه الله بإسناده عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: ((من أحسن الصدقة جاز على الصراط مدلاً، ومن قضى حاجة أرملة خلفه الله في تركته)) [(٤)].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (٥).

(٢) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية (٩٠٣)، والذهبي في ميزان الاعتدال (٧٦٨٤)، وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (٣٦).

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٩٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٨٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩٤)، والقضاعي في مسند الشهاب (١١٣٩).

(٤) أخرجه القرطبي في تفسيره (٥/ ٥١).

قال أبو القاسم رحمه الله : قوله ﷺ : ((مدلاً)): أي آمنًا غير خائف، والإدلال: الانبساط والوقوف بما يأتي ويفعل. قوله ﷺ: ((خلفه الله)) : أي كان الله خليفته.

وروى عبدالرحمن بن إسماعيل الصابوني بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله تعالى -وأحسبه قال-: وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر))[1].

وروى أبو القاسم بإسناده إلى يحيى بن عقيل قال: سمعت عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه يقول: كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ولا يأنف أو قال: لا يستنكف أن يمشي مع الضعيف والأرملة فيفرغ لهم من حاجتهم .

وقيل: إن رسول الله ﷺ كان معه ثمانية دراهم يريد بها السوق فمضى فإذا هو بجارية على الطريق تبكي فقال لها: ((ما يبكيك يا جارية؟)). قالت: بعثني أهلي بدرهمين لأشتري بهما حاجتهم فأضللتها، فأعطاها رسول الله ﷺ درهمين من الثمانية، ومضى إلى السوق بستة دراهم. فاشترى بأربعة دراهم قميصًا فلبسه، ثم انصرف فإذا هو بشيخ من شيوخ المسلمين قد يبس جلده على عظمه عاريًا لا يستتر إلا بخلق وهو ينادي: من كساني كساه الله من خضر الجنة، فلما رآه ﷺ لم يتمالك أن ألقى الثوب عليه، ثم انفتل إلى السوق فاشترى قميصًا بدرهمين. وأقبل فإذا هو بالجارية حيث تركها تبكي فقال: ((ما شأنك يا جارية ألم أعطيك درهمين؟)). قالت: بلى ولكن طالت غيبتي على أهلي فأشفقت من عقوبتهم فقال: ((الحقي بأهلك)) واتبعها حتى انتهى إلى دار من دور الأنصار، وإذا رجالها خلوف ليس فيها إلا النساء، فسلم عليهن فقال: ((السلام عليكن ورحمة الله))، فسمع النساء صوته فعرفنه فلم يجبنه ثم ثنى فلم يجبنه، ثم سلم ثالثة، ورفع صوته فقلن بأجمعهن: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته بآبائنا وأمهاتنا أنت يا رسول الله.

فقال ﷺ: ((أما سمعتن التسليمتين؟)) قلن :بلى قد سمعنا، ولكن أحببنا أن نستكثر لأنفسنا من تسليمك ثانيًا وثالثًا أحب إلينا من واحدة.

فقال ﷺ: ((إن جاريتكن قد أبطأت عليكن، وخشيت عقوبتكن فهبن لي عقوبتها))، فقلن جميعًا: شفعناك بآبائنا وأمهاتنا أنت فيها، ووهبنا عقوبتها لك وأعتقناها بممشاك، فهي

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب، باب الساعي على الأرملة، ومسلم (٤١-٢٩٨٢)، كتاب الزهد، ٢-باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، والترمذي (١٩٦٩)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في السعي على الأرملة واليتيم، والنسائي (٥/ ٨٧- المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٦١).

حرة لوجه الله تعالى، فانصرف ﷺ وهو يقول: «ما رأيت ثمانية دراهم أعظم بركة من هذه، أمَّن الله بها خائفًا وأعتق نفسًا وكسا عاريين» - يعني نفسه ﷺ والشيخ.

● **فائدة:**

«كان أحب الثياب إلى النبي ﷺ القميص»[(١)]. رواه النسائي وأبو داود عن أم سلمة.

وأنفعه للبدن في الصيف: الكتان، وأفضله: البياض، وكذا غيره من الثياب.

قال ﷺ: «أحسن ما زرتم الله به في قبوركم ومساجدكم البياض»[(٢)].

وفي كتاب الإحياء: أحب الثياب إلى الله: البياض. وقال علي: من لبس نعلاً أصفر قضيت حاجته.

وروى أحمد بن عبدالرحمن الذكواني بإسناده، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قضى لأخيه حاجة كان بمنزلة من خدم الله عمره»[(٣)].

وبإسناده عن كثير بن عمرو، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لله عز وجل عبيدًا استخصهم لنفسه لقضاء حوائج الناس، ثم آلى على نفسه أن لا يعذبهم. فإذا كان يوم القيامة جلسوا على منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس في الحساب»[(٤)].

وروى أبو القاسم بإسناده عن زيد بن خالد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يزال الله عز وجل في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه»[(٥)].

وبإسناده عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خلقان يحبهما الله عز وجل، وخلقان يبغضهما الله عز وجل، فأما اللذان يحبهما الله عز وجل: فالسخاء

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٢٥)، في اللباس، باب ما جاء في القميص (٨/ ٢٠٣-المجتبى)، وفي الكبرى، كتاب الزينة: باب لبس القميص، والترمذي (١٧٦٢، ١٧٦٣)، كتاب اللباس، باب ما جاء في القمص، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٩١).

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٨٨٣)، وأخرج ابن ماجه في سننه (٣٥٦٦)، كتاب اللباس، باب البياض من الثياب، عن ابن عباس بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «خير ثيابكم البياض، فالبسوها وكفنوا فيها موتاكم» ، وكذلك أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٣٥٤).

(٣) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٢٠، ٢١)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ٢٩٢)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٧٥٣).

(٤) أخرجه ابن حجر في لسان الميزان (٥/ ١٣٥٧).

(٥) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩٢) ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٩٣) ، وابن حجر في المطالب العالية (٩٠٤)، والبخاري في التاريخ الكبير (٦/ ٤٠٤).

والسماحة، وأما اللذان يبغضهما الله تعالى فسوء الخلق والبخل، وإذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله في قضاء حوائج الناس»[(١)].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحب عباد الله ﷻ من حبب إليه المعروف وحبب إليه فعاله»[(٢)]. رواه ابن أبي الدنيا.

وروى أبو القاسم بإسناده عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «عليكم باصطناع المعروف فإنه يمنع مصارع السوء، وعليكم بصدقة السر فإنها تطفئ غضب الرب»[(٣)].

وروى أحمد بن عبدالرحمن الذكواني بإسناده عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اطلبوا الحوائج عند ذوي الرحمة فإن فيهم رحمته، وإياكم والقاسية قلوبهم، فإن فيهم سخطه»[(٤)].

وروى أبو القاسم بإسناده عن محمد بن المنكدر رحمه الله قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فلم يكن لها موضع تقعد فيه، فقام رجل فجلست، فلما قضيت حاجتها قال النبي ﷺ للرجل: «أبينك وبينها قرابة؟». قال: لا، قال: «فرحمتها رحمك الله»، قالها ثلاثاً.

وبإسناده عن معاوية بن قرة، عن أبيه ﷺ قال: إن رجلاً قال: يا رسول الله إني آخذ الشاة وأريد أن أذبحها فأرحمها. قال: «والشاة إن رحمتها رحمك الله»[(٥)].

وبإسناده أيضًا عن أبي بكر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: إن كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي».

وعن أبي هريرة ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له».

قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في هذه البهائم لأجرًا؟ فقال: «في كل كبد رطبة

---

(١) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨/ ١٧١)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٩٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٢٣٨).

(٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٥٦)، وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (٥).

(٣) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٥٦)، وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (٦).

(٤) أخرجه الذهبي في ميزان الاعتدال (١/ ٩٣٦)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨/ ١٧٣).

(٥) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ٤٣٦)، (٥/ ٣٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٢٣، ٢٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٠٤)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ١٠٩)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦).

أجر))[١]. رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية للبخاري: ((بينما كلب يطيف بركية فكاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فسقته، فغفر لها به))[٢].

موقها: أي خفها.

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ((عرضت عليَّ أعمال أمتي حسنها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها: الأذى يماط عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها: النخاعة تكون في المسجد لا تدفن))[٣] رواه مسلم رحمه الله.

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: ((رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس))[٤]. رواه مسلم.

وفي رواية: ((رجل بشجرة على ظهر طريق فقال: والله لأنحينَّ هذا عن المسلمين لا يؤذيهم. فأُدخل الجنة))[٥].

وفي رواية للبخاري ومسلم رحمهما الله: ((بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره، فشكر الله له، فغفر له))[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٦٣)، كتاب المساقاة، ١٠-باب فضل سقي الماء، ومسلم (١٥٣-٢٢٤٤)، كتاب قتل الحيات وغيرها، ٥-باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها، وأبو داود في الجهاد، وأحمد في مسنده (٢/ ٥١٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم في صحيحه (١٥٥-٢٢٤٥)، كتاب قتل الحيات وغيرها، ٥-باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها.

(٣) أخرجه مسلم (٥٧-٥٥٣)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ١٣-باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها، وأحمد في مسنده (٥/ ١٨٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٩١)، وابن خزيمة في صحيحه (١٣٠٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٣٠).

(٤) أخرجه مسلم (١٢٩-١٩١٤)، كتاب البر والصلة، ٣٦-باب فضل إزالة الأذى عن الطريق، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٦٢٠).

(٥) أخرجه مسلم (١٢٨-١٩١٤)، كتاب البر والصلة والآداب، ٣٦- باب فضل إزالة الأذى عن الطريق، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٦٢٠).

(٦) أخرجه البخاري (١/ ١٦٧)، (٣/ ١٧٧)، ومسلم (١٢٧-١٩١٤)، كتاب البر والصلة والآداب، ٣٦-باب فضل إزالة الأذى عن الطريق، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٣٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٦٢٠). وقال النووي: هذه الأحاديث المذكورة في الباب ظاهرة في فضل إزالة الأذى عن الطريق سواء كان الأذى شجرة تؤذي أو غصن شوك أو حجراً يعثر به أو قذراً أو جيفة وغير ذلك، وإماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان، وفيه التنبيه على فضيلة كل ما نفع المسلمين وأزال عنهم ضرراً. النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٤٠).

وفي رواية أبي القاسم، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((مر رجل فيمن كان قبلكم بشوك ملقى على ظهر الطريق فقال والله لأؤخرنَّ هذا عن طريق المسلمين، لا يؤذي منهم أحدًا، فغفر الله له)).

وروى أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله بإسناده عن يحيى بن عبيد الله قال: سمعت أبي يقول : سمعت أبا هريرة ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: ((لن يلج الجنة إلاَّ رحيم))، فقال بعض أصحابه رضي الله عنهم : كلنا يا رسول الله رحيم، فقال ﷺ: ((ليس رحمه أحدكم خاصة حتىَ يرحم الناس عامة)).

وروى أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله بإسناده عن كعب ﷺ قال: قال الله تبارك وتعالى: ((يا موسى أتريد أن أملأ مسامعك يوم القيامة مما يسرك: ارحم الصغير كما ترحم ولدك، وارحم الكبير كما ترحم الصغير، وارحم الغني كما ترحم الفقير وارحم المعافى كما ترحم المبتلى، وارحم القوي كما ترحم الصغير، وارحم الجاهل كما ترحم الحليم)).

وقال عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: ((ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء))[١].

وقال أبو عبدالله في المغازي رحمه الله: ((المتقي كريم وإن من كرمه أن لا يحب أن يرى بأحد من الناس شماتة، وإن من كرمه أن لا ينظر إلى أحد من الناس إلاَّ بعين الرحمة)).

وقال عبيد الله بن عمرو رحمه الله: مرت زبيدة في خرافة، وعند معروف الكرخي[٢] رحمه الله قوم، فقال رجل منهم: اللهم خمدها ودعا، فقال معروف رحمه الله: يا أخي كن عون نبيك محمد ﷺ، ولا تكن عون الشيطان، بعث النبي ﷺ بالرحمة إلى خلق الله تعالى يدعوهم إلى الله ﷻ، والشيطان يحب أن يهلكوا، وجعل يدعو لها.

وقال معروف الكرخي رحمه الله: من دعا لأمة محمد ﷺ فقال: اللهم ارحم أمة محمد اللهم أصلح أمة محمد، اللهم فرج عن أمة محمد، كتبه الله من الأبدال.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ١٠١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٢١٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ١٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٨٧).

(٢) معروف الكرخي هو زاهد العراق، وشيخ الوقت، أبو محفوظ، معروف بن الفيرزان ، وقيل: ابن فيروز من أهل كرخ بغداد، وقيل: كنيته أبو الحسن، ومن أقواله: من كابر الله صرعه، ومن نازعه قمعه، ومن ماكره خدعه، ومن توكل عليه منعه، ومن تواضع له رفعه. وله مناقب كثيرة، أفرد ابن الجوزي كتابًا في مناقبه، وذكر معروف عند أحمد بن حنبل فقالوا: قصير العلم، فقال أحمد بن حنبل للقائل: أمسك، وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف. وقال إسماعيل بن شداد: قال لنا سفيان ابن عيينة: ما فعل ذلك الحبر الذي فيكم ببغداد؟ قلنا: من هو؟ قال: أبو محفوظ معروف. قلنا: بخير، قال: لا يزال أهل تلك المدينة بخير ما بقي فيهم، وتوفي رحمه الله سنة (٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٤)، انظر تاريخ الإسلام، وفيات (١٩١-٢٠٠).

وقال مطرف بن عبدالله رحمه الله: وجدنا أنصح العباد لعباد الله الملائكة عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ووجدنا أغش العباد لعباد الله تعالى الشيطان لقوله تعالى ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾.

قلت: أنصح العباد لعباد الله تعالى: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، خلافًا لمطرف رحمه الله، ويحتمل أنه أراد أنصح العباد بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وقيل لأبي إسحاق الفزاري رحمه الله: ما النصيحة؟ قال: أن تحب لغيرك ما تحب لنفسك، حتى لو أن رجلاً أهوى إليك بسيفه وهو يعدو خلفك فرأيت جبًا بين يديه فينبغي لك أن تقول له: احذر الجب، كما أنه لو قال لك ذلك لسرك.

وكان حبيب العجمي رحمه الله إذا فتح المصحف فمر بآية فيها ذكر قوم غضب الله عليهم وعذبهم بكى وقال: إلهي قد أدخلت رحمتهم قلبي، فإن شئت فاغفر لي وإن شئت فعذبني.

وكان النضر بن محمد رحمه الله إذا أراد أن يأمر ابنه مخافة أن يعصيه فتلزمه العقوبة.

وحكي عن عدي بن حاتم ﷺ أنه كان ربما كان يفت الخبز للنمل رحمة لها.

وروي عن أبي الدرداء ﷺ أنه كان يتبع الصبيان فيشتري منهم العصافير فيرسلها ويقول: ((اذهبي فعيشي والحقي بأولادك)).

واشترى مطرف بن الشخير رحمه الله طيرة من صبي فأرسلها وقال: أتصدق بها على فراخها اليوم.

واستغاث رجل بثابت البناني[1] رحمه الله على القاضي في حاجة فركب معه فكان كلما مر بمسجد نزل فصلى فيه حتى انتهى إلى القاضي فكلمه في حاجته فقضاها فأقبل ثابت على الرجل صاحب الحاجة فقال: لعله شق عليك ما رأيت؟ قال: نعم. قال: ما صليت صلاة إلاَّ طلبت فيها من الله حاجتك.

وقال سفيان بن إبراهيم رحمه الله : إذا ذكرت الرجل السوء فلا تهتم له ترحمًا عليه فأنت أسوأ منه، وإذا ذكرت الرجل الصالح فلم تجد في قلبك حلاوة لطاعته لربه فأنت رجل سوء.

---

(١) ثابت بن أسلم، أبو محمد البصري البناني القرشي، ثقة، عابد، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٢٧)، وله (٨٦ سنة)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٢/ ٢)، تقريب التهذيب (١/ ١١٥)، الكاشف (١/ ١٧٠)، الثقات (٤/ ٨٩)، التاريخ الكبير (٢/ ١٥٩)، التاريخ الصغير (١/ ٢٦١)، والجرح والتعديل (٢/ ١٨٠٥)، ميزان الاعتدال (١/ ٣٦٢).

وقال ابن عون رحمه الله: أول ما يرفع من هذه الأمة الألفة والشفقة.

وقال ابن عيينة [١] رحمه الله: أربع من كن فيه فهو خير البرية، ومن لم تكن فيه فلا خير فيه: من أعان المحسن على إحسانه، وفرح بتوبة التائب، واستغفر للمذنب، ودعا للمدبر.

وكان أبو مسلم الخولاني رحمه الله: ربما مر بقوم فلم يسلم عليهم فقال له: يا أبا مسلم ما يمنعك السلام؟ قال: أخشى أن لا يردوا السلام فتلعنهم الملائكة.

وقال أبو الدرداء ﷺ: تبكي أخاك في الممات وتركت وصله في الحياة.

وروى أبو الجهم بن حذيفة ....[٢].

وقال عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام: استكثروا من شيء لا تأكله النار، قيل: وما هو؟، قال: المعروف .

وقال أكثم بن صيفي رحمه الله: صاحب المعروف لا يقع فإن وقع وجد منه.

وقال ابن السماك[٣] رحمه الله: عجبت ممن يشتري مماليك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه.

وقال أبو القاسم الحريري رحمة الله عليه:

السمسمة تحمد آثارهـــــــا	فاشكر لمن أعطى ولو سمسمة
والمكرم مهما كان لا تاتـــــه	لقتنى السوء والمكرمـــــــة

وسئل جعفر بن محمد رحمه الله: لم حرم الله الزنا؟ قال: لئلا يتمانع الناس المعروف.

وقال الفضيل رحمه الله : ما كانوا يعدون القرض معروفًا.

وقيل: لكل شيء ثمرة، وثمرة المعروف التعجيل .

وقال الشعبي رحمه الله: لو أن رجلاً رحم مسكينًا، وأعان ملهوفًا وبر يتيمًا، وأعان مسافراً كان أحب إليّ من الاعتكاف حول الكعبة أربعين سنة؛ خير الناس أنفعهم للناس.

وقال أبو سعيد الخدري ﷺ: من أعان مكروبًا أعتقه الله تبارك وتعالى يوم

---

(١) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون، أبو محمد الهلالي الكوفي المكي، ثقة حافظ فقيه، إمام، حجة، إلا أنه تغير بآخره، وكان ربما دلس لكن عن الثقات، وكان أثبت الناس في عمرو بن دينار، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٩٨)، وله (٩١ سنة)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٤/ ١١٧)، تقريب التهذيب (١/ ٣١٢)، الكاشف (١/ ٣٧٩)، تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٩٤)، الجرح والتعديل (٤/ ٩٧٣)، ميزان الاعتدال (٢/ ١٧٠)، الوافي بالوفيات (١٥/ ٢٨١)، الحلية (٧/ ٢٧٠)، سير الأعلام (٨/ ٤٥٤)، الثقات (٦/ ٤٠٣).

(٢) ذكر قصة بالأصل عن سعيد بن العاص وبها كلمات غير واضحة وهي قدر أربعة أسطر بالأصل.

(٣) هو محمد بن السماك، أبو العباس العطار البصري المذكر الكوفي، أخرج له أحمد في المسند، قال محمد بن عبدالله بن نمير: ليس حديثه بشيء، وذكره ابن حبان في الثقات، توفي سنة (١٨٣)، انظر ترجمته في الذيل على الكاشف (١٣٤٣)، تعجيل المنفعة (٩٣٩)، الجرح والتعديل (٧/ ٢٩٠)، مجمع الزوائد (٤/ ٨٠).

الفزع الأكبر.

وقال أبو قلابة رحمه الله: من مشى في حاجة أخ له مسلم، قضيت أو لم تقض كتب الله سبحانه وتعالى له عبادة ألف سنة صيامها وقيامها.

وقيل: ورث عبدالملك بن أبجر[(١)] خمسين ألف درهم فبعث بها إلى إخوانه صدراً، وقال: كنت أسأل لإخواني في صلاتي الجنة أفأبخل عليهم بالدنيا.

وقيل: إن أبا الهيثم موسى بن مشاور الطيبي رُئي بعد موته في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟، فقال غفر لي، فقيل له: بماذا؟ ، قال: مررت يومًا بامرأة تحمل جراباً ثقل عليها حمله، فحملته عنها، فشكر الله سبحانه وتعالى لي ذلك فغفر لي.

وقيل: أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام: يا موسى المال مالي والجنة جنتي، فاشتر جنتي بمالي.

وحكي: أن عبيد الله بن أبي بكرة اشترى جارية بعشرة آلاف درهم فطلب دابة يحملها، فبدأ رجل فقال: هذه دابتي لك، فقال عبيد الله: احملوها على دابته واذهبوا بها إلى منزله.

وقال عبدالله بن المبارك : سمعت سفيان رحمه الله يقول: سمعت ليثًا يقول: سمعت مجاهداً يقول: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ : «من فرج عن أخيه فرجة غفر الله له»[(٢)].

وحكي عن بعض السلف: أنه اشترى يومًا عسلاً بثلاثين ألف درهم، فلما كان من الغد ضعف ثمنه ثلاثين ألف درهم أخرى، فسمع بذلك البائع فندم على بيعه وتحسر، فقال له بعض إخوانه: تحب أن يرجع إليك عسلك ولا يفوتك ربحه .

قال: أي والله . فقال: بكر غداً وصلِّ مع الشيخ صلاة الصبح، فإذا سلم من صلاته، وفرغ من دعائه فسلم عليه وقل له: إني ندمت على بيعك العسل بالأمس ولا تزد على هذا شيئًا.

فقال: نعم، وبكر فصلى معه في المسجد، فلما فرغ قال: إني ندمت على بيعك العسل بالأمس، فقال لغلامه: قم فأعطه عسله جميعًا.

---

(١) عبدالملك بن أبجر الكوفي الهمداني الكناني المتطبب، ثقة، عابد، أخرج له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، وهو عبد الملك بن سعيد بن حيان بن أبجر، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٦/ ٣٨٤)، تقريب التهذيب (١/ ٥١٧)، الكاشف (٢/ ٢٠٩)، تاريخ البخاري الكبير (٥/ ٤١٦)، الجرح والتعديل (٥/ ١٦٦١).

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ١٧٥)، والهيثمي في مجمع الزائد (٨/ ١٩٣).

فقال بعض الحاضرين: إنه قد صار ثمنه ضعف ما وزنت أترده عليه ؟ فقال: نعم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:[(١)] «من أقال نادمًا بيعته أقال الله عثرته يوم القيامة». أفلا أشتري عثرتي بثلاثين ألف درهم، وأخذ منه ثلاثين ألف درهم، ورد إليه العسل.

وأنشد بعضهم يقول:

إن لله عباداً كشفوا فيه القناعـــــا ... هل رأيتم امرءاً عامل الله فضاعا

وانقلوا عني حديثًا قد رويناه سماعا ... من دنا لله شبراً يدنه الله ذراعـــا

● حكاية

قيل: خلق الله طيراً اسمه: ملحان، يطوف حال شبابه على أوكار الطيور، فإذا وجد طيراً صغيراً قد هلكت أمه فكفله حتى يطير ويستقل بنفسه، فإذا كبر هذا الطائر وعمي انفرد عن الطيور في جبل فيرفع قصته إلى الله تعالى فيعطيه صوتًا حسنًا.

فإذا سمعه الطيور ألقت بنفسها عليه فيموت بعضها من الطرب، فيأكله فيكون ذلك مكافأة له على ما فعله بأولاد الطيور.

● حكاية

خرج رجل إلى الصيد فرأى حيتين تقتتلان أحدهما بيضاء والأخرى سوداء فقتل السوداء، ثم خرج إلى الصيد أيضًا فرأى امرأة جميلة فقالت: أنا الحية البيضاء التي قتلت عدوي، ولابد من مكافأتك بأن أزوجك ابنتي فلا تعترض عليها، فإن اعترضتها ثلاث مرات طلقت منك ثلاثًا فكل مرة طلقة.

فتزوجها فولدت له بنتًا، ثم أوقدت ناراً فطرحت البنت فيها.

فقال: لم فعلت هذا؟ فقالت: هذه طلقة.

ثم ولدت غلامًا، فدخل كلب فأعطته إياه.

فقال: لم فعلت هذا؟ فقالت: هذه طلقة أخرى.

ثم أرسل إليه بعض أصحابه طعامًا فطرحت فيه نجاسة.

فقال: ولم فعلت هذا؟

فقالت: هذه طلقة ثالثة وسأخبرك بما لم تستطع عليه صبرًا، أما النار والكلب فإنهما

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ١٩٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٥٠٤)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣١٦)، والزيلعي في نصب الراية (٤/ ٣٠).

يربيان أولادنا، وأما الطعام فإنه كان مسمومًا.

ثم بعد مدة جاءت ومعها البنت فدفعتها إليه وقالت: هذه بنتك وهي بلقيس[(١)] رضي الله عنها زوجة سليمان عليه الصلاة والسلام.

وفي تفسير القرطبي: قالت عائشة رضي الله عنها : قال النبي ﷺ[(٢)]: «**كانت بلقيس من أحسن نساء العالمين ساقين، وهي من أزواج سليمان في الجنة**»، فقلت: يا رسول الله، أهي أحسن ساقين مني؟ قال: «**أنت أحسن ساقين منها في الجنة**».

وفي «العرائس» عن الأكثرين: لما أسلمت بلقيس أراد سليمان أن يتزوجها، فلما هم بذلك كرهه لما رأى من كثرة شعر ساقيها.

فصنعت الشياطين النورة، وقد كرهت الجن تزويجها من سليمان لئلا تعلم أسرارهم، وصار من أمرها ما صار بفعل المعروف.

وفي «لقط المنافع» عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ طلا بالنورة ثم قال: «**يا معشر المسلمين عليكم بالنورة فإنها طيبة وطهور**»[(٣)].

● **فائدة:**

روى الطبراني رحمه الله: أن النبي ﷺ كان يدخل الحمام ويتنور.

وروى ابن ماجه من حديث أم سلمة: «**أن النبي ﷺ كان إذا طلى بدأ بعورته فطلاها بالنورة**»[(٤)].

(....)[(٥)] إن النورة حارة يابسة تصلح للأمزجة الباردة وللمشايخ أيام الشتاء، وهي مركبة من كلس وزرنيخ، والله أعلم.

وفي كتاب البركة عن النبي ﷺ: «**غسل القدمين بعد الخروج من الحمام -يعني بالماء**

---

(١) قال الحسن البصري: وهي بلقيس بنت شراحيل، ملكة سبأ، وقال قتادة: كانت أمها جنية، وكان مؤخر قدميها مثل حافر الدابة ، من بيت مملكة، وقال زهير بن محمد: هي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان، وأمها فارعة الجنية، وقال ابن جريج : بلقيس بنت ذي سرخ وأمها بلتعة. تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٢).

(٢) انظر القرطبي في تفسيره (١٣/ ٢١٠).

(٣) أخرجه الكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (٢/ ١١٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه (٣٧٥١)، كتاب الأدب، باب الإطلاء بالنورة، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٦٧).

(٥) كلمة غير واضحة.

البارد- أمان من الردى»[1].

وفي رواية: «غسل القدمين بعد الخروج من الحمام أمان من القولنج».

وكان بعضهم إذا أصابه كرب من الحمام يقول: يا بر يا رحيم منَّ علينا وقنا عذاب السموم.

والنوم بعد الحمام في الصيف كالدواء.

وإذا دخل الحمام فليقل: اللهم إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار. ولا يشرب الماء البارد بعده.

ويكره شرب الماء الحار إلا لضرورة، فإن شربه بالعسل فإنه ينفع من القولنج.

وأخف المياه ماء السماء، وأنفعه ما نزل ليلاً، وإذا أراد الله بقوم خيراً أمطرهم ليلاً وأصحاهم نهاراً .

وقال في «لقط المنافع»: دواء البلغم الحمَّام، ودواء السوداء المشي، ودواء الدم الحجامة، وأما الصفراء ، فالطفل ترضيه التمرة وتغيظه الكلمة، والمعنى أن علاجها بشيء يسير من تمر هندي أو بحامض الرمان ونحوه.

وسيأتي في باب الزهد زيادة في منافع الحمام.

قال في «لقط المنافع»: عن سفيان الثوري رحمه الله: ما أنفق الرجل درهمًا أفضل من درهم يدفعه إلى صاحب الحمام.

وقال غيره: الحجامة في الحمام شفاء من سبعين علة .

ويقرأ عند الفصادة الفاتحة، وعند الحجامة آية الكرسي.

وفي «تهذيب الأذكار» للشيخ العارف ولي الله شهاب الدين ابن رسلان: أن عليًا رضي الله عنه قال لرجل خرج من الحمام: طهرت فلا تنجس أبداً فلم يجبه. فقال رجل مجوسيٌ: لم لا تجيب أمير المؤمنين؟ فقال: بأي شيء أجيبه؟ فقال: قل: سعدت فلا شقيت أبداً. فقال علي رضي الله عنه: الحكمة ضالة المؤمن خذوها من أفواه المشركين.

قال القاضي حسين: لا يقال: طاب حمامك، بل: طاب استحمامك.

وقال بعض العلماء: يقال له: أباح الله لنا ولكم الجنة وأعاذنا وإياكم من النار ؛ لما في كتاب البركة عن النبي ﷺ: «نعم البيت الحمام، يدخله المسلم فإذا دخله سأل الله الجنة

---

(١) انظر الكحال في الأحكام النبوية (٢/ ٢٦)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٨٢).

واستعاذ من النار»[(١)].

فيالها من دعوة ما أوفر حظ من أصابها.

قال: لما تزوج سليمان عليه السلام ببلقيس أحبها حبًا شديداً، وكان سريرها وهو عرشها مقدمه من ذهب، وفيه فصوص الياقوت والزبرجد ومؤخره من فضة بألوان الجواهر، وله أربع قوائم من ياقوت وذهب ودر وزبرجد، وألواحه من ذهب[(٢)].

فلما علم سليمان به قال: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾، قال الأكثرون: أراد أن يأخذه حلالاً قبل إسلامها لأن مال المسلم حرام.

فلما تزوجها أقرها على ملكها فكرهت الجن تزويجها به وكانوا قبل ذلك وصفوا رجلها برجل حمار، فبنى قصراً من زجاج وأجرى تحتها الماء وجعل فيه السمك ووضع سريره في صدره، فلما جاءته بلقيس حسبته ماء فكشفت عن ساقيها.

فنظر سليمان فإذا هي من أحسن النساء ساقًا ﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾، أي أملس من قوارير، أي من زجاج.

فلما دعا آصف باسم الله الأعظم وهو: يا حي يا قيوم، وقال مجاهد: إنه قال: يا إلهنا وإله كل شيء يا ذا الجلال والإكرام. بعث الله تعالى ملائكة فحملته حتى وضعوه بين يدي سليمان، وكانت بلقيس قد جعلته في بيت له سبعة أبواب مغلقة، والمفاتيح معها.

فقال: ﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾، فجعلوا أعلاه أسفله وأسفله أعلاه، أرادوا بذلك التوصل إلى معرفة عقلها، لأن الجن وصفوها بضعف العقل حتى لا يتزوجها فلما رأته قالت: كأنه هو.

قال الحسن: شبهوا عليها، فشبهت عليهم، فأجابتهم على قدر سؤالهم، فعلم سليمان كمال عقلها رضي الله عنها .

---

(١) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٤٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢/ ٤٠٠)، وابن حجر في المطالب العالية (١٨٤)، والذهبي في الطب النبوي (١٧)، وابن تيمية في الكلم الطيب (٢٥٩).

(٢) قال زهير بن محمد: كان من ذهب وصفحاته مرمولة بالياقوت والزبرجد، طوله ثمانون ذراعًا وعرضه أربعون ذراعًا، وقال ابن إسحاق: كان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ، وكان إنما يخدمها النساء، ولها ستمائة امرأة تلي الخدمة، قال علماء التاريخ: وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم، وكان فيه ثلثمائة وستون طاقة من مشرقه، ومثلها من مغربه، قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة وتغرب من مقابلتها، فيسجدون لها صباحًا ومساءً، ولهذا قال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٣).

● **حكاية:**

دخلت حية تحت سرير كسرى، فأرادوا قتلها فنهاهم من ذلك فذهبت إلى بئر فتبعها بعض أصحابه فصارت الحية تنظر إلى الرجل وإلى البئر، فرأى فيه حية مقتولة وعليها عقرب، فقتل العقرب ثم أقبلت الحية على كسرى وطرحت من فيها بذراً فزرعه كسرى فنبت الريحان الفارسي، وكان كسرى كثير الزكام فاستعمله فوجده نافعًا.

وفي الحديث: «**لا تكرهوا الزكام فإنه يقطع عروق الجذام**».

وقال عيسى عليه الصلاة والسلام: استكثروا من شيء لا تأكله النار، قيل: وما هو ؟، قال: المعروف.

وفي الحديث: «**أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة، وأول من يدخل الجنة أهل المعروف**». رواه الطبراني في الأوسط.

قيل : إنهم في الآخرة يكونون أهلاً لمعروف الله كما كانوا في الدنيا أصحاب معروف لأجل الله.

وقيل : وصفهم بذلك لأنهم تكرموا بأموالهم في الدنيا وفي الآخرة بحسناتهم للمذنبين من هذه الأمة.

قال النبي ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة يأتي الله بقوم من أمتي فيدخلهم الجنة بغير حساب**[1] **ويأتي الله بقوم فيحاسبهم فيقول: يا عبادي من نبيكم؟ فيقولون: محمد، فيقول زيد في سيئاتكم؟**

فيقولون: لا. فيقول: هل نقص من حسناتكم شيء؟

فيقولون: لا، فيقول: عبادي علام كان اتكالكم؟

فيقولون: على حسن ظننا بك، فيأمر الله تعالى رضوان بإخراج الذين أدخلهم الجنة بغير حساب فدعاهم فقال: هؤلاء إخوانكم من أمة محمد ﷺ قد زادت سيئاقم على حسناقم فيدخلهم الجنة فهبوا لهم من حسناتكم فإني لم أحاسبكم. فيهبوا لهم من حسناقم فيدخلهم الجنة»، فلذلك قال النبي ﷺ : «**أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٢٤)، بلفظ: «يدخل الجنة سبعين ألف بغير حساب».

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ١٢٤)، والطبراني في الصغير (١/ ٧٤، ٢٦٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٦١)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٠٧).

● حكاية:

قال في كتاب «الداعي إلى ودائع الدنيا بمكة» شرفها الله تعالى: أن رجلاً خرج إلى البرية فوجد بئراً قد وقع فيه رجل وقرد وحية ونمر، فقال: لا أفضل من خلاص هذا الرجل من أعدائه، فأدلى حبلاً فتعلقت به الحية، ثم أدلاه فتعلق به القرد، ثم أدلاه فتعلق به النمر، فشكروا فعله.

ثم قالوا: لا تخرج هذا الآدمى فإنه قليل الشكر، فلم يسمع منه، وأخرجه.

فقال القرد: أنا في جبل كذا، فإن مررت بي كافئتك، وقالت الحية والنمر كذلك.

ثم سافر فمر على القرد فجاءه بفواكه وأكرمه، ثم على النمر فخضع له ثم ذهب سريعًا، فوجد بنت الملك فقتلها وأخذ حليها وحللها ودفع ذلك للرجل، فقال الرجل في نفسه : فعل ما أرجوه هو والقرد والنمر.

ثم مر على الرجل فأخبره بأمر القرد والنمر، ثم قال: أعني على بيع هذه الحلل ، فذهب الرجل إلى الأمير وأخبره، فأرسل أعوانه فأخذوا الرجل، فضربه ضربًا شديداً ووضعه في السجن، فجاءته الحية وقالت: ألم ننهاك عنه، فلم تسمع؟!

ثم ذهبت إلى ابن الأمير فالتفت على عنقه فصاح أبوه ، فقالت: إن لم تخرج الغريب الصالح من السجن وإلاّ قتلته، فأخرجه فذهبت الحية، فقال الأمير: أيها الرجل أخبرني بخبرك فأخبره، فقال: صدق النمر والقرد والحية، ثم أمر بصلب الرجل.

وفي الحديث: ((إن الأسد يقول: اللهم لا تسلطني على أحد من أهل المعروف))[1].

وقال أبو الحسن المدائني: خرج الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر[2] رضي الله عنهم حجاجًا، ففاتتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا، فمروا بعجوز في خبائها فقالوا: هل من شراب؟ قالت: نعم، فأناخوا إليها وليس لها إلاّ شويهة، فقالت: احلبوها وامترقوا بلبنها. ففعلوا ذلك.

ثم قالوا لها: هل من طعام؟ قالت: لا إلاّ هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيىء لكم

---

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (١٣ ٠ ١٦).

(٢) عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، أبو جعفر، أبو محمد، الهاشمي، القرشي، صحابي ولد بأرض الحبشة وهو أحد الأجواد، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٨٠) وله ٨٠ سنة، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٥/ ١٧٠)، تقريب التهذيب (١/ ٤٠٦)، الكاشف (٢/ ٧٧)، التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٧)، (٥/ ٧)، الجرح والتعديل (٥/ ٢١)، أسد الغابة (٣/ ١٩٨)، الإصابة (٤/ ٤٠).

ما تأكلون، فقام إليها أحدهم فذبحها وكشطها، ثم هيأت لهم طعامًا فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا، ثم ارتحلوا، فلما ارتحلوا قالوا لها: نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فألّمي بنا فإنا (صائفون)[1] إليك خيراً ثم ارتحلوا .

وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة، فغضب الرجل وقال: ويحك تذبحين الشاة لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين: نفر من قريش؟! ثم بعد مدة ألجأتهما الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر ويبيعانه ويعيشان بثمنه، فمرت العجوز في بعض سكك المدينة، فإذا الحسن بن علي ﷺ على باب داره جالس فعرف العجوز وهي له منكرة، فبعث إليها غلامه فدعا بها فقال: يا أمة الله أتعرفيني؟ قالت: لا، قال: أنا ضيفك يوم كذا وكذا.

قالت: بأبي أنت وأمي أنت هو؟ قال: نعم.

ثم أمر فاشترى لها ألف شاة، وأمر لها بألف دينار، ثم بعث إلى الحسين، فأمر لها الحسين بمثل ذلك، ثم أمر بها مع غلامه إلى عبدالله بن جعفر ﷺ فقال لها : بكم وصلك الحسن والحسين رضي الله عنهما؟ قالت: بألفي شاة وألفي دينار، فأمر لها عبدالله ﷺ بألفي شاة وألفي دينار وقال: لو بدآ بي لأتعبتهما، فرجعت العجوز بأربعة آلاف شاه وأربعة آلاف دينار.

وقيل: اشترى عبدالله بن عامر من خالد بن عيينة بن أبي معيط داره التي في السوق بتسعين ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء آل خالد، فقال لأهله: ما لهؤلاء؟ قالوا: يبكون لدارهم، فقال: يا غلام ائتيهم وأعلمهم أن الدار والمال لهم جميعًا.

وقيل: وقف أعرابي بباب داود بن المهلب سنة لم يؤذن له، فلما أذن للناس إذنًا عامًا، دخل في جملتهم فقضى داود حوائج الناس على قدر طبقاتهم وبقي هو، فرفع داود رأسه إليه فقال: ألك حاجة يا بدوي؟ قال: نعم أصلح الله الأمير ، أتيتك ممتدحًا بأبيات من الشعر آمل بكل بيت منها ألف درهم، فقال له داود: قل.

فاندفع ينشد ويقول:

له همم لا منتهى لكبيرهـــــا ... وهمه الصغـرى أجل من الدهـــر
وراحته لو أن معشار عشرهـــا ... على البر كان البر أندى من البحر

فقال: يا أعرابي أي أحب إليك: إن أعطيتك على قدرك أو على قدري أو على قدر الشعر؟ فقال: على قدر شعري، فأمر له على كل بيت بألف درهم فأخذها وانصرف.

فقال له بعض جلسائه: لو استعدته أيها الأمير واستخبرته لما اختار على قدر الشعر،

---

(١) كذا بالأصل.

ولم يختر على قدرك، فأمر برده فاستخبره عن ذلك، فقال: أيها الأمير نظرت إلى الدنيا وما فيها، فإذا هي لا تفي بمعشار عشر قدرك، فأشفقت أن أسألك ما لم تطق، فقال: أحسنت والله، هذا أحسن من شعرك وأضعف له الجائزة، فأخذها وانصرف.

ويروي أن أم البنين دخلت عليها عزة فقالت لها: ما هذا الدين الذين مطلته كثيراً؟ فقالت: إني وعدته قبلة، فقالت لها: أنجزيها له وعليَّ إثمها.

فيروي أن أم البنين ندمت على كلمتها هذه ندمًا شديداً[(١)].

ومن غريب ما ذكر في هذا الباب: ما حكاه الشيخ مهذب الدين أبو طالب محمد بن علي المعروف بابن الخيميمي نزيل مصر الأديب الفاضل قال: رأيت في النوم شاه بن أيوب يعني الملك المعظم أخا صلاح الدين بن أيوب، وهو ميت فمدحته بأبيات وهو في القبر فلف كفنه ورماه علي وأنشدني فقال:

لأستقلن بمعروف سمحت بــــه   ميتًا فأمسيت منه عاريًا بدنــــي
ولا تظنن جودي شاء به بخـــــل   من بعد بذلي ملك الشام واليمن
إني خرجت من الدنيا وليس معي   من كل ما ملكت كفي سوى كفني

وقيل: إن أخت عدي بن حاتم[(٢)] الطائي لما سبيت في جماعة كثيرة قالت لرسول الله ﷺ: ذهب الوالد وغاب الرافد فلا تشمت بنا أحياء العرب فإني ابنة من كان يقري الضيف ويفك العاني ويطلق الأسير ويعطي السائل. فقال[(٣)]: «من كان أبوك؟». فقالت: حاتم الطائي؟. قال: «خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق» . فقالت: ومن معي؟. فقال ﷺ: «ومن معها». وكانوا سبعمائه نفر، وأنشد بعضهم في المعنى شعر:

أحب مكارم الأخلاق جهــدي   وأكره أن أعيب وأن أعابـــا
وأصفح عن سباب الناس حلمًا   وشر الناس من يهوي السبابا
ومن قضت الرجال لـه حقـوقًا   ولم يقض الحقوق فما أصابـا
ومن جعل الصنيعة عند فســل   فلا حمداً أصابا ولا ثوابـــا

ونختم هذا الباب بما رواه عبد الصمد بن المهتدي بالله أمير المؤمنين بإسناده عن جعفر ابن الغرز العابد قال: كنت عند سفيان رحمه الله فالتفت إلى شيخ فقال له: حدث القوم

---

(١) حدث قطع للكلام واستكملناه من النسخة الأخرى للمخطوط.

(٢) عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أحزم بن أبي أحزم بن ربيعة بن جرول بن ثعل ابن عمرو بن الغوث بن طيئ، أبو طريف، أبو وهب الطائي، صحابي شهير، وكان ممن ثبت على الإسلام في الردة وحضر فتوح العراق وحروب علي، أخرج له الستة، توفي سنة (٦٨)، وله ١٢٠ سنة، انظر التقريب (٢/ ١٦).

(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧/ ٩٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٩٤).

بحديث الحية فقال: حدثني عبد الجبار بن حميد بن عبدالله أنه خرج إلى متصيده فتمثلت بين يديه حية. فقالت: أجرني أجارك الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، قال: وممن أجيرك؟ قالت: من عدو رهقني يريد أن يقطعني إربًا إربًا. قال: ومن أنت؟ قالت: من أهل لا إله إلاَّ الله. قال: وأين أخبؤك؟، قالت: في جوفك إن كنت تريد المعروف؟. قال: ففتح فاه، وقال: ها قد. فدخلت جوفه فإذا رجل معه صمصامة فقال: يا حمير أين الحية؟. قال: ما أرى شيئًا؟. قال: سبحان الله، قال: نعم سبحان الله ما أرى شيئًا؟ فذهب الرجل فأطلعت الحية رأسها ثم قالت: يا حمير أتحس الرجل؟ فقال لها: قد ذهب، قالت: فاختر إحدى خصلتين أن أنكت قلبك نكتة أو ألدغ كبدك فتلقيه من أسفل قطعًا، قال: والله ما كافتتيني. قالت: فحين تضع المعروف عند من لا يعرفه، وقد عرفت ما بيني وبين أبيك آدم قديمًا، وليس معي فأعطيك ولا دابة فأحملك. قال: فأمهليني حتى آتي سطح هذا الجبل فأمهد لنفسي، فبينما هو يمشي إذا بفتى حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب. فقال له: يا شيخ ما لي أراك (مستبشلاً)[1] للموت آيسًا من الحياة؟. قال: من عدو في جوفي يريد هلاكي. قال: فاستخرج شيء من كمه فدفعه إليه وقال: كله. ففعل، فأصابه مغص شديد، ثم ناوله آخر فأكله فرمى بالحية من أسفله قطعًا. فقال: من أنت رحمك الله فما أحد أعظم عليَّ منك؟ قال: أنا المعروف، إن أهل السماء لما رأوا غدر الحية بك اضطربوا، كل يسأل ربه تعالى أن يغيثك، فقال الله ﷻ: يا معروف أدرك عبدي، فإياي أراد بما صنع. انتهى والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المآب.



(١) كذا بالأصل، وأظنها: مستسلمًا.

الباب السادس والأربعون

في فضل الصدقة خصوصا مع القريب والجار والصديق

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ﴾ [الحديد:١٨]. وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[البقرة: ٢٤٥].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٍ فَلِأَنفُسِكُمۡ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٍ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾[البقرة :٢٧٢].

وقال جل وعلا: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىۡءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[آل عمران :٩٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَىۡءٍ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[سبأ: ٣٩].

وقال تبارك وتعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١]. والآيات في ذلك كثيرة.

وعن ابن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لا حسد إلاَّ في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الخير، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**»[(١)]. رواه البخاري ومسلم

قال النووي: ومعناه: ينبغي أن لا يغبط أحد إلاَّ على إحدى هاتين الخصلتين.

وقال النبي ﷺ : «**كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حر القبور، وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته**»[(٣)]. رواه البيهقي والطبراني.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣)، كتاب العلم، ١٦-باب الاغتباط في العلم والحكمة، ومسلم (٢٦٨-٨١٦)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٤٧-باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وابن ماجه (٤٢٠٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٩٨).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٨١٧-موارد)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٥١١)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٤٧)، والحاكم (١/ ٤١٦)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٣١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١١٠).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٢٨٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١١٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٦)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٩).

وعن النبي ﷺ: «عليك بالصدقة فإن فيها ست خصال، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فأما التي في الدنيا: فيزيد في الرزق، ويكثر المال، ويعمِّر الديار، وأما التي في الآخرة: فستر العورة، وتصير ظلاً فوق الرأس، وسترًا من النار».

وفي شرح البخاري لأبي حمزة: عن النبي ﷺ: «أذهبوا البلاء بالصدقة، واستعينوا على حوائجكم بالصدقة».

قال مكحول التابعي رحمه الله: إذا تصدق المؤمن استأذنت جهنم أن تسجد لله شكراً على خلاص واحد منها من أمة محمد ﷺ.

وقال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»[(١)].

● لطيفة:

اشترت عائشة جارية فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام وقال: يا محمد أخرج هذه الجارية من بيتك فإنها من أهل النار، فأخرجتها عائشة رضي الله عنها ودفعت إليها شيئًا من التمر، فأكلت الجارية نصف تمرة ودفعت النصف الآخر لفقير رأته في الطريق.

فجاء جبريل عليه السلام وقال: إن الله تعالى يأمرك أن ترد الجارية فإن الله تعالى أعتقها من النار لأنها تصدقت بنصف تمرة، ذكره ابن الجويني في كتاب «الماجريات[(٢)] في الأسئلة والجوابات». وقال النبي ﷺ: «يا عائشة اشتر نفسك من النار ولو بشق تمرة»[(٣)]. رواه الإمام أحمد بإسناد حسن.

وعن النبي ﷺ: «من لم يكن ما يتصدق به فليلعن اليهود والنصارى»[(٤)].

نعم من فتاوى الإمام النووي رحمه الله : أن الاشتغال بالتسبيح أولى من لعنهم.

وفي الحديث الصحيح[(٥)]: «إن بكل تسبيحة صدقة، وبكل تحميده..» الحديث إلى آخره مشهور.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢٣)، كتاب الأدب، باب طيب الكلام، ومسلم (٦٦-١٠١٦)، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، والترمذي (٢٤١٥)، كتاب صفة القيامة، ١-باب في القيامة، وقال: حسن صحيح، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٠٥)، والبزار (٩٣٦)، وأحمد في مسنده (٦/ ١٣٧)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٣)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٤٧٠)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٥).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) انظر السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٥).

(٤) أخرجه القاري في الأسرار المرفوعة (٤٣٤)، والسيوطي في الحاوي للفتاوي (١/ ٥٨٠).

(٥) أخرجه مسلم (٥٣-١٠٠٦)، كتاب الزكاة، ١٦-باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ، والبخاري في الأدب المفرد (٢٢٧).

● **فائدة:**

كان ابن مسعود ﷺ إذا سمع سائلاً يسأل يقول: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، وهو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

قال أبو الليث: معناه: من لم يكن عنده ما يتصدق به فليستغفر الله للمؤمنين فإنه صدقة.

وقيل لبعضهم بعد موته في المنام: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وجعل قصري إلى جانب قصر فلان كنت أعبد منه إلاَّ إنه كان يقول: اللهم اغفر للمسلمين ولمن سيوجد منهم، وكنت لا أقولها، فسبقني بذلك.

وفي عوارف المعارف عن النبي ﷺ : «**أيما رجل لم يكن عنده ما يتصدق به فليقل: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، وصل على المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات**».

وفي الحديث: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**»[1].

وفي رواية: «**ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**».

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلاَّ وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»[2]. رواه البخاري ومسلم.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟، قال: «**أن تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»[3]. رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**ما نقص مال من صدقة**»[4].

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٥٦)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في صنائع المعروف، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢٢)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٥١)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٥٧٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٩١١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١٤٢)، ومسلم (٥٧-١٠١٠)، كتاب الزكاة، ١٧-باب في المنفق والممسك، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٨)، والقرطبي في تفسيره (١/ ٢٥٣)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٩٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨)، كتاب الإيمان، ٢٠-باب السلام من الإسلام، ومسلم (٦٣- ٣٩)، كتاب الإيمان ، ١٤- باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٢٥)، كتاب الزهد، باب ما جاء: مثل الدنيا مثل أربعة نفر، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٩)، وفي الترغيب والترهيب للمنذري (١/ ٥٨)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٧٢).

فإن قيل: كيف قال ﷺ: «ما نقص مال من صدقة»، ولا شك أن من تصدق بدرهم من عشرة تصير تسعة؟

فالجواب: أنه ﷺ قال: «إن الصدقة لتقع بيد الله تعالى قبل أن تقع بيد السائل فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله»[(١)] . فهذا في الحقيقة زيادة لا نقصان.

والفلو: بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، وهو: المُهْر، كما صرح به في رواية أخرى حيث قال ﷺ: «كما يربي أحدكم مهره أو فصيله».

قال في الترغيب والترهيب: الفصيل هو ولد الناقة .

«وما زاد الله عبده بعفوه إلاَّ عزًّا، وما تواضع أحد لله إلاَّ رفعه الله ﷻ». رواه مسلم رحمه ا لله.

وعن أبي كبشة عمر بن سعد الأنصاري ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول[(٢)]: «ثلاثة أقسم عليهم وأحدثكم حديثًا فاحفظوه: ما نقص مال عبد من صدقة، وما ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلاَّ زاده الله ﷻ عزًا، ولا فتح عبد باب مسألة إلاَّ فتح الله عليه باب فقر» -أو كلمة نحوها- وأحدثكم حديثًا فاحفظوه قال: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه، ويعلم أن لله فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء. وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمًا فهو يخبط في ماله بغير علم ، لا يتقي فيه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم أن لله فيه حقًا، فهو بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما سواء». رواه الترمذي [(٣)] وقال: حديث حسن صحيح.

وروى أبو الليث السمرقندي رحمه الله في تفسيره في قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾: عن أبي عثمان النهدي [(٤)] قال: بلغني عن أبي هريرة ﷺ حديث أنه قال: إن الله تعالى يكتب للعبد المؤمن الحجة الواحدة ألف ألف حسنة.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٨١).

(٢) انظر ما تقدم من قبل في الترمذي (٢٣٢٥).

(٣) تقدم من قبل وهو بطوله في الترمذي (٢٣٢٥).

(٤) أبو عثمان النهدي عبدالرحمن بن مل بن عمرو بن عدي بن وهب بن ربيعة، أبو عثمان النهدي البصري الكوفي، ثقة عابد، ثبت، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٠٠)، وقيل: (٩٥). انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٦/ ٢٧٧)، تقريب التهذيب (١/ ٤٩٩).

قال: فحججت ذلك العام لألقى أبا هريرة ﷺ في هذا الحديث، فلقيته فأخبرته فقال: ليس كذا. قلت: ولكن لم يحفظ الذي حدثك وإنما قلت: «ألفي ألفي حسنة»، ثم قال أبو هريرة ﷺ: أو ليس تجدون في كتاب الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾؟ قول الله تعالى: ﴿كَثِيرَةً﴾ أكثر من ألف ألف ومن ألفي ألف.

وعن محمد بن الحسين بن الحسن بإسناده عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة يحتسبها كانت له صدقة»[١].

● مسألة:

لو قال للسقا: اسقيني، فناوله الكوز فتلف في يده قبل الشرب فإن كان بعوض فالماء مضمون عليه بالشراء الفاسد، والكوز غير مضمون؛ لأنه مقبوض بالإجارة الفاسدة، وإن كان بغير عوض فالماء غير مضمون؛ لأنه حصل في يده بحكم الأخذ، والكوز مضمون لأنه عارية في يده، وإن تلف الكوز بعد الشرب لم يضمنه ولا بقية الماء إن شرط له عوضًا.

● مسألة أخرى:

دفع إناء لطباخ ليغرف فيه له طعامًا فتلف في يد الطباخ قبل أن يغرف فيه الطعام ضمنه وإلا فلا. قاله ابن العماد في كتاب الأواني والظروف.

● لطيفة:

جاء سائل إلى علي ﷺ فنظر إليه وقد تغير وجهه من الحياء. فقال علي ﷺ: أكتب حاجتك على الأرض حتى لا أرى ذل المسألة في وجهك. فكتب بقوله:

لم يبق لي شيء يباع بدرهـم	تغنيك حاله منظري عـن مخبري
إلا بقيت ماء وجـــه صنته	ألا يباع وقد بعتك فاشـــتري

فأمر له بحمل محمل ذهبًا وفضة، ثم قال علي ﷺ هذه الأبيات:

عاجلتنا فأتاك عاجـل برنـــا	قُلاً ولو أمهلتنا لـم تفـــتر
فخذ القليل وكن كأنك لم تبع	ما صنته وكأننا لـــم نشـــتر

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨-١٠٠٢)، كتاب الزكاة، ١٤-باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين، وأحمد في مسنده (٤/ ١٢٠، ١٢٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٧).

● **حكاية**

قال القرطبي في سورة النجم: كان عمار[1] كثير الصدقة فقال له أخوه في الرضاعة هو عبدالله بن أبي سرح[2]: ما هذه الصدقة الكثيرة؟.

قال: من ذنوب كثيرة، فأطلب رضا ربي وأرجو عفوه . فقال: اعطني بعيراً محملاً وأنا أحمل عنك ذنوبك، ففعل فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ [النجم: ٣٣]، أي عن الإيمان، ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾[النجم: ٣٤]، أي قطع العطاء الذي كان يفعله عمار ، ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ أي يرى أمور الآخرة حتى يحمل عن غيره العذاب.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي لا يؤاخذ الله أحداً بذنب غيره.

وكانوا قبل إبراهيم يؤاخذون الرجل بذنب غيره، فيقتلون الرجل بدلاً من أخيه أو ولده.

وقوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾، قيل: كان يصلي أول كل يوم أربع ركعات.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾. قيل: أراد بالإنسان الكافر، أما المؤمن فينفعه عمل غيره، قال القرطبي: والأحاديث الكثيرة دالة عليه.

وفي المنهاج للإمام النووي رحمه الله: وينفع الميت صدقة[3] ، ودعاء من وارث وأجنبي.

● **حكاية**

قال ابن عباس رضي الله عنه: قحط الناس في عهد أبي بكر رضي الله عنه، فلما جاء آخر النهار جاءت عير لعثمان من الشام، فجاءه التجار وقالوا: إن الناس في شدة، وقد جاءك طعام فبعنا إياه.

---

(١) كذا بالأصل وأظنها عثمان، فهو أخو عبدالله بن أبي سرح في الرضاعة.

(٢) عبدالله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري أبو يحيى أخو عثمان من الرضاعة له صحبة، ولاه عثمان مصر، ولما مات عثمان اعتزل الفتنة، وجاء من مصر إلى الرملة، وتوفي بها، وكان صاحب ميمنة عمرو بن العاص في حروبه، وكان بطلاً شجاعاً مذكوراً غزا بالجيش غير مرة المغرب، وكان أمير غزوة ذات الصواري من أرض الروم، غزاها في البحر، وقال الليث ابن سعد: كان محمود السيرة وإنه غزا إفريقية وقتل جرجير صاحبها وغزا ذات الصواري. تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات سنة (٣٦).

(٣) روى مسلم في صحيحه (٥١-١٠٠٤)، كتاب الزكاة، ١٥-باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه، عن عائشة: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أمي افتلتت نفسها ولم توص وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: ((نعم)) . وقال النووي: وفي الحديث أن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو كذلك بإجماع العلماء، النووي في شرح مسلم (٧/٧٨)، ط. دار الكتب العلمية.

قال: بكم تربحوني؟، قالوا: على العشرة درهمين قال: زيدوني على ذلك، قالوا: نربحك أربعة، قال: زيدوني على ذلك، قال: نحن تجار المدينة فمن زادك؟ قال: إن الله زادني بكل درهم عشرة، قد جعلت هذا الطعام على الفقراء.

قال ابن عباس ﷺ : فرأيت النبي ﷺ تلك الليلة في المنام على برزون أبلق وعليه حلة حرير من نور وهو مستعجل. فقلت: يا نبي الله إني مشتاق إليك.

فقال: يا ابن عباس: إن عثمان قد تصدق بصدقة وإن الله تعالى قبلها منه، وزوجه عروسًا في الجنة وقد دعينا إلى عُرسه.

وروى أبو القاسم الأصبهاني بإسناده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ يوم الجمعة: «من تصدق اليوم منكم بصدقة؟»، قال أبو بكر ﷺ: أنا يا رسول الله.

قال ﷺ : «من أصبح اليوم منكم صائماً؟». قال أبو بكر ﷺ: أنا يا رسول الله.

قال ﷺ: «من شيع اليوم منكم جنازة؟». قال أبو بكر ﷺ: أنا يا رسول الله.

قال ﷺ: «يا أبا بكر الجنة لك وأنت للجنة أهل»[(١)].

وروى أبو بكر بن مردويه بإسناده عن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت، فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من خلق الجبال؟، قال: نعم الحديد.

قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد؟، قال: نعم، النار.

قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من النار؟

قال: نعم، الماء.

قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟

قال: نعم، الريح.

قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟

قال: نعم ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها عن شماله»[(٢)].

وروي عنه أيضًا بإسناده عن مطرف بن عبدالله عن أبيه ﷺ قال: إنه انتهى إلى النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ فقال: «يقول ابن آدم: مالي ومالي، وما لك من مالك

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٢-١٠٢٨)، كتاب فضائل الصحابة، ١-باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣١٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٦٩)، كتاب تفسير القرآن، وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وأحمد في مسنده (٣/ ١٢٤)، والمنذري في الترغيب (٢/ ٢٠)، والقرطبي في تفسيره (١٠/ ٩٠).

إلاَّ ما أكلت فأفنيت، أو تصدقت فأمضيت أو لبست فأبليت».

وقال أبو هريرة ﷺ: يتزوج أحكم فلانة بنت فلان بالمال الكثير، ويدع الحور العين باللقمة والتمرة والكسرة.

وروي أنه كان في زمن سليمان بن داود عليهما السلام قمري[١] عشش في شجرة بستان، وكان كلما فرخ أخذ صاحب البستان أفراخه، فشكا القمري إلى سليمان من ذلك الرجل وقال: يا نبي الله إني قد كبرت ودنت وفاتي فأريد أن يكون لي أفراخ يذكرون الله تعالى بعدي، وصاحب البستان يأخذ أفراخي كل سنة . فاستدعى سليمان عليه السلام ذلك الرجل ونهاه فلم ينته، فبعث سليمان عليه السلام إليه شيطانين وقال لهما: إذا قصد أن يأخذ أفراخ القمري فارمياه عن تلك الشجرة.

فلما كبرت أفراخ القمري وأراد أخذها حضر سائل على بابه فأعطاه رغيف خبز، ثم صعد الشجرة، فقصده الشيطانان كي يرمياه فجاءهما ملكان فأخذاهما ورمياهما، أحدهما إلى المشرق والآخر إلى المغرب، وأخذ الرجل الأفراخ ونزل، فجاء القمري إلى سليمان عليه السلام وأخبره بأخذ أفراخه. فطلب سليمان الشيطانين فلم يجدهما إلاَّ بعد أيام ، فلما حضرا سألهما فأخبراه بالقصة.

فعلم سليمان عليه السلام أن الصدقة ترد البلاء.

وحكي عن بعض الشيوخ الكبار رحمهم الله تعالى: أنه دخل على بعض التجار بثغر الإسكندرية فرحب به التاجر وفرح به.

فرأى الشيخ في إيوان يجلس فيه التاجر بساطين مثمنين مستعملين من بلاد الروم على قدر الإيوان، فطلبهما من التاجر، فصعب عليه ذلك وقال: يا سيدي أنا أعطيك غيرهما، فامتنع الشيخ وقال: ما أطلب إلاَّ إياهما.

فقال التاجر له: إن كان ولابد فخذ أحدهما.

فأخذ الشيخ أحد البساطين وخرج به، وكان حينئذ للتاجر ابنان مسافران في بلاد الهند كل واحد في مركب، فبعد مدة سمع أبوهما أن أحدهما غرق هو ومركبه وجميع من كان فيه، ووصل الابن الآخر إلى عدن سالمًا، فلما كان بعد مدة وصل إلى قرب الإسكندرية فخرج أبوه في لقائه إلى ظاهر البلد، فرأى البساط الذي أخذه الشيخ منه بعينه محملاً على بعض الجمال، فسأل ابنه عن قصة البساط ومن أين هو له؟، فقال له: يا أبت لهذا البساط قصة

---

(١) القمري: ضرب من الحمام مطوق حسن الصوت، جمعها: قمر، والأنثى: قمرية، جمعها قماري.

عجيبة وآية عظيمة.

فقال له أبوه : أخبرني يا بني بذلك.

قال: سافرت أنا وأخي بريح طيبة من بلاد الهند كل منا في مركب، فلما توسطنا البحر عصفت علينا الريح واشتد علينا الأمر، وانفتح المركبان، واشتغل أهل كل مركب بمركبهم، وأسلم كل منا أمره إلى الله تعالى، وإن الشيخ قد ظهر لنا وفي يده هذا البساط، فسد به مركبنا وسرنا بالسلامة، والمركب مسدود بهذا البساط إلى أن وصلنا إلى بعض المراسي، فحولنا ما كافيه.

قال التاجر: فقلت له: يا بني أتعرف الشيخ إذا رأيته؟ فقال: نعم، فذهب به إلى الشيخ.

فلما رآه صرخ وصاح صياحًا عظيمًا وقال: هو هذا والله يا أبت، فجعل الشيخ يده عليه حتى أفاق وسكن ما به ، فقال التاجر للشيخ: لم لا عرفتني يا شيخ بحقيقة الأمر حتى أدفع إليك البساطين، أستغفر الله العظيم وأتوب إليه. فقال الشيخ: هكذا أراد الله.

وعن الشيخ أبي بكر الشبلي رحمه الله: أنه قال: خطر لي خاطري يومًا: أنت بخيل، فقلت: ما أنا بخيل. فقال: بل أنت بخيل، فنويت أن أول شيء يفتح عليَّ به أعطيه لأول فقير ألقاه.

فما تم هذا الخاطر حتى دخل عليَّ فلان فأعطاني خمسين دينار، فأخذتها وخرجت فأول من لقيني فقيراً ضريراً بين يدي مزين يحلق شعره، فناولته تلك الخمسين، فقال: أعطها المزين، فقلت: إنها دنانير، فرفع رأسه إليَّ وقال: ما قلنا لك: إنك بخيل.

فناولتها المزين فقال: مذ قعد بين يدي هذا الفقير عقدت مع الله عقداً أن لا آخذ على حلاقته شيئًا قال: فأخذتها وذهبت إلى البحر فرميت بها فيه وقلت: فعل الله بك ما أحبك أحداً إلاَّ أذهله الله تعالى، رحمهم الله الثلاثة، ونفعنا بهم ولعباده ، وأنشد بعضهم:

إن لله عباداً فطـــــــنا	طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علمــوا	أنها ليست لحي وطــــنا
جعلوها لجة [1] واتخذوا	صالح الأعمال فيها سفنا

روي أن عيسى عليه الصلاة والسلام مر في قرية ، وفي تلك القرية قصار، فقال له أهل القرية: يا نبي الله إن هذا القصار يمزق علينا ثيابنا ويحبسها عنا، فادع الله تعالى أن لا

---

(١) لجَّ في الأمر لجاجًا ولجاجة: تمادى، ويقال: لج في الخصومة أي تمادى فيها.

يرده برزمته.

فقال عيسى عليه الصلاة والسلام: اللهم يا رب لا ترده برزمته.

قال: فذهب القصار ليقص الثياب ومعه ثلاثة أرغفة، فجاءه عابد كان يتعبد في الجبال، فسلم على القصار وقال: هل عندك خبز تطعمني أو تريني إياه حتى أنظره أو أشم ريحه؟ فإني لم آكل الخبز منذ كذا وكذا يومًا. فأطعمه رغيفًا.

فقال له: يا قصار ، غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فأعطاه الثاني، فقال له: يا قصار، غفر الله لك وطهر قلبك، فأعطاه الثالث، فقال: يا قصار، بنى الله لك قصراً في الجنة.

قال: فرجع القصار من قصارته سالمًا.

فقال أهل القرية لعيسى عليه الصلاة والسلام: هذا القصار قد رجع.

فقال: ادعوه، فلما أتى قال: يا قصار أخبرني ما عملت اليوم، قال: أتاني رجل من الجبل فاستطعمني فبكل رغيف أعطيته دعا لي به دعوة.

فقال عيسى عليه السلام : هات رزمتك حتى أنظر إليها. قال: ففتحها، فإذا فيها حية سوداء ملجمة بلجام من حديد. فقال عيسى عليه السلام : يا أسود. قال: لبيك، قال: أليس قد بعثت إلى هذا؟

قال: نعم، ولكن جاء رجل من تلك الجبال فاستطعمه فأطعمه، فبكل رغيف أطعمه دعا له به دعوة، وملك قائم يقول: آمين.

فبعث الله إليَّ ملكًا من الملائكة ألجمني بهذا اللجام الحديد.

فقال عيسى عليه السلام : يا قصار، استأنف العمل، فقد غفر الله لك.

قال: فتعجب الناس، وتاب القصار .

وحكي: أن شابًا وشابة دخلا على سليمان عليه الصلاة والسلام فالتمسا أن يعقد بينهما عقدة النكاح، ففعل وخرجا من عنده مسرورين، وحضر ملك الموت عليه الصلاة والسلام فقال: يا نبي الله ألا تعجب من سرورهما، وقد أمرت أن أقبض روح هذا الشاب بعد خمسة أيام.

فجعل سليمان عليه الصلاة والسلام يراعي حال الشاب حتى مضى خمسة أيام كما سمع ثم خمسة أشهر، فتعجب من ذلك، فدخل عليه ملك الموت عليه السلام يومًا فسأله سليمان عن ذلك فقال: أمرت أن أقبض روحه بعد خمسة أيام كما ذكرت. فلما خرج من عندك لقيه سائل فدفع له شيئًا، فدعا له بالبقاء، فأمرت بتأخير الأمر فيه.

وحكى أبو الليث السمرقندي رحمه الله، عن أبيه قال: إن صالحًا المرسي رحمه الله أقبل في ليلة جمعة يريد مسجد الجامع ليصلي فيه صلاة الفجر، فمر بمقبرة فقال: لو أقمت حتى يطلع الفجر. فصلى ركعتين واتكأ قريبًا من قبر، فغلبته عيناه، فرأى في المنام كأن أهل القبور قد خرجوا من قبورهم فقعدوا حلقًا حلقًا يتحدثون، فإذا شاب عليه ثياب دنسة قاعد في جانب مغمومًا، فلم يلبثوا أن أقبلت أطباق عليها لطائف مغطاة بمناديل، فكل أحد منهم أخذ طبقًا ودخل قبره، فبقي الفتي في آخر القوم، فلم يأته شيء، فقام حزينًا ليدخل في قبره.

قال: فقلت له: يا عبدالله ما لي أراك حزينًا؟ وما الذي رأيته؟ فقال: يا صالح رأيت الأطباق؟، قلت: نعم، فما هي؟ فقال: تلك ألطاف الأحياء لموتاهم كلما تصدقوا عنهم ودعوا لهم أتاهم ذلك في يوم الجمعة، وإني رجل من أهل السند، أقبلت بوالدتي نريد الحج، فلما صرت إلى البصرة توفيت، وتزوجت والدتي بعدي، ولم تذكرني باشتغالها بزوجها.

وكان ما كان لها ولد، وألهتها الدنيا، فلم تذكرني بشفة ولا بلسان، فحق عليَّ الحزن إذ ليس من يذكرني من بعدي.

قال صالح رحمه الله: قلت: وأين منزل أمك؟ فوصف لي الموضع، فلما أصبحت وقضيت صلاتي أقبلت وسألت عن منزلها فأرشدت إليها.

فجئت واستأذنت وقلت: إن صالح المرسي بالباب، فأذنت لي بالدخول، فدخلت فقلت لها: أحب ألا يسمع كلامي وكلامك أحد، فدنوت منها حتى لما كان بيني وبينها إلاَّ شبراً، فقلت: يرحمك الله هل لك من ولد؟ قالت: لا، قلت: فهل كان لك ولد؟ فتنفست ثم قالت: قد كان ومات وهو شاب. فقصصت عليها القصة.

قال: فبكت حتى تحادرت دموعها على خديها، ثم قالت: ذلك من كبدي والحشا، ومن كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، ثم دفعت إليَّ ألف درهم وقالت: تصدق بها عن حبيبي وقرة عيني، ولا أنساه بالدعاء والصدقة فيما بقي من عمري.

قال: فانطلقت فتصدقت بالألف. فلما كان في يوم الجمعة الأخرى أقبلت أريد الجامع فأتيت المقبرة، وصليت ركعتين واستندت إلى قبر، فرأيت القوم قد خرجوا، وإذا بالفتى وعليه ثياب بيض وهو فرح مسرور، فأقبل حتى دنا مني، ثم قال: يا صالح جزاك الله عني خيراً، قد وصلت إلينا الهدية. فقلت له: أنتم تعرفون نهار الجمعة؟

قال: نعم، وإن الطيور في الهواء تعرفها وتقول: سلام سلام ليوم صالح – تعني يوم الجمعة.

● لطيفة:

أصاب المتوكل[(١)] مرض فنذر إن شفاه الله تعالى يتصدق بمال كثير، فسأل العلماء عن قدر ما يتصدق به فاختلفوا في ذلك، فقال محمد بن موسى الباقر ﷺ: إن نويت الدنانير فتصدق بثمانين ديناراً أو الدراهم فكذلك.

فسأل عن الدليل فقال قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ فعدوا وقائع النبي ﷺ فوجدوها ثمانين.

نعم لو أقر بمال كثير أو كبير ثم فسره بدرهم واحد مثلاً لم يلزمه غيره.

ولو قال: «أنت طالق أكبر الطلاق» -بالباء الموحدة- وقع طلقة، أو بالثاء المثلثة وقع الطلاق الثلاث.

● موعظتان:

الأولى: قال ابن عباس ﷺ: قال النبي ﷺ: ((من سأل الناس في غير فاقة نزلت أو عيال لا يطيقهم، جاء يوم القيامة بوجه ليس عليه لحم))[(٢)].

وقال النبي ﷺ: ((من سأل من غير فقر، فكأنما يأكل الجمر))[(٣)].

وقال النبي ﷺ: ((من سأل مسألة عن ظهر غنى استكثر بها من رضف جهنم))، قالوا: فما ظهر غنى؟، قال: ((عشاء ليلة))[(٤)].

وفي عوارف المعارف عن النبي ﷺ : ((من جاع فلم يسأل ومات دخل النار))[(٥)].

وفي شرح البخاري لأبي حمزة رحمه الله، عن النبي ﷺ: ((لا بأس للمؤمن أن يشكو حاله لأخيه المؤمن)).

---

(١) جعفر المتوكل على الله أمير المؤمنين أبو الفضل بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد القرشي العباسي البغدادي، ولد سنة (٢٠٥)، وبويع بعد الواثق سنة (٢٣٢)، ولما استخلف أظهر السنة وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وإظهار السنة وبسطها، ونصر أهلها، يعني محنة خلق القرآن، وكان جواداً ممدحًا، وكان منهمكًا في اللذات والشرب، فلعله رحم بالسنة، مات مقتولاً سنة (٢٤٧)، تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات (٢٤١-٢٥٠).

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٧٣)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٩).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٦٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٩٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٧٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٤٥).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٤٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٥)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦٠).

(٥) بلفظ: ((من جاع أو احتاج فكتمه الناس))، أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩٣)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ٣٨)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٥٢).

الموعظة الثانية: قال بعض الحكماء: التبكير إلى السوق، وإسراع الخروج إلى المسجد بعد صلاة الصبح، وشراء كسر الخبز من الشحاذين، وإطفاء السراج بالفم، ومنع الخمير من العجين يورث الفقر.

وكذا المشي بين المعز والغنم، فإن كان ولابد فليقرأ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾.

● فائدة:

قال النبي ﷺ: «**يا أمة محمد والذي بعثني بالحق، لا يقبل الله صدقة من رجل، وله قرابة محتاجون إلى صلة، يصرفها إلى غيرهم، والذي نفسي بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة**»[١]. رواه الطبراني ورواته ثقات.

● مسألة:

قال في الروضة: تقبل شهادة السائل إلاَّ أن يكثر كذبه في دعوى الحاجة.

● مسألة:

لو حلف أن لا يتصدق ، لم يحنث بالدفع لليهودي مثلاً.

● فائدة:

كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يقول: اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصنه عن السؤال لغيرك.

وسمع النبي ﷺ عليًا يقول: اللهم لا تحوجني إلى أحد من خلقك. فقال[٢] : «**لا تقل هكذا، قل: اللهم لا تحوجني إلى شرار خلقك**». قال: من هم؟ ، قال: «**الذين إذا أعطوا منوا، وإذا منعوا عابوا**».

قال الإمام الغزالي رحمه الله: مراتب الادخار ثلاثة:

الأولى: للصديقين، وهي قوت يوم وليلة.

الثانية: للمتقين، وهي قوت أربعين يومًا؛ لأن الله تعالى واعد موسى عليه السلام أربعين، فيفهم منه الرخصة أمل الحياة أربعين يومًا.

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١١٧).

(٢) أخرجه ابن حجر في لسان الميزان (١/ ٥٧١)، والفتني في تذكرة الموضوعات (٥٨).

الثالثة: للصالحين، وهي قوت سنة. وقد فعلها النبي ﷺ.

● موعظة:

قال النبي ﷺ: «من احتكر طعامًا أربعين ليلة فقد برئ من الله، وبرئ الله منه»[١]. رواه الحاكم.

وقال ﷺ: «الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون»[٢]. رواه ابن ماجه.

قال في الروضة: الاحتكار حرام في الأقوات، وهو أن يشتري الطعام في الغلاء، ثم يحبسه ليبيعه بأكثر.

والتسعير حرام أيضًا في الطعام، وعلف البهائم على الصحيح، وفي غيرهما قطعًا.

وإذا سعر الإمام غلة فخالف عزر.

قال بعضهم: وفيه نظر فإنهم قالوا: لا طاعة للإمام في معصية، وقلتم: إن التسعير حرام، وإذا فعله عصي فكيف يعزره الإمام على ترك معصية؟

● مسألة:

وقف سائل على باب دار، فأخذ صاحبها إناءه ليضع له فيه شيئًا فتلف، لم يضمنه لأنه أخذه لغرض الفقير، فهو كالوكيل.

فلو أخرج صاحب الدار إناء للفقير فهل يضمنه أم لا؟ فيقال: إن تناول الفقير الإناء بيده لزمه، وإن وضعه المالك بين يدي الفقير لم يلزمه ضمانه.

● لطيفة:

سعيد بن العاص الصحابي[٣] ؓ مات النبي ﷺ وعمره تسع سنين، ثم مات هو ؓ سنة تسع وخمسين، وأوصى في مرضه بوفاء دينه وقدره: ثمانون ألف دينار، فقيل له: فيم أصرفتها؟، قال: في رجل يتردى دمعه في وجهه من الحاجة، فبدأته بحاجته قبل سؤاله.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٢)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٠٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٨٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٠٠)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢٤٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢١٥٣)، والدارمي في السنن (٢/ ٢٤٩)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٣٠)، والمنذري في الترغيب (٢/ ٥٨١)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٩٣)، وابن حجر في التلخيص (٣/ ١٣).

(٣) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية أبو عثمان، يقال: أبو عبدالرحمن الأموي القرشي، صحابي صغير، روى عن النبي ﷺ مرسلاً وعن عمر وعثمان وعائشة، أخرج له البخاري في الأدب، ومسلم، وأبو داود في المراسيل، والنسائي وابن ماجه في التفسير، توفي (٥٧، ٥٨)، التقريب (١/ ٢٩٩).

قال بعض السلف: قال عيسى عليه السلام: من رد سائلاً لم تغش الملائكة بيته سبعة أيام.

● **فائدة:**

قال مفتي الجن والإنس الشيخ نجم الدين النسفي من أئمة الحنفية كثر الله تعالى منهم في تفسيره في سورة الضحى: إن عثمان رضي الله عنه أهدى للنبي ﷺ عنقود عنب، فجاءه سائل فأعطاه العنقود، فرآه عثمان رضي الله عنه فاشتراه من السائل وأهداه أيضًا للنبي ﷺ وهكذا ثلاث مرات. فقال النبي ﷺ: «أتاجر أنت أو سائل؟». فأنزل الله تعالى ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾.

● **فائدة:**

قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله ما الذي ما لنا على منعه؟، قال: «الملح والماء والنار»[١]، فقالت: يا رسول الله، هذا الماء قد عرفناه، فما بال الملح والنار؟ فقال[٢]: «من أعطى الملح فكأنما تصدق بجميع ما طيب الملح، ومن أعطى النار فكأنما تصدق بجميع ما نضجت النار، ومن سقى مسلمًا شربه ماء حيث يوجد الماء فكأنما أعتق رقبة، ومن سقى مسلمًا شربة ماء حيث لا يوجد الماء فكأنما أحياها».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من وضع الماء على شارع نظر الله إليه كل يوم بالرحمة مرتين.

● **فائدة:**

قال النبي ﷺ: «الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء»[٣].

قال ابن الأنباري: معناه: تصدقوا عنه بالماء.

قال البرماوي في شرح البخاري: «فابردوها» بهمزة وصل وضم الراء.

وكانت عائشة رضي الله عنها تقرأ المعوذتين وترشه على المريض.

وقال جعفر الصادق[٤] رضي الله عنه: من قرأ الفاتحة أربعين مرة ونضح به وجه محموم شفاه

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (٢/ ٢٧٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٤٧٤)، والمنذري في الترغيب (٢/ ٧٦)، وذكره الألباني في الضعيفة (١٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٦)، ومسلم (٧٨-٢٢٠٩)، كتاب السلام، ٢٦-باب لكل داء دواء، وابن ماجه في سننه (٣٤٧١، ٣٤٧٣)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٩١)، (٢/ ٢١)، والهيثمي في الجمع (٢/ ٣٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٠٣).

(٤) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبدالله القرشي، الهاشمي الصادق، صدوق فقيه إمام، أخرج له البخاري في الأدب وباقي الستة، توفي سنة (١٤٨، ١٤٠)، التقريب (١/ ١٣٢).

الله تعالى.

● مسألة:

لو أوصى بالماء لأولى الناس به، قدم الميت على ذي نجاسة في الأصح، فإن كانت عليه قدم قطعًا. وتقدم حائض على جنب.

ولو مات رجلان فالماء للسابق، فإن ماتا معًا أو جاء الماء بعد موتهما قدم أفضلهما، فإن استويا أقرع، والجنب أولى من محدث، فإن كان الماء يكفي الوضوء فقط، فالمحدث أولى وصاحب الماء أحق به.

ولو أوصى بثوب لأولى الناس به، قدمت المرأة، ثم الخنثى ثم الرجل.

● فائدة:

قال ﷺ: «أربع بركات أنزلها الله تعالى من السماء إلى الأرض: النار والملح والماء والحديد».

● حكاية:

خرج علي رضي الله عنه يبيع إزار فاطمة رضي الله عنها ليأكلوا بثمنه، فباعه بست دراهم، فرآه سائل فأعطاه إياها.

فجاءه جبريل في صورة أعرابي، ومعه ناقة فقال: يا أبا الحسن، اشتر هذه الناقة، فقال: ما معي ثمنها، قال: إلى أجل، فاشتراها بمائة. ثم عرض له ميكائيل في طريقه فقال: أتبيع هذه الناقة؟ قال: نعم، واشتريتها بمائة. قال: ولك من الربح ستون فباعها له، فعرض له جبريل فقال: بعت الناقة؟ قال: نعم، قال: ادفع لي ديني، فدفع له مائة، ورجع بستين. فقالت له فاطمة: من أين لك هذا؟ قال: تاجرت مع الله تعالى بستة فأعطاني ستين.

ثم جاء النبي ﷺ وأخبروه بذلك فقال: «البائع جبريل، والمشتري ميكائيل، والناقة لفاطمة تركبها يوم القيامة»[1].

قال ابن العماد في الذريعة: لو تصدق بما يحتاج إليه حرم عليه، ولم يملكه الآخذ.

ولو دفع صابونة لمن ثوبه دنس، ومات وهي في تركته فله أخذها؛ لأنه لم يقصد تمليكها.

وإذا أخذ ابن السبيل الزكاة، ثم مات قبل السفر أخذت من تركته.

---

(١) أخرجه السيوطي في الحاوي للفتاوي (٢/ ٨٧).

ولو مات أبوه فبعث رجل إليه ثوبًا ليكفنه فيه، تعين إن كان الميت ممن يتبرك بتكفينه لفقه أو ورع، فإن كفنه في غيره وجب رده لمالكه.

قال الإمام السبكي: وكذا إن لم يكن الميت يتبرك بتكفينه لكن قصد الدافع القيام بتكفين الموتى ولم يقصد التبرع على الوارث.

ولو بعث كتابًا وطلب الجواب على ظهره وجب رده وإن لم يطلب الجواب على ظهره فهو هويه. قاله في الروضة.

وقال في الروضة أيضًا: لو دفع إليه شيئًا بنية الصدقة فأخذه ظانًا أنه وديعة أو عارية، ثم رده على الدافع حرم عليه قبضه اعتباراً بنيته، فإن قبضه لزمه رده.

ولو بعث صدقة للفقير فمات قبضه لزمه رده.

ولو بعث صدقة للفقير فمات قبل قبضها استحب لصاحبها ألا يعود فيها، وإن لم تخرج عن ملكه.

ويكره له أن يشتري صدقته من الفقير، أو يستوهبها منه، فإن كان الفقير قرابة وورثها منه فلا كراهة في أخذها.

والصدقة على القرابة أفضل ويقصد بصدقته على أقاربه أشدهم عداوة للتآلف وصرف الكفارة والزكاة .

والنذر بخلاف الزكاة، ويحرم التصدق بما يحتاجه لدينه ونفقة عياله، والتصدق بالفاضل عن ذلك مستحب، إن لم يشق عليه الصبر.

انتهى والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

***

الباب السابع والأربعون

في قري الضيف وإكرام الغريب والجار والإحسان إليهما

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران :١٣٣].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[الحج:٧٧].

وقال جل وعلا: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾ [الحشر:٩].

قال القونوي: ﴿خَصَاصَةٞ﴾: فقر.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: أخي فلان أحوج إليه مني، فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحد بعد واحد حتى تداوله تسعة أبيات، فرجع إلى الأول، فنزلت ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾ [الحشر:٩].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء إلى النبي ﷺ فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلاَّ ماء[1]. ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلاَّ ماء. فقال ﷺ: «من يضيف هذا الليلة؟». فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله. فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ.

وفي رواية قال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا إلاَّ قوت صبياني.

قال: فعلليهم بشيء، فإذا أرادوا العشاء فنوميهم وإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج، وأريه أنا نأكل، فقعدوا وأكل الضيف، وباتا طاويين.

---

(١) قال النووي: هذا الحديث مشتمل على فوائد كثيرة، منها: ما كان عليه النبي ﷺ وأهل بيته من الزهد في الدنيا والصبر على الجوع وضيق حال الدنيا. النووي في شرح مسلم (١٤/ ١١).

فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: ((لقد عجب الله من صنيعكما الليلة))[١] رواه البخاري ومسلم.

● **فائدة عظيمة:**

قال بعض العلماء رضي الله عنهم: إن أصل معنى التعجب إذا استعمل في أحدنا، فالمراد به أن يرهقه أمر يستعظمه ممن يعلمه، وذلك مما لا يليق بالله سبحانه وتعالى.

وإذا قيل في صفة الله تعالى: عجب أو تعجب، فالمراد به أحد شيئين:

إما أن يراد أنه مما عظم قدر ذلك وكبر؛ لأن المتعجب معظم لما يتعجب منه، وأنه سبحانه وتعالى لما كان عالمًا بما كان، وما يكون لم يلق به أحد الوجهين الذي يقتضي استدراك علم بما لم يكن عالمًا، فبقي التعظيم له والتكبير في القلوب عند أهله.

أو يراد بذلك الرضا له والقبول، لأن من أعجبه الشيء فقد رضيه وقبله، ولا يصح أن يعجب مما يسخطه ويكرهه، فلما أراد ﷺ تعظيم إقرار هذا الفعل في القلوب، أخبر عنه باللفظ الذي يقتضي التعظيم حثًا على فعله وترغيبًا في المبادرة إليه[٢].

وروى الثعلبي بإسناده قال: قال رجل لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: يا أبا عبد الرحمن، إني أخاف أني أكون قد هلكت. قال: وما ذاك؟. قال: سمعت الله تعالى يقول ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾، وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء.

قال: ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله عز وجل، ولكن الشح: أن تأكل مال أخيك ظلمًا.

وعن علي بن طلحة رحمه الله، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ قال: يوق هو نفسه.

وقال طاووس: البخل: أن يبخل الإنسان بما في يده، والشح: أن يبخل بما في أيدي الناس.

وبإسناد الثعلبي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه :قال رسول الله ﷺ: ((بريء من الشح من

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٤٢)، ومسلم (١٧٣-٢٠٥٤)، كتاب الأشربة، ٣٢-باب إكرام الضيف وفضل إيثاره. قال النووي في فوائد الحديث: منها منقبة لهذا الأنصاري وامرأته، ومنها: الاحتيال في إكرام الضيف إذا كان يمتنع منه رفقًا بأهل المنزل، لقوله: «أطفئي السراج وأريه أنا نأكل ، فإنه لو رأى قلة الطعام وأنهما لا يأكلان معه لامتنع من الأكل». شرح مسلم للنووي (١٤/ ١١).

(٢) قوله ﷺ: ((عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة)) قال القاضي: المراد بالعجب من الله: رضاه ذلك، قال: وقد يكون المراد عجبت ملائكة الله وأضافه إليه سبحانه وتعالى تشريفًا. النووي في شرح مسلم (١٤/ ١٢).

أدى الزكاة، وقرى الضيف، وأعطى في النائبة»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[2]، رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي شريح بن خويلد بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فليكرم ضيفه جائزته»، قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة»[3] رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية: «لا يحل لمسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه»[4]. قالوا: يا رسول الله وكيف يؤثمه؟ قال: «يقيم عنده ولا شيء له يقريه به».

روى الحافظ أبو القاسم الأصبهاني، عن أبي شريح العدوي رضي الله عنه أنه قال: سمع أذني وبصر عيني حين تكلم أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته»[5]، قيل: وما جائزته؟، قال: «يوم وليلة، والضيافة ثلاث فما فوق ذلك فهو صدقة عليه». ثم قال: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت».

وفي غير هذه الرواية: «الضيافة ثلاثة أيام، فما زاد فهو صدقة، وجائزته يوم وليلة أن يقرى ثلاثة أيام، ثم يعطى ما يجوز به مسافة يوم وليلة» فقال: «يكرمه ويتحفه ويخصه يومًا وليلة وثلاثة أيام ضيافة»[6].

وقيل: قسم رسول الله ﷺ أمره إلى ثلاثة أقسام: إذا أنزل به الضيف أتحفه في اليوم الأول، وتكلف له على قدر وجده، فإذا كان اليوم الثاني قدم إليه ما يحضره، فإذا جاوز مدة

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٩٦، ١٩٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٢٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، في الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، والرقاق: باب حفظ اللسان، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومسلم (٧٥-٤٧)، كتاب الإيمان، ١٩-باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، كتاب الأدب، ٣١-باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومسلم (١٤-٤٨)، كتاب اللقطة، ٣-باب الضيافة ونحوها.

(٤) أخرجه مسلم (١٦-٤٨)، كتاب اللقطة، ٣١-باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر...، وأحمد في مسنده (٤/ ٣١).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) قال النووي: قد أجمع المسلمون على الضيافة وأنها من متأكدات الإسلام، ثم قال الشافعي ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله تعالى والجمهور: هي سنة ليست بواجبة، وقال الليث وأحمد: هي واجبة يومًا وليلة، قال أحمد: هي واجبة يومًا وليلة على أهل البادية وأهل القرى دون أهل المدن، وتأول الجمهور هذه الأحاديث وأشباهها على الاستحباب ومكارم الأخلاق. النووي في شرح مسلم (١٢/ ٢٧). ط. دار الكتب العملية.

الثلاث كان مخيراً بين أن يتم على عادته وبين أن يمسك؛ فهو كالصدقة النافلة.

وفي رواية: «ولا يثوي عنده حتى يحرجه».

قوله: «يثوي» أي يقيم، والثواء: الإقامة، أي لا يقيم عنده بعد الثلاث حتى يضيق صدره.

يقول: أحرجه: أي يضيق عليه، أي لا يضيق عليه فتصير الصدقة وجه المن والأذى، ولا وجه لرواية من روى: «حتى يخرجه»: بالخاء المعجمة.

قال أهل اللغة: الجائزة: العطية، والحرج: الضيق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، أي لم يضيق عليكم في أحكامه فيكلفكم ما تعجزون عنه.

روى أبو القاسم الأصبهاني: الضيف يحل فيأكل رزقه، ويرتحل بذنوب أهل البيت.

وروى أبو القاسم رحمه الله بإسناده عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة»[(١)].

وبإسناده عن ابن عمر رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال[(٢)]: «إذا وضعت المائدة فليأكل الرجل مما يليه، ولا يرفع يده وإن شبع، ولا يغدر فإن ذلك يخجل جليسه».

قال الخطابي: الإغدار: المبالغة في الأمر، قال: بيان هذا في حديثه الآخر: أنه ﷺ كان إذا أكل مع قوم كان آخرهم أكلاً. فأما التغدير: فهو التقصير.

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: لأن أجمع نفراً من إخواني على صاع أو صاعين أحب إليّ من أن أخرج إلى سوقكم فأعتق نسمة.

وروى أبو القاسم بإسناده عن شقيق رحمه الله قال: ذهبت أنا وصاحب لي إلى سلمان رضي الله عنه فقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهى عن التكلف لتكلفت لكم ، فجاءنا بخبز وملح، فقال صاحبي: لو كان في ملحنا (سعتر)[(٣)]، فبعث سلمان رضي الله عنه مطهرته فرهنها فجاء بسعتر، فلما أكلنا، قال صاحبي: الحمد لله الذي قنّعنا بما رزقنا، فقال سلمان رضي الله عنه: لو قنعت لم تكن مطهرتي مرهونة.

قال بعض العلماء رحمهم الله: ومن إكرام الضيف: تعجيل الطعام له، وتقديم ما

---

(١) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٥/ ٢٣١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٢٧٣)، كتاب الأطعمة، ١١-باب الأكل مما يليك، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٧٤)، وابن حبان في المجروحين (٢/ ١٥٦).

(٣) كذا بالأصل.

حضر.

قال الله ﷻ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤].
قيل: أكرمهم بتعجيل من غير تربص.

وقيل: أكرمهم بأن خدمهم بنفسه. قال الله ﷻ: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾ [هود: ٦٩]. قال: وأفضل ما يكرم به السمين النضيج. قال الله ﷻ: ﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ﴾ [الذاريات: ٢٦]. قال: تقديم الفاكهة قبل الطعام أوفق. قال الله ﷻ: ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٢٠].

وقيل: طلاقة الوجه للضيف والضحك أفضل من القري.

وقيل: إن سفيان الثوري رحمه الله دعا إبراهيم بن أدهم وأصحابه رحمهم الله إلى طعام فقصروا في الأكل، فلما رفع الطعام قال له الثوري رحمه الله: إنك قصرت في الأكل، فقال إبراهيم: لأنك قصرت في الطعام.

وحكى حاتم الأصم رحمه الله: الواجب على المضيف: ثلاثة، وعلى الضيف: ثلاثة:

على المضيف ثلاثة: أن يطعم من الحلال، وأن يحفظ عليه ميقات الصلاة، ولا يقصر عن ما قدر عليه.

وعلى الضيف: أن يجلس حيث يجلسه، وأن يرضى بما قدم إليه، ولا يخرج حتى يستأذن.

وروي: أن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام استضافه مجوسي فقال له الخليل: لا أضيفك حتى ترجع عن دينك. فولى المجوسي، فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال: يا إبراهيم، الحق تعالى يقرئك السلام ويقول لك : أنا مع كفره أُطعمه ستين سنة، وأنت لم تطعمه ساعة إلا بتغيير دينه.

فخرج إبراهيم عليه السلام في طلب المجوسي مسرعًا فلحقه في الطريق، فقال له: عد إلى ضيافتي. فقال: لم منعتني أولاً وبذلت لي الآن؟

فأخبره بالحال، فقال المجوسي: أهكذا كرم ربك، نعم الرب ربك، يعاتب في عدوه، فاعرض علي دينك، فعرضه عليه، فأسلم في وقته.

وروي في بعض الأخبار: إن الخليل عليه الصلاة والسلام نزل به رجل من عباد النار، فأضافه وأكرمه فضجت الملائكة في السموات وقالوا: يا ربنا خليلك يكرم عدوك. فقال لهم جلت قدرته: يا ملائكتي، أنا أعلم بخليلي منكم، ثم أمر جبريل عليه الصلاة والسلام وقال: يا جبريل، انزل إليه واعرض قول الملائكة عليه.

فنزل جبريل إلى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وأخبره بذلك فبكى إبراهيم وقال: يا جبريل قل لمولاي: منك تعلمت، رأيتك تحسن لمن أساء فتعلمت منك.

قال الشيخ العارف بالله تعالى صاحب الكرامات أبو الربيع المالقي رحمه الله: سمعت بامرأة من الصالحات في بعض القرى اشتهر أمرها، وكان من دأبنا ألا نزور امرأة، فدعت الحاجة إلى زيارتها للاطلاع على كرامة اشتهرت عنها، وكانت تدعى بالفضة، فنزلنا القرية التي هي بها، فذكر لنا أن عندها شاة تحلب لبنًا وعسلاً فاشترينا قدحًا جديداً ومضينا إليها وسلمنا عليها ثم قلنا لها: نريد أن نرى هذه البركة التي ذكرت لنا عن هذه الشاة التي عندكم، فأخذنا الشاة وحلبناها في القدح فشربنا لبنًا وعسلاً، فلما رأينا ذلك سألناها عن قصة الشاة فقالت: نعم كانت لنا شاة ونحن قوم فقراء، ولم يكن لنا شيء فحضر العيد، فقال لي زوجي وكان رجلاً صالحًا: نذبح الشاة في هذا اليوم، فقلت له: لا تفعل فإنه قد رخص لنا في الترك والله تعالى يعلم حاجتنا إليها، فاتفق أنه استضاف بنا في ذلك اليوم ضيف، ولم يكن عندنا قراه، فقلت: يا رجل، هذا ضيف، ولم يكن عندنا قراه، وقد أمرنا بإكرامه، فخذ تلك الشاة فاذبحها. قالت: فخفنا أن تبكي عليها صغارنا، فقلت له : أخرجها من البيت إلى وراء الدار فاذبحها.

فلما أراق دمها، ففرت شاه من وراء الجدار، فنزلت في البيت، فخشيت أن تكون قد انفلتت منه، فخرجت لأنظرها، فإذا هو يسلخ الشاة. فقلت له: يا رجل عجبًا، وذكرت له القصة.

فقال: لعل الله أن يكون قد أبدلنا خيراً منها. فكانت تلك تحلب اللبن، وهذه تحلب اللبن والعسل ببركة إكرامنا الضيف.

ثم قالت: يا أولادي، إن شاتنا هذه تراعي قلوب المريدين، فإذا طابت قلوبهم طاب لبنها وإن تغيرت تغير لبنها، فطيبوا قلوبكم.

وقال الإمام العالم العلامة أبو حامد الغزالي رحمه الله: نزل بعبد الله بن المبارك في بعض الأيام عشرة أضياف من العلماء ولم يكن له ما يضيفهم به وما كان يملك سوى فرس كان يحج عليه سنة ويغزو سنة. فذبح تلك الفرس وطبخ منها، وقدمه بين أيدي الأضياف.

فقالت له زوجته: ما كنت تملك من الدنيا سوى هذا الفرس، فلم ذبحته؟ فدخل سريعًا إلى بيته وأخرج منه متاعه بقدر مهرها، ودفعه إليها وطلقها ساعته ووقته، وقال: امرأة تبغض الأضياف لا تصلح لي.

قال: فأتاه بعد ذلك بأيام رجل وقال: يا إمام المسلمين، لي بنت وقد توفيت أمها وهي

كل يوم تمزق دستًا من الثياب حزنًا وغمًا عليها، واليوم تقصد مجلسك، وكان واعظًا، فقل في تسليتها شيئًا لعل أن يرق قلبها.

فلما جلس على المنبر، ذكر من هذا الباب شيئًا، فامتثلت الصبية قوله وتسلت به عن أمها، فلما عادت إلى بيتها قالت: يا أبت قد تبت ولا أدعو سخط الله تعالى، ولكن لي إليك حاجة؟ قال: وما حاجتك؟ قالت: إنك تقول لي دائمًا: إن أبناء الدنيا وأرباب الأموال يطلبونك، فناشدتك الله أن لا تزوجني بغير عبدالله بن المبارك، فإن كان لنا دنيا فإن له دينًا.

قال: فزوجها أبوها بعبد الله [١] رحمه الله، وحمل إليها جهازًا كثيرًا، وأنفذ لعبد الله برسم الجهاد في سبيل الله عشرة أفراس.

فرأى عبدالله في بعض الليالي في منامه قائلاً يقول: إن كنت طلقت لأجلنا امرأة عجوزاً فقد أعطيناك صبية بكراً، وإن كنت ذبحت فرسًا واحداً لأضيافك فقد أعطيناك عشرة أفراس عوضًا؛ لتعلم أن الحسنة عندنا بعشر أمثالها، ولا يضيع لدينا أجر المحسنين، وما عاملنا أحد فخسر ولا يخسر.

● فائدتان:

الأولى: قال النبي ﷺ: «من استعاذ منكم بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن استجار بكم بالله فأجيروه، ومن أتى إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافئتموه» [٢] . رواه أبو داود.

الثانية: عن النبي ﷺ: «من تبسم في وجه غريب ضحك الله إليه يوم القيامة، ومن صافحه وأعانه جاز على الصراط أسرع من طرفة عين، وما من مؤمن يموت في غربة إلا بكت عليه الملائكة رحمة لله وفسح له في قبره بنور يتلألأ من حيث دفن إلى مسقط رأسه».

---

(١) عبدالله بن المبارك بن واضح، أبو عبدالرحمن الحنظلي، التميمي، مولاهم المروزي، ثقة، ثبت، فقيه، عالم، جواد مجاهد، جمعت فيه خصال الخير، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٨١). انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٥/ ٣٨٢)، تقريب التهذيب (١/ ٤٤٥)، الكاشف (٢/ ١٢٣)، التاريخ الكبير (٥/ ٢١٢)، الجرح والتعديل (٥/ ٨٣٨)، الثقات (٧/ ٨)، سير الأعلام (٨/ ٣٧٨)، الوافي بالوفيات (١٧/ ٤١٩).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٥١٠٩)، كتاب الأدب، باب في الرجل يستعيذ من الرجل، وأحمد في مسنده (٢/ ٩٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٩)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٦٤)، وابن حبان في صحيحه (٢٠٧١-موارد).

فصل في إكرام الجار

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[١] [النساء: ٣٦]. وهو القريب، ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ وهو الغريب. قاله ابن عباس.

وقال غيره: الأول: المسلم، والثاني: اليهودي. فالأول له ثلاث حقوق: حق الجوار، وحق الإسلام، وحق القرابة. والثاني له حق الجوار، وحق الإسلام، فإن كان يهوديًا فله حق الجوار فقط.

وقال عبدالله التستري رحمه الله: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، يعني قلبك، ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ نفسك، والصاحب عقلك، وابن السبيل: جوارحك.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [٢]، وهو الرفيق في السفر، وقال علي ﷺ: هو الضيف، وابن السبيل: هو الضيف. قاله الأكثرون.

وقال الرازي في سورة النساء: صحبة عشرين يومًا تسمى قرابة.

وعن النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن آذى جاره حرم الله عليه رائحة الجنة».

● **لطيفة:**

ذكر الدميري في حياة الحيوان: إن الحداءة تتأذى من الجوع، فلا تأكل من أفراخ جيرانها من الطيور. وحكى غيره عن الباز دون الحداءة.

● **موعظة:**

قال النبي ﷺ: «من آذى جاره فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن حارب جاره فقد حاربني، ومن حاربني فقد حارب الله» [٣].

وقال النبي ﷺ [٤]: «أتدرون ما حق الجار؟ إن استعان بك أعنته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر جُدت عليه، وإن مرض عدته، وإن مات اتبعت جنازته، وإن أصابه

---

(١) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: يعني الذي بينك وبينه قرابة، ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ الذي ليس بينك وبينه قرابة، وكذا روي عن عكرمة ومجاهد وميمون بن مهران والضحاك وزيد بن أسلم ومقاتل وقتادة. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٩٤).

(٢) قال الثوري بسنده عن علي وابن مسعود: هي المرأة. وقال ابن عباس وجماعة: هو الضيف، وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة: هو الرفيق في السفر. وقال سعيد بن جبير: هو الرفيق الصالح. وقال زيد بن أسلم: هو جليسك في الحضر ورفيقك في السفر. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٩٥).

(٣) أخرجه السيوطي في الحاوي للفتاوي (٢/ ٨٨).

(٤) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٠٨)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٨٣)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٤)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢١٣)، وأحمد بن حنبل في الزهد (١٩).

خير هنيته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستطيل عليه بالبناء، فتحجز عليه الريح إلا بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة فاهْدِ له منها، فإن لم تفعل فأدخلها سرًا، ولا يخرج بها ولدك فيغيظ ولده، ولا تؤذيه بقتاد قدرك إلا أن تغرف له منها، أتدرون ما حق الجوار؟ والذي نفسي بيده، ولا يبلغ حق الجوار إلا من رحم الله، وإذا رميت كلب جارك فقد آذيته» .

وقد فرق بعض العلماء رحمهم الله بين قوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[1]. بأن الضرر: ما فيه منفعة لك، ومضرة لجارك. والضرار: ما ليس فيه منفعة لك بل مضرة لجارك.

وقال العلامي في قواعده: الضرر: ما تضرر به صاحبك وتنتفع به أنت، والضرار: ما يضر غيرك ولم تنتفع به أنت.

قلت: والكل بمعنى واحد، غير أن الأول خاص بالجار والثاني عام.

● **لطائف:**

الأولى: قال رجل لعبد الله بن المبارك رحمه الله: إن جارنا يشتكي من عبدي ولعله يكذب عليه. فقال: إذا أذنب عبدك ذنبًا فاحفظه عليه، فإذا شكاه رجل فأدبه على ذلك الذنب، فتكون قد أرضيت جارك وأدبت عبدك.

وعن النبي ﷺ: «حرمة الجار كحرمة الأم»[2] .

الثانية: كان عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه صحابي روى عن النبي ﷺ ستة وستين حديثًا، وكان إذا ركب فرسه تخط رجلاه إلى الأرض، وكان يفت الخبز لمن جاوره من النمل ويقول : له علينا حق الجوار. حكاه النووي رحمه الله في «تهذيب الأسماء واللغات».

الثالثة: في كتاب «لوامع أنوار القبور»: أنه نزل بالنبي ﷺ أضياف، فلما توضأ شربوا ما فضل منه ومسحوا وجوههم بما وقع منه على الأرض، فقال ﷺ: «ما حملكم على ذلك؟» قالوا: حب الله ورسوله، لعل الله ورسوله يحبنا. فقال[3] : «المرء مع من أحب، فإن كنتم تحبون الله ورسوله، فحافظوا على ثلاث خصال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وحفظ الجوار، فإن أذى الجار يمحو الحسنات» . انتهى والله تعالى أعلم بالصواب.

***

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٣٤٠، ٢٣٤١)، كتاب الأحكام، ١٧ - باب من بنى في حقه ما يضر بجاره. وأحمد في مسنده (١/ ٣١٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٦٩، ٧٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٧٦).

(٢) ذكره الهندي في كنز العمال (٢٤٨٩٦)، بلفظ: «كحرمة دمه» .

(٣) حديث: «المرء مع من أحب» ، أخرجه البخاري (٨/ ٤٨)، ومسلم في صحيحه في البر والصلة رقم (١٦٥)، وأبو داود (٥١٢٧)، والترمذي (٢٣٨٦)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٩٢)، والمنذري في الترغيب (٤/ ٢٦، ٢٧).

الباب الثامن والأربعون

في الزهد والقناعة والتوكل على الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

وقال ﷻ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [1] [الحديد: ٢٠].

قال نجم الدين النسفي رحمه الله: كل صفة لثمان سنين إلى أربعين: لعب ثمان سنين، ولهو كذلك، وزينة وتفاخر وتكاثر كذلك، فإذا بلغ أربعين سنة فإن كان موفقًا أقبل على الآخرة وتزود لها وإلا فقد خسر خسرانًا مبينًا.

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾ [2] [الحديد: ٢٠]، أي الزرع؛ لأن الزارع يكفر البذر، أي يستره في الأرض. ﴿نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي يصير يابسًا، ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾، أي متكسرا، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لمن رغب في الدنيا، ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لمن تزود منها للآخرة.

وقال النبي ﷺ: «إن الله يحمي عبده الدنيا كما تحمون مريضكم الطعام والشراب» [3].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال [4]: «إن لله خواص يسكنهم الرفيع من الجنان في أعلى عليين، كانوا أعقل الناس» قلنا: يا رسول الله، كيف كانوا أعقل الناس؟ قال: «كان همهم المسابقة إلى الله والمسابقة إلى ما يرضيه، زهدوا في الدنيا وفي فضولها وفي رياستها ونعيمها فهانت عليهم، فصبروا قليلاً فاستراحوا طويلاً».

---

(١) هذا كما قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾.

(٢) قال ابن كثير: أي يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث، وكما يعجب الزراع كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار فإنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها. تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٣).

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٤٢٨)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨/ ٤٣٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٣٧٢)، (٤/ ١٢٥).

(٤) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية (٣٢٩٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١٧)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ٢١٦).

ذكر القرطبي في «التذكرة»: قال رجل : يا نبي الله، أخبرني بجلساء الله يوم القيامة؟ قال: «هم الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيرًا» . قال: فهم أول الناس دخولاً الجنة؟. قال: «لا».

قال: فمن أول الناس يدخلون؟

قال[1]: «الفقراء يسبقون الناس إلى الجنة، فتخرج إليهم الملائكة، فيقولون: علامَ نحاسب؟ ما أفيضت علينا الأموال في الدنيا فنقبض عليها ونبسط، وما كنا أمراء فنعدل ونجور، ولكن جاءنا أمر الله فعرفناه حتى أتانا اليقين» .

وقال النبي ﷺ: «اتقوا الله فإنه يقول يوم القيامة: أين صفوتي من خلقي؟ فتقول الملائكة: من هم يا ربنا؟ فيقول: الفقراء الصابرون الصادقون الراضون بقدري، أدخلوهم الجنة، فيدخلون الجنة ويأكلون ويشربون، والأغنياء في الحساب يترددون» .

● **فائدة:**

أصاب إبراهيم عليه السلام حاجة، فذهب إلى صديق له ليستقرضهم منه شيئًا، فلم يقرضه، فرجع مهمومًا، فأوحى الله إليه: لو سألتني لأعطيتك. قال: يا رب عرفت مقتك للدنيا فخشيت أن أسألك إياها فتمقتني، فأوحى الله إليه: ليست الحاجة في الدنيا.

وقال النبي ﷺ[2] : «من طلب الدنيا حلالاً واستعفافًا عن المسألة وتعطفًا على جاره لقي الله عز وجل ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلب الدنيا تكاثرًا مفاخرًا لقي الله وهو عليه غضبان» .

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: من أقام نفسه موقفًا في ذل في طلب الحلال حشره الله مع الصديقين، ورفعه إلى الشهداء يوم القيامة.

● **مسألة:**

الإقراض مستحب ثوابه، كل درهم بثمانية عشر حسنة، لأنه لا يكون إلا عن حاجة. وأما الاقتراض فيحرم فيما كان عاجزاً عن الوفاء أو نوى عدمه، ويجب الاقتراض في نفقة قريب أو بهيمة أو تلف ماله، وقد وجبت فيه الزكاة، فيجب أن يقترض قدرها لإخراجها.

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (٢/ ٨٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ١٤٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ١١٠)، (٨/ ٢١٥)، والشجري في أماليه (٢/ ١٧٣)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٤١٤)، (٨/ ١٢٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٢٠٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٢١٧).

موعظة:

كان رجل يخدم موسى عليه الصلاة والسلام ويقول: حدثني موسى كليم الله، حدثني موسى نجي الله، ثم افتقده موسى أيامًا فسأل عنه، فجاء رجل يقود خنزيراً، فسأل عنه الرجل، فقال: هو هذا الخنزير، فدعا موسى ربه أن يرده إلى حاله، فأوحى الله إليه لو دعوتني بما دعا به آدم فمن دونه فما أجبتك، ولكن أخبرك لما صنعت به هذا، إنه يأكل الدنيا بالدين.

وعن النبي ﷺ[1]: «من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس وجهه ومحق ذكره وأثبت اسمه في النار» ، رواه الطبراني.

حكاية:

قال بعض المفسرين في سورة يونس: إن عيسى عليه السلام مر على قرية فوجد أهلها أمواتًا على الطرقات من غير دفن، فسأل ربه عنهم فأوحى الله إليه: إذا كان الليل فادعهم فإنهم يجيبونك، فلما كان الليل ناداهم فقال رجل منهم: لبيك يا روح الله، فقال: ما قصتكم؟

قال: بتنا في عافية وأصبحنا في الهاوية.

قال: ولم؟

قال: لحبنا الدنيا كحب الصبي لأمه، إذا أقبلت فرحنا، وإذا أدبرت بكينا.

قال: فما بال أصحابك لا يجيبوني؟

قال: إنهم ملجمون بلجم من النار بأيدي ملائكة غلاظ شداد.

قال: فكيف أنت أجبتني من بينهم؟ قال: إني لست منهم، بل مررت بهم حال نزول العذاب فأصابني ما أصابهم وأنا معلق بشعرة على شفير جهنم، فلا أدري منها أنجو أم لا؟

حكاية:

قال النسفي رحمه الله تعالى في «زهرة الرياض»: لما تولى سليمان المُلك جاءه جميع الحيوانات يهنئونه إلا نملة واحدة، فإنها جاءت تعزيه، فعاتبها النمل في ذلك، فقالت: كيف أهنيه وقد علمت أن الله تعالى إذا أحب عبداً زوى عنه الدنيا وحبب إليه الآخرة؛ وقد شغل سليمان بأمر لا يدري ما عاقبته، فهو بالتعزية أولى من التهنئة.

وجاءه في أحد الأيام شراب من الجنة، فقيل له: إن شربته لم تمت. فشاور جنده إلا

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٠٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٦٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٢٠)، والشجري في آماليه (٢/ ٢٢١)، والسهمي في تاريخ جرجان (٣٤٢).

القنفذ فإنه كان غائبًا، فأشاروا عليه أن يشربه، فأرسل الفرس خلف القنفذ فلم يجبها، فأرسل الكلب خلفه فأجابه. فسأله سليمان عن الشراب، فقال: لا تشربه، فإن الموت في عز خير من البقاء في سجن الدنيا [١].

قال: صدقت، فأراق الشراب في البحر فطاب ماؤه. ثم قال له: كيف أطعت الكلب دون الفرس؟ فقال: لأنها تعدو بعدوها كصاحبها، والكلب لا يطيع إلا صاحبه.

● فائدة.

نقل في «العقد الفريد»: إن لحم القنفذ ينفع من الجذام ووجع الكلى، وهو حلال عند الشافعي ومالك، وحرام عند الإمامين.

● موعظة.

قال قتادة[٢] ﷺ: شهدت صلاة العشاء مع النبي ﷺ في ليلة مظلمة، فأعطاني عرجونًا وقال: «استضئ به حتى تأتي منزلك واضرب به الشيطان من زاوية بيتك»، فصار العرجون كالشمعة، فنظرت في زاوية البيت فرأيت قنفذًا فضربته حتى خرج. رواه الطبراني.

قال في نزهة النفوس: قد تقرر في العقول أن الجان يتصورون كثيرًا في صور القنفذ.

● حكاية.

قال مكحول رحمه الله: مر سليمان عليه السلام على بساط الريح بحراث، فقال: وددت أني أكلم سليمان عليه السلام على بساط الريح ثلاث كلمات، فأخبره الله تعالى بذلك، فنزل إليه وقال: أخبرني عن الكلمات الثلاث؟ فقال: يا نبي الله، أنت لا تجد لذة أمس، وأنا لا أجد تعبه، فأنا وأنت سواء، وأنت تموت وأنا أموت فنحن سواء، وأنت تحاسب على قدر ما أعطاك الله وأنا أحاسب على قدر ما أعطاني.

قال: فبكى سليمان وقال: يا رب، لولا أنك كريم لا ترجع في هبتك لسألتك الرجوع فيها.

---

(١) حديث: «الدنيا سجن المؤمن» أخرجه: مسلم في الزهد رقم (١)، والترمذي رقم (٢٣٢٤)، وابن ماجه (٤١١٣)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٩٧)، والحاكم في مستدركه (٣/ ٦٠٤).

(٢) قتادة بن ملحان، القيسيّ الجريري، السدوسي ﷺ، صحابي له حديث في الأيام البيض، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٨/ ٣٥٧)، تقريب التهذيب (٢/ ١٢٣)، الكاشف (٢/ ٣٩٧)، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ١٨٥)، الجرح والتعديل (٧/ ١٣٢)، الثقات (٣/ ٣٤٥)، أسد الغابة (٤/ ٣٨٩)، الإصابة (٥/ ٤١٦)، تراجم الأحبار (٣/ ٢٨٤)، الاستيعاب (٢/ ١٢٤٧).

● حكاية:

قال بعض العباد من بني إسرائيل: يا موسى، اسأل ربك أن يرزقني، فسأل ربه، فأوحى الله إليه: يا موسى، قليلاً سألت أم كثيراً؟

قال: يا رب، ارزقه كثيراً، فلما أصبح موسى وجد الرجل قد أكله السبع.

فقال موسى: يا رب سألتك أن ترزقه كثيراً، فأكله السبع.

فقال: يا موسى، إنك سألت له كثيراً، وكل ما في الدنيا قليل.

● حكاية:

قال ابن عباس رضي الله عنه، خرج موسى إلى شاطئ البحر، فوجد مؤمنًا وكافراً يصيدان السمك بشبكة، فالمؤمن يذكر ربه، فلا يصيد شيئًا، والكافر يذكر صنمه، فيقع السمك على شبكته، فتعجب موسى من ذلك، فأوحى الله إليه: يا موسى، انظر، فنظر إلى الجنة فيها حوض من ذهب مكتوب عليه اسم المؤمن فيه من الحيتان ما لا يحصى.

ثم قال: انظر يا موسى، فنظر إلى جهنم. وفيها قصر من نار مكتوب عليه اسم الكافر، وفيه من الحيات والعقارب ما لا يعلمه إلا الله، فأوحى الله إليه ، يا موسى قل لعبدي المؤمن: أيما أحب إليك حيتان البحر بدلاً عن نعيم الجنة، أو نعيم الجنة بدلاً عن حيتان البحر؟

قال: فبكى الرجل وقال: يا رب، إن منعت عني الرزق صبرت طمعًا في رضاك، فكيف لا أصبر على حيتان البحر.

● لطيفة:

قال النبي ﷺ [(١)] : «حبب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة والآخرة (ضربان)[(٢)]» .

فالجواب: أنه ﷺ كان مشرعًا، فحبب الله إليه ثلاثة أشياء لتكون شريعته متبعة إلى يوم القيامة، ولأن شم الطيب يزيد في العقل وبقدرة العقل يقوم الدين.

وقال الشافعي رحمه الله: من طاب ريحه زاد عقله، ومن نظف ثوبه قل همه.

---

(١) أخرجه النسائي (٧/ ٦١-المجتبى)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٢٨، ٢٨٥)، والحاكم في مستدركه (٢/ ١٦٠)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٣١١)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٠٥)، والقاضي عياض في الشفا (١٢/ ١٩٤)، والذهبي في الطب النبوي (٢٠، ٦٧).

(٢) كذا بالأصل.

وقال النبي ﷺ: «إن الله تعالى نظيف يحب النظافة، وطيب يحب الطيب، وجواد يحب الجود»[١]، رواه الترمذي. وذكر العلامة في تفسيره: أن الثوب النظيف يسبح الله تعالى.

وأما النساء: فهن سبب العفة، وقمع الشهوة، وبهن يكثر العباد، وبكثرة العباد تكثر العبادة.

وأما الصلاة: فهي أصل الإسلام، ولما كان فعلها في الدنيا أضيفت إليها، وقيل: أراد بالصلاة: الصلاة عليه من أمته، وقيل: بالصلاة منه على أمته، قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾، أي ادع لهم.

● حكاية:

قال بعض العارفين: رأيت كأن القيامة قد قامت والناس يذهبون إلى الجنة زمراً زمراً، فنظرت إلى طبقة أحسن الناس وجهًا، فذهبت لأكون معهم فأحالت الملائكة بيني وبينهم، فقلت لهم: ولم؟ قالوا: هؤلاء هم السابقون، لا يكون معهم إلا من كان له قميص واحد، وأنت لك قميصان، ومن كل شيء اثنان، فاستيقظت مرعوبًا، وصار لا يملك إلا واحداً من كل نوع.

● فائدة:

قال سهل بن (عبدالله)[٢] ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «من لبس ثوبًا وقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، غفر الله له ما تقدم من ذنبه»[٣]. رواه أبو داود من رواية معاذ بن أنس بزيادة: «وما تأخر أيضًا».

قال النووي رحمه الله: وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة.

وفي «مجمع الأحباب»، عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ: «حمدان عظيمان للإنسان: إذا جاءه ما يكره قال: الحمد لله على كل حال، وإذا جاءه ما يسره قال: الحمد لله رب العالمين الرحيم الرحيم الذي بنعمته تتم الصالحات».

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٧٩٩)، كتاب الأدب، باب ما جاء في النظافة. وقال الترمذي: حديث غريب. وأخرجه العجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٤١)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤/ ١٢٦)، والقاري في الأسرار المرفوعة (١٥٤)، والدولابي في الكنى والأسماء (٢/ ١٦)، والسيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (٦٠).

(٢) كذا بالأصل ووجدناه في سنن أبي داود (سهل بن معاذ بن أنس)، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال في آخره: «فقال: الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٢٣)، كتاب اللباس في فاتحته، والترمذي (١٧٦٧)، كتاب اللباس، باب ما يقول إذا لبس ثوبًا جديداً، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص٣١٠)، باب ما يقول إذا استجد ثوبًا، وابن ماجه (٣٢٨٥).

● **موعظتان:**

الأولى: نقل أبو الليث السمرقندي رحمه الله: أن ملكين التقيا في السماء الرابعة، فقال أحدهما للآخر: إلى أين؟. قال: أمرت بشيء عجيب. قال: ما هو؟، قال: في البلد الفلاني رجل يهودي قد دنت وفاته، وقد اشتهى سمكة، فلم توجد في بحرهم، فأمرني ربي أن أسوق إليه الحيتان ليصطادوا له منه سمكة، وذلك لأنه لم يعمل حسنة إلا كافأه الله بها في الدنيا. وقد بقيت له حسنة واحدة، فأراد أن يبلغه شهوته ليخرج من الدنيا وما له عند الله حسنة.

وقال الثاني: وأنا بعثني ربي بأمر عجيب، في البلد الفلاني رجل صالح ما عمل سيئة إلا كافأه الله عليها، وقد دنت وفاته فاشتهى زيتًا، وقد بقي عليه ذنبًا واحدًا، فأمرني ربي إن أريق الزيت ليحزن على ذلك، فيكفر الله عنه ذنبه، فيلقاه ولا ذنب عليه.

قال محمد بن كعب في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾: هو: الكافر يرى ثواب خيره في الدنيا. ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ قال: هو المؤمن يرى جزاء شره في الدنيا قبل الآخرة.

الثانية: قال محمد بن واسع[١] رحمه الله: اشتهيت كبدًا مشويًا أربعين سنة، ثم خرجت للجهاد لعل أن يقع في سهمي من الغنيمة شاة فأكل منها شهوتي، فرأيت في المنام ثلاثة نزلوا من السماء فكتبوا: «هذا خرج ليقال: شجاع، وهذا خرج يجاهد، وهذا خرج رياء»، ثم نظروا إليّ فقالوا: هذا شهواني اشتهى كبدًا مشويًا.

فقلت: بالله لا تفعلوا أنا تائب إلى الله تعالى لا أعود ولا أعود.

وقال الجنيد [٢] رحمه الله: دخلت على سري السقطي رحمه الله فرأيته يبكي فسألته فقال: جاءتني بنتي البارحة، وقالت: هذه ليلة حارة أفأعلق لك الكوز حتى يبرد؟ قلت: نعم، فرأيت في منامي حورية لم أر أحسن منها، فقلت: لمن أنت؟. قالت: لمن لا يشرب الماء البارد من الكيزان.

قال: فأخذت الكوز وضربت به الأرض فكسرته.

---

(١) محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس بن عائذ بن خارجة بن زياد بن شمس، أبو بكر، أبو عبدالله الأزدي البصري الزاهد، ثقة، عابد، كثير المناقب، أخرج له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، توفي (١٢٣، ١٢٧)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٩/ ٤٩٩)، تقريب التهذيب (٢/ ٢١٥)، الكاشف (٣/ ١٠٤)، البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٥٥)، ميزان الاعتدال (٤/ ٥٨)، سير الأعلام (٦/ ١١٩)، الجرح والتعديل (٨/ ١١٣).

(٢) الجنيد بن محمد بن الجنيد، أبو القاسم النهاوندي الأصل البغدادي القواريري، كان شيخ العارفين وقدوة السائرين وعلم الأولياء في زمانه، واختص بصحبة السري السقطي والحرمي وأبي حمزة البغدادي، وأتقن العلم وحدث بشيء يسير. تاريخ الإسلام وفيات (٢٩١-٣٠٠).

فإن قيل: كيف يمطر الله على أيوب عليه الصلاة والسلام جراداً من ذهب؟

قيل: جعله الله تعالى عوضًا عن الدود الذي أكله، فالجراد خلعة الطائع وعقوبة العاصي، لأنه مخلوق من الذنوب، وذلك أن المريض تلقى ذنوبه في البحر، فيخلق الله تعالى منها التمساح، فإذا مات التمساح صار دوداً ثم بعد الدود يكون جراداً بإذن الله.

وفي رواية: أنه مخلوق من طينة آدم عليه السلام.

● فائدة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال[1]: «إن الله تعالى ناجى موسى عليه السلام بمائة ألف وأربعة وعشرين ألف كلمة في ثلاثة أيام، وكان مما ناجاه أن قال: يا موسى، إنه لم يتصنع بمثل الزهد في الدنيا، ولم يتقرب إليّ المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم، ولم يتعبد إليّ المتعبدون بمثل البكاء من خشية الله. قال موسى: يا رب البرية، ومالك يوم الدين، ويا ذا الجلال والإكرام، ماذا أعددت لهم؟ وماذا أجزيتهم؟ قال: أما الزاهدون في الدنيا: فإني أبحتهم جنتي يتبوأون منها حيث شاءوا، وأما الورعون عما حرمت عليهم: فإني أستجيب لهم وأجلّهم وأكرمهم، فأدخلهم الجنة بغير حساب، وأما البكاءون من خشيتي: فأولئك لهم الرفيق الأعلى ليشاركوا فيه».

● موعظة:

ذكر بعض المفسرين في سورة النمل: أن إبليس يعرض الدنيا على من يريدها كل يوم فيقول: من يشتري من يضره ولا ينفعه ويهمه ولا يسره؟ فيقول أصحابها وعشاقها: نحن. فيقول: إنها معيوبة. فيقولون: لا بأس. فيقول: ثمنها ليس بالدراهم والدنانير، ولكن بنصيبكم من الجنة، فإني اشتريتها بأربعة أشياء: بلعنه الله وغضبه وسخطه وعذابه، وبعت الجنة بها. فيقولون: رضينا بذلك. فيقول: أريد أن أربح بأن توطنوا قلوبكم على أن لا تدعوها. فيقولون: رضينا بذلك. فيقولون: نعم. فيبيعهم إياها، ثم يقول: بئست التجارة.

● لطيفة:

لما مر سليمان بوادي النمل قالت نملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

وإنما قالت ذلك خوفًا على قلوبهم أن تميل إلى الدنيا، فلما سلم عليها سليمان قالت:

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٢٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٠٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ١١٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٥٩)، والآجري في الشريعة (٣٢٧).

وعليك السلام أيها الفاني المشتغل بملك فان، أتظن يا سليمان أن لك أمراً ونهيًا، فأنا نملة ضعيفة لي أربعون ألف مقدم تحت يد كل مقدم أربعون صفًا من النمل كل صف من المشرق إلى المغرب. قال: كيف تلبسون السواد؟ قالت: لأن الدنيا دار مصيبة، فلباس أهل المصائب السواد. قال: فما هذا الحز الذي في وسطك؟ قالت: هذه منطقة الخدمة للعبودية. قال: فما لكم تبعدون عن الخلق؟ قالت: لأنهم في غفلة فالبعد عنهم أولى. قال: فما لكم عراة؟ قالت: هكذا وردنا إلى الدنيا وهكذا نخرج منها. قال: فكم تأكل النملة؟ قالت: حبة أو حبتين. قال: ولم؟ قالت: لأنا على سفر، والمسافر كلما خف حمله خف ظهره. قال: اطلبي مني حاجة؟ قالت: أنت عاجز، والطلب منك غير جائز. قال: لابد من الطلب. قالت: زد في رزقي وعمري. قال: اطلبي شيئًا يكون في يدي. قالت: إن الله يقضي الحوائج. قال: ما اسمك؟ قالت: منذرة، أنذر أصحابي من الدنيا الساحرة، وأرغبهم في الآخرة.

ثم قالت: يا سليمان، ما أفخر ما أوتيت في ملكك؟ قال: الخاتم؛ لأنه من الجنة. قالت: تعلم معناه؟ قال: لا. قالت: معناه: الذي ملكت من الدنيا في يدك بقدر فص الخاتم. ثم قالت: هل غير هذا؟ قال: بساط من الجنة يحملني على ظهر الريح. قالت: هذا تنبيه على أن جميع ما معك كمثل الريح، اليوم معك وغداً يزول عنك. قال: فإن غدوها شهر ورواحها شهر. قالت: فيه إشارة إلى أن عمرك يطير، وأنت مستعجل بالمسير. قال: عُلِّمنا منطق الطير. قالت: اشتغل بمناجاة الله عن مناجاة الغير. قال: أَخْدمني بالجن والإنس.

قالت: فيه إشارة إلى أني أشغلت الخلق بخدمتك، فاشتغل أنت بخدمتي.

قال: إني أستأنس بفص الخاتم؛ لأن عليه اسم الله تعالى.

قالت: استأنس بالمسمى يغنيك عن الاسم.

● **فائدة:**

أراد الحسن أن ينقش على خاتمه، فلم يدر ما يكتب عليه، فرأى عيسى ابن مريم عليه السلام في منامه، فسأله عن ذلك، فقال: اكتب عليه: لا إله إلا الله الملك الحق المبين، فإنها تذهب بالغم والجنون، وهي خاتمة الإنجيل.

وكان نقش خاتم الإمام مالك رحمه الله: حسبي الله ونعم الوكيل.

وخاتم موسى عليه السلام : لكل أجل كتاب.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: لما ناجى موسى ربه على جبل الطور رأى الجبار جل جلاله في أصبعه خاتمًا، فقال: يا موسى، ما هذا؟ وهو أعلم.

قال: شيء من حلي الرجال.

قال: فهل عليه من أسمائي مكتوب أو كلامي؟ قال: لا.

قال: فاكتب عليه : لكل أجل كتاب، أي لكل أمر كتب الله أجل مؤجل ووقت معلوم، نظيره ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾.

● مسألة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن قول النبي ﷺ: «من أحب أن يمد الله في عمره ويبسط له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه» [١].

كيف يزاد في الأجل؟

فقال: قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ [الأنعام: ٢].

فالأول: أجل العبد من ولادته إلى وفاته. والثاني: من وفاته إلى لقاء ربه في البرزخ، فإذا اتقى العبد ربه، ووصل رحمه زاد الله في أجله الأول من أجله الثاني، وإذا عصى ربه وقطع رحمه زاد في الثاني من الأول.

وقال بعضهم: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [٢] [الرعد: ٣٩]، يعني الدنيا. ﴿وَيُثْبِتُ﴾ : الآخرة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لله تعالى لوح محفوظ طوله خمسمائة عام من درة بيضاء، له دفتان من ياقوتة حمراء، ينظر فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة، فيمحو الله ما يشاء ويثبت ما يشاء، والإثبات في اليوم العاشر من رجب.

وقال مجاهد: في رمضان، وقال الكلبي: يكتب كل قول، ثم يوم الخميس يمحو ما لا ثواب فيه نحو أكلنا وشربنا، ويثبت ما فيه الثواب.

وعن النبي ﷺ [٣] : «إن الله يفتح الذكر في ثلاث ساعات تبقين من الليل، فينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي يعلم ما هو خالق وما خلقه، يقول لعلمه: كن كتابًا.

وقيل: ﴿أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: اللوح المحفوظ. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه القرطبي في تفسيره (٩/ ٣٣٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧٣).

(٢) اختلف المفسرون في ذلك فقال ابن عباس: يدبر أمر السنة، فيمحو الله ما يشاء إلا الشقاء والسعادة والحياة والموت. وقال مجاهد: إلا الحياة والموت، والشقاء والسعادة، فإنهما لا يتغيران. تفسير ابن كثير (٢/ ٥٣٤).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ١٢٤)، (١٣/ ١١٤)، والقرطبي في تفسيره (٩/ ٣٣٢).

وعن معاذ ﷺ: ركعتان من متختم أفضل من سبعين ركعة من غير متختم.

وعن النبي ﷺ[١]: «تختموا بالعقيق، فإنه لا يصيبكم غم ما دام عليكم».

ثم قالت النملة: يا سليمان: أتدري لما سمي أبوك «داود»؟

قال: لا.

قالت: لأنه داوى جرح فؤاده.

وقال النبي ﷺ: «كان داود أعبد البشر»[٢]، رواه الترمذي.

وأبوه اسمه: إيشا، بكسر الهمزة، ثم مثناة تحت ساكنة، ثم شين معجمة. حكاه النووي رحمه الله في «تهذيب الأسماء».

ثم قالت: أتدري لم سُمِّيت: «سليمان»؟

قال: لا.

قالت: لأنك سليم القلب، وآن لك أن تلحق بأبيك داود.

فعند ذلك طلب الإقالة من ربه ﷻ في الملك، فخرج الجواب عن ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

قال النووي رحمه الله: ملك سليمان وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وعاش عليه السلام ثلاثًا وخمسين سنة.

● لطيفة:

قال النسفي رحمه الله تعالى: يا مؤمن لك البشرى، هذا سليمان طلب الإقالة من ربه في الملك فما أقاله، فكيف ينزع منك الإيمان، وأنت تطلب حفظه مدة عمرك؟! وكان بين موت سليمان ومولد نبينا عليهما الصلاة والسلام ألف وسبعمائة عام، والله تعالى أعلم.

● مواعظ:

الأولى: قال وهب بن منبه رحمه الله: بينما الخضر عليه السلام على شاطئ البحر إذ جاءه رجل فقال: سألتك بحق الله أن تعطيني شيئًا؟

فقال: لا أملك إلا نفسي قد وهبتكها، فأخذه فباعه لرجل له بستان، فاستعمله فيه

---

(١) أخرجه السيوطي في الحاوي للفتاوي (٢/ ١٠٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٩٠)، كتاب الدعوات، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٣٣)، والبخاري في التاريخ الكبير (٨٩)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٠٧).

فعمل عملاً لا يعمله غيره، فقال صاحب البستان : بحق الله من أنت؟

قال: أنا: «الخضر».

قال: أنت حر لوجه الله. فسجد؛ فنودي: يا خضر، طلبت الدنيا واتخذتها سكنًا حتى ابتلاك الله بالرق، وذلك أنه كان قد بنى صومعة وغرس شجرة.

الثانية: جاء في الخبر: إن الدنيا تمثلت لعلي ﷺ في صورة امرأة قد تزينت له بكل زينة وهي تظن أنه لا يعرفها. فقال: ألست الدنيا؟ قالت: بلى، فكيف عرفتني؟ فقال علي ﷺ: كشف لي الغطاء. فقالت: كلمني. قال: أنت مطلقتي وكلام المطلقة حرام، اخرجي من داري. فقالت: الدار داري. قال: صدقت، فخرج وتركها، فخرجت خلفه لتقد قميصه كـ «زليخا» مع يوسف ﷺ، فلم تجد له إلا (ذراعًا)[1]، فقالت: سلمت مني يا علي.

قال: اخدعي غيري، وأنشد في ذلك:

عتبت على الدنيـــا فقيل إلى متـى ... أكابد حزنًا همه ليـس ينجلـي

فقالت نعم يا ابن الكـــرام لأنني ... غضبت عليكم منذ طلقني علي

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: من زهد قرت عيناه غداً بما يرى من السرور. ثم قال رحمه الله شعراً:

وما هي إلا جيفـــة مستحيلـــة ... عليها كلاب همهم اجتذابهـــا

فإن تجنبتها كنت سلمًا لأهلهـــا ... وإن تجتذبها نازعتك كلابهـــا

وقال غيره:

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ... ونال من الدنيا سروراً وأنعما

كبانٍ يبني بنيانـــه فأتمـــــه ... فلما استوى ما قد بناه تهدمـا

الثالثة: رأى بعض الزهاد طعاماً وقد فاحت رائحته فاشتهاه وتبع صاحبه إلى السوق فسمع قائلاً يقول: إن البطاط أخذ من جيب فلان دراهم، فنظروا فرأوا الزاهد، فوجدوه غريبًا فأخذه الوالي إلى السجن، وكان ذلك الطعام محمولاً إلى السجن لبعض الأكابر، فلما قدمه بين يديه قال للزاهد: كل فأكل حتى شبع.

ثم قال: يا إلهي كنت قادراً على أن تطعمني هذا الطعام بغير تهمة السرقة، فهتف به هاتف يقول: من طلب الجيف فليصبر على عض الكلاب. وإذا بشخص يقول: قد وجدنا اللص الذي أخذ الدراهم، فأخرجوا الغريب من السجن.

قال القرطبي رحمه الله: «المعقبات» عشرون ملكًا مع كل آدمي، وإبليس مع ابن آدم

---

(١) كذا بالأصل وأظنه : (إزارًا).

بالنهار وولده بالليل.

وقيل: مع كل آدمي ملكان يحفظونه من أمر الله، أي بأمر الله وبإذنه.

وقيل: يحفظونه عن أمر الله لا من عند أنفسهم، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾، أي عن جوع.

وفي الهاء من قوله: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾، ثلاث أقوال:

الأول: لله.

والثاني: لمحمد ﷺ، فالملائكة تحفظه من أعدائه.

والثالث: للمستخفي بالليل وسارب بالنهار، وهو الساعي في حوائجه بسرعة.

وقيل: السارب المتواري في السرب.

والمعنى: أنه لا يخفى عليه في الليل والنهار شيء.

انتهى والله أعلم.

فصل في القناعة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣]، أي قناعة. ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤] أي في طمع. وقال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

قال في الرسالة القشيرية: قال كثير من المفسرين: المراد بالحياة الطيبة في الدنيا هي القناعة.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾ [الشعراء: ٨١]، أي: يميتني بالطمع، ويحيين بالقناعة.

وقال الجنيد رحمه الله في قوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾[1] [النمل: ٢١]: أي لألبسنه ثوب الطمع، ولأحرمنه القناعة.

قال السلمي في حقائقه: في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٌ﴾ أي: تبيض وجوه قوم بالقناعة وتسود وجوه قوم بالطمع.

---

(١) قال الأعمش بسنده عن ابن عباس: يعني نتف ريشه، وقال عبدالله بن شداد: نتف ريشه وتشميسه. وكذا قال غير واحد من السلف: إنه نتف ريشه وتركه ملقى يأكله الذر والنمل. تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٢).

● لطيفة:

قال في الرسالة القشيرية: لما مر الخضر عليه السلام بالجدار قال موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، فلما خرجا من القرية دعا الخضر ظبيًا فوقف بينهما، فصار الجانب الذي يلي الخضر لحمًا مشويًا، والجانب الذي يلي موسى لحمًا طريًا.

فسأله موسى عن ذلك، فقال: لأنك طمعت وأنا قنعت. أو قال كلامًا هذا معناه.

وقال في كتاب العقائق: جاءهما طبقان من الهواء على أحدهما خبز وسمك مشوي، فوقع بين يدي الخضر [١]، والآخر عليه سمك طري، فوقع بين يدي موسى؛ فتبسم الخضر وقال: أنا صبرت وأنت لم تصبر.

وقيل: جاءهما غزال فانشق نصفين، النصف الذي يلي الخضر صار مشويًا، والنصف الذي يلي موسى صار لحمًا طريًا، فتكلف موسى النار والحطب حتى أصلحه وأكله.

والقرية هي: أنطاكية، والجدار طوله مائة ذراع وخمسون ذراعًا، وعرضه سبعون ذراعًا. وكان مال على طريق الناس فدفعه بساعده وساعده موسى فاستوى كما كان.

● مسألة:

لو بنى جداره مستويًا، فمال إلى شارع وتمكن من إصلاحه فلم يصلحه حتى سقط وتلف به نفس أو مال، فلا ضمان عليه. وإن بناه مائلاً إلى الشارع فسقط عليه الضمان.

ولو باعه لغيره، لم يسقط الضمان عنه.

وما تولد من جناح إلى شارع فمضمون، ويتصرف كل واحد في ملكه بالمعروف ولا ضمان.

فإن خالف ضمن، ولو وضع حجرًا في ملكه أو سكينًا أو جره بريح أو ابتل موضعها فسقطت على نفس أو مال أو كسر حطبًا في ملكه، فأصاب عينًا فأبطل ضوءها، أو حفر بئرًا (فعدى)[٢] جداره فانهدم، أو غار ماء بلوعته فتغير ماء بئر جاره، فلا ضمان في الجميع إلا أن يخالف العادة في سعة حفر البئر، أو في تقريب حفره من الجدار.

---

(١) الخضر هو العبد الصالح الذي لقيه موسى عليه السلام، قال ابن كثير: فلقي الخضر فسلم عليه فقال له الخضر: وعليك السلام، وأنى يكون السلام بهذه الأرض، ومن أنت؟ قال: أنا موسى. قال الخضر: صاحب بني إسرائيل؟ قال: نعم، فرحب به وقال: ما جاء بك؟ قال: جئتك ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ يقول: لا تطيق ذلك. ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾. قال: فانطلق به وقال له: لا تسألني عن شيء أصنعه حتى أبين لك شأنه، فذلك قوله: ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾. تفسير ابن كثير (٣/ ٩٨).

(٢) كذا بالأصل.

ولو سقى أرضه فخرج الماء من شق مثلاً إلى زرع غيره فتلف فلا ضمان، إلا أن يجاوز العادة في قدر الماء، أو يكون عالمًا بالشق فيضمن.

ولو أوقد نارًا على سطحه فطارت إلى ملك غيره، فلا ضمان، إلا أن يجاوز العادة في قدرها أو أوقدها في ريح عاصفة، فإن عصفت بعدما أوقدها فلا ضمان.

وإن تلف شيئًا بماء ميزابه فعليه الضمان.

وإن سقط الخارج فعليه كل الضمان، مثاله: سقط كل الميزاب على شيء يساوي درهمًا مثلاً فأتلفه فيلزمه نصف درهم، وإن سقط البارز فقط فيلزمه كل الدرهم، والله تعالى أعلم.

فصل في التوكل على الله ﷻ

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وقال النبي ﷺ: «من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله»[١].

وقال الحسن البصري رحمه الله: التوكل على الله هو الرضا بفعل الله.

وقال ابن عيينة: التوكل هو اعتماد القلب على الله.

وسيأتي الفرق بين: «التوكل» و«التسليم» و«التفويض» آخر الباب.

وفي تفسير القرطبي رحمه الله: عن النبي ﷺ[٢]: «ما من زرع على الأرض ولا ثمار على أشجار ولا حبة في ظلمات الأرض إلا عليها: بسم الله الرحمن الرحيم، رزق فلان بن فلان».

● حكاية:

قال في كتاب العقائق: إن رجلاً من أهل البصرة اجتمع عليه دين فطالبه الغرماء، فلم يجد من يقرضه فهرب إلى الكوفة، ودخل جامعها وقال: يا ملائكة ربي ارفعوا قصتي إلى الله، فإني غريب ومديون. فجاء رجل وأيقظه من نومه وقال: يا صاحب القصة اجلس فهذه ثلاثة آلاف دينار.

فسأله عن ذلك، فقال: كنت نائمًا فرأيت قائلاً يقول: في المسجد غريب ومديون، وقد

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٥/ ١٨٢).

(٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ١٣٠)، والقرطبي في تفسيره (٧/ ٤)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٤٦).

رفع قصته إلينا، فادفع له ثلاثة آلاف دينار، فإذا نفدت فائتني فأنا فلان بن فلان.

قال: معاذ الله أن أرفع قصتي إلا لمن أرسلك إليّ.

● **لطيفة:**

قال الشبلي رحمه الله: من ركن إلى الدنيا صار رماداً تذروه الرياح، ومن ركن إلى الآخرة أحرقه بنور التوحيد فصار جوهراً لا قيمة له.

● **حكاية:**

ذكر في كتاب العقائق: إن ملكين نزلا من السماء أحدهما إلى المشرق، والآخر إلى المغرب، ثم رجعا آخر النهار، فالتقيا في السماء، فقال أحدهما لصاحبه: أين كنت؟

قال: في المشرق أرسلني ربي إلى كنز رجل فخسفت به الأرض.

فقال الآخر: وأنا أرسلني ربي بأمر عجيب أمرني أن آخذ الكنز من قرار الأرض، فأجعله في دار فقير بالمغرب، ليس له درهم ولا دينار.

فسمعهما رضوان بواب الجنة فقال: قصتي أعجب من ذلك، إن الله تعالى أمرني أن أذهب إلى دار الفقير، وأعد الكنز كم هو درهم ودينار، ففعلت.

ثم أمرني أن أبني قصوراً في الجنة بعدد كل درهم ودينار لصاحب الكنز والفقير.

فقال الملكان: ربنا أطلعنا على هذه الكرامة التي أكرمت بها صاحب هذا الكنز والفقير. فقال سبحانه وتعالى: لما خسفت بالكنز قال صاحبه: الحمد لله الذي جعلني راضيًا بقدره، وأما الفقير فلم يفرح بالكنز، بل قال: أنا في خزانة من لم يحوجني إلى غيره.

● **فائدة:**

رأيت في تفسير الرازي في سورة آل عمران: أن عيسى ﷺ مر بالحواريين رضي الله عنهم وهم يصطادون السمك فقال لهم: تعالوا نصطاد الناس. فقالوا: من أنت؟ قال: عيسى ابن مريم. فآمنوا به، فلما تركوا الصيد جاءوا، فأخبروا عيسى بذلك، فضرب الأرض، فخرج لكل واحد رغيفان. ثم قالوا: عطشنا، فضرب الأرض فخرج الماء. فقالوا: من أفضل منا؟ قال: من يأكل من كسبه.

وقال النبي ﷺ: «**إن الله يحب المؤمن المحترف**»[(١)]، رواه البيهقي والطبراني أيضًا

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٦٢)،/ والذهبي في ميزان الاعتدال (٩٩٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٢٤)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٩٩).

وقال: سئل النبي ﷺ: أي الكسب أفضل؟ قال: «عمل الرجل بيده، وبيع مبرور»[(١)]، رواه الطبراني.

● **مسألة:**

لو قال: «أنت طالق في أفضل ساعات اليوم» طلقت بطلوع الفجر، لأنها أفضل الساعات. قاله ابن العماد.

قال مؤلفه: فإن قال ذلك يوم الجمعة[(٢)] فهل يكون الأمر كما قاله ابن العماد: «ولا تطلق إلا بانقضاء صلاة الجمعة»؛ لأن الصواب أن ساعة الإجابة من جلوس الخطيب على المنبر إلى أن ينصرف من الصلاة أو بغروب الشمس يقع الطلاق، لأن جماعة قالوا: ساعة الإجابة من العصر إلى غروب الشمس؟ فيه احتمال.

● **فائدة:**

يستحب إيقاظ النائم في المسجد، أو في محرابه، أو في الصف الأول، أو قبل العشاء، أو بعد الصبح، أو بعد العصر، أو في بيت وحده، أو على وجهه، أو بعضه في الشمس وبعضه في الظل، أو على سطح غير محوط، أو بنحو النصف الأخير من رمضان لتسحر أو ليصلي.

ولو نام جنب في المسجد عمداً وجب إيقاظه، وكذا لو نام عند ضيق وقت الصلاة، أو نام عن صلاة، وجب قضاؤه على الفور.

وقال النبي ﷺ: «جعل رزقي تحت ظل رمحي»[(٣)]، حكاه القرطبي في سورة الفرقان.

وحكي أيضًا: أن رجلاً قال للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: إني أريد الحج على قدم التوكل. فقال: أتخرج وحدك؟ قال: لا، بل مع الناس. فقال: أنت متوكل على زادهم.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٣٣٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٠)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٤١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٢٣).

(٢) حديث: «إن في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيرًا إلا أعطاه إياه» أخرجه مسلم (١٥) كتاب الجمعة، ٤-باب في الساعة التي في يوم الجمعة. والنسائي (٣/ ١١٥، ١١٦ - المجتبى)، وابن ماجه (١١٣٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٩)، وابن خزيمة في صحيحه (١٧٣٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢١٧)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٢١).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ٤٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٠، ٩٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣١٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٦٧)، (٦/ ٤٩)، والقرطبي في تفسيره (٨/ ١٠٨)، (١٠/ ١٤٨)، (١٣/ ١٤)، وابن كثير في تفسيره (١/ ٢١٣)، (٨/ ٥٣)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/ ٧٧)، (٥/ ٤١٩).

● لطيفة:

الزاهد الصادق قوته ما وجد، ولباسه ما ستر، ومسكنه ما أدرك، والدنيا سجنه، والقبر مضجعه، والخلوة مجلسه، والاعتبار فكرته، والقرآن حديثه، والرب أنيسه، والذكر رفيقه، والزهد قرينه، والحزن رداءه، والصمت غنيمته، والصبر معتمده، والتوكل حسبه، والعقل دليله، والعبادة حرفته، والجنة إن شاء الله تعالى وطننا ووطنه. حكاه في «الإحياء» عن يحيى بن معاذ رحمه الله.

● فائدة:

تعوذ النبي ﷺ من جهد البلاء [(١)]. قال عمر رضي الله عنه: هو: قلة المال، وكثرة العيال.

وقال غيره: هو الجار السوء، والرسول البطيء، والمرأة المخاصمة، والحطب الرطب، والسراج المظلم، والبيت الذي يدلف – أي يقطر منه- ماء المطر، ومائدة حضرت وانتظار غائب، وحق ضيف، وهرة تعوي.

قال العلاميّ في قوله تعالى حكاية عن مريم: ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِ﴾، أي: أشارت في الظاهر إلى الولد، وفي الباطن إلى الأحد، فأنطق الله الولد ببراءتها.

قال ابن عباس: رضي الله عنهما: كان الحمل والولادة في ساعة واحدة[(٢)]، وقيل: كعادة النساء.

وولدته ببيت لحم. وقيل: بالناصرة، قرية من قرى اللحون عند صفورية. هذا كلام العلاميّ رحمه الله.

فاتهمت اليهود زكريا عليه السلام بالفاحشة مع مريم لأنه كان يدخل عليها فطلبوه، فهرب إلى شجرة فانفتحت له، فدلهم الشيطان عليها، فوضعوا المنشار. فأوحى الله إليه: لئن قلت:

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٦٦١٦)، كتاب القدر، ١٣- باب من تعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء، ومسلم (٢٧٠٧)، والنسائي (٨/ ٢٦٩-٢٧٠ -المجتبى)، وابن الإمام في سلاح المؤمن في الدعاء والذكر (٩٨٥)، ولفظه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((تعوذوا من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء)).

(٢) اختلف المفسرون في مدة حمل عيسى عليه السلام، فالمشهور عند الجمهور أنها حملت به تسعة أشهر، وقال عكرمة: ثمانية أشهر، قال: ولهذا لا يعيش ولد الثمانية أشهر. وقال ابن جريج بسنده عن ابن عباس: وسئل عن حمل مريم؟ قال: لم يكن إلا أن حملت فوضعت، وهذا غريب، وكأنه مأخوذ من ظاهر قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾، فالفاء وإن كانت للتعقيب لكن تعقيب كل شيء بحسبه. فالمشهور الظاهر والله على كل شيء قدير: أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن، ولهذا لما ظهرت مخايل الحمل بها وكان معها في المسجد رجل صالح من قراباتها يخدم معها البيت المقدس يقال له: يوسف النجار. .... إلى آخره، ثم قال: وشاع الحديث في بني إسرائيل فقالوا: إنما صاحبها يوسف، ولم يكن معها في الكنيسة غيره، وتوارت من الناس واتخذت من دونهم حجابًا فلا يراها أحد ولا تراه. تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٠).

«آه» لأمحون اسمك من ديوان النبوة؛ هل التجأت إلينا، وقد وكلناك إلى الشجرة؟! فشقوه نصفين، كما فعلوا بشعيب النبي ﵇ . وأمر الله تعالى الملائكة فغسلوه وصلوا عليه ودفنوه بسبطية من أرض نابلس.

ورأيت في تفسير القرطبي في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾: أن عيسى ﵇ أقبل عليهم بوجهه وترك الرضاعة، واتكأ على يساره وأشار بمسبحته اليمنى، و﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾. فأول ما نطق بالاعتراف لله بالعبودية، ﴿ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يعني الإنجيل، ﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ أي قضى لي بذلك في الأزل. وقيل: علمه الكتاب وأعطاه النبوة في تلك الساعة، والأول أصح.

﴿وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ أي إذا أدركني التكليف.

قال القرطبي: وسمعت أن مريم سمعت قائلاً عند ولادتها يقول: اخرج يا من يُعبد من دون الله، فعند ذلك ﴿قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ﴾.

واعلم أن الماضي يكون بمعنى المستقبل في مواضع من القرآن: منها: ﴿مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾ أي يكون. ومنها: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾، أي سيأتي أمر الله.

قال قتادة: رأت امرأة عيسى يبرئ الأكمه وهو الذي خلق الأعمى والأبرص ويحيي الموتى، فقالت: طوبى لبطن حملك ولثدي أرضعك. فقال: طوبى لمن قرأ كتاب الله وعمل بما فيه.

فإن قيل: كيف عوتب زكريا بالتجائه إلى الشجرة، والنبي ﷺ قد التجأ إلى الغار وما عوتب؟

فالجواب: إنه التجأ إليه بأمر الله تعالى.

فإن قيل: كيف قال الخضر ﵇ لما خرق السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ﴾ وفي قتل الغلام: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾، وفي إقامة الجدار ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾؟

فالجواب: عوتب في الأول، فقيل له: أي إرادة لك؟! ولما قال: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾، قيل: كيف تشرك إرادتك مع إرادتنا، فرد الإرادة إلى الله تعالى وقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾.

فإن قيل: ما الحكمة في أن الله تعالى أمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما سأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى أن يأخذ أربعة من الطير وهن: الطاووس والديك والغراب والنسر[1]؟

---

(١) قوله تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ اختلف المفسرون في هذه الأربعة ما هي؟ وإن كان لا طائل تحت تعيينها؛ إذ لو كان في ذلك مهم لنص عليه القرآن، فروي عن ابن عباس أنه قال: هي الغرنوق، والطاوس، والديك، =

فالجواب: لأن أعداء الآدمي أربعة: الدنيا والهوى والنفس والشيطان. والإشارة في ذلك إلى نفس الشهوات الأربعة.

فالطاووس إشارة إلى زينة الدنيا، لأنه أكثر الطيور زينة، وأكله حلال عند مالك والإمام أحمد. والغراب: إشارة إلى الحرص؛ لأنه أكثر الطيور حرصًا. والديك: إشارة إلى الشهوات؛ لأنه أكثر الطيور شهوة. والنسر: إشارة إلى العجب لأنه أكثر الطيور عجباً؛ لأنه ربما عاش ألف سنة، ويلحق السحاب.

فكأنه يقول: خذ هذه الأربعة واجعل كلاً منها على جبل [١].

فالحرص على جبل الترك، والزينة على جبل الزهد، والعجب على جبل التواضع، والشهوة على جبل الإخلاص.

فإن قيل: ما الحكمة من أن سليمان ﷺ رد الله عليه الشمس بعدما غربت حتى صلوا العصر؟

قال علي ﷺ في قوله تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ يعني الشمس، فأمر الله تعالى الملائكة الموكلون بها فردوها على سليمان بعد غروبها. ومحمد ﷺ ما رد الله عليه الشمس حين نام في الوادي بل صلى الصبح قضاء؟

فالجواب: أن محمداً ﷺ وكل يقظتهم إلى مخلوق، وهو بلال الحبشي ﷺ.

وجواب آخر وهو أحسن: إن سليمان ﷺ حكم عليه الوقت، فلا تصح الصلاة إلا فيه. ومحمد ﷺ حكم على الوقت، فتصح الصلاة فيه قضى منه ومن أمته.

بل قد يخرجها عن وقتها عمداً ولا إثم عليه، وذلك فيما لو بقي من الليل ما يسمح العشاء فقط لو اشتغل بها فاته الوقوف بعرفة، فإنه يؤخرها عمداً ويدرك الوقوف ويصليها قضى؛ لأن فوات الحج أعظم مشقة من فوات الصلاة.

مع أن الشمس قد ردت له ﷺ في بعض الأوقات.

=والحمامة. وعنه أيضًا أنه أخذ: وزاً، ورألاً وهو فرخ النعام، وديكًا، وطاووسًا، وقال مجاهد وعكرمة: كانت حمامة وديكًا وطاووسًا وغرابًا. تفسير ابن كثير (١/ ٣١٥).

(١) قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي وقطعهن، قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو مالك وأبو الأسود ووهب بن منبه والحسن والسدي، وذبحهن ثم قطعهن ومزقهن وخلط بعضهن ببعض ثم جزأهن وجعل على كل جبل منهن جزءاً. قيل: أربعة أجبل، وقيل: سبعة. قال ابن عباس: وأخذ رءوسهن بيده ثم أمره الله ﷻ أن يدعوهن فدعاهن كما أمره الله ﷻ فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش والدم إلى الدم واللحم إلى اللحم والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها إلى بعض حتى قام كل طائر على حدته، وأتينه يمشين سعيًا ليكون أبلغ له في الرؤية التي سألها، وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه التي في يد إبراهيم ﷺ. تفسير ابن كثير (١/ ٣١٥).

ورأيت في كتاب «الشفا»: إنه ﷺ كان يوحى إليه ورأسه على حجر علي ﵁، فلم يصل العصر حتى غابت، فقال: «أصليت؟» قال: لا يا رسول الله، فقال: «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس، فطلعت بعدما غربت»[١].

ونقل ابن العماد في «الذريعة»: إن الشمس ردت له يوم الخندق بعدما غربت حتى صلى العصر. ذكره الطحاوي وقال: إن رواته ثقات.

ثم حبست له صبيحة الأسرى، فيكون وقوف الشمس خمس مرات: مرتان لمحمد ﷺ، ومرة لعلي ﵁، ومرة ليوشع بن نون، ومرة لسليمان ﵇ ، فإذا ثبت أن الشمس ردت للنبي ﷺ فقد ارتفع السؤال وزال الإشكال.

ولقد أجاد القائل:

والشمس بعد غروبها رد له ... والبدر بين يديه شق وأفرجا

انتهى. والله تعالى أعلم.

***

(١) أخرجه القرطبي في تفسيره (١٥/ ٩٧)، والفتني في تذكرة الموضوعات (٩٦)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ١٧٤)، وابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٩٠، ٩٢)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٩٧١).

الباب التاسع والأربعون

في حفظ الأمانة وترك الخيانة، وفضل الزواج وذم الطلاق والتحذير من اللواط، وذكر النساء وفضل الزراعة وبيان قوله ﷺ: «خلقتم من سبع ورزقتم من سبع»

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وقال ﷻ: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل:٩١]، أي تشديدها، وتغليظها.

وقال ابن عمر: التوكيد أن يحلف مرتين، والفرق بين العهد واليمين: وجوب الكفارة فقط.

● **حكاية:**

قال في الإحياء: إن رجلاً واعد النبي ﷺ أن يأتيه في مكانه، فنسي الرجل اليوم الأول والثاني، ثم جاء في الثالث فوجده ﷺ مكانه، فقال: «**يا فتى لقد شققت عليّ، أنا هاهنا ثلاثة أيام أنتظرك**»(١).

ورأيت في تفسير القرطبي في سورة مريم لكنه قال: إن ذلك قبل النبوة.

ذكر بعض المفسرين في قوله حكاية عن إسماعيل عليه السلام: فيه سنة ثم جاءه وقال: مكانك حتى آتيك، فجلس فيه سنة، وهكذا ثلاث مرات، فمدحه الله بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤]. مع أن الأنبياء عليهم السلام كذلك، ولكن إسماعيل تكرر منه مواعد كثيرة فوفى بها لأنه من بيت الوفاء. وقال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧].

ومثله رأيته عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمه الله. والقائل له: الخضر عليه السلام.

قال الإمام النووي رحمه الله في الروضة: يستحب الوفاء بالوعد مؤكداً ويكره إخلافه كراهة شديدة.

● **حكاية:**

قال في «روض الأفكار»: خرج رجل من أهل اليمن لزيارة النبي ﷺ فقال له جماعة: سلم لنا على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٩٦)، كتاب الأدب، باب في العدة، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٩٨)، والقاضي عياض في الشفا (١/ ٢٥٧)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٣٢)، والقرطبي في تفسيره (١١/ ١١٥)، وابن الجوزي في العلل (٢/ ٢٣٩).

فلما دخل المدينة نسي فرجع من الطريق حتى بلّغ الرسالة، فلما فعل ذلك وأراد الذهاب إلى مكة وجد القافلة قد رحلت، فرجع إلى قبر النبي ﷺ ثم نام، فرأى النبي ﷺ في منامه وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال أبو بكر: يا نبي الله، هذا الرجل؟ قال: نعم، فالتفت إليّ وقال: أبا الوفا، فقلت: يا رسول الله، كنيتي أبو العباس، فقال: أنت أبو الوفا، وأخذ بيدي ورفعني فانتبهت فرأيتني في المسجد الحرام، فأقمت بمكة ثمانية أيام حتى جاء الحجاج.

● **حكاية:**

عن عبدالله بن المبارك رحمه الله: أنه كان يقاتل مجوسيًا، فلما جاء وقت الصلاة قال للمجوسي: عاهدني أن لا تقصدني بمكروه حتى أفرغ من الصلاة، ففعل، فلما فرغ من صلاته، وجاء وقت غروب الشمس.

قال المجوسي للمسلم: عاهدني حتى أفرغ من عبادتي، فلما سجد للشمس وثب عليه بسيفه، فهتف به هاتف يقول: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ﴾، فرجع، فلما سمع المجوسي قال: ما لك هممت بي، ثم رجعت؟ قال: سمعت هاتفًا يقول: كذا. قال: فنعم الرب ربك يعاتب وليه لأجل عدوه، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

● **مسألة:**

من عنده وديعة يجب عليه أن يوصي بها إن لم يعلم بها غيره ممن يثق بقوله، ويسن الإيصاء بقضاء الدين ورد المظالم إذا لم يعجز عنه في الحال وإلا وجب.

● **فائدة:**

قال النبي ﷺ[١]: «من مات على وصية مات على سبيل وسنة، ومات على تقى وشهادة، ومات مغفورًا له»، رواه ابن ماجه.

والمعنى: أنه يوصي بجميع ماله في صحته حتى لا يترك لوارثه شيئًا.

وفي شرح البخاري لابن أبي جمرة ، عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى تصدق عليكم بثلث مالكم تتصدقون به عند موتكم»[٢].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢٧٠١)، ، والتبريزي في المشكاة (٣٠٧٦)، وابن عدي في الكامل (٥/ ١٦٨٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٤٤١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢١٢)، والقرطبي في تفسيره (٢/ ٢٦٧)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٨٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ١٠٤)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ٩١)، والذهبي في ميزان الاعتدال (٢١٣٢).

● **حكاية.**

كان رجل بمكة فقيراً، وله زوجة صالحة، فقالت: ما عندنا قوت، فخرج إلى الحرم، فوجد كيساً فيه ألف دينار، ففرح بذلك، فقالت زوجته: لقطة الحرم لابد فيها من التعريف، فخرج فسمع مناديًا ينادي: من وجد كيسًا فيه ألف دينار؟ فقال: أنا وجدته، فقال: هو لك ومعه تسعة آلاف أخرى. فقال: أتهزأ بي؟ قال: لا والله ولكن أعطاني رجل من أهل العراق عشرة آلاف دينار، وقال: اطرح منها ألفًا في الحرم، ثم ناد عليها، فإن رده من وجده فادفع الجميع إليه، فإنه أمين، والأمين يأكل ويتصدق فتكون صدقتنا مقبولة.

● **لطيفة.**

قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ﴾: وهي: الديك والغراب والطاووس والبط، وإنما خصهم بذلك لأن الخيانة وجدت منهم.

فالطاووس: خان آدم لما أمر الحية أن تذهب إلى إبليس وهو على باب الجنة حتى أدخلته في فمها إلى الجنة.

والبط، وقيل: النسر: قطع شجرة اليقطين عن يونس عليه السلام.

والديك: خان إلياس، لأنه سرق ثوبه.

والغراب: خان نوحًا لأنه اشتغل بالجيفة لما أرسله ينظر موضعًا خاليًا من الماء.

● **لطيفة.**

إنما أمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذبح طيور دون غيرها، لأن الطير همته الطيران إلى العلو والارتفاع إلى الملكوت، وإبراهيم همته العلو والوصول إلى الملكوت، فجعل الله تعالى معجزته موافقة لهمته.

قال ابن العماد: وإنما كانت الطيور أربعة؛ لأن العناصر أربعة.

● **حكاية.**

جاء بعضهم إلى ذي النون المصري رحمه الله ليتعلم منه الاسم الأعظم، فأقام عنده سنة وستة أشهر، ثم أقسم عليه أن يعلمه، فدفع إليه إناء وعليه غطاء وقال: اذهب به إلى فلان، فذهب.

ثم كشف الغطاء في أثناء الطريق فوثب من الإناء فأرة، فغضب غضبًا شديداً ورجع إلى ذي النون فقال: أتستهزي بي؟، فقال: ائتمناك فخنتنا فيها، فكيف نستأمنك على اسم الله الأعظم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾: إن الله تعالى عهد إلى بني إسرائيل في التوراة: إني باعث من بني إسماعيل نبيًا أميًا، فمن تبعه وصدق بالنور الذي يأتي به غفرت له ذنوبه وأدخلته الجنة.

● حكاية:

عاهد بعض الصالحين ربه ﷻ أن لا يستغيث إلا به، فخرج إلى الحج، فوقع في بئر فمر به رجلان، فقال أحدهما للآخر: حتى نطمه من طريق الناس، فأراد أن يستغيث بهما فتذكر العهد، فلما كان بعد قليل جاءه سبع فناوله يده فرفعه بها، فسمع هاتفًا يقول: من التجأ في مهماته إلينا ولم يتكل على سوانا وناجانا في الغيب بالغيب نجيناه من التلف بالتلف، وأنشده:

إذا لم يكن بيني وبينك مرسل ... فريح الصبا مني إليك رسول

● لطيفة:

نذر يوسف ﷺ إن خرج من السجن ليعملن وليمة للفقراء وغيرهم، فلما خرج نسي نذره فذكره جبريل، فصنع طعامًا شهراً وجمع الناس.

فقال له جبريل: لم يحضر المقصود.

فنادى في الناس أن يحضروا، فاجتمع الكبير والصغير. فقال جبريل: لم يحضر المقصود. فقال يوسف: من هو؟ قال: عجوز عمياء في بيت من جريد النخل، فأرسل إليها فقالت للرسول: قل ليوسف يحضر بنفسه. وأنشد:

لا تبعثون مع الرسول تحيـــة ... إني أغار من النسيم عليكـــم

فرجع الرسول إليه وأخبره بذلك، فذهب يوسف إليها وقال: أيتها العجوز احضري دعوتنا.

فقالت: أين قولك: يا سيدتي من قولك: يا عجوز، طالما أنعمنا عليك، ونثرنا الجواهر على قدميك.

ثم قالت: أنا زليخا، فبكى يوسف رحمة لها. فلما حضرت لم يبق في المجلس أحد إلا قام لها، فخلع يوسف عليها الخلع.

فقالت: قد ملكنا من هذا كثيراً، إن لم تفعل ما أريد وإلا رجعت إلى مكاني.

فقال: ما هو؟ قالت: بصري وشبابي، وأن تكون زوجًا لي، فنزل جبريل وقال: قد أكرمناها لأجلك برد شبابها وبصرها، وأكرمها أنت بالزواج، فتزوجها في الحال.

● **حكاية:**

كانت زليخا رضي الله عنها من بنات الملوك، وكان بينها وبين مصر نصف شهر، فرأت في منامها يوسف، فتعلق حبه بقلبها، فتغير لونها، فسألها أبوها عن ذلك، فقالت: رأيت صورة في منامي، فقال: لو عرفت مكانه لطلبته لك.

ثم رأته في العام الثاني فقالت له: بحق الذي صورك من أنت؟

قال: أنا لك فلا تختاري غيري، فاستيقظت، وقد تغير عقلها، فقيدها أبوها بالحديد.

ثم رأته في العام الثالث، فقالت: بحق الذي صورك أين أنت؟، قال: بمصر.

فاستيقظت وقد صح عقلها، فأخبرت أباها بذلك، ففك القيد عنها وأرسل إلى مصر إن لي بنتًا قد خطبها الملوك وهي راغبة فيك. فكتب إليه: من أرادنا أردناه. فجهزها أبوها بألف جارية، وألف بعير، وألف عبد، وألف بغل، فلما دخلت مصر تزوجها الملك بكت بكاءً شديداً، وسترت وجهها وقالت للخادم: ليس هو الذي رأيته في المنام.

فقالت لها الجارية: اصبري، فلما رآها الملك افتتن بها وكان إذا أراد النوم مثل له جنية في صورتها وحفظها الله ليوسف، فلما اجتمع بها وجدها بكراً.

كما حفظ الله آسية من فرعون؛ لأنها من زوجات النبي ﷺ في الجنة.

فإن قيل: إذا كان الله حفظها من فرعون فما معنى قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ فإن المراد بالثيبات آسية وبالأبكار مريم على أحد الأقوال؟

فالجواب: إن المرأة تسمى ثيبًا وإن لم توطأ، ويجري عليها أحكام الثيب، ألا ترى أنه لو مات زوجها وجب عليها عدة الوفاة، نعم يزوجها وليها المجبر بكفء موسر بمهر مثلها من نقد البلد من غير عدوها.

ويشترط عدم عداوة ظاهرة بينها وبين وليها، كما نقله الرافعي والنووي. لكن نقل غيرهما عن الماوردي والروياني الجزم بالإجبار. وقال ابن الرفعة: إنه المذهب. وقال البلقيني: إنه الأرجح عندنا.

● **فائدة:**

يستحب للولي المجبر أن يستأذن البكر البالغة.

والمجبر [1] : هو الأب أو الجد عند فقد الأب. والله تعالى أعلم.

---

(١) قال الشافعية: الولي المجبر هو الأب والجد وإن علا، والسيد والولي غير المجبر هو الأب والجد ومن يليهم من العصبات، والابن ليس وليًا عندهم. وقال المالكية: الولي المجبر هو الأب لا الجد، ووصي الأب بعد موته بشرط أن يقول له: أنت =

● **لطيفة:**

رأيت في «مجمع الأحباب» أن أم الدرداء رضي الله عنها قالت: اللهم إن أبا الدرداء[١] خطبني فتزوجني وأنا أخطبه، فأسألك أن تزوجني إياه في الجنة.

فقال أبو الدرداء: إن أردت ذلك فلا تتزوجي بعدي، فلما مات خطبها معاوية. قالت: لا أتزوج إلا أبا الدرداء إن شاء الله في الجنة.

وقال حذيفة ﷺ لزوجته: إن سرك أن تكوني زوجتي في الجنة، فلا تتزوجي بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها.

فصل في فضل الزواج

● **مسألة:**

النكاح فرض كفاية عند الإمام أحمد، وسنة عند الشافعي[٢].

وقد يجب فيما إذا طلق إحدى زوجتيه ولم يوف لها حقها من نوبة الضرة، فإنه يجب عليه أن يتزوجها ليوفيها حقها.

ولا يجب النكاح بالنذر ؛ لأن النذر إنما يصح فيما يستقل به المكلف، والنكاح لا يستقل به لتوقفه على رضا المرأة أو وليها العدل، أما الفاسق فلا ولاية له؛ إلا إذا انتقلت إلى حاكم فاسق، كما أفتى به الغزالي. واستحسنه النووي في زوائد الروضة وقال: ينبغي العمل به، واختاره ابن الصلاح والسبكي.

نعم قال الإمام الأعظم: يزوج بناته وبنات غيره بالولاية العامة، وإن كان فاسقًا.

=وصيي على زواج بناتي، أو أنت وصيي على تزويج بنتي، أو أنت وصيي على أن تزوج بنتي ممن أحببت، أو أنت وصيي على أن تزوجها فلانًا. الفقه على المذاهب الأربعة (٤/ ٣٥).

(١) عويمر بن عبدالله، وقيل: ابن زيد، وقيل: ابن ثعلبة، الأنصاري، الخزرجي، وقيل: عويمر بن قيس بن زيد، ويقال: عامر بن مالك، حكيم هذه الأمة، له عن النبي ﷺ عدة أحاديث. تأخر إسلام أبي الدرداء فقال سعيد بن عبد العزيز: إنه أسلم يوم بدر، وشهد أحدًا، وأن رسول الله ﷺ أمره أن يرد من على الجبل يوم أحد، فردهم وحده، وكان يومئذ حسن البلاء، فقال رسول الله ﷺ: «نعم الفارس عويمر» ، تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات سنة (٣٢).

(٢) قال المالكية: يكون النكاح مندوباً إذا لم يكن للشخص رغبة فيه، ولكنه يرجو النسل، ويفترض عليه النكاح بشروط ثلاثة: أن يخاف على نفسه الوقوع في الزنا، وأن يكون عاجزاً عن الصيام الذي يكفه عن الزنا، أن يكون عاجزاً عن اتخاذ أمة تغنيه، ويكون النكاح مكروهًا للشخص الذي ليست له رغبة في النكاح لكنه يخشى أن لا يقوم ببعض ما يجب عليه أو يعطله عن فعل تطوع، ويكون مباحًا لمن ليست له رغبة ولم يرج النسل. الفقه على المذاهب الأربعة (٤/ ١١).

ولأن النكاح عقد [١]، والعقود لا تثبت في الذمة وما لا يثبت في الذمة لا يصح نذره، وكل مستحب لا يلزم بالنذر، ولهذا لو نذر أن يمسح كل رأسه في الوضوء، ونذر المسافر الصوم في السفر لم يصح النذر على الأصح. قاله ابن العماد في «توفيق الأحكام».

● **فائدة:**

قال معاذ بن جبل ﷺ: صلاة من متزوج أفضل من أربعين صلاة من غيره.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تزوجوا فإن يومًا في التزوج خير من عبادة ألف عام.

وقال النبي ﷺ لبعض أصحابه: «ألك زوجة؟» قال: لا، قال: «ولا جارية؟»، قال: لا. قال: «وأنت موسر بخير؟» قال: وأنا موسر بخير. قال [٢]: «أنت من إخوان الشياطين، لو كنت من النصارى كنت من رهبانهم، إن من سنتنا النكاح، شراركم عزابكم، وأرازل موتاكم عزابكم».

وفي كتاب «البركة» عن النبي ﷺ[٣]: «من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا، ويوكل الله به ملكين يكتبان بين عينيه: يا مضيع سنة الله أبشر بقلة رزق الله».

وقيل لبشر الحافي [٤] رحمه الله في النوم بعد وفاته: ما فعل الله بك؟

قال: قصوري دون قصور المزوجين.

قال مؤلفه رحمه الله تعالى عن بعض شيوخه: هذا بالنسبة إلى أمثاله من أهل الولاية.

أما غيره من آحاد الناس فلا شك أن قصره أعلاه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾: إن الله تعالى عهد إلى بني إسرائيل في التوراة: إني باعث من بني إسماعيل نبيًا أميًا، فمن تبعه وصدق بالنور الذي يأتي به غفرت له ذنوبه، وأدخلته الجنة.

وقال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فهو

---

(١) قال الشافعية: عرف بعضهم النكاح بأنه عقد يتضمن ملك وطء بلفظ النكاح أو تزويج أو معناهما، والمراد أنه يترتب عليه ملك الانتفاع باللذة المعروفة، وعلى هذا يكون عقد تمليك، وبعضهم يقول: إنه يتضمن إباحة الوطء فهو عقد إباحة لا عقد تمليك. وقال المالكية: عرفوا النكاح بأنه عقد على مجرد متعة التلذذ بآدمية غير موجب قيمتها، وعلى هذا يكون معنى النكاح عقد على متعة التلذذ المجردة. الفقه على المذاهب الأربعة (٤/ ٨).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ١١٨).

(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٣٨٢).

(٤) بشر بن الحارث بن عبدالرحمن بن عطاء بن هلال، أبو نصر المروزي، المعروف بالحافي، الزاهد البغدادي، ثقة قدوة، أخرج له أبو داود في مسائله والنسائي في مسند علي، توفي سنة (٢٢٧). انظر التهذيب (١/ ٤٤٤)، التقريب (١/ ٩٨).

أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[(١)].

وإذا بلغ الصبي فينبغي لأبيه أن يزوجه؛ فقد جاء في الحديث عن رسول الله : «من بلغ له ولد وأمكنه أن يزوجه فلم يفعل فأحدث الولد كان الإثم بينهما»[(٢)].

والعجب كيف ينسى الأب ما جرى له عند البلوغ، وإن كان قد وقع في ذلة فليقس حال ولده عليه.

وقال ﷺ: «عجب ربك من شاب ليست له صبوة»[(٣)].

ويقول الله تعالى: أيها الشاب التارك لشهوته، أنت عندي كبعض ملائكتي.

● **فائدة:**

روي: أن النبي ﷺ قال: «للنساء تسعة أعشار الشهوة، وللرجل العشر، ولكن الغالب عليهن الحياء».

وأصل ذلك: ما روي في بعض الأخبار: إن الله ﷻ لما خلق حواء نظر إليها آدم عليه السلام فأعجبته، فهم بها، فحال جبريل عليه السلام بينه وبينها وقال: لا سبيل إليها إلا بمهر، فتحير وقال: ما مهرها؟ قال: قل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهن ﴿ٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ﴾[(٤)]. فقال: هذا مهرها، وزوجه بها. فلما غشيها أعجبها فقالت له: ما هذا يا آدم؟ قال: هذا شيء يسمى: النيك. فقالت له: زدني منه فإنه طيب. فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن يضربها بسوط الحياء. فقال لها: يا حواء أتحبينه؟ قالت: لا، وكان محبته لها عشر محبتها له، فصار الحياء وإنكار المحبة لهن.

قال كعب الأحبار رضي الله عنه: إنه قال: مر سليمان عليه السلام على عصفورين، وإن الذكر منهما ليراود الأنثى، فأبت وامتنعت منه، فنظر إلى السماء، ثم نظر إلى الأرض، ثم أومأ برأسه إلى الأنثى.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم في النكاح رقم (١، ٢)، والنسائي (٤/ ١٦٩، ١٧١-المجتبى)، وابن ماجه (١٨٤٥)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٨٧، ٤٥٤)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٢٩٦)، (٧/ ٧٧)، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٤٩)، وعبدالرزاق في مصنفه (٣٣٨٠)، والمنذري في الترغيب (٣/ ٤٠)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٢٨٦، ٣٢٢).

(٢) ذكره الهندي في كنز العمال (٤٥٣٣٧).

(٣) أخرجه القرطبي في تفسيره (٥/ ٧١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٥٠).

(٤) قال ابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف: ﴿ٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ﴾: الصلوات الخمس، وقال عطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير عن ابن عباس : ﴿ٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ﴾: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وهكذا سئل أمير المؤمنين عثمان بن عفان عن ﴿ٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ﴾ ما هي؟ فقال: هي: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. تفسير ابن كثير (٣/ ٨٨).

فقال سليمان: أتدرون ما يقول هذا العصفور؟ قالوا: الله الذي علم منطق الطير ورسوله أعلم. قال: يقول: وإله السماء والأرض ما راودتك من شهوة ولكن إنما راودتك لعل الله أن يخرج مني ومنك فرخًا يسبح الله تعالى، والله إن تزويجك أحب إليّ من ملك سليمان.

قال: ومر سليمان بحمام يهدر على أنثاه، فقال سليمان: هل تدرون ما يقول هذا الحمام لزوجته؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: يقول لزوجته: ادن مني حبيبتي فوالله لأنت أحب إليّ من ملك سليمان.

وقيل: إن عصفوراً وقف على قبة سليمان عليه الصلاة والسلام، وتكلم مع أنثاه فامتنعت منه، فقال: أتمتنعين مني، ولو شئت قلبت عليك هذه القبة. قال: فسمعه سليمان فدعاه وقال له: ما حملك على ما قلت، أتقدر على فعل ذلك ؟ فقال: يا نبي الله، العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم.

وفي الحديث: «تنزل الرحمة في أربع مواضع: عند باب الكعبة، وعند نزول المطر، وعند نظر الولد إلى وجه الوالدين بالرحمة، وعند عقد النكاح».

● لطيفة:

قال النبي ﷺ[١]: «حبب إليّ من دنياكم ثلاث: النساء، والطيب، وقرة عيني في الصلاة».

وقال أبو بكر الصديق ﷺ: وأنا حبب إليّ ثلاث: النظر إليك، والجلوس بين يديك، وإنفاق مالي عليك.

وقال عمر ﷺ: وأنا يا حبيبي يا محمد، حبب إليّ ثلاث: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأقول الحق ولو كان مراً.

وقال عثمان ﷺ: وأنا يا حبيبي يا محمد، حبب إليّ ثلاث: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام.

فقال علي ﷺ: وأنا يا حبيبي يا محمد، حبب إليّ من الدنيا ثلاث: الضرب بالسيف، وإقراء الضيف، والصوم في الصيف.

فنزل جبريل وقال: يا محمد، حبب إليّ من الدنيا ثلاث: أداء الأمانة، وتبليغ الرسالة، وحب المساكين. ثم قال: إن الله تعالى يقول: حبب إليّ من الدنيا ثلاث: لسانًا ذاكراً وقلبًا

---

(١) تقدم تخريجه من قبل.

شاكراً، وبدنًا على البلاء صابراً. تم ذلك.

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: وأنا حبب إليّ من الدنيا ثلاث: تحصيل العلم في طول الليل، وترك الترفع والتعالي، وقلب من الدنيا خالٍ.

وقال مالك [١] رحمه الله: وأنا حبب إليّ من الدنيا ثلاث: مجاورة روضة النبي ﷺ، وملازمة تربته، وتعظيم أهل بيته.

وقال الشافعي رحمه الله: وأنا حبب إليّ ثلاث: (عزة) [٢] الخلق بالتلطف، وترك ما يؤدي إلى التكلف، والاقتدار بطريق التصوف.

وقال الإمام أحمد: وأنا حبب إليّ من الدنيا ثلاث: متابعة النبي ﷺ في أخباره، والتبرك بأنواره، وسلوك آثاره.

● **فائدة:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال[٣]: «من مشى في تزويج امرأة حلالاً يجمع بينهما، رزقه الله تعالى ألف امرأة من الحور العين، كل امرأة في قصر من در وياقوت، وكان له بكل خطوة خطاها أو كلمة تكلم بها في ذلك عبادة سنة قيام ليلها وصيام نهارها».

قال النبي ﷺ[٤]: «ما استفاد مؤمن بعد تقوى الله خيرًا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله» رواه ابن ماجه.

وقال النبي ﷺ: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»[٥]، رواه مسلم.

---

(١) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن عثمان بن حنبل بن عمرو بن الحارث، أبو عبدالله الأصبحي المدني الفقيه، إمام دار الهجرة، رأس المتقين وكبار المثبتين، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي (١٧٩). التقريب (٢/ ٢٢٣).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٨٩)، والسيوطي في الحاوي للفتاوي (٢/ ٩٠)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٢٠٢)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (١٣٩).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٨٥٧)، كتاب النكاح، ٥-باب أفضل النساء، قال في الزوائد: في إسناده علي بن زيد. قال البخاري: منكر الحديث، وعثمان بن أبي العاتكة مختلف فيه، والحديث رواه النسائي من حديث أبي هريرة، وسكت عليه. وأخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤١)، والقرطبي في تفسيره (١/ ١٦٢).

(٥) أخرجه مسلم (٦٤ – ١٤٦٧)، كتاب الرضاع، ١٧-باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة.

● **لطيفة:**

قال رجل لموسى عليه السلام: يا كليم الله، اسأل ربك سبحانه وتعالى أن يعجل لي الجنة، فأوحى الله إليه قد فعلت؛ لأني أعطيته امرأة جميلة موافقة.

ورأيت في «الذريعة» بخط مؤلفه محمد بن العماد رحمهما الله: عن النبي ﷺ[1]: «ثلاث يدعون فلا يستجيب الله لهم: رجل له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل أعطى مالاً سفيهًا، ورجل له على آخر دين فلم يشهد».

قلت: لأنهم خالفوا الشرع وأدخلوا الضرر على أنفسهم.

● **مسألة:**

إذا قصد الرجل نكاح امرأة، فالسنة أن ينظر وجهها وكفيها من رءوس الأصابع إلى المعصم إن كانت حرة، أما الأمة فينظر ما ليس بعورة، ويسن لها إذا أرادت نكاحه أن تنظره أيضًا.

● **حكاية:**

كان بعض الصالحين غيوراً، وله زوجة جميلة فأراد أن يسافر، وكان له درة تتكلم، فأمرها أن تخبره بما تصنعه زوجته، فقالت: نعم. فلما سافر أرسلت زوجته إلى صديق لها كل يوم والدرة تنظر.

فلما جاء الرجل أخبرته بذلك، فضرب الزوجة ضربًا شديدًا، فعرفت أن ذلك من الدرة.

فأمرت جاريتها أن تطحن فوق السطح، ووضعت على قفصها بارية، فلما جاء الليل رشت الماء على البارية وأخذت مرآة وجعلت تلوح في ضوء السراج فيقع شعاعها على الحيطان، فظنت الدرة أن الماء من المطر، والرحا صوت الرعد وشعاع المرآة من البرق، فلما طلع النهار قالت الدرة: كيف ذلك البارحة مع المطر والرعد والبرق؟

فقال: كيف يكون ذلك ونحن في أيام الصيف؟

فقالت المرأة: انظر إلى كذبها، فقد كذبت فيما قالته لك عني، فصالحها، ثم رضي عنها. ثم قال للدرة: كيف تفتري الكذب؟!

فضربت بمنقارها في بدنها حتى دمته، ثم طلبت البيع فباعها.

وقيل: إن النمروذ لما رقد في السرير وجعل في أعلاه اللحم وأوثق طيوراً من النسور فطاروا به يطلبون اللحم فصار ولهم دوي عند الجبال.

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٤٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٠٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٢٠)، والطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ٢١٦)، وابن كثير في تفسيره (١/ ٤٩٨)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٠٥).

وحكى القرطبي: إن النمروذ حمل معه في التابوت غلامًا وقوسًا وسهمًا، فلما علت به الطيور ما شاء الله أمر الغلام أن يرمي بالسهم فرمى فأصاب سمكة في السماء، قذفت نفسها إليه من بحر في الهواء، فقال: قتلنا إله السماء.

لعنه الله، ما أعمى بصيرته، وهل مولانا في جهة أو جسم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

● موعظة:

عن عمار بن ياسر ﷺ، عن النبي ﷺ: «**أيما امرأة خانت زوجها في الفراش فعليها نصف عذاب هذه الأمة**» .

وقال النبي ﷺ: «**لا تؤدي المرأة حق الله حتى تؤدي حق زوجها**»[١] .

قال في «حاوي القلوب الطاهرة»: دخل بعض السلف داره فوجد زوجته قد خرجت، فلما رجعت أطلقها فقال له في ذلك فقال: جاء في الحديث: «**أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها لعنها سبعون ألف ملك**»، ومن لزمه هذه اللعائن لا يصلح أن يكون في بيتي فيصيبني لعنها.

وفي حديث: «**إذا خرجت المرأة من بيتها بغير إذن زوجها وهو كاره لعنها كل ملك في السماء**»[٢] .

● لطيفة:

قال في «الروضة»: لو خرجت في غيبته إلى بيت أبيها لزيارة أو عيادة لا على وجه النشوز لم تسقط نفقتها، وكذا لو حبست ظلمًا، ولو حبس هو ودعاها إليه فامتنعت سقطت نفقتها إن كانت أمة وأذن سيدها، أو حرة فلا، والله أعلم.

فصل

لما زوج خارجة الفزاري ابنته قال: يا بنية، إنك خرجت من العش الذي درجت فيه وصرت إلى فراش لا تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أرضًا يكن لك سماء، وكوني له مهداً يكن لك عماداً، وكوني له أمة يكن لك عبداً، ولا تلازميه يقلاك -أي يتركك- قال

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٤/ ٣٨١)، وابن ماجه في سننه (١٨٥٣)، كتاب النكاح، ٤-باب حق الزوج على المرأة، وابن حبان في صحيحه (١٢٩٠-موارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٦)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٣)، والشيخ الألباني في آداب الزفاف (١٧٧).

(٢) أخرجه الشوكاني في الفوائد المجموعة (١٣٦).

تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ -أي ما أبغضك منذ أحبك، ولا تباعدي عنه فينساك، إن دنا فاقربي منه، وإن نأى فابعدي عنه، واحفظي أنفه وسمته وبصره فلا يشم منك إلا طيبًا، ولا يسمع منك إلا حسنًا، ولا ينظر منك إلا جميلاً.

فصل في ذم الطلاق

قال النبي ﷺ لبعض أصحابه: «تزوج ولا تطلق، فإن الله تعالى يبغض الذواقين والذواقات» (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «من عمل في فرقة بين امرأة وزوجها كان عليه لعنة الله في الدنيا والآخرة، وحرم الله عليه النظر إلى وجهه الكريم» (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «من عمل في فرقة بين امرأة وزوجها كان عليه لعنة في الدنيا، وفرق الله بينه وبين الجنة يوم القيامة».

وعن الحسن، عن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن إبليس يضع عرشه (٣) على الماء، ثم يبعث سراياه، فأعظمهم فتنة أدناهم منه مجلسًا؛ فيجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول شيئًا، ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله، يعني زوجته، فيقول له: نعم، أنت أنت، فيدنيه منه ويقربه إليه» (٤).

● **مواعظ**

الأولى: عن جابر رضي الله عنه: سأل النبي ﷺ إبليس عن ضجيعه؟ فقال: السكران، وعن جليسه؟ فقال: الذي يؤخر الصلاة عن وقتها، وعن صديقه؟ فقال: السارق. وعن أنيسه؟ فقال: الشاعر. وعن رسوله؟ فقال: الكاهن والساحر. وعن قرة عينه؟ فقال: الذي يحلف بالطلاق وإن كان صادقًا. وعن حبيبه؟ فقال: تارك الصلاة. وعن أعز الناس عليه؟ قال: الذي يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

---

(١) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية (١٦٧).

(٢) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٦٨)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢٨٠)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ٩٨)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٢٠٢).

(٣) قال النووي: العرش هو سرير الملك ومعناه أن مركزه البحر، ومنه يبعث سراياه في نواحي الأرض. النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٢٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٦٧-٢٨١٣)، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ١٦-باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس. وأخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣١٤)، والقرطبي في تفسيره (١٠/ ٤٢٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٨٢)، وابن الجوزي في تلبيس إبليس (٢٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٧١).

الثانية: كثرة الحلف بالطلاق يخشى عنه الحنث، فيكون من الزنا؛ فعنه ﷺ أنه قال[1]: «لا يدخل الجنة ولد الزنا، ولا ولد ولده»، ذكره في المنتخب. وفي رواية: حتى عد سبعة.

وقال عكرمة رحمه الله: إذا كثر ولد الزنا قحط المطر.

قال الفقير مؤلفه رحمه الله: فهذه عقوبة ولد الزنا، فما ظنك بالزاني نعوذ بالله منه.

الثالثة: لو زنا بامرأة يظنها أجنبية، فإذا هي زوجته، أثم كالزاني ويعزر، ولا يكون الولد له عند بعض العلماء. وعند البغوي يكون له، وهو الصواب.

ولا يرث الزاني من ولده ولا عكسه، ويرث ولد الزنا من أمه وعكسه.

● فائدة:

اعلم أن الطلاق قد يكون واجبًا فيما إذا حلف أن لا يطأها مطلقًا، أو فوق أربعة أشهر، ومضت هذه المدة فإنه يجب عليه أنه يفي بأن يطأ أو يطلق، فإن أبى أن يطلقها طلق القاضي عليه، بأن يقول: طلقت فلانة بنت فلان من فلان بن فلان.

ويحصل الوطء بتغييب الحشفة فقط. ويجب الطلاق فيما إذا كان الشقاق بين الزوجين ورأى الحكمان الطلاق، وإن كانت حائضًا فإنه لا يحرم للحاجة إلى قطع الخصومة.

ومثله: إذا طلق عليه القاضي، فلا يحرم .

وقد يكون الطلاق مستحبًا فيما إذا قضى في حقها بأن كانت غير عفيفة أو لا يحبها، وقد يكون مكروهًا بأن كانت صالحة، وقد يكون حرامًا بأن يطلقها قبل أن يقيم عندها ليلتها من نوبتها أو كانت حائضًا بلا عوض، وإن رضيت على الأصح، لأن طلاق الحائض حرام[2] إلا في صور منها : أن تكون حاملاً، وقيل: إن الحامل لا تحيض، وهو الأصح.

أو طلقها بعوض، أو قبل الدخول، أو علقه على صفة فوجدت وهي حائض، والنفاس في ذلك كالحيض.

● لطيفة:

كان عبدالله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ينشد ويقول في حبه إياها:

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ... ولا مثلها في غير جرم يطلق

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١١١)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٨٠)، وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (١٠٠٨).

(٢) أجمعت الأمة على تحريم طلاق الحائض الحائل بغير رضاها، فلو طلقها أثم، ووقع طلاقه، ويؤمر بالرجعة لحديث ابن عمر، وشذ بعض أهل الظاهر، فقال: لا يقع طلاقه لأنه غير مأذون له فيه، فأشبه طلاق الأجنبية، والصواب الأول، وبه قال العلماء كافة، ودليلهم أمره بمراجعتها، ولو لم يقع لم تكن رجعة. النووي في شرح مسلم (١٠/ ٥٢).

لها خلق زجل وحلم ومنصب ... وخلق سوي في الحياة ومصرف

قال: فأمره أبو بكر ﷺ أن يراجعها[١].

فلما تزوجها بعده الزبير فاستأذنته في الخروج ليلاً للمسجد، فأذن لها، ثم سبقها إلى موضع مظلم، ووضع يده عليها فرجعت فسبقها إلى منزله وسألها عن سبب رجوعها.

فقالت: كنا نخرج والناس ناس، وأما اليوم فلا.

● **مسألة:**

لو قال: أنت طالق كالثلج أو كالنار وقع الطلاق في الحال، نقله الرافعي في آخر الباب الأول من أبواب الطلاق.

ثم نقل عن أبي حنيفة رحمه الله: أنه قصد التشبيه في الثلج بالبياض، وبالنار للاستضاءة، طلقت سنيًا، يعني وهي طاهرة، وإن قصد التشبيه بالثلج في البرودة وبالنار في الحرارة والإحراق طلقت في زمن البدعة، أعني وهي حائض.

ولو قال في الصيف: اشتري ثلجًا. فليس له شراؤه أيام الشتاء، قاله الرافعي في كتاب الوكالة.

● **فائدة:**

في مفردات ابن البيطار وغيرها: أن الثلج يسكن وجع الأسنان الحارة، لأنه بارد بطبعه والعلة تداوى بضدها.

وقد غلط من قال: «إن الثلج حار» غلطًا قبيحًا، والماء المبرد بالثلج أنفع من الثلج.

ثم الثلج يقوي المعدة، ويصلح الأمزجة الحارة، وماء البرد ألذ وأطيب من ماء الثلج، والماء العذب الصافي كالثلج في المنافع، ويقمع الصفراء، وكل ذلك رديء للمشايخ، والله تعالى أعلم.

فصل في عقوبة اللواط والتحذير منه

جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «ملعون من عمل عمل

---

(١) قال النووي: الرجعة مستحبة لا واجبة، هذا مذهبنا، وبه قال الأوزاعي وأبو حنيفة وسائر الكوفيين وأحمد وفقهاء المحدثين وآخرون، وقال مالك وأصحابه: هي واجبة، فإن قيل: ففي حديث ابن عمر هذا أنه أمر بالرجعة ثم بتأخير الطلاق إلى طهر بعد الطهر الذي يلي هذا الحيض فما فائدة التأخير؟ فالجواب: أحدها: لئلا تصير الرجعة لغرض الطلاق، فوجب أن يمسكها زمانًا كان يحل له فيه الطلاق، وإنما أمسكها لتظهر فائدة الرجعة. الثاني: عقوبة له وتوبة من معصية. الثالث: أن الطهر الأول مع الحيض الذي يليه وهو الذي طلق فيه كقرء واحد، فلو طلقها في أول طهر لكان كمن طلق في الحيض. والرابع: أنه نهي عن طلاقها في الطهر ليطول مقامه معها، فلعله يجامعها فيذهب ما في نفسه من سبب طلاقها فيمسكها والله أعلم. النووي في شرح مسلم (١٠/ ٥٣)، ط.دار الكتب العلمية.

قوم لوط»[١].

وعنه ﷺ أنه قال: «من مات وهو يعمل عمل قوم لوط لم يلبث في قبره ساعة واحدة ثم يرسل الله إليه ملكًا يشبه الخطاف فيخطفه برجليه ويطرحه في بلاد قوم لوط، ويكتب على جبينه: آيس من رحمة الله».

● **موعظة:**

مر عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بأرض فوجدها نار تشتعل على رجل، فأخذ ماء فأطفأها، فتحولت النار شابًا أمرد، وتحول الرجل نارًا واشتعلت على الصبي، فتعجب من ذلك، فدعا الله تعالى فأنطق له الرجل فقال: يا نبي الله، إني كنت أفعل الفاحشة بهذا الصبي، فجعلني الله نارًا تشتعل عليه تارة، ثم يردني الله إلى حالي أولاً ويجعل الصبي نارًا يشتعل علي تارة، وهكذا إلى يوم القيامة.

● **موعظة:**

رأيت في «عيون المجالس»: عن النبي ﷺ[٢]: «إذا علا الذكر على الذكر اهتز العرش وقالت السموات: يا رب ائذن لنا بحصبة أن نرميه بالحصا، وهي الحجارة، وتقول الأرض: يا رب مرني أبتلعه. فيقول: دعوه فإن طريقه ووقوعه بين يدي».

وقال ابن عباس ﷺ: إذا ركب الذكر على الذكر هرب الشيطان خوفًا من اللعنة أن تصيبه.

وعنه أيضًا: يمسخ اللوطي في قبره خنزيرًا، وتدخل النار في منخره وتخرج من دبره كل يوم سبعين مرة.

وقال سليمان لعفريت: أخبرني عن إبليس، فتوجه معه إلى البحر، فوجده على بساط على وجه الماء.

فقال: أخبرني بأبغض الأعمال إلى الله تعالى وأحبها إليك؟

قال: اللواط، ولولا ممشاك يا نبي الله ما أخبرتك.

وعنه ﷺ: «يؤتى يوم القيامة بأطفال ليس لهم رءوس، فيقول الله تعالى: من أنتم؟ فيقولون: نحن المظلومون. فيقول: من ظلمكم؟ فيقولون: آباؤنا كانوا يأتون الذكران من

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣١٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٧٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٨٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣/ ٣٥).

(٢) أخرجه ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ١٣٢)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٠٤).

العالمين في الأدبار. فيقول الله تعالى: سوقوهم إلى النار واكتبوا على جباههم: آيسون من رحمة الله». وعنه ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي: عمل قوم لوط».

● عجيبة:

في كتاب «مفيد العلوم ومبيد الهموم» للقزويني رحمه الله: حيوانان لوطيان: الخنزير والحمار.

وقال ولي الله تقي الدين الحصني رحمه الله تعالى في كتاب «تنبيه السالك» عن بعضهم: أن قوم لوط رأوا الخنزير والحمار يفعلان ذلك فتعلموا منهما.

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله سبعة من خلقه من فوق سبع سموات، فقال: ملعون من عمل عمل قوم لوط[١]، ملعون من ذبح لغير الله، ملعون من أتى شيئًا من البهائم، ملعون من عق والديه[٢]، ملعون من جمع بين امرأة وابنتها، ملعون من غيَّر حدود الأرض[٣]، ملعون من دعي إلى غير مواليه».

● مسألة:

حد اللواط كحد الزنا[٤]. قال الشيخ عز الدين بن عبدالسلام رحمه الله: لو رأينا رجلاً يزني بامرأة، ورجلاً يلوط بصبي، ولم نقدر إلا على دفع واحد، دفعنا الذي يريد الفاحشة بالصبي.

ولو قال: «يا لوطي»، فالصواب أنه صريح في القذف كما جزم به صاحب «التنبيه»، فيجب الحد إن قاله لمحصن، وهو البالغ العاقل الحر المسلم الذي غيب حشفته في قُبُل بنكاح صحيح، وهو عفيف عن وطءٍ يحد به، ولو في الدبر، لكن قال البغوي: إذا وطئ في الدبر تبطل حصانة الفاعل فقط، لأن الإحصان لا يحصل بالوطء فيه، فلذلك لا تبطل الحصانة.

قال الرافعي: وأرى إبطال حصانة الفاعل والمفعول به لوجود الحد عليهما.

قال في زوائد الروضة: قلت: الراجح إبطال حصانتهما وأي عفة لمن مكن من دبره

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣١٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٧٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٨٦).

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٨٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٠١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٧٢).

(٣) أخرجه الهيثمي في الجمع (٦/ ٢٧٢)، والسيوطي في الحاوي للفتاوي (١/ ٢٢٥)، وفي الدر المنثور للسيوطي (٣/ ١٠١).

(٤) اختلف فيه آراء الأئمة: فمنهم من قال: إنه يعاقب عقوبة الزاني وهي الإعدام إن كان محصنًا، أما الموطوء فعقوبته الجلد كالبكر لأنه لا يتصور فيه إحصان، ومنه من يقول: إن عقاب اللائط من باب التعزير، لا من باب الحد، فعلى القاضي أن يحبسه أو يجلده أو بما يراه رادعًا له عن الجريمة وإن لم يزدجر عزر بالإعدام. الفقه على المذاهب الأربعة (٥/ ١١٢).

عالمًا بالتحريم مختاراً. والله أعلم.

قال في «الروضة» في باب الزنا: لا يرجم المفعول به، بل يجلد وإن كان محصنًا.

قال العلامي في قواعده: ولا كفارة على المفعول به في نهار رمضان وإن كان صائمًا بلا خلاف.

قال في «الروضة» في باب الغسل: ويصير الصبي والمجنون جُنبين بإيلاجهما، أو الإيلاج فيهما، فمن كمل منهما وجب عليه الغسل، إن لم يغتسل في صغره، فإن اغتسل صح، ولا تجب الإعادة بعد البلوغ.

ويمنع الأمرد الجميل من السفر لتعلم فرض، ويحرم النظر إليه، ولمسه بشهوة ينقض الوضوء عند الإمام أحمد، ووافقه الإصطخري من أصحاب الشافعي.

قال ابن العماد في كتابه «تسهيل المقاصد»: ومنع بعض العلماء الاستماع لقراءته.

قال في «شرح المهذب»: وإذا حرم النظر إليه فالخلوة به أولى لأنها أفحش وأقرب إلى المفسدة. والله تعالى أعلم.

فصل في ذكر النساء

قال في كتاب «العقائق»: إن الله تعالى عرض على آدم صور المخلوقين ليأنس بشيء منها، فأعرض عنها لأنها من غير الجنس.

فلما نام عرض عليه صورة حواء، فمال قلبه إليها لأنها من الجنس، فلذلك جازت الرؤية قبل عقد النكاح [1] للوجه والكفين فقط من الحرة، كما تقدم.

ثم قال الله تعالى: كوني، فكانت من ضلعه الأيسر الأقصر من غير أن تجد ألمًا، ولولا ذلك لم يعطف رجل على زوجته. ثم أمرها بالتقدم إلى آدم وقال لها: قد زوجتك مصطفاي من خلقي، فلما استيقظ آدم ورآها، غمضت عينها، فقالت الملائكة لآدم: أتحبها؟ قال: نعم، قالوا: أتحبينه يا حواء؟ ، قالت: لا. وفي قلبها أضعاف ما في قلبه من المحبة.

ولما خلق الله تعالى حواء كساها حسن ألف حوراء، وأجلسها على سرير، وعندها أربعة آلاف حور لو نظرت واحدة إلى الدنيا لاستغنت بها عن الشمس والقمر، وهن عند

---

(١) قال النووي: فيه استحباب النظر إلى وجه من يريد تزوجها وهو مذهبنا ومذهب مالك وأبي حنيفة وسائر الكوفيين وأحمد وجماهير العلماء، وحكى القاضي عن قوم كراهته، وهذا خطأ مخالف لصريح الحديث (يقصد ما رواه مسلم في النكاح رقم (٧٤)، في قوله ﷺ: «فاذهب فانظر إليها»)، ومخالف لإجماع الأمة على جواز النظر للحاجة عند البيع والشراء والشهادة ونحوها، ثم إنه إنما يباح له النظر إلى وجهها وكفيها فقط لأنهما ليسا بعورة. النووي في شرح مسلم (٩/ ١٧٩).

حواء كالسراج في الشمس .

فأراد القرب منها. فقيل: حتى تؤدي مهرها حقها. فقيل: يا رب قد وهبتها كل شيء في الجنة. فقيل: صداقها أكثر من ذلك. قال: وما هو؟ قال: أن تصلي على محمد ﷺ عشر صلوات.

وعن وهب بن منبه رحمه الله أنه قال: لما خلق الله ﷻ آدم ﷺ ونفخ فيه الروح فتح عينيه فنظر إلى باب الجنة فإذا عليه مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله. فقال: يا رب، هل تخلق خلقًا أكرم عليك مني؟

قال: نعم يا آدم، نبيًا من ذريتك من أجله خلقت الجنة والنار.

فلما خلق حواء ونظر إلى خلق لا يشبه خلقه وركب فيه الشهوة. قال: يا رب ما هي؟ قال: حواء. قال : يا رب زوجني بها. قال: هات مهرها. قال: يا رب وما مهرها؟ قال: أن تصلي على محمد عشر مرات، فكان المهر.

وقيل: إن الله تعالى قال: قد وهبتك هذه الشجرة فاجعلها صداقها وقد أبحت لكما جميع ما في الجنة لأنكما في دار ضيافتي، وشجرة الحنطة الآن هي صداق زوجتك فلا تأكل من معلومكما في دار ضيافتي.

فلما أكلا من الشجرة بدت لهما سوءاتهما، ولم تبد لغيرهما، ولو بدت لغيرهما لقال: وبدت منهما.

فهبط آدم ﵇ بالهند، وحواء عليها السلام بجدة [1] ، فبكى بكاءاً كثيراً، فسأله جبريل عن بكائه، فقال: على حواء، هل هي بالحياة؟ قال : نعم، وهي أصلح حالاً منك، تأكل كل يوم سمكة.

قال: هل عندها مني خبر؟ قال: وقد حفظها الله لأجلك. ثم اشتد به الجوع فنسي حواء، فجاءه بثوبين أحمرين وثلاث حبات من الحنطة، وقال: لك حبتان ولحواء واحدة، فصار للذكر مثل حظ الأنثيين كل حبه وزنها مائة ألف درهم وثمانمائة درهم. فزرع وحصد وطحن وخبز في أربع ساعات.

قال القرطبي رحمه الله: هذا هو الشقاء الذي خصه به بقول: ﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧]، ولم يقل فتشقيان.

---

(١) قال ابن كثير: قال السدي: هبطوا ونزل آدم بالهند، ونزل معه الحجر الأسود، وقبضة من ورق الجنة، فبثه بالهند فنبتت شجرة الطيب، فإنما أصل ما يجاء به من الطيب من الهند، وعن ابن عباس: أهبط آدم بدحنا أرض الهند، وعن الحسن البصري: أهبط آدم بالهند، وحواء بجدة، وإبليس بدستميسان من البصرة على أميال، والحية بأصبهان. تفسير ابن كثير (١/ ٨٠).

فعلمنا أن نفقه الزوجة طعامًا وشرابًا وكسوة ومسكنًا على الزوج.

فلما أكل آدم وشبع نام، فرأى حواء في منامه فقالت له: يا آدم أنائم أنت أم يقظان؟ فاستيقظ وقد زاد بكاؤه، فقال له جبريل: أبشر، فما أراك الله إياها في المنام إلا وقد قرب الاجتماع.

قال الثعلبي رحمه الله: فرق بينهما مائة عام، كل منهما يطلب رفيقه وصاحبه، فلما تقاربا من مكان يسمى «مزدلفة» اجتمعا، وتعارفا في مكان يسمى «عرفات»، وتمنيا الخير في مكان سمي «منى».

● **فائدة:**

تقدم أن للذكر مثل حظ الأنثيين[١].

قال ابن عبدالسلام رحمه الله: لأن الميراث على قدر الحاجات، ولا شك أن للذكر حاجتين: حاجة لنفسه وحاجة لزوجته، وللأنثى حاجة واحدة.

لكن خولف هذا القياس للأخوة للأم فإنهم في الثلث سواء ذكورهم وإناثهم.

قال الرازي في سورة النساء بعد أن ذكر نحو ما قاله ابن عبدالسلام: أو لأن المرأة أكثر شهوة وأقل عقلاً دائمة الفراغ، فلهذا كان نصيبها نصف نصيب الرجل لئلا ينضاف المال إلى هذه الأحول فتعظم المفسدة كما قال الشاعر:

إن الفراغ والشباب والجـــدة ... مفسدة للعقل أيَّ مفســـدة

ثم حكي عن جعفر الصادق: أن حواء أخذت من الشجرة ثلاث حبات: واحدة أكلتها، وأخرى ادخرتها، والأخرى دفعتها لآدم فجعلت نصيبها ضعف نصيب آدم، فقلب اله سبحانه الأمر عليها فجعل نصيب بناتها نصف نصيب أولادها الذكور.

ثم قال الرازي: ولأن الذكر أفضل وأشرف وظهوره وشهرته أتم، فلذلك وصف الله الرجال بالكثرة دون النساء فقال تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا﴾[٢] [النساء:١].

● **فائدة:**

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، الكيد: هو السعي في فساد الحال

---

(١) كان أهل الجاهلية يجعلون جميع الميراث للذكر دون الإناث، فأمر الله تعالى بالتسوية بينهم في أصل الميراث، وفاوت بين الصنفين فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين وذلك لاحتياج الرجل إلى مؤنة النفقة والكلفة ومعاناة التجارة والتكسب وتحمل المشاق، فناسب أن يعطى ضعفي ما تأخذه الأنثى. تفسير ابن كثير (١/ ٤٥٧).

(٢) أي وذرأ منهما أي من آدم وحواء رجالاً كثيراً ونساء، ونشرهم في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وصفاتهم وألوانهم ولغاتهم، ثم إليه بعد ذلك المعاد والحشر. تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٨).

على وجه الاحتيال، ثم قال في قوله تعالى حكاية عن زليخا: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [(١)] [يوسف:٢٥] إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾: من عظم محبتها له ما قالت: «أن يكون من المسجونين» حتى يطول سجنه، بل قالت: «أن يسجن»، فيكفي سجنه يومًا أو بعضه. ومن محبتها قدمت ذكر السجن على العذاب، لأن المحب لا يعجبه أذى محبوبه.

ثم قال الرازي: فإن قيل: كيف يكون كيد الرجال أعظم من كيد النساء، فكيف استعظم كيدهن؟

قلنا: كيدهن في مثل هذا يورث العار، وكيد الرجال لا يورث العار.

● **فائدة:**

قال نوح عليه الصلاة والسلام: يا رب إنك أمرتني أن أصنع السفينة فأصنع نهاراً فيفسده قومي ليلاً، فقال: اتخذ كلبًا يحرسك، فاتخذه فإذا جاءوا ليفسدوا عمله صاح عليهم فاستيقظ نوح عليه السلام فيطردهم، فهو أول من اتخذ الكلب للحراسة.

قال بعض العلماء: سبب امتناع الملائكة من دخول بيت فيه صورة أو كلب[(٢)]، لأن الصورة فيها مشابهة لخلق الله تعالى، والكلب لكثرة أكله النجاسات، وقبح رائحته، ولأن بعضها يسمى شيطانًا وهو الأسود، فلا يحل صيده، وإذا مر بين يدي المصلي بطلت صلاته عند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

وقال الخطابي: لا تمتنع الملائكة من كلب صيد وحراسة ولا صورة مستهانة كالتي على بساط، والصحيح المنع مطلقًا.

قلت: وينبغي أن يقال أيضًا: إن سبب امتناع الملائكة من دخول بيت فيه كلب لأنه

---

(١) لما رأت سيدها وهو زوجها عند الباب خرجت مما هي فيه بمكرها وكيدها وقالت لزوجها متنصلة وقاذفة يوسف بدائها: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ أي فاحشة ﴿إِلَّآ أَن يُسْجَنَ﴾ أي يحبس ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي يضرب ضربًا شديداً موجعًا، فعند ذلك انتصر يوسف عليه السلام وتبرأ مما رمته به من الخيانة وقال: ﴿هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾. تفسير ابن كثير (٢/ ٤٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (٨٣-٢١٠٦)، كتاب اللباس والزينة، ٢٦-باب تصوير صورة الحيوان، وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه، وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتًا فيه صورة ولا كلب. قال النووي: قال العلماء: سبب امتناعهم من بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالى، وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات ولأن بعضها يسمى شيطانًا كما جاء به الحديث، والملائكة ضد الشياطين، ولقبح رائحة الكلب والملائكة تكره الرائحة القبيحة ولأنها منهي عن اتخاذها فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته وصلاتها فيه واستغفارها له وتبريكها عليه وفي بيته ودفعها أذى الشيطان. النووي في شرح مسلم (١٤/ ٧٢)، ط.دارا لكتب العلمية.

خلق من ريق إبليس، وذلك أنه -لعنه الله- بزق على آدم وهو طين فكشطته الملائكة، فصار ذلك موضع السرة من بني آدم، فخلق الله تعالى من التراب الذي أصابه ريق إبليس الكلاب. ذكره في كتاب «العقائق». والملائكة والشياطين لا يجتمعان.

وعنه ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة ولا جنب»[(١)]. وراه أبو داود.

وفي رواية للنسائي عن النبي ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه جرس ولا تصحب الملائكة رفقة فيها جرس»[(٢)].

قال في شرح المهذب عن ابن الصلاح: إذا كان الرجل في رفقة فيها جرس، ولم يقدر على إزالته فليقل: اللهم إني أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء فلا تحرمني ثمرة صحبة ملائكتك وبركتهم.

● **مسألة:**

يشترط في الغسل من ولوغ الكلب مثلاً: سبع مرات، إحداهن بتراب طاهر[(٣)].

والتراب في الأُولى أولىَ، وكيفيته: أن يجعل التراب في ماء ثم يفيضه على محل النجاسة، ثم يفيض الماء عليه ست مرات، فإن كانت النجاسة دمًا فلا تحسب الستة إلا بعد زواله، فلو غسله عشرين مرة حتى زال لونه فهي واحدة، فلابد من ستة بعد ذلك، ولو طار الرشاش من الغسلة الرابعة فلابد من غسله ثلاثًا، ولابد من التراب إن لم يسبق فإن سبق فلا حاجة إلى التراب في غسل الرشاش[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٥٢)، كتاب اللباس، باب في الصور، والنسائي (١/ ١٤١-المجتبى)، وأحمد في مسنده (١/ ١٠)، (٤/ ٢٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٢٠١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٤١٠)، وعبدالرزاق في مصنفه (١٩٤٨٣)، والهيثمي في المجمع (٥/ ١٧٣، ١٧٤)، وابن حبان في صحيحه (١٤٨٤-الموارد)، والمنذري في الترغيب (١/ ١٤٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٣١)، كتاب الخاتم، باب ما جاء في الجلاجل، وأحمد في مسنده (٦/ ٢٤٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٧٥، ٧٦)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٩٠)، وآخره أخرجه مسلم (١٠٣-٢١١٣)، كتاب اللباس، ٢٧-باب كراهة الكلب والجرس في السفر.

(٣) حديث: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه ثم ليغسله سبع مرات» أخرجه مسلم (٨٩-٢٧٩)، كتاب الطهارة، ٢٧-باب حكم ولوغ الكلب.

(٤) في كيفية الغسل أوجه؛ الصحيح: أنه يكفيه للجميع سبع مرات، والثاني: يجب لكل ولغة سبع. والثالث: يكفي لولغات الكلب الواحد سبع، ويجب لكل كلب سبع ولو وقعت نجاسة أخرى في الإناء الذي ولغ فيه الكلب كفى عن الجميع سبع ولا تقوم الغسلة الثامنة بالماء وحده ولا غمس الإناء في ماء كثير. النووي في شرح مسلم (٣/ ١٥٩).

● عجيبة.

إذا ذُبح طهر لحمه وجلده عند الإمام أبي حنيفة رحمه الله، وأخبرني بعض المالكية أن لحمه حلال لكنه مكروه.

● لطيفة.

قال الإمام النووي رحمه الله: لو كان معه شاة وكلب جائع غير عقور لزمه ذبحها له.

قال الإمام الرازي: قال النبي ﷺ: «**لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها**»[1].

حكاه في سورة الأنعام، فلا يحل قتل غير العقور.

وفي «العقد الفريد»: إن الذئب ينكح الكلبة فتحمل منه بكلبٍ سلاقى، فالذئب أصل للكلاب السلاقية، فيعيش الذكر عشرين سنة، والأنثى اثنى عشر.

وفي «روض الرياحين»: إن في الكلاب خصالاً حسنة: كثرة الجوع كالصالحين، وما له مكان معروف كالمتوكلين، ولا ينام إلا قليلاً من الليل كالمحبين، وإذا مات لا يترك شيئًا كالزاهدين، ولا يترك صاحبه، وإن جفاه كالمريدين، ويرضى من الأرض بأدنى موضع كالمتواضعين، وإذا طرد من مكانه انصرف إلى غيره كالراضين، وإذا ضرب ثم طرح له كسرة أجاب، ولم يحقد كالخاشعين.

● لطيفة.

قال رجل لابن سيرين: رأيت في المنام كأني أخطب فلانة، وهي سوداء قصيرة، فقال: اذهب إليها وتزوجها، فإن مالها كثير وعمرها قصير، فتزوجها، ففي تلك الليلة ماتت، فورث منها مالاً كثيراً.

في الحديث قال النبي ﷺ[2]: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، (وحسنها، وكمالها)[3]، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»، أي افتقرتا إن لم تفعل.

وقال الماوردي في «أدب الدنيا والدين»: تربت يداك إن لم تظفر بذات الدين، وقال: إنها تذكر للمبالغة ولا يراد بها السوء كقولهم: «**قاتله الله ما أشجعه**».

وقال في الترغيب والترهيب معناه: الحث والتحريض على ذات الدين.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٨٤٩)، في الصيد، باب في اتخاذ الكلب للصيد وغيره، والترمذي (١٤٨٦)، كتاب الأحكام، باب ما جاء في قتل الكلاب، والنسائي (٧/ ١٨٥ -المجتبى)، وابن ماجه (٣٢٠٥)، وأحمد في مسنده (٥/ ٥٦، ٥٧).

(٢) أخرجه (٧/ ٩)، ومسلم (٥٣-١٤٩٦)، كتاب الرضاع، ١٥-باب استحباب نكاح ذات الدين، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٧٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٥)، وابن حجر في المطالب العالية (١٥٧٠)، والقرطبي في تفسيره (٤/ ٣٧)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٥٧)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٣٤٠).

(٣) هكذا، وفي مصادر التخريج: «ولحسبها، ولجمالها». والله أعلم.

● **مسألة:**

المحبوسة ولو ظلمًا لا نفقة لها ولا كسوة، وكذا التي في عدة وفاة وإن كانت حاملاً، وتجب النفقة والكسوة للبائن الحامل، ويجب تسليم النفقة يومًا بيوم، نعم، لو ملكت نفقة أيام ملكت الزائد على نفقة اليوم كالأجرة والزكاة المعجلتين.

فلو مات أو بانها بخلع أو ثلاث، استرد الزائد ولم تسترد نفقة اليوم الذي أبانها فيه، ولها المطالبة بطلوع الفجر، فلو قبضت نفقة يوم ثم نشزت فيه استردها، ولو نشزت ليلاً وأطاعته نهاراً أو عكسه فلها نفقة الطاعة ولا عبرة بقصر أحدهما وطول الآخر.

ويجب على الزوج ثمن ماء غسل جماع لزوجه، إن لم يسبقه احتلام مثلاً، فإن احتلمت ثم وطئ لم يجب عليه ثمن ماء غسلها. ولو أعطاها كسوة شتاء أو صيف، ثم ماتت أو أبانها أو مات لم تسترد، وتعطى الكسوة في كل ستة أشهر.

● **فائدة:**

عن ابن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ: «**إذا غسلت المرأة ثياب زوجها كتب الله لها ألفي حسنة، وغفر لها ألفي سيئة، واستغفر لها كل شيء طلعت عليه الشمس، ورفع لها ألفي درجة**»(١) .

● **مسألة:**

الرجل المعظم إذا حمل شيئًا من الطعام إلى بيته من السوق سقطت عدالته وردت شهادته إن شح بأجرة من يحمله، فإن فعل ذلك تواضعًا واقتداء بالسلف الصالح فلا تسقط.

والأكل والشرب في السوق كالحملان إن لم يغلبه جوع أو عطش فلا، ولو كان الخطيب على المنبر فله الشرب دفعاً للعطش.

● **فائدة:**

عن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ: «**من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئًا فحمله إلى بيته فخص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه، ومن نظر الله إليه لم يعذبه**»(٢) .

● **مسألة:**

لو قال الرجل لزوجته: «إن كان حملك ذكراً فأنت طالق طلقة واحدة، وإن كان حملك

---

(١) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (١/ ١١٢).

(٢) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٥/ ٣٨٦)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٧١)، والسيوطي في اللآلئ (٢/ ٩٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٥٥٢).

أنثى فأنت طالق ثلاثًا»، فولدتهما معًا لم يقع شيء.

نظيره: قال المريض: «إن كان حملك أنثى فلك مائة دينار، وإن كان حملك ذكر فلك مائتان»، فولدتهما معًا بطلت الوصية.

● موعظة.

قال النبي ﷺ: «من كان عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط».

● مسألة.

يجب العدل بين الزوجات في البيات ليلاً فإذا كان ليلاً لم يدخل على الأخرى إلا لضرورة [١] ، ولا يجب تسوية في الإقامة نهاراً، ولا في الأكل والجماع.

وقال النبي ﷺ: «إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» [٢] . رواه مسلم.

وقال بعض الصالحين: قلبي يحب بغداد كثيراً لما فيها من قبور السادات، خصوصًا الشيخ عبدالقارد الكيلاني رحمه الله، واسمها: دار السلام، وقد اجتمع فيها اثنا عشر ألف خضري يكتبون على الفتوى[٣].

● حكاية.

قال في «شرح المهذب»: إن امرأة عبدالله بن رواحة رضي الله عنه[٤] رأته عند جاريته، فوثبت عليه بالسكين فقال: أليس قد حُرِّم القرآن على الجنب، قالت: بلى، فذكر لها أبياتًا من الشعر.

وفي «تحفة العروس ونزهة النفوس»: أنه قال: ما فعلت شيئًا، فقالت له: اقرأ شيئًا من القرآن. فقال رضي الله عنه:

---

(١) قال النووي: قال أصحابنا: وإذا قسم لا يلزمه الوطء ولا التسوية فيه بل له أن يبيت عندهن ولا يطأ واحدة منهن وله أن يطأ بعضهن في نوبتها دون بعض، لكن يستحب أن لا يعطلهن وأن يسوي بينهن في ذلك. شرح مسلم للنووي (١٠/ ٤٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٨-١٨٢٧)، كتاب الإمارة، ٥-باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر. والنسائي (٨/ ٢٢١-المجتبى)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ١٢٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٦٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٣٦٧).

(٣) كان الواجب أن يكون حبه لمكة ولمدينة النبي أولى وأحرى، ومعلوم أن القبور لا تزار إلا لتذكر الآخرة كما صرح بذلك رسول الله ﷺ في حديثه، هذا والله أعلم.

(٤) عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس، أبو محمد، أبو رواحة الأنصاري الخزرجي المدني، الشاعر، صحابي مشهور أحد السابقين، شهد بدراً واستشهد بمؤتة سنة (٨). انظر ترجمته في التهذيب (٥/ ٢١٢)، التقريب (١/ ٤١٥)، الكاشف (٢/ ٨٦)، التاريخ الصغير (١/ ٢٣)، الجرح والتعديل (٥/ ٥٠)، أسد الغابة (٣/ ٢٣٤).

وفينا رسول الله يتلـــو كتابـــًا ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع
يبيت يجافي جنبه عــن فراشـــه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجـــع

● **مسألة:**

ذهب الإمام مالك رحمه الله وغيره من علماء المدينة إلى سقوط الحد عن الزوجة إذا قذفت زوجها غيرة عليه، والله أعلم.

● **حكاية:**

قال الشيخ أبو عبدالله السكندري رحمه الله: خرجت إلى البادية لعلّي أرى أحداً من الرجال الأبطال أو النساء الأخيار، فرأيت جارية فقلت في نفسي: كان اجتماعي برجل أولى من اجتماعي بامرأة.

فقالت: يا أبا عبدالله تريد الاجتماع بالرجال وأنت لم تصل إلى مقام النساء.

فقلت لها: ما أكثر دعواتي. فقالت: الدعوى بغير بينة باطلة. قلت: فما بينتك؟ قال: هو لي كما تريد لأني له كما يريد.

ثم قالت: فما الذي تريد في هذه الساعة؟

فقال: سمكًا مشويًا.

فقالت: هذا من ضعف عقلك ونزول مقامك، هلا سألته جناحًا من الشوق تطير كطيراني هكذا، ثم طارت في الهواء، فعدوت خلفها وقلت لها: بحق الذي أنعم عليك بهذه الكرامة [1] جودي عليّ بدعوة، فقالت: يا بطّال، أنت ما تريد إلا الاجتماع بالرجال، فأنشد يقول:

حلفت يمينًا لا ألفت بغيركـــم ... وإن فؤادي ما يحـب سواكمـــوا
سقاني الهوى كأسًا من الحب مترعًا ... فيا ليته لمـَّا سقانـي سقاكمـــوا
ويا ليت ذاك الحـب يقسم بيننـــا ... وداعي الهوى لما دعاني دعاكمـــوا
فنحيا جميعًا تحت ظل ودادكـــم ... ونعطي المنى منكم وتعطوا مناكموا
وإني لآتي أرضكم لا لحاجـــة ... لعلي أراكم أو أرى من يراكمـــوا

---

(١) قال الشوكاني: إن من كان من المعدودين من الأولياء إن كان من المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره مقيمًا لما أوجب الله عليه تاركًا لما نهاه الله عنه مستكثراً من طاعاته فهو من أولياء الله سبحانه، وما ظهر عليه من الكرامات التي لم تخالف الشرع فهي موهبة من الله ﷻ لا يحل لمسلم أن ينكرها. انظر قطر الولي على حديث الولي (ص٦٥) من تحقيقنا، ط. دار الكتب العلمية.

● **حكاية:**

قالت عبدة خادمة رابعة العدوية رحمها الله: كانت رابعة تصلي الليل كله، فإذا قرب الفجر هجعت في محرابها هجعة خفيفة حتى يطلع الفجر.

ثم تقوم وهي فزعة تقول: يا نفس كم تنامين يوشك أن تنامي نومة فلا تقومين إلا لصرخة يوم القيامة، فكان هذا دأبها حتى ماتت رحمها الله.

ومن كراماتها: أنها نامت فجاء اللص فأخذ ثيابها ثم أراد الخروج فلم يجد الباب.

فهتف به هاتف : يا هذا، إن كان المحب نائمًا فالمحبوب يقظان، ضع الثياب واخرج من الباب.

ولما ماتت رؤيت في المنام فقيل لها: ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لي وعلق جبتي التي كفنتموني بها تحت العرش تتبرك بها الملائكة.

وماتت رحمها الله بالقدس الشريف سنة خمسة وثلاثين ومائة.

● **حكاية:**

قال عبدالله الواسطي رحمه الله[1]: رأيت امرأة على عرفات وهي تقول: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ [الزمر:٣٧]، ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، فعلمت أنها ضالة. فقلت أيتها المرأة من أين أقبلت؟ قالت: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء:١]. فعلمت أنها من بيت المقدس، فقلت لها: ما الذي جاء بك؟. قالت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. فقلت: ألك زوج؟ قالت: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾. فقلت: أتركبين على بعيري؟ قالت: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فلما أرادت الركوب قالت: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾، فأعرضت عنها، فلما ركبت قلت: ما اسمك؟ قالت: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ﴾ [مريم:١٦]. فقلت لها: ألك أولاد؟ قالت: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾ [البقرة:١٣٢]، فعلمت أن لها أولاد، فقلت:أسماؤهم؟ قالت: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]، ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص:٢٦].

فقلت: فأي موضع أطلبهم؟ قالت: ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، فقلت: إنهم أدلة الركب.

---

(١) هذه القصة ليست من هدي الأمة؛ إذ النبي ﷺ كان يتكلم بالكلام المعروف من كلام أهل الدنيا، لما فيه خير واحتساب نية، فنبهنا على هذا حتى لا يختلط الأمر على العامة.

فقلت: يا مريم أتأكلين شيئًا؟ قالت: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦].

فلما وصلنا إليهم رأوها بكوا وقالوا: هذه أمنا نذرت أن لا تتكلم إلا بالقرآن، ثم قالت لهم: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ...﴾ [الكهف:١٩]، الآية.

ثم بعد ذلك رأيتهم يبكون فسألتهم، فقالوا: إنها في النزع، فدخلت عليها وسألتها عن حالها فقالت: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق:١٩].

فلما ماتت ورأيتها في المنام، فقلت لها: أين أنت؟ قالت: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٥]، رحمها الله تعالى وعلى أمثالها وهم يحمدون كثيرون، وإنما ذكرت هؤلاء على سبيل التبرك.

ونظيرها ما نقل في كتاب «لوامع أنوار القلوب وجوامع أسرار المحبوب»: قال الأصمعي: رأيت بالبصرة مجنونًا يتكلم بالقرآن، فقلت له: من أنت؟ قال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣]. فقلت له: من أين وإلى أين؟ قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]. فقلت له: من معك؟، فقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]. قلت: هل أنت محتاج إلى الزاد؟ قال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢]. قلت له: أوصني. قال: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، انتهى والله تعالى أعلم.

فصل في الزراعة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له صدقة**»(١).

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: «**من غرس غرسًا أعطاه الله من الأجر بعدد ما يخرج من ثمر ذلك الغرس**»(٢)، رواه الإمام أحمد. وفي رواية جابر رضي الله عنه: «**ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أكل صدقة، وما سرق منه صدقة**». وفي رواية: «**لا يغرس المسلم غرسًا**

---

(١) أخرجه البخاري (١١٥٧)، كتاب الحرث والمزارعة، ١-باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، ومسلم (١٢)، كتاب المساقاة، والترمذي (١٣٨٢)، كتاب الأحكام، باب ما جاء في فضل الغرس، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٢٩، ٢٤٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٣٧، ١٣٨)، والقرطبي في تفسيره (٣/ ٣٠٥)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ١٠٣، ١٠٤)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٣٦٢)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ١١٣).

ولا يزرع زرعًا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كان له صدقة»[1]، رواه مسلم.

قال الثعالبي والواحدي عن ابن عمر رضي الله عنهما: إن النبي ﷺ قال: «ما من زرع على الأرض ولا ثمار على الأشجار إلا عليه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، رزق فلان ابن فلان»[2].

فكفى بهذا فضيلة كون الإنسان في مشيه بين زرعه واشتغاله به محفوفًا بـ«بسم الله الرحمن الرحيم»، إذ هو مكتوب على الزرع والثمار اسمه تعالى أمان له.

● **فائدة:**

قال جابر بن عبدالله رضي الله عنه: «من غرس غرسًا يوم الأربعاء وقال: سبحان الباعث الوارث أتته بأكلها»[3].

وعنه ﷺ: «اطلبوا الرزق في خبايا الأرض»[4].

قال القرطبي: يعني بالحراثة والغرس.

ثم قال: سمعت من ثقة: ما من زارع يقرأ قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾، ثم يقول: بل الله الزارع، اللهم صل على محمد وارزقنا ثمره، وادفع عنا ضرره، واجعلنا لعملك من الشاكرين؛ إلا دفع الله عن زرعه جميع الآفات.

ثم قال القرطبي: ورد عن النبي ﷺ: «لا يقولن أحدكم: زرعت، وليقل: حرثت، فإن الزارع هو الله»[5].

نعم قال الغزالي رحمه الله في «شرح الأسماء»: لا يقال لله: يا حارث، يا زارع، يا خالق القردة والخنازير.

● **حكاية:**

مر بعض الملوك على شيخ يزرع أشجاراً فقال: أنت تأمل أن تأكل منه؟ . قال: زرعوا

---

(١) أخرجه مسلم (٧) في المساقاة، والمنذري في الترغيب (٣/ ٣٧٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٣٨)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ١٠٣)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٨).

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ١٣٠)، والقرطبي في تفسيره (٧/ ٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٥).

(٣) أخرجه ابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (٨٥٠)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٣٥).

(٤) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (١/ ١٥٤)، وابن حجر في المطالب العالية (١٢٩٠)، والذهبي في ميزان الاعتدال (٩٢٢٨)، وابن حبان في المجروحين (٢/ ٩١)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ١١٣).

(٥) أخرجه السهمي في تاريخ جرجان (٤١١).

لنا فأكلنا ونزرع لهم فيأكلون، فأعطاه ألفًا، فضحك، فسأله عن ذلك، فقال: عجبت من سرعة ثمرة هذا الغراس، فأعطاه ألفًا أخرى، فضحك، فسأله فقال: الغراس يثمر في السنة مرة، وغراس هذا ثمر مرتين، فأعطاه ألفًا أخرى وتركه.

وقال عبدالله بن سلام[1] رضي الله عنه: لا تدع غراس أرضك وإن خرج الدجال.

وقيل لعثمان بن عفان رضي الله عنه: أتغرس بعد الكبر؟

فقال: لأن تقوم الساعة وأنا من المصلحين خير من أن توافيني وأنا من المفسدين.

● **مسألة:**

قال بعضهم: لو أوصى المتوكلين صُرف للزارعين، واعلم أنه لو دفع فدانًا وحبًا إلى رجل ليزرعه، وله ثلث المغل، يكون المغل لصاحب الفدان، وللعامل أجره مثله، كما أفتى به العلامة ابن حامد الصفدي رحمه الله.

● **وهذه فوائد:**

الأولى: نقل العلامة رحمه الله في تفسير سورة يوسف: إن الله تعالى أنزل على موسى عليه السلام: ما من فدان يزرع إلا وينزل الله عليه ألف ملك يباركون فيه وفي حرثه، فإذا نبت أنزل الله ألفي ملك يباركون في نباته، فإن استوى أنزل الله ثلاث آلاف ملك يباركون في شطئه يعني في الذي يتفرع منه؛ فإن الحبة قد تخرج بثلاث سنابل وأكثر لما قال الله تعالى: ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾، والصنوان: هي الشجرة التي يكون لها أصلان فأكثر.

فإذا آن حصاده أنزل الله ستة آلاف ملك يباركون في حبه، ويهللون رب العزة ويكبرونه، ولن يؤكل منه شيء حتى ينزل الله عشرة آلاف ملك يباركون له.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «أكرم نبات على وجه الأرض البر، وذلك أن الله تعالى استعمل فيه أهل السماء والأرض» .

الثانية: أنزل الله على داود عليه السلام في الزبور: إنني أنا الله رب كل شيء، خلقت الدنيا وجعلت قوامها القمح والشعير. وجعلهما رأس كل بركة وبهما يثبت الأرض أن تزول.

---

(١) عبدالله بن سلام بن الحارث، أبو يوسف الإسرائيلي الخزرجي، صحابي مشهور، له أحاديث وفضل، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٤٣)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٥/ ٢٣٩)، تقريب التهذيب (١/ ٤٢٢)، تاريخ البخاري الكبير (٣/ ١٨)، تاريخ البخاري الصغير (١/ ٧١، ٧٤)، الجرح والتعديل (٥/ ٢٨٨)، أسد الغابة (٣/ ٥٦٤)، الاستيعاب (٣/ ٩٢١)، الثقات (٣/ ٢٢٨)، الوافي بالوفيات (١٧/ ١٩٨).

وعن النبي ﷺ[1]: «أكرموا الخبز فإن الله تعالى سخر له من بركات السماء وبركات الأرض، ولا تسندوا به القصعة، فإنه ما أهانه قوم إلا ابتلاهم الله بالجوع، ومن يتتبع ما يسقط من السفرة غفر له».

ومن كراماته أيضًا: أن لا ينتظر به الأدْم.

ووجد علي رضي الله عنه لقمة فأمر غلامه بحفظها فأخذها الغلام ثم أكلها، فقال له: أنت حر لوجه الله، لأن النبي ﷺ قال: «من رفع لقمة وأماط عنها الأذى وأكلها لم تستقر في جوفه حتى يغفر الله له، وأنا أكره أن أستخدم عبدًا غفر الله له»، ذكره في «الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة»، وفي غيره عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

وقال أبو أيوب الأنصاري [2] رضي الله عنه: رآني رسول الله ﷺ وأنا ألتقط ما وقع من السفرة فقال: «بورك لك وبورك عليك وبورك فيك».

فقلت: وغيري، قال: «نعم، ومن أكل ما أكلت فله مثل ما قلت لك، ومن فعل هذا وقاه الله الجذام والبرص والفالج».

الثالثة: أنزل الله تعالى على إبراهيم عليه السلام: خلقت القمح والشعير، وخلقت فيهما النفع كله، فحذِّر قومك فساده، فإن فساده يرفع الغيث عن العباد.

الرابعة[3]: أول صناعة عملت على وجه الأرض صناعة الحرث، وأول من حرث آدم عليه السلام، ثم أدركه التعب آخر النهار، فقال لحواء: ازرعي، فزرعت ما بقي فصار زرعها شعيرًا، فتعبت من ذلك. فأوحى الله إلى آدم عليه السلام: لما أطاعت (العد والمشير)[4] أبدلنا القمح بالشعير.

وقال كعب الأحبار [5] رضي الله عنه: اختلفوا هل الزراعة للحبوب مقدمة عليها؟ قال قوم: زرع الحبوب مقدم لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ: ١٤]، أي منصبًا

---

(١) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٢١٧)، والبخاري في التاريخ الكبير (٨/ ١٢)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٤)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٤٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٠٤).

(٢) أبو أيوب الأنصاري: خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف، الخزرجي النجاري المدني، صحابي جليل شهد بدرًا، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٥٠، ٥٥)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٣/ ٩٠)، تقريب التهذيب (١/ ٢١٣)، الكشاف (١/ ٢٦٨)، تاريخ البخاري الكبير (٣/ ١٣٦)، (٩/ ٨٩)، الجرح والتعديل (٣/ ٣٣١)، أسد الغابة (٢/ ٩٤)، الإصابة (٢/ ٢٣٤)، الاستيعاب (٢/ ٤٢٤)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٠٢)، البداية والنهاية (٨/ ٥٨)، الحلية (١/ ٣٦١)، الثقات (٣/ ١٠٢).

(٣) انتقل من الرابعة إلى الثامنة مباشرة دون ذكر الخامسة والسادسة والسابعة، فليتنبه لذلك.

(٤) هكذا بالأصل.

(٥) كعب الأحبار هو كعب بن ماتع، أبو إسحاق الحميري، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٣٤)، وقيل: (٣٢)، التقريب (٢/ ١٣٥)، وقد تقدمت ترجمته بأوسع من ذلك من قبل.

متتابعًا ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا﴾ ولأن الحب قوت والشجر فواكه، والقوت مقدم على الفاكهة. ولأن الله تعالى قدم الحب على النوى في القرآن.

وقال قوم: زرع الأشجار مقدم لقوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾، أي بساتين ملتفة بعضها على بعض كالعنب.

وقال أبو نعيم: كان النبي ﷺ يحب من الفاكهة العنب وأكله يقوي البدن، والمقطوف بعد يومين أنفع من المقطوف في يومه، والأبيض أنفع من الأسود.

وقال بعضهم: رأيت في المنام كأني دخلت بستانًا وأكلت من جميع ثماره إلا العنب الأبيض، فأخبر بعضهم بذلك فقال له: تصيب من كل علم إلا علم الفرائض، لأن العنب الأبيض جوهر العنب، وعلم الفرائض جوهر العلم.

قال في «نزهة النفوس والأفكار في خواص الحبوب والنبات والأشجار»: ملوك الفواكه ثلاثة: التين والعنب والرطب، ولعوق الحصرم ينفع من الغشيان، ويقطع القيء ويسكن هيجان الصفراء، وينفع من الحمى الحدة، ويمسك الطبيعة ويقطع العطش.

وصفته: ماء حصرم مصفى يغلي علىَ النار حتى يبقى ثلثه، ثم يوضع عليه من السكر مثله، ثم يوقد عليه ناراً أيضًا حتى يأخذ قوام الأشربة.

وعن النبي ﷺ[1]: «**نعم الطعام الزبيب؛ يشد العصب، ويذهب الوصب، ويطفئ الغضب، ويذهب البلغم، ويصفي اللون، ويطيب النكهة**». يعني: رائحة الفم، والوصب: المرض.

وفي حديث آخر: «**عليكم بالزبيب فإنه يكشف المرّة ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب بالهمّ**».

وفي كتاب «شرعة الإسلام الهادي إلى دار السلام»: أن الشيطان يغضب من أكل العنب مع الزبيب، وأكل الجوز واللوز الأخضر مع يابسهما.

وفي كتاب «زاد المسافر»: أن أكل الزبيب ينفع من كل مرض يحدث في الكبد.

وفي «مفردات ابن البيطار»: إذا دق الزبيب مع دقيق الفول والكمون وجعله على ورم الأنثيين يسكن الوجع، وإذا أكل الزبيب بعجمه سكن أوجاع الأمعاء، والزبيب نافع

---

(١) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٤٩)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ١٦٩)، والذهبي في الطب النبوي (٥٦)، والكحال في الأحكام النبوية (٢/ ٧٠)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٠٤).

لأصحاب البرودة، ويخصب البدن النحيف.

وقال في «نزهة النفوس والأفكار»: إن أكله بعجمه ينفع المعدة والكبد ومن الطحال، ويزيد في الحفظ.

وقال علي ﷺ: من أكل كل يوم إحدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير في بدنه سوء.

الثامنة: عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ: «ما للنفاس عندي شفاء مثل الرطب، ولا للمريض مثل العسل»[١].

وقال ﷺ: «أطعموا نساءكم في نفاسهن التمر، فإنه من كان طعامها في نفاسها التمر خرج ولدها حليمًا، فإنه كان طعام مريم حين ولدت، ولو علم الله طعامًا هو خير لها من التمر لأطعمها إياه»[٢].

وعنه ﷺ: «أكل التمر أمان من القولنج»[٣].

وقال بعض الحكماء: أكل وزن درهم من الصابون أمان من القولنج أيضًا.

وذكر ابن طرخان في «الطب النبوي»، عن النبي ﷺ: «أطعموا حبالاكم اللبان -يعني حصا لبان الذكر- فإن يكن في بطنها ذكر يكن ذكي القلب، وإن تكن أنثى حسن خلقها»[٤].

وفي «الطب النبوي» للذهبي: أن الحامل إذا أكلت الكرفس خرج ولدها ضعيف العقل.

وقال غيره: أكل الكرفس ينفي الجنون والجذام ويورث الحكمة ويزيد في الذهن.

وفي كتاب «شرف المصطفى»: من أكل كرفسًا نام آمنًا من وجع الضرس والأسنان.

وقال في «نزهة النفوس»: شراب الكرفس ينفع المعدة الباردة، ومن عسر البول، يؤخذ من بذره عشرة دراهم، ومن الماء مائة وخمسون درهمًا، ويوضع على النار حتى يبقى الثلث، ثم يضاف إليه ثلاثة أمثاله من السكر ويغلي على النار ثانيًا حتى تزول رغوته، ثم يرفع عن النار.

التاسعة: عن أبي هريرة ﷺ: أهدي للنبي ﷺ طبق تين فأكل وقال لأصحابه: «كلوا،

---

(١) أخرجه ابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ٢٠٩)، والسيوطي في الحاوي للفتاوي (٢/ ٩٢)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٩٤٠).

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ٣٦٦)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ١٩٥)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٢٧).

(٣) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٩٠).

(٤) أخرجه الذهبي في ميزان الاعتدال (٧٩٥٦)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ١٥٠)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٦١).

فلو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة بلا عجم لقلت: هي التين، كلوه فإنه يقطع البواسير، وينفع من النقرس» .

وذكر في كتاب «العجائب»: إن أكل يابسه على الريق فيه منفعة عظيمة.

وعنه ﷺ أنه قال: «عليكم بأكل البلسي فإنه يقطع عروق الجذام، ألا وهو: التين»[١] .

وقال ابن طرخان في «الطب النبوي»: التين الناضج المقشر ينقي الخلط البلغمي والطحال، ويغذي البدن غذاءً جيداً.

قال في «نزهة النفوس والأفكار»: وأجوده الأبيض الممزق الجلد، وملازمة أكله تحسن اللون، ويفتح مجاري الغذاء إذا أكل على الريق، والحلو الناضج منه مع الجوز واللوز من الأدوية النافعة لإزالة عرق النسا ووجع الظهر، وشرابه يحسن اللون ويسمن البدن، ويزيد في الباءة، وينفع من البواسير.

وصفته: تين يابس أوقية، وزبيب منزوع النوى ربع أوقية، ويلقى في أوقيتين ونصف من الماء، ثم يغلي على النار، ثم يصفى ويلقى شيء من السكر، ثم يؤخذ قرفة وخولنجان ودار فلفل وزنجبيل، ويربط في خرقة ويلقى فيه وقت وضعه على النار ثانيًا.

وقال القرطبي في سورة الأعراف: لما أكل آدم من الشجرة وبدت عورته أراد أن يستتر بورق الأشجار فعزت عنه إلا شجرة التين فغطته من ورقها فكافأها الله تعالى بأن سوى بين ظاهرها وباطنها في الحلاوة، وأعطاها الثمر في العام الواحد مرتين.

وفي كتاب «البركة» عن النبي ﷺ: «مكتوب على كل حبة -يعني من التين-: بسم الله القوي».

العاشرة: عن عقبة بن عامر ﷺ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «عليكم بهذه الشجرة المباركة: زيت الزيتون؛ فتداووا به فإنه مصحة من الباسور»[٢] .

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ[٣]: «كلوا الزيت وادهنوا به؛ فإن فيه شفاء من سبعين داء منها الجذام» .

---

(١) أخرجه السيوطي في الحاوي للفتاوي (٢/ ٩٢).

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٠٠)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٢٨١)، وذكره الألباني في الضعيفة (١٩٤).

(٣) أخرجه الترمذي (١٨٥١، ١٨٥٢)، وابن ماجه (٣٣٢٠)، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٩٧)، والحاكم (٢/ ٣٩٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٣١).

وقال الذهبي في «الطب النبوي»: الادهان بالزيت يقوي الشعر والأعضاء، ويبطئ الشيبة، وشربه ينفع من السموم.

وقيل: إنه ترياق الفقراء.

وفي «العرائس»: إن آدم عليه السلام اشتكى وجعًا، فجاءه جبريل بشجرة الزيتون وأمره أن يأخذ من ثمرها ويعصره فإن فيه شفاء من كل داء إلا السام، وهو الموت.

الحادية عشر: رأيت في «الطب النبوي» لأبي نعيم رحمة الله عليه: أن النبي ﷺ دفع لبعض أصحابه سفرجلة وقال: «دونكها، فإنها تشد القلب وتطيب النفس وتذهب بطخاوة الصدر». قيل: وما طخاوة الصدر؟ قال: «مثل اللطخ يكون في السماء».

وقال الذهبي في «الطب النبوي»، عن النبي ﷺ[١]: «كلوا السفرجل فإنه يجلو عن الفؤاد، وما بعث الله نبيًا إلا وأطعمه من سفرجل الجنة، فيزيد في قوته أربعين رجلاً».

وشراب السفرجل ينفع من الإسهال ويمسك الطبيعة ويقوي المعدة والكبد ويمنع الخلط الصفراوي.

وصفته: يدق السفرجل ويؤخذ ماؤه ويغلى على النار وتزال رغوته ثم يجعل عليه ثلاثة أمثاله من السكر، ثم يغلى على النار ثانيًا.

فصل في قوله ﷺ: «خلقتم من سبع ورزقتم من سبع»[٢]

قوله: «خلقتم من سبع»: يعني من سلالة وهي النطفة، تُسل من الظهر سلاً من طين، أي من مخلوق من طين وهو آدم عليه السلام، ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾، أي جعلنا النطفة البيضاء علقة حمراء وهو دم جامد، ثم جعلنا الدم قطعة لحم على قدر ما يمضغه الآكل. ثم قسم النطفة إلى عظام وأعصاب وعروق ولحم.

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: إذا مكثت النطفة أربعين يومًا في بطن الأم رفعها ملك إلى الله تعالى وقال: أخلق يا أحسن الخالقين، فيقضي الله فيها ما يشاء، ثم يدفع إلى الملك فيقول له: يا رب سقط أم تمام؟ فيبين له، ثم يقول: يا رب ذكر أم أنثى؟ فيبين له، ثم يقول: يا رب أشقي أم سعيد؟ فيبين له، ثم يقول: يا رب طويل العمر أم قصير؟ فيبين له، ثم يقول : يا رب أقطع رزقه. أي: قدّره، فيقدر له رزقه على قدر أجله.

ثم يرجع إلى بطن أمه، فإذا مكث ستة أيام نقط في وسط النطفة نقطة وهي القلب.

---

(١) أخرجه الذهبي في الطب النبوي (٥٩)، والكحال في الأحكان النبوية في الصناعة الطبية (٢/ ١١٨).

(٢) أخرجه القرطبي في تفسيره (١٩/ ٢٢٣).

قال الأكثرون: لأنه أول مخلوق من الولد.

● مسألة:

ما الحكمة في أن الله تعالى خلق القلب أولاً؟

فالجواب: لأنه أشرف من غيره فاستحق التقدم على غيره.

فإن قيل: ما الحكمة في كون القلب واحداً دون غيره من الأعضاء كالعينين.

فالجواب: أن اليدين والرجلين والعينين منفعة كل عضو للآخر إنما هو على سبيل المعاونة في المنافع المحسوسة والمشاهدة، والاجتهاد يكون بالقلب، فقد يختلف القلبان في الاجتهاد. فيرى أحدهما ما لا يراه الآخر، فيقع التناقض بينهما، والله تعالى أعلم.

وقيل: خلق الله تعالى الدماغ أولاً، وقيل: الكبد، وقيل: السرة، وقيل: الفرج، ثم ينقط نقطة في أعلى النطفة، وهي الدماغ، ونقطة عن اليمين والشمال وهما اليدان، ثم تتباعد تلك النقطة ويظهر بينهما خطوط في ثلاثة أيام أخرى، ثم تجري الدموية في الجميع بعد ستة أيام أخرى، ثم تتميز الأعضاء الثلاثة وهي: الدماغ والقلب والكبد بعد اثني عشر يومًا، فيكون المجموع سبعة وعشرين يومًا، ثم ينفصل الرأس عن المنكبين، وتتميز اليدان والرجلان عن الضلوع والبطن عن الجنبين وذلك في تسعة أيام أخرى ثم يتميز الولد واضحًا في أربعة أيام أخرى، فهذه أربعون يومًا.

فهذا معنى قوله ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا»[1].

قال الرازي رحمه الله تعالى: يكون الولد جالسًا على رجليه في بطن أمه قد ضم فخذيه إلى صدره، ووضع كفيه على ركبتيه ورأسه على ركبتيه وعينيه على ظهر كفيه وأنفه بين ركبتيه ووجهه إلى ظهر أمه كالمنتظر لورود الأمر.

● مسألة:

لو ماتت كتابية حاملة بمسلم دفنت بين مقابرهم ومقابر المسلمين، وجعل ظهرها إلى القبلة حتى يكون الجنين مستقبلاً لها.

وإذا اختلط مسلم بكافر وجهل وجب غسل الجميع وتكفينهم والصلاة عليهم، وبه

---

(١) أخرجه البخاري في القدر، في فاتحته، وفي التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، ومسلم في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، والترمذي (٢١٣٧)، كتاب القدر، باب ما جاء أن الأعمال بالخواتيم، وأحمد في مسنده (١/ ٣٨٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ١٣٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢٤٤).

قال مالك والإمام أحمد، وقال أبو حنيفة رحمه الله: إن كان الكفار أكثر وسواء بأن مات كافران ومسلمان فلا يغسلون ولا يصلى عليهم.

قال الماوردي: ويدفن الجميع بين مقابرهم ومقابرنا .

ومثلها أيضًا لو استرضع المسلم ولده من يهودية لها ولد يهودي ثم غاب المسلم مدة، ثم حضر وقد ماتت اليهودية، ولم يعرف ابنه، ثم مات أحدهما قبل البلوغ جاز تكفينه دون الصلاة عليه لأنه يهودي أو مرتد.

ولا يؤمر أحدهما بصلاة وغيرها من أحكام الإسلام حتى يتبين الحال.

● فوائد:

الأولى: عن النبي ﷺ: «**إذا مرّ بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله تعالى إليها ملكًا يصورها**»[١].

وفي حديث آخر: «**يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم أربعين يومًا علقة، ثم أربعين يومًا مضغة، ثم يبعث الله الملك فينفخ فيه الروح**» .

قال القرطبي في سورة الحج: فهذه أربعة أشهر، وفي العاشر من الخامس ينفخ فيه الروح، فهذه عدة المتوفى عنها زوجها، فلا خلاف.

ثم قال في سورة: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ أي مختلط، قال ابن عباس رضي الله عنهما: العظم والعصب والقوة من ماء الرَجل، والدم واللحم والشعر من المرأة.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي ﷺ: إذا خرج ماء الرجل أولاً وكان كثيراً كان الولد ذكراً بحكم السبق ويشبه أعمامه بحكم الكثرة، وإن خرج ماء الرجل أولاً وكان ماء المرأة كثيراً كان الولد ذكراً أيضًا لسبق ماء الرجل ويشبه أخواله لكثرة ماء المرأة، وإن خرج ماء المرأة أولاً، ولكن ماء الرجل كان أكثر كان الولد أنثى لسبق ماء المرأة ويشبه أعمامها لكثرة ماء الرجل، وفي هذه المدة يربّيه مولاه ويدبّر أمره في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن والرحم والمشيمة، وهي وعاء الولد، قاله البغوي. وقيل: ظلمة الصلب والرحم والبطن، قاله في «الكشاف»، وقيل: ظلمة الرحم والمشيمة والليل.

الثانية: قال واثلة بن الأسقع: من بركة المرأة أن تبكر بأنثى.

وعن النبي ﷺ: «**إذا أراد الله تعالى أن يخلق جارية بعث إليها ملكين أصغرين مكللين**

---

(١) أخرجه مسلم في القدر رقم (٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ١٩٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٤٥).

بالدر والياقوت فيضع أحدهما يده على رأسها والآخر يده على رجليها ويقولان: بسم الله ربي وربك الله، ضعيفة خلقت من ضعيف، المنفق عليك مُعانٌ إلى يوم القيامة» .

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ [١] : «ما من أحد من أمتي ولدت له جارية فلم يسخط ما قضى الله إلا هبط ملك بجناحين أخضرين موشحين بالدر والياقوت في سلم من نور حتى ينتهي بالبركة حتى يضع يده على ناصيتها وجناحه على جسدها، ثم يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ربي وربك الله، ضعيفة خرجت من ضعيف، والقيم عليك معان إلى يوم القيامة» ، حكاه الحدّادي في عيون المجالس.

وقال القرطبي: قال بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: هن البنات.

وعن النبي ﷺ: «رأيت رجلاً من أمتي أمر به إلى النار فتعلق بناته به فجعلن يصرخن ويقلن: ربنا إنه كان يحسن إلينا في الدنيا، فرحمه الله بهن» .

وعن النبي ﷺ: «لسقط أقدمه بين يدي أحب إليّ من فارس أخلفه» [٢] .

وفي رواية: «أحب إليّ من ألف فارس أخلفه ورائي» .

الثالثة: قال بعض العلماء: رأيت كتابًا في الطب معظمًا عند الأطباء من المسلمين، وفيه: حسن لون الحامل يدل على ذكورة الحمل، والثقل في جانبها الأيمن، وكبر حلمة ثديها الأيمن يدل على الذكورة أيضًا، فإن أشكل فخذ من حليب المرأة شيئًا يسيراً، واجعله على مرآة برفق واجعله في الشمس، فإن انبسط الحليب فالحمل أنثى وإلا فهو ذكر، والله تعالى بغيبه أعلم.

الرابعة: من بديع حكمة الله تعالى: أنه أوجد العظام من نطفة ضعيفة، ولما كان العبد محتاجًا إلى الحركة لم يجعلها عظمًا واحداً، بل عظامًا كثيراً .

وهي مائتا عظم وثمانية وأربعون عظمًا، سوى العظام الصغار التي اشتدت بها مفاصل الأصابع.

قال النبي ﷺ: «خلق الإنسان على ثلاثمائة وستين مفصلاً في الرأس، خمسة وخمسون عظمًا مختلفة الأشكال، فألف بعضها إلى بعض حتى صار الرأس مدورًا، فمنها ستة للقحف

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢٧٥)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٢٠١)، والسيوطي في اللآلئ (٢/ ٩٦)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (١٣٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٠٦٧)، والقرطبي في تفسيره (١٢/ ١١)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٣٥٩)، وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (٦٥٣)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٤٢٤)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٤٧٣).

وأربعة عشر للَّحْي الأعلى، واثنان للأسفل، والباقي هم الأسنان، وهي اثنتان وثلاثون بعضها عريضة تصلح للطحن، وبعضها حادة تصلح للقطع».

الخامسة: من بديع حكمة الله تعالى: أنه ركّب الرقبة من سبع خرزات مجوفات حتى صارت كالكرسي تحت الرأس، وركب الرقبة على الظهر، وركب الظهر من أسفل الرقبة إلى منتهى عظم العجز من أربع وعشرين خرزة.

قال الجوهري: مؤخر الرقبة يسمى القفا، وهو مقصور غير ممدود.

ثم خلق في الإنسان خمسمائة وعشرين عضلة، وركبها من لحم وعصب وأغشية.

السادسة: من بديع حكمة الله تعالى: أنه شق موضع السمع من بين عظام الرأس وأحاطه بلحم بارز عن الرأس وهو الأذن، وجعل فيها تجويفات واعوجاجات حتى لا تدخل الهوام سريعًا، بل يتنبه الإنسان من غفلته قبل وصول الهوام إلى موضع السمع وأودعها ما مرّ ليحفظ السمع وهو أفضل من البصر، لأن الله تعالى لم يبعث نبيًا أصم.

وكان شعيب ابن بنت لوط عليهما السلام ضريراً، فلذلك قال له قومه: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾. وكان يقال له: خطيب الأنبياء لحسن كلامه مع قومه.

السابعة: من بديع حكمة الله تعالى: أنه ركب العين من سبع طبقات لو فقدت منهن طبقة لتعطلت العين عن النظر، وأعضاؤها أربعًا وعشرين عضلة من العضلات المتقدمة تحركها، وأظهر في مقدار عدستها صورة السموات ومع اتساعها وبعد أقطارها.

ثم زينها بالأجفان لتحفظها وتطبقها، والذباب يصقل عينيه بيديه لأنه لا أجفان له ولم يجعل شعر الجفن أبيض لأنه يضعف البصر.

● لطيفة:

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: وطء الحامل يزيد في سمع الجنين وبصره.

الثامنة: من بديع حكمة الله تعالى: أنه رفع الأنف في وسط الوجه، وأحسن شكله وأودعه حاسة الشم ليدرك به غذاء القلب وهو الهواء، وغذاء البدن وهو روائح الأطعمة.

التاسعة: من بديع حكمة الله تعالى: أنه فتح الفم وزينه بالأسنان، وأحسن صفوفها وبيض ألوانها، وأودع فيه اللسان ناطقًا ومترجمًا عما في القلب، وحفظه بالشفتين حفظًا للطعام والكلام، ثم خلق الحناجر مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والطول والقصر والخشونة والملامسة، فاختلفت الأصوات بذلك، فلا يشبه صوت صوتًا، وتميز بعض الناس عن بعض بالصوت في الظلمة.

العاشرة: من بديع حكمة الله تعالى: أنه خلق اليدين فطولهما ليمتدا إلى المقصود، وعرض الكف، وقسم الأصباع الخمس كل أصبع بثلاث أنامل، ووضع الأربع في جانب والإبهام في جانب ليدور على الجميع، فإن بسط الإنسان يده صارت طبقًا يضع عليها ما يريد، وإن جمعها كانت آلة للضرب، وإن ضمها ضمًا غير تام كانت مغرفة، وإن بسطها وضم الأصابع كانت مجرفة.

ثم زينها بالأظافر للحك ولأخذ الشيء الذي لا تمسكه الأنامل في كل أصبع خمسة من العظام في الكف عشرة، وفي الساعد عظمان، وفي كل عضد كذلك، ولكل يد خمس عروق يتشعب من كل عرق أربعة عروق.

الحادية عشر: من بديع حكمة الله تعالى: أنه خلق البطن جامعًا لآلات الأكل والشرب، كالأمعاء وهي: المصارين والكبد والمعدة والطحال والمرارة والكلية والمثانة.

فالمعدة: تطبخ الطعام، والكبد: يحيله دمًا، والطحال: يأخذ منه السوداء، والمرارة: تأخذ الصفراء، والكلية: تأخذ منه المائه إلى المثانة، وهي مكان البول، فإذا صار الطعام دمًا خالصًا أخذته العروق وهي ثلثمائة وستون عرقًا أعظمها النياط[1]، ويسمى: نهر البدن إلى سائر الجسد.

ثم لكل عضو من هذه الأعضاء ملك يدبره ويصلح أمره، كما أن البر لا يصير طحينًا وعجينًا وخبزًا إلا بالصناع، وهم الملائكة يصلحون الغذاء في باطنك، وأنت في غفلة، ومددهم من ملائكة السماء ومدد ملائكة السماء من حملة العرش، ومدد الجميع من الله تعالى.

ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الصدر وعظام الكتف وعظام العجز وعظام الفخذين، والله أعلم.

الثانية عشر: من بديع حكمة الله تعالى: أنه نصب الساقين، في كل ساق خمسة وعشرون عرقًا، وركب فيهما القدمين، وفي كل رجل اثنان وأربعون عظمًا متصلة بعظم الفخذين، وجعل في أعلى كل ساق مفصلاً وهما: الركبتان، وفيهما عظمان وعرقان.

ثم غذي المولود في بطن أمه بجزء من دم الحيض، وادخر جزء منه يخرج مع الولد، وهو النفاس، والثلث الآخر يعلو في البدن إلى فم المعدة، فيحدث بذلك للحامل شهوة الغرائب.

ثم له طريق الخروج من بطن أمه، ثم غذّاه بلبن أمه حارًا في الشتاء باردًا في الصيف،

---

(١) نياط القلب: ما علق به إلى الرئتين.

وألهمه مص الثدي على قدر فمه، وفتح له في الحلمة ثقبًا ضيقًا لا يخرج منه اللبن إلا بمصه.

فإذا تم به عامان لم يغنه اللبن بل يضره، فاحتاج إلى الطعام، والطعام يحتاج إلى المضغ والقطع والطحن، فأنبت له ستة عشر ضرسًا في كل جانب ثمانية وأربعة أنياب، وأربعة نواجذ، وأربعة رباعيات، وأربعة ضواحك.

ولما كان المضغ يحتاج إلى الماء جعل تحت لسانه عرقين ينبع منهما الريق، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾، ثم رزقه التميز والعقل حتى تكامل فصار مراهقًا، ثم شابًا، ثم كهلاً، ثم شيخًا إما شاكراً وإما كفوراً.

الثالثة عشر: قال الإمام النووي رحمه الله في «الروضة»: الشاب والغلام والفتى: من لم يبلغ، والكهل: من الثلاثين إلى الأربعين، والشيخ: من جاوز الأربعين.

وقيل: الشاب والفتى: من جاوز البلوغ إلى الثلاثين.

وفي «التنقيح على مذهب الإمام أحمد رحمه الله»: أن الطفل: من لم يُمنِ، والصبي والغلام: من لم يبلغ، والشاب والفتى: من البلوغ إلى الثلاثين، والكهل: من الثلاثين إلى الخمسين، والشيخ: منها إلى السبعين.

● وهذه لطائف.

الأولى: قال بعض الحكماء: الولد ريحانة إلى سبع سنين، وخادم إلى سبع أخرى، ووزير إلى سبع أخرى، ثم بعد ذلك هو عدو أو صديق.

● حكاية.

بُشر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بولد، فقال: ريحانة أشمها، ثم عن قريب ولد بار، أو عدو ضار.

الثانية: اعلم أن الله خلق آدم من ماء وتراب، وجعل فيه اثني عشر منفذاً بعدد البروج؛ سبعة منها في الرأس: الفم والمنخران والعينان والأذنان. وخمسة في البدن: الثديان والسرة والقبل والدبر.

وخلق سبعة أفلاك، وخلق في الولد سبعة أعضاء، فلا يصح السجود إلا عليها، وهي: الجبهة وهي عظم واحد من العظام الستة المستديرة بعجف الرأس له عرقان يسقيانه واليدان والركبتان والقدمان.

الثالثة: خلق الله تعالى في الفلك سبعة أنجم، وخلق في الولد سبع لطائف: السمع والبصر والذوق والشم والنطق والعقل واللمس.

● **مسألة:**

قال العلماء رحمهم الله: الممسوس لا يُنتقض وضوءه، مثاله: قبض رجل ذكر رجل وهما على وضوء انتقض القابض فقط.

واللامس والملموس ينتقض وضوءهما جميعًا، مثاله: كمس رجل زوجته وهما على وضوء انتقض وضوءهما جميعًا ؛ لأن المس خاص بالفرج واللمس عام.

الرابعة: حركات المولود كحركات الكواكب فولادته كطلوع الكوكب، وموته كقربه، وهذا باعتبار العالم العلوي.

وأما باعتبار العالم السفلي فجسده كالأرض، وعظمه كالجبال ومخه كالمعادن وعروقه كالأنهار، ولحمه كالتراب، وشعره كالنبات، ووجهه كالمشرق، وظهره كالمغرب، ويمينه كالجنوب، وشماله كالشمال، ونفسه كالريح، وكلامه كالرعد، وضحكه كالبرق، وبكاؤه كالمطر، وغضبه كالسحاب، وعرقه كالسيل، ونومه كالموت، وسهره كالحياة، وأيام صيامه كالربيع، وشبابه كالصيف، وكهولته كالخريف، وشيخوخته كالشتاء.

الخامسة: خلق الله تعالى الشمس ضياء والقمر نوراً والليل ظلمة والهوى لطافة، والجبال كثافة، والماء رقة، فجعل النور حظ الملائكة، والضياء حظ الحور العين، والظلام حظ الزبانية، والرقة حظ الشياطين، واللطافة حظ الجن، والكثافة حظ الدواب.

ثم جمع ذلك في بني آدم فجعل النور حظ العينين، والضياء حظ الوجه، والظلام حظ الشعر، واللطافة حظ الروح، والكثافة حظ العظم، والرقة حظ الدماغ، فلما جمع بين المتضادين في صورة واحدة مدح نفسه الكريمة بقوله الحق: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾.

● **فوائد لعلاج البدن:**

عن النبي ﷺ: «**عباد الله تداووا، فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء وشفاء إلا داء واحد**»، قيل: يا رسول الله ما هو؟ قال: «**الهرم**»[1]. رواه الترمذي.

وقال الشافعي رحمه الله: صنفان لا غنى للناس عنهما:

العلماء لأديانهم.

والأطباء لأبدانهم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٣٨)، كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه، وأبو داود في الطب، باب ما جاء في الرجل يتداوى، النسائي في الكبرى، الطب والعلم، وابن ماجه في الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء.

وقيل: أول من وضع علم الطب شيث عليه السلام.

وقيل: إدريس عليه الصلاة والسلام، استخرج علم الطب والصنائع.

قال ابن الجوزي رحمه الله: والظاهر أن الطب من وحي الله وإلهامه.

وقيل: إن كثيراً منه مأخوذ من الحيوانات، ويدل عليه: أن الذئب إذا مرض ألهمه الله تعالى أكل الجعدة فيبرأ، والحية إذا خرجت من الأرض في أول الصيف تخرج عمياء فتكتحل بالشومر فيرد الله بصرها، والهر إذا أكل شيئًا مسمومًا يطلب الزيت ولو من السراج، فإذا أكله برئ من ذلك، والجمل إذا مرض أكل شيئًا من شجر البلوط، والخنزير إذا مرض أكل السرطان، فتبارك الله رب العالمين.

الأولى: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ [(١)] : «**من ساء خلقه عذب نفسه، ومن كثر همه سقم بدنه، ومن لاحى الرجال ذهبت كرامته**» ، لاحى: أي خاصم.

وقيل: لما خلق الله الهم قال: يا رب أين أسكن؟ قال: في قلب عبدي المؤمن.

وقال النيسابوري في قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أي: أظلم، أقسم الله تعالى بساعة من النهار، وهي وقت الضحى، ثم أقسم بالليل كله، إشارة إلى أن هموم الدنيا أكثر من سرورها، لأن النهار محل السرور، فأقسم ببعضه والليل ظلمة تشابه الهموم، فأقسم بجميعه.

ثم قال: خلق الله تعالى غمامة عن يسار العرش فأمطرها هموماً وأحزانًا ثلاثمائة عام.

ثم خلق غمامة بيضاء عن يمين العرش فأمطرها سروراً ساعة واحدة.

الثانية: في علل الرأس:

قال أنس رضي الله عنه: احتجم النبي ﷺ من وجع كان برأسه، وكان ﷺ إذا أصابه الصداع خضب رأسه بالحناء. وستأتي منافعه في باب العدل.

وينفع من الصداع بذراً قطونًا مع الخل ضماداً، وكذلك شم المسك والورد وأكل الخيار والقثاء وشمها، ولطخ الرأس بالسدر والخل.

وقال النبي ﷺ[(٢)]: «**ما مررت بملأ من الملائكة ليلة المعراج إلا قالوا: مُر أمتك بالحجامة**» ، وما شكا إليه أحد وجعًا في رأسه إلا أمره بالحجامة، ولا وجعًا في رجليه إلا أمر بالحناء فيهما.

---

(١) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية (٢٥٥٦)، والكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (١٨٠).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٣٢٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٠٩)، والكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (١/ ٩٦).

وينفع من صداع الرأس أيضًا عصارة حي علم [١] مع دهن الورد، يدهن به الرأس والاكتحال بعصارته أيضًا ينفع من الرمد الحار.

وقال في كتاب «زاد المسافر»: دخان اليانسون يسكن الصداع ويحلل الزكام إذا استنشقه.

واعلم أن قوام البدن بالرأس لأنه منقسم على الطبائع الأربع: فالشق الأيمن منه للصفراء، والأيسر للسوداء والمؤخر للبلغم، والمقدم للدم.

فإن تألم اليمين فالصداع من الصفراء وعلامته العطش وجفاف اللسان أو السهر، وعلاجه دهن القدمين بالملح مع دهن البنفسج، ويدهن الرأس أيضًا من غير ملح.

فإن تألم الأيسر فالصداع من السوداء وعلاجه من الرأس بدهن القرع أو اللوز المر.

وإن تألم المؤخر فالصداع من البلغم وعلاجه بالقيء بعد أكل الفجل أو شرب الماء بالعسل.

وإن كان الصداع لا يسكن فهو من الدم، وعلاجه بالفصد إن لم يكن محمومًا أو ضعيفًا، ولا الزمان حاراً ولا بارداً، فإن كان الزمان حاراً شديداً وبارداً، فيحتجم في كل ساق فوق الكعب بشبر.

وإن كان الصداع من خلط حار اجتمع في فم المعدة وعلامته كرب وغشي ونخس في الفؤاد فعلاجه بالقيء، ويدلك صدره بماء الورد ودهنه.

الثالثة: وجع الأذن يزيله عصارة السداب مع قشور الرمان إذا وضع على النار، ثم قطر في الأذن.

ومثله في زوال وجعها تقطيراً دهن لوز مُر أو عصارة النعناع مع العسل.

قال في زاد المسافر: الأذن باب العقل، ومن زال سمعه ذهب فهمه، فإن حصل لها وجع من غير شيء دخل فيها فيقطر فيها ماء الفجل مع دهن لوز حلو بعد أن يوضع على النار يسيراً.

وأنفع أدوية الأذن للسمع دهن الأذن بلبن امرأة مع ماء الكراث، ودهن الورد ثم يقطر منه في الأذن.

فإن وقع فيها شيء فأدخل فيها ميلاً مغموسًا في غراء أو علك حتى يلصق به.

---

(١) نوع من النبات.

فإن لم يخرج فاجعل في أنفه الفلفل ثم سد أنفه فإنه يخرج بإذن الله تعالى.

وإن كان فيها قيح ووجع فعلاجه وزن قيراط أفيون، ووزن جتين من الشمع، فتذيبه بشيء من دهن الورد ضعه على فتيلة وأدخله في الأذن تبرأ بإذن الله تعالى.

الرابعة: العين إذا حصل لها مرض غير الرمد يزيله الزعفران إذا خلط بلبن امرأة واكتحل به أو ضمد الجبهة بقشور البطيخ الأصفر، ومما ينفع من ظلمة البصر والجرب والحكة التي في العين، يؤخذ مقدار فلفل وزن درهم وزعفران كذلك، وسنبل كذلك، ومن العفص ثلاثة دراهم، وفلفل ربع درهم، وكافور نصف، ونشادر نصف يسحق ويعجن بالماء، ويستعمل من خارج العين، ومن داخلها.

وأكل السداب يقوي البصر، والاكتحال بعصارته مع لبن النساء يزيل ظلمة البصر.

وقد داوى النبي ﷺ الرمد بتقطير الماء البارد وهو من أنفع أدوية الرمد.

وقال في «زاد المسافر»: إذا طبخ كبد المعز بماء وملح، وفتح من يغشى عليه وأكب وجهه على بخاره، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى. أو شوى كبد المعز واكتحل برطوبته التي يسيل منها زال الضرر بإذن الله تعالى.

وقال الشافعي رحمه الله: كان لي غلام ضعيف البصر فأخذت زيادة الكبد فكحلته بها فقوي بصره وزال ما به، وأما كحل الأيكة فهو سريع النفع، لأن رجلاً أصابه رمد عجز عنه الأطباء، فرأى في منامه جماعة من الملائكة فوضعوا له كحلاً فنسب إليهم، وهو عنزروت مرتا عشرة دراهم، سكر نبات ثلاثة، ونشا جيد ثلاثة، وششم وزن مثقال يسحق الجميع ويكتحل به، وهو نافع لجميع الأرماد بعد نصحها.

الخامسة: إن الصبر ينفع من اليرقان، وإن شرب حليب البقر حال حلبه ثلاثة أيام متوالية يقلع الصفار من الوجه.

وذكر في «نزهة النفوس والأفكار»: إذا غسل الوجه بدقيق الكر سنة، فإنه يحسن لونه. وإذا خلط بالعسل ودلك به الوجه فإنه يقلع النمش والكلف منه. وإن العسل يطول الشعر ويحسنه.

السادسة: إذا وضع صمغ الزيتون على ضرس متألم زال وجعه أو الملح أو الفلفل كذلك.

ومما جرب لوجع الضرس: وضع ثوم مقشر على نار، ثم يوضع على الضرس فيزول وجعه في الحال.

وقال عبدالله بن رواحة [(١)] ﷺ: أصابني وجع الضرس فشكوت ذلك إلى النبي ﷺ، فقال: «ادن مني، والذي نفسي بيده لأدعون لك بدعوة لا يدعو بها مؤمن إلا كشف الله كربته»، ثم وضع يده على خدي وقال[(٢)]: «اللهم أذهب عنه ما يجد وفحشه بدعوة محمد ﷺ»، فشفاني الله في الحال.

وروي: أن من سبق العاطس بالحمد عافاه الله من وجع الضرس.

السابعة: عن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ[(٣)]: «لا تكرهوا أربعة لأربعة: لا تكرهوا الرمد فإنه يقطع عروق العمى، ولا تكرهوا الزكام فإنه يقطع عروق الجذام، ولا تكرهوا السعال فإنه يقطع عروق الفالج، ولا تكرهوا الدماميل فإنه يقطع عروق البرص» .

قال بعض الحكماء: ما في المعدة من الأذى يخرج بالقيء، وما في البطن من الأذى يخرج بالبراز، وما في العين من الأذى يخرج بالقذي والدموع، وما في الأذن من الأذى يخرج بالأوساخ، وما في الدماغ من الأذى يخرج بالمخاط، وما في القلب والرئة من الأذى يخرج بالنفس، وما في الصدر من الأذى يخرج بالسعال، وما في الكبد من الأذى يخرج بالبول، وما في الصلب وسائر الأعضاء من الأذى يخرج بالمني، وما في الجلد واللحم من الأذى يخرج بالعرق، وما في الحلق واللهوات من الأذى يخرج بالبصاق، واللهوات: جمع لهات وهي اللحمة في أعلى الحنجرة، كما ذكره العلماء رحمهم الله في الكلام على الماء الخارج من فم النائم، فقالوا: إن كان من المعدة فنجس ويعرف ذلك بنتن رائحته، وإن كان من اللهوات فطاهر، وإذا قلنا بنجاسته وعمت بلوى شخص به فالظاهر العفو عنه، والله أعلم.

وعنه ﷺ: «الشعر الذي في الأنف والأذنين أمان من الجذام»[(٤)].

وعنه ﷺ: «لا تنتفوا الشعر الذي في الأنف فإنه يورث الأكلة، ولكن قُصُّوه قصًا».

وكزبرة البئر تكون في الأماكن الظليلة والحيطان الندية، وتسمى كزبرة البئر إذا أحرقت وخلط رمادها بالزيت والخل تنبت الشعر من داء الثعلب لطوخًا.

---

(١) تقدمت ترجمته قريبًا.

(٢) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية (٢٤٤٦).

(٣) أخرجه الفتني في تذكرة الموضوعات (٢/ ٢٠٧)، والسيوطي في اللآلئ (٢/ ٢١٥)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٥٦)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٣٦٣).

(٤) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٦٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ١٤١)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ٢٠٢)، وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (١٠٧٩)، والسيوطي في اللآلئ (١/ ٦٣)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٤/ ٢٩٥).

● **فائدة:**

إذا أحمي المسمار في النار ثم ألقي في حليب فإنه يقلع السعال ممن يشربه.

ومما ينفع من السعال العتيق والرياح الغليظة ولسع الهوام: ثوم أوقية مثلاً يلقى في أوقيتين سمن بقر ويوضع على النار حتى يقرب الاستواء ثم يغمر في عسل منزوع الرغوة، ويعقد على نار لينة ويستعمل عند النوم، وعند القيام منه.

ومما ينفع من السعال أيضاً أكل الملوخية أو أكل البندق أو شرب المصطكى، أو ثلاث بيضات برشت، ويؤخذ وزن ثلثي درهم حصى لبان ذكر يسحق ويجعل في بيضة شيئًا منه، ويستعمل ثلاث ليال كل ليلة واحدة عند النوم، فإنه نافع للقديم والحديث من السعال.

وأما سعال الصبيان يزيله أكل الكمون بالعسل .

الثامنة: الاستسقاء دواءه أن ينقع التين في شيرج يومًا وليلة، ثم يجعل فيه شحم حنظل أو ورقة، ثم يأكل منه العليل قدر كفايته.

ووصفة أخرى: وهي: أن يخلط زبل الحمام بالخل ويدهن به بدن صاحب الاستسقاء، فإنه ينفعه.

التاسعة: المغص يزيله شرب الخروب إذا دق وطبخ على النار، أو أكل قشر الليمون اليابس، أو النارنج، ثم أكل الليمون ينفع من العلل الباردة.

وعن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ[1]: «**عليكم بالسنى والسنوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام**». قال أبو نعيم: السنوت: الكمون، والسام: الموت.

وقال أنس ﷺ: أنطق الله شجرة الزعتر وقالت: يا نبي الله خذني، فوالذي بعثك بالحق نبيًا ما أنزل الله تعالى داء إلا وفيّ منه دواء.

وعنه ﷺ: «**لو علمت أمتي ما في الحلبة لاشتروها بوزنها ذهبًا**» [2] .

وقال الشافعي رحمه الله: جربت الأشياء كلها فما رأيت أنفع من الحلبة بالعسل.

وعنه ﷺ: «**استشفوا بالحلبة**» .

العاشرة: انتفاخ المعدة يزيله أكل الليمون والنعناع والكراويا، وحرارة المعدة تزيله أكل

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٣٤٥٧)، والكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (١/ ٧٢)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٩٨).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢٩٧)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٧٧٠).

الكزبرة الخضراء أو الجبن الطري غير المملح.

وبرد المعدة يزيله أكل الكراث المسلوق أو الكراويا.

ومما يعين المعدة على هضم الطعام عند ضعفها: وزن درهم مصطكى وزن ستة من الشيرج يوضع على نار لينة حتى تذوب المصطكى ثم ينزل عن النار حتى يبرد ويشرب منه البعض، ويدهن المعدة بالبعض فإنه نافع جداً.

ويعينها أيضًا: أكل الليمون فإنه يصلح الأخلاط الرديئة، ويخلص من السموم إذا أخذ منه على جهة الدواء بمعنى أنه لا يكثر منه.

والمملوح منه فيه المنافع المذكورة ويفتح سؤدد الكلى.

الحادية عشر: الخل ينفع من ورم الطحال، وشرب الزعفران أو عصارة السلق أو شرب المصطكى أو أكل الكرفس أو شرب ماء الرشاد بالعسل ينفع من الطحال أيضًا.

الثانية عشر: القلب يقويه أكل القلوب، وأكل السفرجل يشده، وبياض البيض كذلك. والمصطكى أكلها يشد القلب أيضًا.

وقال بعض العلماء: وملازمة التقوى تشده أيضًا، والقلب ملك والجوارح جنوده، فإذا طاب طابت جنوده. وفي الصحيح: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله»[1].

الثالثة عشر: الخفقان إن كان من الصفراء أزاله أكل الرمان الحامض، وإن كان من السوداء فأكل الكابلي.

وقال في «حاوي القلوب الطاهرة»: أما الصفراء فخلط لطيف حار يابس يحتاج إليه البدن في تغذية الأعضاء الحارة واليابسة.

وأما السوداء فخلط بارد يابس فيها منفعة للعظام؛ لأن الله تعالى خلقها باردة يابسة، وجعل فيها المخ حاراً رطبًا، فلولا حرارته ورطوبته لفسد يبس العظام وبردها، ولولا بردها ويبسها لأفسدها المخ بحرارته ورطوبته.

وأما البلغم فيرطب البدن.

وأما الدم فهو الخلط الأصل، والغذاء الحقيقي لجميع البدن.

والأخلاط المتقدمة كالتوابل له، وهو قسمان:

لطيف، وهو دم القلب. وكثيف، وهو الكبد.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢)، ومسلم (١٠٧)، في المساقاة، وابن ماجه (٣٩٨٤)، والقرطبي في تفسيره (١٤/ ٦١)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ١٧٠)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ٣٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٥٤).

والدم للبدن كالسلطان للرعية في حال سكوته وحلمه يكون الجسد صالحًا، وإذا حقد كان سببًا لهلاك الرعية وهي الأعضاء والجسد.

الرابعة عشر: أكل الهريسة يشد الظهر، والبيض المسلوق يؤخذ محاحه، يعني صفاره، ثم يحمص حتى ينضج، ثم يوضع في إناء حديد ويدهن به من وجع الظهر والمفاصل، فإنه يزيله بإذن الله تعالى.

وفي كتاب السويدي في الطب: لوجع الظهر وزن درهمين حبة سوداء مقشورة، وكمون أبيض وزن درهمين، وأوقية عسل، ويأكل منه فإنه نافع جيد.

وإن أكل التين باللوز ينفع لوجع الظهر، ودهن السداب ينفع من وجع الظهر وبرد الكلى والقولنج احتقانًا.

وإذا شرب منه خمسة دراهم ينفع من الارتعاش، وصفته: زيت مائه وعشرون درهمًا.

ومن ورق السداب الرطب: أربعون درهمًا، ومن الماء العذب: خمسة عشر يطبخ بنار لينة حتى يذهب الماء.

الخامسة عشر: يابس الدباء يحرق ويسحق، ثم يوضع على البرص مع الخل الحادق فإنه يزيله. والحبة السوداء إذا سحقت ووضع الخل معها على البهاق أزاله. ودم الضأن الحار حين يخرج حالة الذبح إذا وضع على البهاق غير لونه. وإن دم الحمام الأسود إذا وضع على البرص غير لونه، وإذا دق الزبيب مع دقيق الفول والكمون وجعل على ورم الأنثيين أزاله.

وشرب عصارة الكزبرة الخضراء التي تنبت في الأماكن الطرية وهي كزبرة البئر، تنفع أيضًا في عسر البول. وإن الحليب المغلي إذا وضع فيه فجل وشربه صاحب الحصاة نفعه.

وإن شرب السفرجل ينفع من الإسهال، وأكل السفرجل المشوي، أو التفاح الحامض إذا لبس بعجين ووضع على النار، أو الكسرة اليابسة المحمصة، أو شرب شيء من المعزة في بيضة برشت، كل ذلك ينفع من الإسهال إن شاء الله تعالى.

وعن النبي ﷺ: «من صلى عليّ فتح الله عليه بابًا من العافية»[1].

وعن النبيّ ﷺ: «أكثروا من الصلاة عليّ؛ فإنها تحل العقد وتفرج الكرب».

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.



---

(١) أخرجه السيوطي في الحاوي للفتاوي (٢/ ٩٨).

الباب الخمسون

في التحذير من الظلم وما فيه من الإثم

قال الله تعالى في كتابه المبين: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤٠-٤٢].

وقال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء:١٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

وعن سعيد بن عبدالعزيز، عن ربيعة بن يزيد[1]، عن أبي إدريس الخولاني[2]، عن أبي ذر جندب بن جنادة ﷺ، عن النبي ﷺ، فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال[3]: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا، يا عبادي كلكم

---

(١) ربيعة بن يزيد، أبو شعيب، أبو سعيد الإيادي الدمشقي، القصير، السلمي، ثقة، عابد، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي (١٢٣، ١٢١)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٣/ ٢٦٤)، تقريب التهذيب (١/ ٢٤٨)، الكاشف (١/ ٣٠٨)، تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٢٨٠)، الجرح والتعديل (٣/ ٢١١٤)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٣٢).

(٢) أبو إدريس الخولاني، عائذ بن عبدالله بن عمرو، ويقال: عبدالله بن إدريس، العوزي الدمشقي الشامي، قال سعيد بن عبدالعزيز: كان عالم الشام بعد أبي الدرداء ، أخرج له الستة، توفي سنة (٨٠)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٥/ ٨٥)، تقريب التهذيب (١/ ٣٩٠)، الجرح والتعديل (٧/ ٢٠٠).

(٣) أخرجه مسلم (٥٥-٢٥٧٧)، كتاب البر والصلة، ١٥-باب تحريم الظلم، وأحمد في مسنده (٥/ ١٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٩٣). قال النووي: قوله تعالى: «إني حرمت الظلم على نفسي»: قال العلماء: معناه: تقدست عنه وتعاليت، والظلم مستحيل في حق الله سبحانه وتعالى، كيف يجاوز سبحانه حداً وليس فوقه من يطيعه، وكيف يتصرف في غير ملك والعالم كله في ملكه وسلطانه ، وأصل التحريم في اللغة: المنع، فسمى تقدسه عن الظلم تحريمًا لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشيء. النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٠٨).

ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر[١]، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

قال أبو سعيد ﷺ: كان أبو إدريس ﷺ إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه. رواه مسلم.

وعن جابر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[٢]، رواه مسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ قال [٣] : «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أراضين» ، رواه البخاري ومسلم رحمهما الله.

قال أبو جعفر الطحاوي: معناه: أنه يقلب شجاعًا أقرعًا يتبعه ويقول: أنا مالك، أنا كنزك، فكان هذا داخلاً في قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته». ثم قرأ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ

---

(١) قال العلماء: هذا تقريب إلى الأفهام، ومعناه: لا ينقص شيئًا أصلاً كما قال في الحديث الآخر: «لا يغيضها نفقة» ، أي لا ينقصها نفقة؛ لأن ما عند الله لا يدخله نقص، وإنما يدخل النقص المحدود الفاني، وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه وهما صفتان قديمتان لا يتطرق إليهما نقص، فضرب المثل بالمخيط في البحر لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة، والمقصود التقريب إلى الأفهام بما شاهدوه؛ فإن البحر من أعظم المرئيات عيانًا وأكبرها، والإبرة من أصغر الموجودات مع أنها صقيلة لا يتعلق بها ماء والله أعلم. النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (٥٦-٢٥٧٨)، كتاب البر والصلة، ١٥-باب تحريم الظلم، والحاكم في المستدرك (١/ ١١)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٣٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٣٥)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٧١)، (٤/ ١٣٠)، ومسلم في صحيحه رقم (١٤٢)، كتاب المساقاة، وأحمد في مسنده (٦/ ٦٤، ٧٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٥).

شَدِيدٌ﴾[١]، رواه البخاري ومسلم.

وعن معاذ رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ فقال: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله سبحانه وتعالى افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[٢]، رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي حميد عبدالرحمن الساعدي[٣] رضي الله عنه قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد يقال له: ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا أهدي إليّ، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي فيقول: هذا لكم وهذا هدية أهديت إليّ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقًا، والله لا يأخذ أحد منكم شيئًا بغير حقه إلا لقي الله تعالى بحمله يوم القيامة، فلا أعرفن أحدًا منكم لقي الله عز وجل يحمل بعيرًا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تبعر»، ثم رفع ﷺ حتى رؤي بياض إبطيه، فقال: «اللهم هل بلغت»، رواه البخاري ومسلم[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلل منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنة أخذ من سيئات صاحبه فيحمل عليه»، رواه البخاري[٥].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «المسلم: من

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب تفسير ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ...﴾ من سورة هود، ومسلم في البر والصلة (١٦) باب تحريم الظلم، والترمذي (٣١١٠)، كتاب تفسير القرآن، من سورة هود، وابن ماجه (٤٠١٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٨٥)، والشجري في أماليه (٢/ ١٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٩٥)، كتاب الزكاة، ١-باب وجوب الزكاة، ومسلم (٣١)، كتاب الإيمان، ٧-باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، والترمذي (٦٢٥)، كتاب الزكاة، باب ما جاء في كراهية أخذ خيار المال في الصدقة، والنسائي (٥/ ٢-المجتبى)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٩٦)، وابن ماجه (١٧٨٣)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٣٣).

(٣) أبو حميد الساعدي الأنصاري المدني، اسمه المنذر بن سعد بن المنذر، أو: ابن مالك، وقيل: اسمه عبدالرحمن، وقيل: عمرو، صحابي مشهور، شهد أحداً وما بعدها، أخرج له أصحاب الكتب الستة، عاش إلى خلافة يزيد سنة (٦٠)، انظر ترجمته في التهذيب (١٢/ ٧٩)، التقريب (٢/ ٤١٤)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٨١)، الإصابة (٧/ ٩٤)، الكاشف (٣/ ٣٢٨).

(٤) أخرجه البخاري (٩/ ٣٦، ٩٥)، ومسلم (٢٦-١٨٣٢)، كتاب الإمارة، ٧-باب تحريم هدايا العمال.

(٥) أخرجه البخاري (٢٤٤٩)، كتاب المظالم، ١٠-باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته؟ وأحمد في مسنده (٢/ ٥٠٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٦٥).

سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر: من هجر ما نهى الله عنه»[١]، رواه البخاري ومسلم.

وعن عبدالله أيضًا ﷺ قال: كان على ثقل النبي ﷺ رجل يقال له: كركرة، فمات، فقال رسول الله ﷺ: «هو في النار» ، فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها. رواه البخاري[٢] .

غلها: أي أخذها من الغنيمة قبل أن تقسم.

وعن أبي بكرة نفيع بن الحارث ﷺ، عن النبي ﷺ قال[٣] : «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم[٤] ، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، أي شهر هذا؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس ذا الحجة؟» قلنا: بلى. قال: «فأي بلد هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس البلدة؟» قلنا: بلى، قال: «فأي يوم هذا؟» قلنا: الله رسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس يوم النحر؟» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه» . ثم قال: «ألا هل بلغت؟» قلنا: نعم. قال: «اللهم اشهد»، رواه البخاري ومسلم.

عن أبي أمامة إياس بن ثعلبة ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة». فقال: وإن كان شيئًا يسيرًا يا

---

(١) أخرجه البخاري (١٠)، كتاب الإيمان، ٤-باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ومسلم (٦٤-٤٠) كتاب الإيمان ، ١٤-باب بيان تفاضل الإسلام.

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٤٨٩-الفتح).

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٨٣)، (٧/ ١٢٩)، ومسلم (٢٩-١٦٧٩)، كتاب القسامة، ٩-باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، وأبو داود (١٩٤٧)، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٧، ٧٣).

(٤) قال النووي: أجمع المسلمون على أن الأشهر الحرم الأربعة هي المذكورة في الحديث، ولكن اختلفوا في الأدب المستحب في كيفية عدها، فقالت طائفة من أهل الكوفة وأهل الأدب: يقال : المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة، ليكون الأربعة من سنة واحدة. وقال علماء المدينة والبصرة وجماهير العلماء: هي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، ثلاثة سرد، وواحد فرد، وهذا هو الصحيح الذي جاءت به الأحاديث الصحيحة منها هذا الحديث، وعلى هذا الاستعمال أطبق الناس من الطوائف كلها. النووي في شرح مسلم (١١/ ١٣٩).

رسول الله؟ فقال: «وإن كان قضيبًا من أراك»[١]، رواه مسلم.

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد، وفلان شهيد، حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال النبي ﷺ: «كلا إني رأيته في النار في بُردة غلها أو عباءة»[٢]، رواه مسلم.

وروى محمد بن أحمد السمسار بإسناده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر»[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «دعوتان ليس بينهما وبين الله حجاب: دعوة المظلوم، ودعوة المرء لأخيه بظهر الغيب»[٤]، رواه أبو القاسم الأصبهاني.

وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي، ولن أشفع لهما، ولن يدخلا في شفاعتي: سلطان ظلوم غشوم عسوف، وغال مارق في الدين»[٥].

قال أبو القاسم: الغشم: الظلم، والعسف: المبالغة في الظلم ومجاوزة الحد فيه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ[٦]: «إن لكل شيء شرفًا، وإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة، وإنما تجلسون بالأمانة، ولا تصلوا خلف النائم ولا المحدث، واقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم في صلاتكم، ولا تشتروا الجدر بالثياب، ومن نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فكأنما ينظر في النار، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله، ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله تعالى أوثق منه بما في يده، ألا أنبئكم بشراركم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: «من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده، أفلا أنبئكم بشر من هذا؟»

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٨-١٣٧)، كتاب الإيمان، ٦١-باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢-١١٤)، كتاب الإيمان، ٤٨-باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأحمد في مسنده (١/ ٣٠).

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٠٥)، وأبو داود (١٥٣٦)، وابن ماجه (٣٨٦٢)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٨، ٣٤٨)، وابن حبان في صحيحه (٢٤٠٦-موارد).

(٤) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٢)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٨٧).

(٥) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٣٥)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٧١٠).

(٦) أخرجه البيهقي (٧/ ٢٧٢)، والحاكم (٤/ ٢٧٠).

قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: «من لا يقيل عثرة ولا يغفر ذنبًا ولا يقبل موزرة، ألا أنبئكم بشر من هذا؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «من لا يُرجى خيره ولا يؤمن شره، إن عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام قام في قومه فقال: يا بني إسرائيل لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، ألا ولا تظالموا ولا تكافئوا ظالمًا بظلمه فيبطل فضلكم عند ربكم، يا بني إسرائيل الأمر ثلاثة: أمر تبين رشده فاتبعوه، وأمر تبين غيه فاجتنبوه، وأمر قد اختلف فيه فردوه إلى الله تعالى».

وروى أحمد بن عبدالرحمن الذكواني بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعان ظالمًا ليدحض بباطله حقًا فقد برئت منه ذمة الله تعالى»(١).

وعن خولة امرأة حمزة رضي الله عنه قالت: كانت على رسول الله ﷺ وسقان من تمر لرجل من بني ساعدة من الأنصار، فأتاه الساعدي يتقاضاه، فأمر رسول الله ﷺ بلالاً رضي الله عنه أن يقضيه، فأعطاه تمرًا دون تمره، فرده، فقال بلال رضي الله عنه: ترده على رسول الله ﷺ؟! فقال: نعم، ومن أحق بالعدل من رسول الله ﷺ؟! فقال رسول الله ﷺ: «صدق، ومن أحق بالعدل مني؟»، واكتحلت عين رسول الله ﷺ بدموعه ثم قال: «لا قدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها وهو غير متعتع»(٢).

ثم قال رسول الله ﷺ: «يا خولة عديه واقضيه؛ فإنه ليس من غريم يرجع من عند غيمه راضيًا إلا صلت عليه دواب الأرض ونون البحار، ولا غريم يلوي غريمه وهو يقدر عليه إلا كتب عليه كل يوم ذنب».

قال أبو القاسم رحمه الله: قوله ﷺ: «غير متعتع»: أي من غير مشقة، ويلوي: أي يمطل.

و«الغريم» يقع على الذي له الدين وعلى الذي عليه الدين.

وروى مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال(٣): «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال ﷺ: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢٤٨).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٩٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٦١١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٥٩٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٩٧).

(٣) أخرجه مسلم (٥٩-٢٥٨١)، كتاب البر والصلة، ١٥-باب تحريم الظلم، والترمذي (٢٤١٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٩٣)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٢٣).

حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» .

وروى رزين عن أبي هريرة ﷺ قال: كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول: ما لك إلي، وما بيني وبينك معرفة؟! فيقول: كنت تراني على الخطأ وعلى المنكر ولا تنهاني.

قال القرطبي رحمه الله: فإذا تقرر هذا فيجب على كل مسلم البدار إلى محاسبة نفسه كما قال عمر ﷺ: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا قبل أن توزنوا.

وإنما حسابه لنفسه: أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحًا ويتدارك ما قصر فيه من تفريط في فرائض الله ﷻ، ويرد المظالم حبة حبة، ويستحلل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت، ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة، فهذا يدخل الجنة بغير حساب.

فإن مات قبل رد المظالم أحاط به خصماؤه، فهذا يأخذ بيده، وهذا يقبض على ناصيته، وهذا يتعلق بلبته، وهذا يقول: ظلمتني، وهذا يقول: شتمتني، وهذا يقول: استهزأت بي، وهذا يقول: ذكرتني في الغيبة بما يسوؤني، وهذا يقول: جاورتني وأسأت جواري، وهذا يقول: عاملتني فغششتني، وهذا يقول: بايعتني وأخفيت عني عيب متاعك، وهذا يقول: كذبت علي في سعر متاعك، وهذا يقول: رأيتني محتاجًا وكنت غنيًا فما أطعمتني، وهذا يقول: وجدتني مظلومًا وكنت قادراً على دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتني، فهل قرع سمعك نداء الجبار سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة، وتوقن نفسك بالبوار، وتتذكر ما أنذرك الله به على لسان رسوله ﷺ حيث قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾.

فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض النار وتناولك أموالهم، وما أشد حسرتك في ذلك اليوم إذ وقف بك على بساط العدل.

وسُئل أبو القاسم الحكيم: هل من ذنب ينزع الإيمان من العبد؟ قال: نعم، ثلاثة أشياء:

أولها: ترك الشكر على الإسلام.

والثاني: ترك الحظن على ذهاب الإسلام.

والثالث: الظلم على أهل الإسلام.

قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: أعطي الحجاج بن يوسف الثقفي قصة فيها

مكتوب: اتق الله ولا تجر على عباد الله كل هذا الجور، فرقى المنبر وكان فصيحًا فقال: أيها الناس، إن الله تعالى سلطني عليكم بأعمالكم، فإن أنا مت فلا تخلصون من الجور مع هذه الأعمال السيئة، فإن الله تعالى خلق أمثالي كثيراً، وإذا لم أكن أنا كان من هو أكثر مني شراً، وما من يد إلا يد الله فوقها، وما من ظالم إلا ويُبلى بظالم.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن ملكًا من الملوك خرج يسير في مملكته وهو مستخف من الناس حتى نزل على رجل له بقرة، فراحت عليه تلك البقرة فحلبت فإذا حلابها مقدار ثلاثين بقرة، فحدث الملك نفسه أن يأخذ البقرة، فلما كان الغد غدت البقرة على مرعاها، ثم راحت فحلبت فنقص حلابها على النصف، فجاء مقدار حلاب خمس عشرة بقرة، فدعا الملك صاحب البقرة، وقال: أخبرني عن بقرتك، أرعت اليوم في غير مرعاها بالأمس، وشربت في غير مشربها؟

فقال: ما رعت في غير مرعاها ولا شربت في غير مشربها بالأمس.

فقال: ما بال حلابها على النصف؟

قال: أرى الملك هم بأخذها فنقص لبنها ، فإن الملك إذا ظلم وهم بالظلم ذهبت البركة. قال: وأنت من أين تعرف أمر الملك؟

قال: هو ذاك، كما قلت لك.

قال: فعاهد الملك ربه ﷻ في نفسه أن لا يظلم ولا يأخذها ولا يملكها ولا تكون في ملكه أبداً.

قال: فعادت فرعت ثم راحت ثم حلبت فإذا لبنها قد عاد على مقدار ثلاثين بقرة.

قال: فتاب الملك بينه وبين نفسه وعلم أنه إذا ظلم أو همَّ بظلم ذهبت البركة. وقال: لأعدلن وأكونن على أفضل العدل.

وقال الإمام العالم العلامة الغزالي رحمه الله: يقال: إن أبا شروان العادل مضى يومًا إلى الصيد، فانفرد عن عسكره خلف الصيد فرأى ضيعة بالقرب منه، وكان قد عطش، فقصد الضيعة، فأتى باب دار قوم وطلب ماء ليشرب، فخرجت صبية فأبصرته ثم عادت فدقت قصبة واحدة من قصب السكر، ومزجت ما عصرته منه بالماء ووضعته في قدح ودفعت القدح إلى أبي شروان، فنظر في القدح فرأى فيه ترابًا وقذاء، فشرب منه قليلاً قليلاً حتى انتهى إلى آخره.

وقال للصبية: نعم الماء كان لولا ذلك القذى كدّره.

فقالت: أنا عمداً ألقيت فيه القذى.

قال: ولم فعلت ذلك؟

قالت: لأني رأيتك شديد العطش، وخفت أن تشربه نوبة واحدة فيضرك شربه، فوضعت القذى ليصدك عن شربه نهلة واحدة.

فتعجب أبو شروان من كلامها وعلم أنها قالته عن ذكاء وفطنة، فقال لها: كم من قصبة عصرت ذلك الماء؟ فقالت: من قصبة واحدة، فتعجب أبو شروان وطلب جريدة تلك الناحية، فرأى خراجها قليلاً، فنظر في نفسه وقال: قرية يكون في قصبة واحدة منها من السكر كذلك، ويكون هذا خراجها، فعزم أنه إذا عاد أمر أن يزاد عليهم الخراج.

ثم عاد إلى تلك الناحية واجتاز على ذلك الباب مفرداً وطلب ماء، فخرجت تلك الصبية بعينها، فرأته فعرفته، ثم عادت لتخرج له الماء فأبطأت عليه، فاستعجلها أبو شروان وقال لها: لأي سبب أبطأت؟

فقالت الصبية: لأنه لم يخرج من قصبة واحدة قدر حاجتك، وقد دققت اليوم ثلاث قصبات ماء خرج منها مثل ما كان يخرج من قصبة واحدة.

فقال أبو شروان: ما سبب هذا العجز؟

فقالت الصبية: سببه تغير نية السلطان، فقد سمعنا أنه إذا تغيرت على قوم زالت بركاتهم وقلَّت خيراتهم، فضحك أبو شروان وأزال من نفسه ما كان قد أضمره، وتزوج تلك الصبية لتعجبه من كلامها.

وحكى الهمداني: أنه أحضرت إلى السلطان بنيّة وهي بالري فأعجب بها، واستطاب غنائها فهم بها فقالت: يا سلطان، إنني أخاف على هذا الوجه الجميل من النار، وإن الحلال أيسر، وما بينه وبين الحرام إلا كلمة.

فقال: صدقت، واستدعى القاضي فزوجها منه ودخل بها وتوفي معها.

وحكي: أن امرأة إسرائيلية كان لها دار بجوار قصر ملك، وكانت تشين القصر، فخرجت المرأة في سفر، فأمر الملك بهدمها، فلما جاءت المرأة من السفر قالت: من هدم داري؟

فقيل لها: الملك. فرفعت طرفها إلى السماء فقالت: إلهي وسيدي ومولاي، غبت أنا فأنت حاضر للضعيف وللمظلوم ناصر، ثم جلست فخرج الملك في موكبه فلما نظر إليها قال لها: ما تنظرين؟ قالت: خراب قصرك، فهزئ بقولها وضحك منها.

فلما جن الليل خسف به وبقصره، ووجد على حيطانه مكتوب هذه الأبيات:

أتهزأ بالدعاء وتزدريــــه ... ولم تك تدر ما صنع الدعاء

سهام الليل لا تخطئ ولكن لها أمد وللأمد انقضـــــاء
وقد شاء الإله بما تـــــراه فما للملك عندكم بقـــاء

وحكي: أن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام نام مرة فدبت نملة على صدره، فأخذها بيمينه ورماها، فرفعت رأسها إليه وقالت: يا سليمان ما هذه السطوة، أما علمت أني عبد من عبيد الله وإني رقيقة الجلد هينة العظم، فسوف تقف في الموقف بين يدي ملك قاهر قادر ، يأخذ للمظلوم من الظالم، فخر سليمان عليه السلام مغشيًا عليه، فلما أفاق قال: عليّ بالنملة، فلما حضرت قال: أيتها النملة، ارحمي من لا يرحمك، وتجاوزي عن من ظلمك. فقالت: يا سليمان، لو رأيت النار تهوي إليك تجرّها لوقيتك بضعف جسمي، فكيف أكون سببًا للانتقام منك، لكن لا أخالك حتى تضمن لي ثلاث خصال. قال: وما هي؟

قالت: أن لا تضحك في الدنيا مرحًا، ولا ترد سائلاً، ولا تمنع جاهك ممن استعاده، فأجابها إلى جميع ذلك.

وقال الإمام العالم العلامة أبو حامد الغزالي رحمه الله: يقال: إنه كان في بني إسرائيل رجل يصيد السمك، ويقوت من صيده أطفاله وزوجته، فهو في بعض الأيام يصيد إذ وقعت في شبكته سمكة كبيرة، ففرح وقال: أمضي بهذه السمكة إلى السوق أبيعها وأخرج منها في نفقة العيال، فلقيه بعض العوانيّة فقال: تبيع هذه السمكة؟ فقال الصياد في نفسه: إن قلت: نعم، اشتراها بنصف قيمتها، فقال: ما أبيعها، فغضب العواني وضربه بخشبة كانت معه على صلبه ضربة موجعة، وأخذ السمكة منه غصبًا بلا ثمن، فدعا الصياد عليه وقال: خلقتني مسكينًا ضعيفًا، وخلقته قويًا عنيفًا، فخذ لي بحقي منه في الدنيا، فإني لا أصبر إلى الآخرة.

ثم إن ذلك الغاصب انطلق بالسمكة إلى منزله وسلمها إلى زوجته وقال: أريد أن تشويها. فلما شوتها ووضعتها بين يديه على المائدة، فمد يده ليأكل منها ففتحت السمكة فاهًا ونكزت أصبعه نكزة سلبت قراره وأزالت لشدة نكزتها اصطباره، فشكا حاله إلى الطبيب وذكر له ما ناله.

فقال: ينبغي أن تقطع هذه الأصبع لئلا يسري الألم إلى جميع اليد. فقطع أصبعه، فانتقل الألم إلى اليد وزاد تألمه وارتعدت من خوفه فرائصه. فقال له الطبيب: ينبغي أن تقطع اليد من المعصم لئلا يسري الألم إلى الساعد. فقطع يده. فانتقل الألم إلى ساعده، فقال الطبيب: ينبغي أن تقطع الساعد لئلا يسري الألم إلى الكتف. فقطع الساعد، فسرى الألم إلى الكتف، وتوجع.

فخرج هاربًا على وجهه داعيًا ربه تبارك وتعالى ليكشف ما قد نزل به، فرأى شجرة

فانكفأ إليها، فأخذه النوم فنام، فرأى في منامه قائلاً يقول: يا مسكين، إلى كم تقطع أعضاءك، امض وأرض خصمك، فانتبه وتفكر، فعلم أن الذي ناله كان بسبب الصياد وقال: إنني أخذت السمكة منه غصبًا وأوجعته ضربًا، وهي التي نكزتني. فنهض وقصد المدينة وطلب الصياد، فوجده فوقع بين يديه والتمس الإقالة وأعطاه شيئًا من ماله وتاب من فعاله، فرضي عنه خصمه، ففي الحال سكن ألمه، وبات تلك الليلة على فراشه وتاب وأقلع عما كان يصنع، ونام على توبة خالصة ففي اليوم الثاني تداركته رحمة ربه تعالى ورد يده كما كانت بقدرته، فنزل الوحي على نبي ذلك الزمان وهو موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام: أن يا موسى وعزتي وجلالي لولا أن الرجل أرضى خصمه لعذبته مهما امتدت حياته.

قال الجوهري: والنكز كالغرز بشيء محدد الطرف.

قال أبو زيد: «نكزته الحية» أي لسعته بأنفها، فإذا عضته بنابها قيل: نشطته.

وقال الأصمعي[1]: «نكزه» أي ضربه ودفعه.

وعن أبي ذكوان رحمة الله عليه قال: إن الحجّاج بعث إلى سعيد بن جبير رحمه الله، فأصابه الرسول بمكة، فلما سار به ثلاثة أيام رآه يصوم نهاره ويقوم ليله، فقال له: والله إني لأعلم أني ذاهب بك إلى من يقتلك فاذهب أي طريق شئت.

فقال له سعيد رحمه الله: إنه سيبلغ الحجاج أنك قد أخذتني، فإن خليت عني خفت أن يقتلك، فلما دخل عليه قال له الحجاج: أما والله لأبدلنك من دنياك نارًا تلظى.

قال سعيد رحمه الله: لو علمت أن ذاك إليك ما اتخذت إلهًا غيرك.

قال: الويل لك من الله؟

قال: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار.

قال: اضربوا عنقه.

قال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أستحفظك بها حتى ألقاك يوم القيامة. فذبح من قفاه، فبلغ ذلك الحسن[2] رحمه الله فقال: اللهم يا قاصم

---

(١) عبد الملك بن قريب بن عبدالملك بن علي بن أصمع بن مطهر بن رباح بن عمرو، أبو سعيد الباهلي، الأصمعي، البصري، صدوق، سني، أخرج له مسلم في المقدمة، وأبو داود والترمذي، توفي سنة (٢١٣، ٢١٦، ٢١٠)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٦/ ٤١٥)، تقريب التهذيب (١/ ٥٢١)، الكاشف (٢/ ٢١٣)، التاريخ الكبير (٥/ ٤٢٨)، التاريخ الصغير (٢/ ٣٣٧)، الجرح والتعديل (٥/ ١٧١٠)، ميزان الاعتدال (٢/ ٦٦٢)، سير الأعلام (١٠/ ١٧٥)، الثقات (٨/ ٣٨٩).

(٢) الحسن البصري تقدمت ترجمته.

الجبابرة، اقصم الحجاج، فما بقي إلا ثلاثًا حتى وقع في جوفه دود، فمات.

وفي رواية: أنه لما قال: ويلك يا سعيد. فقال سعيد رحمه الله: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار.

فقال الحجاج: اختر يا سعيد أي قتلة تريد أن أقتلك بها؟

قال: اختر لنفسك يا حجاج، فوالله ما تقتلني قتلة إلا قتلك مثلها في الآخرة.

قال: فتريد أن أعفو عنك؟

قال: إن كان العفو فمن الله تعالى، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر.

قال: اذهبوا به فاقتلوه.

فلما خرج من الباب ضحك، فأخبر بذلك الحجاج فأمر برده، فقال: ما ضحكك؟

قال: عجبت من جرأتك على الله تعالى، وحلم الله تعالى عليك. فأمر بالنطع فبسط فقال: اقتلوه.

فقال سعيد رحمه الله: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

قال: شدوا به لغير القبلة.

قال سعيد رحمه الله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

قال: كبوه على وجهه.

قال سعيد: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾.

قال: اذبحوه.

قال سعيد رحمه الله: أما إني أشهد وأحاج أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ، خذها مني حتى تلقاني يوم القيامة.

ثم دعا سعيد [(١)] رحمه الله وقال: اللهم لا تسلطه على أحد بعدي يقتله.

فذبح على النطع رحمة الله عليه. وعاش الحجاج بعده خمس عشرة ليلة، ووقعت الأكلة في بطنه، فدعا بالطبيب لينظر إليه، فنظر إليه ثم دعا بلحم منتن فعلقه في خيط ثم أرسله في حلقه فتركه ساعة ثم أخرجه وقد لزق به من الدم. فعلم أنه ليس بناج، وكان

---

(١) سعيد بن جبير بن هشام، أبو محمد الأسدي، مولاهم، الكوفي الفقيه، ثقة، ثبت، فقيه، أخرج له الستة، توفي (٩٥، ٩٤)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٤/ ١١)، التقريب (١/ ٢٩٢)، الكاشف (١/ ٣٥٦)، سير الأعلام (٤/ ٣٢١).

ينادي بقية حياته: ما لي ولسعيد بن جبير، كلما أخذني النوم أخذ برجلي.

قال خلف بن خليفة [1] : حدثنا بواب الحجاج قال: رأيت رأس سعيد بن جبير رحمه الله لما ندر رأسه هلل ثلاث مرات يفصح بها.

وقال الحسن بن عبدالعزيز الجزري: حدثنا سعيد، عن خلف بن خليفة ، عن أبيه قال: شهدت مقتل سعيد رحمه الله، فلما بان الرأس قال: لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله، فلما قالها الثالثة لم يتمها.

وحكي: أن عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام مر بمقبرة فنادى رجلاً منهم، فأحياه الله سبحانه وتعالى فقال: من أنت؟ فقال: كنت حمالاً، فحملت لإنسان حطبًا، فكسرت منه خلالاً تخللت به، فأنا مطالب به منذ مت.

وحكي: أن رجلاً كتب رقعة وهو في بيت بكر، وأراد أن يتربها من تراب جدار البيت، فخطر بباله أن البيت بالكراء، ثم خطر بباله لا خطر بهذا، فترب الكتاب، فسمع هاتفًا يقول: سيعلم المستخف بالتراب وما يلقاه غداً من طول الحساب.

وفي الخبر: أن رسول الله ﷺ قال[2]: «يحشر الناس»، وأومأ بيده إلى الشام «عراة غرلاً بُهمًا، فيناديهم بكلام يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وواحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، حتى اللطمة»، قالوا: يا رسول الله، كيف، وإنما نأتي عراة؟

قال: «الحسنات والسيئات» .

وفي الحديث: أنه ﷺ قال: «إني أسمع القواصف أو القواصف من الرعدة، فأخشى أن تكون الحجارة التي أعدت للظالمين».

يا هذا، من ظلم الناس يستغني، أفقره الله.

---

(١) خلف بن خليفة بن صاعد، أبو أحمد الأشجعي الواسطي، صدوق اختلط في الآخر وادعى أنه رأى عمرو بن حريث الصحابي، فأنكر عليه ذلك ابن عيينة وأحمد، وأخرج له البخاري في الأدب وباقي الستة ، توفي (١٧٩، ١٨١)، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٣/ ١٥٠)، تقريب التهذيب (١/ ٢٢٥)، الكاشف (١/ ٢٨١)، التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ١٩٤)، الجرح والتعديل (٣/ ١٦٨١)، ميزان الاعتدال (١/ ٦٥٩)، سير الأعلام (٨/ ٣٤١).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (١/ ٢٢٣، ٢٢٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٨٥)، وابن كثير في البداية والنهاية (١/ ١٧١)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٢٣٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٤٩٧).

● **فائدة:**

من مشى إلى ظالم وهو يعلم أنه ظالم ليعينه فقد خرج من الإسلام.

يا ويل الظالم من يوم يقتص فيه للشاة الجماء من الشاة القرناء، ويسئل: العود لم خدش العود؟ والحجر: لم ركب الحجر؟

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وفي الخبر: «يقول الله جلت قدرته: أنا ظالم إن جاوزني ظلم ظالم» .

يا هذا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه[١]، ومن كان في عون أخيه كان الله في عونه، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن أعان ظالمًا على مظلوم ولو بشطر كلمة هوى في النار سبعين خريفًا.

وفي الحديث: أنه ﷺ قال: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» [٢] .

وسئل الأحنف ؓ: من أجهل الناس؟ قال: الذي باع آخرته بدنياه. وأنشد بعضهم يقول:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ... إن الظلوم على حد من النقم
تنام عيناك والمظلوم منتبـــه ... يدعو عليك وعين الله لم تنـم
لا شك دعوة مظلوم تحل لها ... دار الهوان وداء الذل والنقـم

وقال بعضهم: لأن تلقى الله بسبعين ذنبًا بينك وبينه، أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد ظلمت فيه أحداً من خلق الله تعالى.

وأوحى الله تعالى إلى موسى: يا موسى، أتحب أن أنجيك من أهوال يوم القيامة؟ قال: نعم. قال: تخلص من مظالم الناس.

وقيل: لما مات كسرى أتي بمنطقته إلى عمر بن الخطاب ؓ فوجد فيها مكتوبًا أربع كلمات وهي: الظلم لا يدوم، وإن دام دمر، والفقر هو الموت الآخر، والأعمى ميت، وإن لم يقبر، ومن لم يخلف ولداً ذكراً لم يذكر.

وقال ميمون بن مهران[٣]: إن الرجل ليقرأ القرآن وهو يلعن نفسه. قيل: وكيف يلعن

---

(١) الحديث مشهور وقد تقدم.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٩٢)، والحاكم في مستدركه (١/ ١١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٩٣)، البخاري في الأدب المفرد (٣٨٣)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٥٨).

(٣) ميمون بن مهران، أبو أيوب الجزري الرقي الفقيه الحريري، ثقة فقيه، ولي الجزيرة لعمر بن عبدالعزيز، كان يرسل، أخرج له البخاري في الأدب وباقي الستة، توفي سنة (١١٧، ١١٨). انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٩٠)، تقريب التهذيب (٢/ ٢٩٢)، التاريخ الكبير (٧/ ٣٣٨)، الجرح والتعديل (٨/ ١٠٥٣)، سير الأعلام (٥/ ٧١).

نفسه؟ قال: بقوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ وهو الظالم.

وقال الإمام السمرقندي رحمه الله: ليس شيء من الذنوب أعظم من الظلم، لأن الذنب إذا كان بينك وبين الله تعالى فإن الله تعالى كريم يتجاوز عنك، وإذا كان الذنب بينك وبين العباد فلا حيلة لك سوى رضا الخصوم.

فينبغي للظالم أن يتوب عن الظلم ويتحلل من المظلوم في الدنيا، فإذا لم يقدر عليه فينبغي أن يستغفر له ويدعو له، فإنه يرجى أن يحلله بذلك.

● **فائدة:**

إذا ظلم إنسان شخصًا فأراد أن يتحلل منه ففاته ولم يقدر عليه فاستغفر الله تعالى له في دبر كل صلاة خرج من مظلمته.

● **تنبيه:**

قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن دقيق العيد رحمة الله عليه: الحبس مكفر للذنب، مقرب للرب، هذا وإن كان المحبوس ظالمًا، فإن كان مظلومًا والذي حبسه عالم به فيصبح الحابس ملعونًا، ويمسي مأثومًا، ويسقط عن المحبوس فرائض وحقوق منها: الجمعة والجماعات، والعيدين، والكسوف، وتشييع الجنازة، وعيادة المريض[1]، وقضاء حقوق الإخوان، وما ترك العبد منزلاً في دار الدنيا خيراً له من ذلك.

● **تنبيه:**

قال الحناطي في «مواعظه»: روي أن بعض العلماء دخل على بعض الأمراء فوجده يبكي، فقال له: مم تبكي؟ فقال: بينما أقرأ والمصحف في حجري، فمررت بهذه الآية: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، فقلت في نفسي: هذا وعيد لغير الظالم، فكيف تراه يفعل بمن هو الظالم؟

فقال العالم: بلغنا أن الله تعالى يجمع من الظلمة وأعوانهم حتى من أصلح له دوابّه أو

---

(١) حديث: ((حق المسلم على المسلم خمس)) حديث مشهور، أخرجه البخاري (٢/ ٩)، ومسلم (٤-٢١٦٢)، ٣-باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، وفيه عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: ((خمس تجب للمسلم على أخيه: رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز)).

برى له قلمه، ويجعلونه معًا في تابوت واحد من نار، فذلك قوله تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [الصافات: ٢٢].

وقيل: مر رجل على قبر فوجده مشتعلاً ناراً، فسأل عن ذلك، فقيل : إنه رجل مر على مظلوم استغاث به فلم يغثه، فهذا حال الذي لم يعن المظلوم، فكيف يكون حال الظالم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما ظهر الغلول في قوم قط إلا ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب، ولا فشا الربا في قوم قط إلا فشا فيهم الموت، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق، ولا حكم قوم بغير الحق إلا فشا فيهم الدم، ولا خان قوم العهد إلا سلط الله عليهم العدو.

وفي بعض الآثار: يقول الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله أو آجله، ولأنتقمن ممن رأى مظلومًا وقدر أن ينصره فلم يفعل.

وذكر أبو سبرة رحمة الله عليه: أن منكراً ونكيراً أتيا رجلاً إلى قبره وقالا: إنا ضارباك من عذاب الله مائة ضربة. فقال الرجل الميت: إني كنت أفعل كذا وكذا، يعني من الخير، وتشفع ببعض أعماله الصالحة حتى حطّا عنه عشراً.

ثم لم يزل يتشفع حتى حطّا عنه الجميع إلا ضربة واحدة، فضرباه ضربة، فالتهب القبر عليه ناراً. فقال: لم ضربتماني؟

قالا: إنك مررت بمظلوم فاستغاث بك فلم تغثه.

وإذا كان هذا حال من لم يضرب وتشفع بأعماله الصالحة، فكيف حال الضارب والآمر بالضرب مع ظهور الأعمال الخبيثة والعتو والجبروت، لاسيما إذا كان حاكمًا، فإن منصبه دفع الظلم، فإذا كان هو الظالم حل به البلاء العاجل قبل الأجل.

● حكاية:

قال في «عوارف المعارف»: وطئ رجل بقدمه على قدم النبي ﷺ بفعل كثيف، فقال: «أوجعتني»، فنقحه بسوط في يده، قال الرجل: فجعلت ألوم نفسي تلك الليلة، فلما أصبحت قال لي رجل: أجب النبي ﷺ، فذهبت إليه وأنا خائف، فقال: «**نقحتك بالسوط، وهذه ثلاثون نعجة فخذها**» .

وفي «سيرة ابن هشام»: أن النبي ﷺ صف أصحابه في وقعة بدر، وكان يوم الجمعة صبيحة سابع عشر شهر رمضان وبيده سهم، فوجد سواد بن غزية خارجًا عن الصف، فطعنه في بطنه بالسهو وقال: «استو يا سواد»، فقال: يا نبي الله، أوجعتني، وقد بعثك الله بالعدل فأقدني، أي دعني أقتص منك. فكشف النبي ﷺ عن بطنه، فاعتنقه وقبل بطنه، فقال

النبي ﷺ: «ما حملك على هذا؟» قال: أردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له النبي ﷺ بخير.

وحكي: أنه كان لأبي حنيفة رحمه الله دين على مجوسي، فذهب إليه ليطالبه، فأصاب نعله نجاسة، فنفضه، فطارت النجاسة على جدار المجوسي، فتحير الإمام وقال: إن كشطها نقص تراب جداره، وكيف أترك النجاسة على جداره، فطرق بابه، فخرج إليه وقال: امهلني يا إمام المسلمين. فقال: قد تنجس جدارك بسببي.

فقال: يا أبا حنيفة، تريد أن تطهر جداري؟! قال: نعم.

قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

● مسألة:

لو غصب ثوبًا فتنجس عنده أو نجسه لا يجوز له تطهيره ولا للمالك تكليفه ذلك، بل عليه مؤنة التطهير وأرش النقص، نقله الأسنوي عن الرافعي.

● حكاية:

اشترى إبراهيم بن أدهم رحمه الله من رجل بمكة تمراً، فوجد تمرتين بين يديه، فأخذهما ظانًا أنهما من التمر الذي اشتراه، ثم توجه إلى بيت المقدس، فرأى في منامه ملكين، فقال أحدهما لصاحبه: من هذا؟ قال: إبراهيم بن أدهم، زاهد خراسان، غير أن طاعته -أي عبادته- موقوفة منذ سنة؛ لأنه أخذ تمرتين من مكة، فلما طلع الفجر توجه إلى مكة فوجد البائع قد مات، فسأل ولده أن يجعله في حل، فجعله، ثم رجع إلى بيت المقدس فرأى الملكين في منامه فقال أحدهما لصاحبه: هذا إبراهيم قد قبل الله طاعته الموقوفة منذ سنة. قال: فبكى إبراهيم من الفرح، وكان بعد ذلك لا يأكل إلى في كل سبعة أيام أكلة من الحلال.

● حكاية:

قال أبو يزيد البسطامي رحمه الله: خرجت إلى الجامع يوم الجمعة في الشتاء، فزلقت رجلي فتمسكت بجدار مجوسي فسألته أن يجعلني في حل، قال: وفي دينكم هذا؟ قلت: نعم. قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وفي طبقات ابن السبكي رحمه الله: أن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي رحمه الله دخل يومًا مسجداً ليأكل فيه طعامًا، فلما أكل وانصرف نسي ديناراً، ثم تذكر فرجع إلى المسجد فوجده، فقال: لعل هذا وقع من غيري، فتركه ومضى. قال بعض أصحابه: كنت أمشي معه فرأيت كلبًا في الطريق فزجرته، فقال الشيخ: دعه، فإن الطريق مشترك بيننا وبينه.

وحكي أن عبدالله بن المبارك رحمه الله رجع من خراسان إلى الشام لرد قلم استعاره من هناك.

ورجع أبو يزيد البسطامي رحمه الله من بسطام إلى همدان لرد نملة وجدها في قرطم اشتراه هناك، وقال: غربتها عن وطنها.

وقال بعض العابدين: وقد رؤي في المنام: ما فعل الله بك؟ قال: خيراً، إلا أني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها.

وقال الشيخ أبو محمد عبدالله بن محمد بن نصر: رأيت ليلة الجمعة من المحرم سنة ثمان وستين وأربعمائة في النوم الشيخ أبا إسحاق يطير بأصحابه في السماء الثالثة أو الرابعة، فتلقاه ملك وقال: إن الله سبحانه يقرئك السلام ويقول: ماذا تدرس أصحابك؟ فقال: أدرس ما نقل عن صاحب الشرع، فانصرف الملك وطار الشيخ بأصحابه، ثم رجع الملك وقال: إن الله تعالى يقول: الحق ما أنت عليه وأصحابك، فادخل الجنة معهم.

قال الإمام الحسين الطبري: سمعت صوتًا من الكعبة يقول: من أراد أن يتنبه في الدين فعليه بالتنبيه، وقد مات أبو إسحاق رحمه الله سنة ست وسبعين وأربعمائة، والله تعالى أعلم.

● موعظة:

قال الإمام النووي رحمه الله في «بستان العارفين»: قيل لأبي سليمان الداراني رحمه الله بعد موته: ما فعل الله بك؟ قال: أخذت عوداً من حمل شيخ فأنا في حسابه منذ سنة.

وقال الشبلي رحمه الله في مرضه الذي مات فيه: عليّ درهم أتصدق عن صاحبه بألوف، فما على قلبي شيء أعظم منه.

وقال القشيري رحمه الله: يؤخذ بدانق واحد سبعمائة صلاة، وتوقف فيه القرطبي لقوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾، الدانق: ثلثا درهم.

وقال ميمون بن يسار رحمه الله: من ظلم رجلاً مظلمة فاستغفر له دبر صلواته خرج من مظلمته.

نسأل الله الكريم المسامحة وأرضى الخصوم عنا وأن يرحمنا برحمة منه وأن يعاملنا بلطفه وكرمه إنه كريم منان عظيم الإحسان، آمين.

***

الباب الحادي والخمسون

في العدل والرفق

قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨].

قال الإمام الرازي رحمه الله: قالت المعتزلة في هذه الآية: إما أن الله تعالى يريد أن لا يظلم أحداً، ولا يظلم أحد أحداً:

فإن كان الأول فلا يستقيم على قولكم؛ لأن مذهبكم لو عذب الطائع لم يكن ظلماً منه؛ لأن الظلم هو التصرف في ملك الغير، وهو سبحانه يتصرف في ملكه.

وإن كان الثاني فباطل أيضاً على قولكم: إن الكل بقضائه وقدره، فلا يبقى للآية معنى على مذهبكم.

قلنا: فلم لا يجوز أن يكون المراد الثاني؟

قالوا: فإنه يمدح بنفي الظلم فيكون محالاً عليه.

فأجبناهم بجوابين:

الأول: [أنه تمدح بنفسه السنة والنوم] [1] وهما محالان عليه.

الثاني: لو عذب الطائع كان له ذلك؛ لأنه تصرف في ملكه لكنه لا يفعله، وإن فعله لم يكن ظلماً في نفسه لكنه يشبه صورة الظلم، فأطلق أحد المتشابهين على الآخر، وهو مجاز حسن.

وفي قواعد ابن عبدالسلام رحمه الله: لو وجد المكلف مضطرين متساويين ومعه رغيف لو أطعمه لأحدهما عاش يوماً ولو أطعم كل واحد نصفه عاش نصف يوم، فالمختار أن تخصيص أحدهما غير جائز؛ لأن أحدهما قد يكون ولياً لله تعالى، ولأنه سبحانه أمر بالعدل والإحسان.

● حكاية:

دخل شقيق البلخي رحمه الله على هارون الرشيد فقال: عظني، فقال: إن الله تعالى أقامك مقام الصديق فيريد منك الصدق، وأقامك مقام الفاروق فيريد منك أن تفرق بين الحق والباطل، وأقامك مقام عثمان فيريد منك الحياء، وأقامك مقام علي فيريد منك العدل والعلم.

قال: زدني. قال: إن لله داراً يقال لها: جهنم، وجعلك بواباً لها تدفع الناس عنها،

---

(١) العبارة هنا غير مستقيمة فلعل هنا كلام ساقط.

وأمدك بالمال والسوط والسيف وقال لك: أيها العبد المأمور ادفع الخلق عن هذه الدار بهذه الثلاثة، فمن جاءك فقيراً فأعطه من المال، ومن لم يطع الله فأدبه بالسوط، ومن قتل بغير حق فاقتص منه بالسيف. قال: زدني. قال: أنت البحر وهم الأنهار، فإن صفوت صفوا وإن تكدرت تكدروا.

● **حكاية.**

كان نور الدين الشهيد رحمه الله يلعب (بالأكرة)[1] في دمشق، فرأى رجلاً يحدث آخر ويشير إليه بيده، فأرسل إليه يسأله عن حاجته، فقال: لي مع الملك العادل حكومة، وهذا رسول القاضي ليحضره، فعاد إليه الرسول ولم يتجاسر أن يخبره فقال: قل وما عليك، فأخبره بما قال، فألقى الجوكان من يده وقال: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ سمعًا وطاعة لله ورسوله، فلما وصل إلى القاضي لم يثبت عليه شيء فقال للقاضي وشهوده: أشهدكم أن الذي حاكمني فيه ولم يثبت له قد وهبته إياه، وأنا أعلم أنه لا حق له ولكن حضرت معه تعظيمًا للشريعة.

● **حكاية.**

في سنة خمس وستين وخمسمائة نزل الفرنج على دمياط، فجعل جيشه فرقتين، فرقة أرسلها إلى دمياط وفرقة دخل بها بلادهم فرآها خالية، فقتل من وجده وأخذ الأموال وخرب البلاد، فلما كانت ليلة رحيل الفرنج عن دمياط، رأى إمامُ نور الدين في منامه النبي ﷺ فقال: أخبر نور الدين بأن الفرنج قد رحلوا عن دمياط في هذه الليلة. فقال: يا سيدي ما يصدقني. فقال: قل له: بعلامة ما سجدت على تل حارم وقلت: يا رب انصر دينك ولا تنصر محموداً، ومن هو محمود الكلب حتى ينصر.

قال الإمام: فلما استيقظت أخبرته بذلك وذكرت له العلامة ولم أذكر الكلب حياء منه، فقال: اذكر العلامة كلها؛ رحمه الله.

● **حكاية.**

كانت وقعة حارم –بالراء المهملة– في سنة تسع وخمسين وخمسمائة، وذلك أن الفرنج خرجوا على نور الدين فخرج إليهم، فلما اجتمعوا على تل حارم انفرد عن عسكره وصلى ركعتين وتمرغ في التراب وقال: يا رب انصر دينك ولا تمنعهم النصر بسبب محمود، ومن هو محمود الكلب حتى ينصر، فاستجاب الله له ونصره، وكانت الفرنج تقول: لم ينصر علينا إلا

(١) كذا بالأصل.

بالدعاء وقيام الليل، ووقع في أسره رجل من عظماء الروم، فدفع في فداء نفسه مالاً عظيماً، فأخذه منه فشق ذلك على المسلمين، فحال وصوله إلى بلاده فمات، فأخبر نور الدين أصحابه بذلك، فجمع الله له بين المال وبين هلاك عدوه، فبنى به البيمارستان، وذلك من حسن نيته رحمه الله. ويقال: إن الدعاء عند قبره مستجاب[1].

قال بعض العلماء الثقات رحمهم الله: وقد جربت ذلك عند قبره بدمشق فوجدته حقًا وما جاء بعد عمر بن عبدالعزيز من الخلفاء مثله.

● **حكاية.**

قال نافع: كنت أسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيراً يقول: ليت شعري من هذا الذي يأتي من ولدي يملأ الأرض عدلاً.

وقال أسلم: بينما أنا مع عمر وهو يعس ليلاً إذ سمع امرأة تقول لابنتها: اخلطي الحليب بالماء، فقالت: يا أماه أوليس قد نادى عمر أن لا يخلط الحليب بالماء؟ قالت: إنه لا يرانا. قالت: ما نطيعه في الملأ ونعصيه في الخلأ. فلما أصبح عمر دعا أولاده عبدالله وعبيدالله وعاصماً، وعرض عليهم الجارية وقال: لو كان لأبيكم من حركة ما سبقه إليها أحد، فتزوجها عاصم، فولدت منه بنتًا، ثم ولدت البنت بنتًا، وهي أم عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه.

● **لطيفة.**

روى البيهقي: أن رجلاً كان يخلط اللبن بالماء ويبيعه، ثم ركب البحر ومعه قرد، فأخذ الصرة التي فيها المال المجموع من ثمن اللبن والماء وصعد إلى أعلى المركب وصار يلقي ديناراً في البحر وديناراً في المركب وصاحبه ينظر إليه حتى ألقى نصف المال في البحر.

والقرد يؤكل في وجه عند الشافعي، حكاه القرطبي، والمعتمد خلافه، ويكره اقتناؤه، وكان النبي ﷺ إذا رأى قرداً سجد.

وكان في «عجائب المخلوقات» وغيره: من تصبح بوجه القرد عشرة أيام أتاه السرور.

قال بعض العلماء رحمه الله: وهذا مردود بسجود النبي ﷺ لله شكراً عند رؤيته؛ لأنه على صورة من سخط الله عليهم. وبما قاله العلماء من كراهة اقتنائه.

وفي «عجائب المخلوقات»: في بعض جزائر الصين قرود كالجواميس بيض ألوانها.

---

(١) إن العلة من زيارة القبور، هو كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ أنها تذكر الآخرة، والدعاء يكون للميت، لا من الميت، كما يفعل كثير من عوام المسلمين اليوم ظانين أنهم بذلك ينالون الشفاعة والوسيلة من الميت، وعلى من أراد الاستزادة مراجعة كتاب «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكذلك كتابه «الجواب الباهر في الرد على زوار المقابر»، وكذلك كتاب «التوسل» لفضيلة الشيخ الألباني رحمه الله تعالى، والله الموفق والهادي إلى الصواب.

● **حكاية.**

قال رياح بن عبيدة: خرجت مع عمر بن عبدالعزيز ﷺ إلى الصلاة فرأيت شيخًا يكلمه، فقلت: من هذا؟ قال: الخضر عليه السلام أخبرني أني أتولى على هذه وأعدل فيهم.

وكان رعاء الشاء يقولون في ولايته: من هذا العبد الصالح الذي قام على الناس؟

فقيل: من أخبركم به؟ قالوا: إذا كان الخليفة عادلاً كفت الذئاب عن الغنم. فلما كان بعد أيام قالوا: نرى الذئب في هذا اليوم قد أكل الغنم، فجاء الخبر بعد شهر بموت عمر ﷺ.

● **حكاية.**

أرسل عمر رسولاً إلى ملك الروم بأسرى منهم يفاديهم بأسرى من المسلمين، ففي بعض الأيام دخل الرسول على الملك فوجده حزينًا، فسأله فقال: مات الرجل الصالح الذي كنت أحسب لو كان أحد يحيي الموتى بعد عيسى لكان عمر بن عبدالعزيز، ولست أعجب من الراهب إذا أغلق بابه وترك الدنيا، ولكن أعجب ممن كانت الدنيا تحت رجليه فتركها.

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: كان عمر أزهد من أويس القرني رضي الله عنهما.

● **حكاية.**

ولما تولى الخلافة خير زوجته في فراقها أو تقيم عنده ولا يحصل بينهما شيء، فقالت: أقيم عندك على ما ذكرت، فمات، ولم يغتسل من جنابة ولا احتلام. وكان قبل الخلافة يلبس أفخر الثياب، فلما تولى الخلافة صار له قميص واحد وإزار واحد قيمتهما أربعة عشر درهمًا. وقيل له: لو اتخذت (حوشًا) [(١)] لطعامك وشرابك كما يفعله الخلفاء؟ فقال: اللهم إن كنت تعلم أني أخاف شيئًا غير يوم القيامة فلا تؤمِّن خوفي.

وذكر القيامة يومًا فبكى بكاءً كثيراً حتى أغمي عليه، ثم ضحك، فلما سئل عن ذلك قال: رأيت القيامة ومناد ينادي: أين أبو بكر؟ فجيء به فحوسب حسابًا يسيراً، ثم أمر به إلى الجنة، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي بن أبي طالب كذلك، ثم نادى: أين عمر بن عبدالعزيز؟ فوقعت على وجهي، فأتاني ملكان ووقفا بي بين يدي ربي سبحانه وتعالى فحاسبني حسابًا يسيراً ثم رحمني، فبينما أنا مع الملكين رأيت جيفة، فقلت: من أنت؟

قال: الحجاج. فقلت: ما فعل الله بك.

قال: وجدته شديد العقاب. ثم انتظر ما ينتظره الموحدون.

---

(١) كذا بالأصل.

● **فائدة:**

قال عمر بن عبدالعزيز ﷺ: رأيت الزهري في المنام فقلت: هل من دعوة؟ فقال: قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، توكلت على الحي الذي لا يموت، اللهم إني أسألك العافية، وأسألك أن تعيذني وذريتي من الشيطان الرجيم.

ومات عمر ﷺ سنة إحدى ومائة وهو ابن سبع وثلاثين سنة، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر، فبينما الناس على قبره إذ سقطت ورقة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، أمان من الله العزيز لعمر بن عبدالعزيز.

وفي التوراة مكتوب: إن الأرض تبكي على عمر بن عبدالعزيز ﷺ. قالت زوجته: اشتهى عمر عسلاً، فأرسلت غلامي على خيل البريد بدينارين، فاشترى عسلاً، فلما قدمته وأكل منه قال: من أين لكم هذا؟ قلت: أرسلت غلامي على خيل البريد بدينارين فاشتراه لك، فباعه وأعطاني رأس مالي ورد الباقي إلى بيت المال، ثم قال لنفسه: يا عمر، أتعبت خيل المسلمين في شهوتك.

● **حكاية:**

قال وهب بن منبه رحمه الله: لما خرّب بختنصر بيت المقدس، وحرق التوراة، ونهب الأموال، وكان ملكه سبعمائة سنة، فاحتمل الأموال من بيت المقدس على مائة ألف عجل وسبعين ألف عجلة، وكان سليمان ﷺ قد ابتناه من ذهب وفضة ودر وياقوت وذمـــرد -بالذال المعجمة- قاله النووي رحمه الله- وأسر بني إسرائيل والأنبياء منهم: العزير ﷺ، فرفع صوته بالدعاء وقال: اللهم إنك خلقت السموات والأرض بمشيئتك، ثم بوأت بني إسرائيل الأرض المقدسة وسلطت عليهم عدوك وعدوهم.

فجاءه ملك وقال: يا عزير، أتريد أن تعلم سر قضاء الله تعالى؟ قال: نعم.

قال: إن الله أرسلني إليك وأريد منك أن تصر لي من الشمس صرة وتزن لي مثقالاً من الريح وتكيل لي كيلاً من النور، وترد لي أمس. قال: ومن يطيق ذلك؟

قال: الذي لا يُسئل عما يفعل، يا عزير إذا كنت تسأل عن مثل هذا فلا تعرفه، فكيف لو قلت لك: كم تحت الأرض من ينبوع؟ وكم في البحر من قطرة؟ وكم عدد ما أنزل الله من قطرة؟ وكم من دار ناح الموتى؟ وأين طريق الجنة؟

قال العزير: لا علم لي بشيء من هذا. قال: إذا لم تعلم هذا وأنت تشاهده ببصرك، فكيف تعلم علم الله الذي حجبه عن خلقه.

يا عزير، سل البحار ما لأمواجها تعلو وتندفع، فإذا بلغت حدّها رجعت بزمام القهر، أرأيت لو اختصمت الأرض والبحار إليك، ما كنت تحكم بينهم، إذا قالت الأرض: أريد أن أتوسع وأمتد في البحر. وقالت البحار: أريد أن أتوسع في الأرض؟

قال: أقول: قد جعل الله لكل واحد منكما حداً لا يتجاوزه.

فقال: ما حكمت احكم بهذا على نفسك؛ فإن الله تعالى جعل لبني آدم آجالاً وحد لهم حداً لابد أن يصلوا إليه.

● **حكاية.**

قال موسى عليه السلام: يا رب أرني عدلك. قال: اذهب إلى مكان كذا، ففعل فوجد عينًا وشجرة، فجلس تحتها متخفيًا، فجاء فارس فشرب من العين ونسي كيسًا فيه ألف دينار، فجاء صبي فأخذه، ثم جاء رجل أعمى فتوضأ من العين فتذكر الفارس كيسه فرجع وسأل الأعمى، فقال: ما وجدته فقتله، فتعجب موسى من ذلك، فأوحى الله إليه، اعلم أن الصبي قد أخذ حقه لأن الفارس أخذ من والد الصبي ألف دينار، وأما الأعمى، فإنه قتل أبا الفارس، فأوصلت إلى كل ذي حق حقه.

● **حكاية.**

قال العلامي في سورة العنكبوت: عن مجاهد: أن امرأة كان لها أجير فولدت بنتًا فقالت له: ائتنا بنار، فخرج فوجد على الباب رجلاً فقال: ما ولدت المرأة؟ قال: بنتًا. قال: إنها تزني بمائة رجل، ثم يتزوجها الأجير، وتموت من العنكبوت، فدخل الأجير فشقها بالسكين ثم هرب، فعالجتها المرأة أمها حتى برئت وصارت من أجمل النساء، فزنت بالرجال، ثم خرجت إلى قرية على شاطئ البحر، فجاء الأجير، ودخل القرية وطلب الزواج ، فقيل له: ها هنا امرأة جميلة، فلما تزوجها أخبرها بقصته مع المرأة وأمر بنتها، فقالت: أنا البنت وأرته موضع السكين، وقالت: قد تبت إلى الله تعالى من الفاحشة. فقال: إن الرجل قال: إنك تموتي من العنكبوت، فبنى لها قصراً مشيداً، فرأت يومًا العنكبوت على الحائط فقتلته بظفرها فدخل سمها تحت ظفرها فتورمت أصبعها حتى ماتت، والله تعالى أعلم.

● **فائدة.**

نسج العنكبوت على أربعة: على النبي ﷺ. وعلى عبدالله بن أنيس رضي الله عنه، لما أرسله النبي ﷺ لقتل كافر فقطع رأسه، ودخل غاراً فنسج عليه فجاء الطلاب فلم يروه. ونسج على زين العابدين بن الحسين[1] رضي الله عنهما لما صلبوه مجرداً. ونسج على داود عليه السلام لما طلب جالوت. قاله القرطبي.

وترك بيته في البيت يورث الفقر، وفي الاصطبل يضعف الدواب، وأصله امرأة ساحرة

---

(١) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين، أبو الحسن، أبو محمد، الهاشمي المدني، زين العابدين القرشي الأكبر، ثقة، ثبت عابد، فقيه، فاضل، مشهور، أخرج له الستة، توفي (٩٣، ٩٤، ٩٥). انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٧/ ٣٠٤)، التقريب (٢/ ٣٥)، الكاشف (٢/ ٢٨٢)، التاريخ الكبير للبخاري (٦/ ٢٦٦)، الجرح والتعديل (٦/ ٩٧٧)، الحلية (٣/ ١٣٣)، سير الأعلام (٤/ ٣٨٦)، البداية والنهاية (٩/ ١٠٣)، نسيم الرياض (٣/ ٤٧٢)، تراجم الأحبار (٣/ ١٠٩).

فمسخها الله تعالى.

وقال ابن الملقن في العمدة: يستحب قتل العنكبوت لقول النبي ﷺ: «اقتلوا العنكبوت فإنه شيطان».

● موعظة.

قال داود عليه الصلاة والسلام: يا رب ما من يوم إلا ولك فيه من آل داود صائم، وما من ليلة إلا ولك فيها قائم من آل داود [......] [(١)].

فقال: بل منك يا رب. فقال: وعزتي وجلالي لأكلنك إلى نفسك سنة. فقال: لا بعزتك. قال: شهراً. قال: لا بعزتك. قال: أسبوعًا. قال: لا بعزتك. قال: يومًا. قال: لا بعزتك. قال: فلحظة. فرضي وجمع حوله ثلاثين ألف مقاتل، وجمع قراء الزبور، فسقط عليهم طير من ذهب فتبعه ليأخذه فوقع نظره على امرأة فأعجبته، فأرسل زوجها إلى الجهاد من مكان إلى مكان ليُقتل، فلما قُتل تزوجها[(٢)] -وهي أم سليمان- فأرسل الله إليه ملكين كالخصمين، فلما رآهما قد دخلا من غير باب داره، خاف منهما فقالا: ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، ﴿إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾، وكان داود عليه السلام متزوجًا بتسع وتسعين امرأة ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾، ثم أخبراه بفعله مع زوج المرأة، وخرجا من عنده، فعرف داود أنه قد امتحن، فمكث أربعين سنة يبكي حتى نبت العشب من دموعه، فأوحى الله إليه: اذهب إلى زوج المرأة وتحلل منه، فناداه، فقال: من هذا الذي شغلني عن لذتي؟ قال: أنا داود عرَّضتُك للقتل. فقال: يا داود عرضتني للجنة.

فأوحى الله إليه: يا داود إني حكم عدل، أخبره أنك تزوجت امرأته، فناداه فقال: من هذا الذي شغلني عن لذتي؟ فقال: أنا داود، قال: ما تريد أليس قد جعلتك في حل. قال: إني تزوجت امرأتك، فلم يرد عليه، فناداه ثانيًا فلم يجبه، فحثا داود التراب على رأسه وقال: ويل لداود إذا نُصبت الموازين، فأوحى الله تعالى إليه أني قد غفرت لك .

قال: وكيف تغفر لي ولم يغفر لي صاحبي؟

قال: أنا أرضيه وأستوهبك منه.

---

(١) كلام ناقص.

(٢) بالهامش: في حفظي أن بعض المفسرين أنكر هذا وقال: إن الأنبياء معصومون لا يصدر عنهم مثل هذا، انتهى.

● **حكاية:**

كان في بني إسرائيل عابد عَبَدَ الله دهراً طويلاً في صومعة، وأنبت الله له كُرمة يأكل منها كل يوم قطف عنب، وإذا عطش مد يده فيقع فيها الماء فيشرب. فمرت به امرأة جميلة فقالت: يا راهب قد دخل عليَّ الليل وقريتي بعيدة، فدعني عندك هذه الليلة.

فلما صارت عنده تجردت من ثيابها فخفض بصره، فتعرَّضت له فطالبته نفسه بذلك، فقال: إن الزاني يكتب على جبهته: آيس من رحمة الله، وخوف نفسه بنار جهنم فلم ترجع، فعرض عليها النار الصغرى وملأ سراجه زيتًا وغلظ الفتيلة وأدخل أصبعه، فنادى ملك: يا نار كلي، فأحرقت أصابعه كلها مع يده، فصاحت المرأة صيحة فارقت الدنيا، فسترها بثوبها وقام إلى الصلاة. فلما طلع الفجر صاح إبليس في المدينة: ألا وإن الراهب قد زنا بفلانة وقتلها.

فركب الملك بعسكره إليه وناداه فأجابه، فقال: أين فلانة؟ قال: عندي، قال: دعها تخرج قال: إنها ميتة، فقال: ما رضيت بالزنا حتى قتلتها، فأخذوه بسلاسل الحديد ووضعوا المنشار على رأسه وقال: شقوا ، فلما فعلوا تأوه، فقال الله تعالى: يا جبريل قل له: قد أبكيت حملة عرشي وسكان سمواتي، وعزتي وجلالي لأن تأوه مرة ثانية لأهلمن السموات على الأرض، فصبر واحتسب حتى مات ولم يخبرهم بحاله، فأنطق الله المرأة وقالت: إنه مظلوم، والله ما زنى، وأخبرتهم بخبره مع النار فلما رأوا يده محترقة ندموا على قتله، فحفروا له وللمرأة قبراً، فوجدوه مسكًا، فنادى منادٍ من السماء: اصبروا حتى تصلي عليهما الملائكة، وألقى الله تعالى عليهم كتابًا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من الله إلى عبده أني قد نصبت المنبر تحت عرشي، وجمعت ملائكتي وخطب جبريل، وأشهدت الملائكة أني قد زوجته خمسين ألف عروس من الفردوس ذلك لمن خشي ربه».

***

تم كتاب بستان الفقراء وهو الجزء الأول بحمد الله وعونه وحسن توفيقه في ليلة الخميس سابع شهر جمادى الثانية من شهور سنة تسع وثلاثين ومائة وألف على يد أفقر عباد الله وأحوجهم إليه العبد الذليل الضعيف المنكسر خاطره إلى ربه الجليل، الحاج قاسم ابن المرحوم الشيخ قنديل الشقري بلداً المالكي مذهبًا الملواني مولداً القاطن يومئذ بمصر المحروسة غفر الله له ولوالديه ولوالد والديه ولمن دعا لهم بالمغفرة. آمين، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين. آمين. يتلوه أول الجزء الثاني[1]: «الباب الثاني والخمسون في الحلم والرفق وحسن الخلق».

---

(١) اعتمدنا في نقل الجزء الثاني من مخطوط آخر لأن الجزء الأول في المخطوط الذي بدأنا فيه كان أوسع وبه كثير مما سقط من المخطوط الذي نقلنا منه الجزء الثاني ولكن رجعنا إليه لعدم وجود الجزء الثاني من المخطوط الذي نقلنا منه الجزء الأول.

[الجزء الثاني من كتاب بستان الفقراء ونزهة القراء]

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثاني والخمسون

في الحلم والرفق وحسن الخلق

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وروي أنه لما نزلت هذه الآية سأل النبي ﷺ جبريل عليه السلام عن تأويلها فقال: حتى أسأل العالم، ثم ذهب فأتاه فقال: «يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عن من ظلمك»[1].

وقال ﷻ: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. وصفه بالخلق العظيم لأنه جاء بالكونين عوضًا عن (الحق)[2].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه في هذه الآية: لم يكن همه غير الله تعالى.

وقال الجنيد رحمه الله: الخلق العظيم لا يكون له اختيار ويكون بحب العلم مع فناء النفس.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»[3]. رواه البخاري ومسلم.

---

(١) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم بسندهما وقال ابن كثير وهو مرسل وقد روى له شواهد من أخر. انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٢٨٤).

(٢) كذا بالأصل وأظنها (الخلق).

(٣) أخرجه: البخاري (٦٠٢٤) كتاب الأدب، ٣٥-باب الرفق في الأمر كله، ومسلم في صحيحه (٧٧-٢٥٩٣) كتاب البر والصلة والآداب، ٢٣-باب فضل الرفق، وأبو داود في سننه (٤٨٠٧)، وأحمد في مسنده (١١٢٨).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن النبي ﷺ قال: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه»[١]. رواه مسلم.

وعن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «يسِّروا ولا تعسِّروا وبشِّروا ولا تنفِّروا»[٢]. رواه البخاري ومسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شأنه»[٣]. رواه مسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: بال أعرابي في المسجد فقام الناس ليقعوا فيه فقال النبي ﷺ: «دعوه وأريقوا على بوله سَجْلاً من ماء أو ذنوبًا فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسِّرين»[٤] رواه البخاري.

قال النووي رحمه الله: السجل: بفتح السين هو الدلو مملوءة، وكذلك الذنوب.

وروى أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله بإسناده قال: بلغني أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: يا رب أي عبادك أعلم؟ قال: عالم يلتمس العلم.

قال: رب أي عبادك أحلم؟ قال: أملكهم لنفسه عند الغضب، قال: رب أي عبادك أصبر؟ قال: أكظمهم للغيظ.

وبإسناده إلى موسى بن عيسى الجصاص قال: سمعت أبا سليمانَ الداراني رحمه الله يقول: جلساء الرحمن يوم القيامة من جعل فيهم خصالاً: الكرم، والحلم، والعلم، والحكمة، والرقة، والفضل، والصفح، والإحسان والعفو، والبر، واللطف.

روى أبو بكر بن أبي الدنيا بإسناده إلى عمرو بن العاص قال: حدثنا شيخ قال: لما ولى عمر بن عبد العزيز ﷺ الخلافة خرج ليلة ومعه حرس فدخل المسجد فمر في الظلمة برجل نائم، فقربه فرفع رأسه إليه وقال: أمجنون أنت؟ قال: لا، فهم به الحرس فمنعه عمر ﷺ وقال: إنما سألني أمجنون أنت؟ فقلت: لا.

---

(١) أخرجه: مسلم (٧٧-٢٥٩٣) كتاب البر والصلة والآداب، ٢٣-باب فضل الرفق، وأبو داود (٤٨٠٧).

(٢) أخرجه: البخاري (٦٩) كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ومسلم في الجهاد رقم (٦، ٨).

(٣) أخرجه: مسلم (٧٨-٢٥٩٤) كتاب البر والصلة ٢٣-باب فضل الرفق.

(٤) أخرجه: البخاري (٢٢٠) كتاب الوضوء، ٦١-باب صب الماء على البول في المسجد، ومسلم (٩٨-٢٨٤) كتاب الطهارة، ٣٠-باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد وأن الأرض تطهر بالماء، والنسائي (١/ ٤٩-١٧٥)- المجتبى، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٢٦).

وعن عبيد بن عبد الرحمن[(١)]، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله أوصني بكلمات أَعِشْ بهن ولا تكثر عليَّ فأنسى، قال: «اجتنب الغضب»[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه أواه الله في كنفه ونشر عليه رحمته وأدخله في محبته، قيل: من ذا يا رسول الله؟ قال: من إذا أعطى شكر، وإذا قدر غفر، وإذا غضب فتر». رواه أبو علي بن شاذان.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصُّرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[(٣)]. رواه البخاري ومسلم.

الصُّرعة: بضم الصاد وفتح الراء، (وأصله في كلام العرب: الذي يصرع الناس كثيراً)[(٤)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بمن يُحَرَّمُ على النار أو تُحَرَّمُ عليه النار، تُحَرَّمُ على كل قريب هيِّن، ليِّن سهل»[(٥)]. رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

فصل في حسن الخلق

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا»[(٦)]. رواه البخاري ومسلم.

وعن أنس أيضًا قال: ما مسست ديباجًا ولا حريراً ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ. ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال قط: أُف. ولا قال لشيء فعلته ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت[(٧)]. كذا رواه البخاري ومسلم.

---

(١) عبيد بن عبد الرحمن بن عبيد بن سلمه، أبو سلمه الحنفي اليماني البصري، أخرج له أحمد في مسنده، قال أبو حاتم الرازي: مجهول. وذكره ابن حبان في الثقات وقال: روى عنه المصريون. انظر ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري (٥/ ٤٥٢)، ميزان الاعتدال (٣/ ٢٠)، الجرح والتعديل (٥/ ١٩٠٤).

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده (٥/ ٤٠٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٤٧)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٨٨٤).

(٣) أخرجه: البخاري (٦١١٤)، ومسلم (١٠٧-٢٦٠٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٦، ٢٦٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢٠).

(٤) غير موجود بالأصل واستكملناه من شرح مسلم للنووي.

(٥) أخرجه: الترمذي (٢٤٨٨) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٤٥)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٦) أخرجه: البخاري (٦٠٣٣) كتاب الأدب، ٣٩-باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، ومسلم (٢٦٧-٦٥٩) كتاب المساجد، ٤٨-باب جواز الجماعة في النافلة وأحمد في مسنده (٣/ ٢١٢).

(٧) أخرجه: البخاري (٦٠٣٨) كتاب الأدب، ٣٩-باب حسن الخلق والسخاء، ومسلم (٥١-٢٣٠٩) كتاب الفضائل ١٣-باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، وانظر أوله في مسلم (٨١-٢٣٣٠) في الفضائل، ٢١-باب طيب رائحة النبي ﷺ.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا وكان يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا»[١]. رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي الدرداء ؓ قال: قال النبي ﷺ: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، والله سبحانه وتعالى يبغض الفاحش البذيء»[٢]. رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

قال النووي رحمه الله: الفاحش البذيء: الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام.

وعن أبي هريرة ؓ قال: سُئِل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: «الفم والفرج»[٣]. رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح (حسن)[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم»[٥]. رواه أبو داود.

وعن أبي أمامة الباهلي ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المِرَاء، وإن كان محقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»[٦]. حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح.

الزَّعيم: الضامن، قال تعالى: ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾.

وعن جابر ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون».

قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال:

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٠٣٥) كتاب الأدب، ٣٩-باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، ومسلم (٦٨-٢٣٢١) كتاب الفضائل، ١٦-باب كثرة حيائه ﷺ.

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٠٠٢) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٠٣).

(٣) أخرجه: الترمذي (٢٠٠٤) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، وابن ماجه في الزهد، باب ذكر الذنوب.

(٤) كذا بالأصل وما وجدناه في الترمذي: صحيح غريب.

(٥) أخرجه: أبو داود (٤٧٩٨) كتاب الأدب، باب في حسن الخلق.

(٦) أخرجه: أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٤١) والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٣١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٥٧)، وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ١٨١) والألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٤٩٤).

«المتكبرون». رواه الترمذي [(١)] وقال: حديث حسن.

قال النووي رحمه الله: الثرثار هو كثير الكلام تكلفًا. والمتشدق: المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فمه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه. والمتفيهق: أصله من الفهق وهو الامتلاء، والذي يملأ فمه بالكلام، ويتوسع فيه ويعرب عنه تكبراً وارتفاعًا وإظهاراً للفضيلة على غيره.

وقال الجوهري: قال الفراء: فلان يتفيهق في كلامه وذلك إذا توسع فيه وتكظع.

قال: وأصله، الفهق، وهو الامتلاء كأنه ملأ فمه .

وروى أبو بريدة بن أبي موسى عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن الخلق الحسن طوق من رضوان الله ﷻ في عنق صاحبه، والطوق مشدود في سلسلة من الرحمة، والسلسلة مشدودة إلى حلقة من باب الجنة حيثما ذهب الخلق الحسن جرته السلسلة إلى نفسها فتدخله من ذلك الباب إلى الجنة، وإن الخلق السوء طوق من سخط الله تعالى في عنق صاحبه، والطوق مشدود إلى سلسلة من عذاب الله، والسلسلة مشدودة إلى حلقة من باب جهنم، حيثما ذهب الخلق السوء جرته السلسلة إلى نفسها فتدخله من ذلك الباب إلى النار»**. ذكره أبو خلف محمد بن عبد الملك الطبري.

وروى أبو الطيب عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجات قائم الليل وصائم النهار»**[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«أوحى الله ﷻ إلى إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام: إنك خليلي حسِّن خُلُقَكَ ولو مع الكافر تَدْخُل مداخل الأبرار فإن كلمتي سبقت لمن حسَّن خلقه، أن أظله تحت عرشي، وأسكنه حضيرة قدسي، وأدنيه من جواري»**.

وروى أبو الوفا مهدي بن أحمد البغدادي بإسناده عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«لا عقل كالتدبير في رضى الله تعالى، ولا ورع كالكف عن محارم الله تعالى لا حسن كحسن الخلق»**[(٣)].

وروى عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«جاءني جبريل عليه الصلاة**

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢٠١٨) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق.

(٢) أخرجه: أبو داود (٤٧٩٨) كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، وأحمد في مسنده (٦/ ٩٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٨٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٠٤).

(٣) أخرجه: ابن ماجه (٤٢١٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٨٩)، وابن حبان في صحيحه (٤٩-الموارد) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٤٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٣)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٣٢٣).

والسلام فقال: يا محمد، إن الله تعالى استخلص هذا الدين فلا يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق، ألا فزينوا دينكم بهما)).

وبإسناده عن هشام بن عروة عن أبيه ﷺ قال: مكتوب في الحكمة: ((ليكن وجهك بسيطًا، وكلمتك طيبة تكن أحب إلى الله من الذي يعطيهم العطاء)).

وقال الأحنف بن قيس[1] ﷺ: ما نازعني أحد إلا أخذت في أمري بإحدى ثلاث: إن كان فوقي عرفت له قدره وفضله، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه، وإن كان مثلي تفضلت عليه. وقد نظم الخليل بن أحمد هذا المعنى فقال:

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وإن عظمت منه لديَّ الجرائم

وما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثلي مقادم

فما الذي فوقي فأعرف حقه ... وأتبع فيه الحق والحق لازم

وأما الذي دوني فأحلم دائمًا ... أصون به عرضي وإن لام لائم

وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا ... تفضلت إن الفضل بالعز حاكم

قال رجل لأبي هريرة ﷺ: أنت أبو هريرة؟ قال: نعم. قال: أنت سارق الدويرة؟ قال: نعم. ثم قال: اللهم إن كان صادقًا فاغفر لي، وإن كان كاذبًا فاغفر له.

هكذا أمرنا رسول الله ﷺ أن نستغفر لمن ظلمنا.

وقال حكيم: حلم ساعة يرد سبعين آفة، والحلم حجاب الآفات.

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: إذا سمعت بكلمة مرة فأعرض عنها، فإن لها إخوة وأخوات.

قال محمد بن كعب ﷺ: لا تغضبوا ولا تزجروا بكسر الأواني، فإن لها آجالاً كآجالكم.

وقال لقمان لابنه: يا بني إذا أردت أن تؤاخي أحدًا -وفي رواية: أخًا- في الله فأغضبه، فإذا أنصفك وهو مغضب فآخه وإلا فاحذره. وأنشد:

إن شئت أن تختر لنفسك صاحبًا ... فمن قبل أن تصفى له الود فأغضبه

فإن لم يكن في حالة السخط راضيًا ... وإلا فقد جربته فتجنبه

---

(١) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين، أبو بحر التميمي الذي يضرب به المثل في الحلم، من كبار التابعين وأشرافهم وكان سيداً مطاعًا في قومه أسلم في حياة النبي ﷺ ووفد على عمر، وتوفي سنة (٦٧) وقيل (٧١). تاريخ الإسلام وفيات (٧١-٨٠).

روى الإمام العالم العلامة أبو حامد الغزالي رحمه الله: يقال: إن أبا جعفر المنصور [(١)] أمر بقتل رجل، والمبارك بن الفضيل حاضر فقال: يا أمير المؤمنين اسمع مني خبراً قبل أن تقتله: عن الحسن البصري رحمه الله عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق في صعيد واحد، ونادى مناد من كان له عند الله يد فليقم، فلا يقوم إلا من عفا عن الناس**»، فقال: أطلقوه فإني قد عفوت عنه.

وقال الإمام الغزالي أيضًا: خرج زين العابدين علي بن الحسين [(٢)] ﷺ وعن أبيه وجده إلى المسجد فسبه رجل، فقصده غلمانه ليضربوه ويؤذوه، فنهاهم عنه زين العابدين وقال: كفوا أيديكم. ثم التفت إلى ذلك الرجل وقال: يا هذا ما لا تعرفه مني أكثر مما عرفته، فإن كان لك حاجة إليّ اذكرها، (أنجزتها)[(٣)] لك. قال: فخجل ذلك الرجل واستحى، فخلع عليه زين العابدين ﷺ قميصه وأمر له بألف درهم، فمضى الرجل وهو يقول: أشهد أن هذا الشاب ولد رسول الله ﷺ.

وحكى الإمام الغزالي رحمه الله: روي أن زين العابدين ﷺ استدعى غلامه وناداه مرتين فلم يجبه قال زين العابدين ﷺ: أما سمعت ندائي؟ قال: بلى، قال: فَلِمَ لا تجيبني؟ قال: أمنت منك وعلمت طهارة أخلاقك. فقال زين العابدين ﷺ: الحمد لله الذي أمَّن مني عبدي.

وحكي أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله خرج إلى بعض البراري فاستقبله جندي فقال له: أين العمران؟ فأشار إلى المقبرة، فضربه على رأسه فأوضحه، فلما جاوزه وقيل له: هذا الذي ضربته إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان، فجاءه يعتذر إليه فقال: إنك لما ضربتني سألت الله لك الجنة. فقال: ولِمَ؟ قال: علمت أني أُؤجَرُ عليه فلم أرد أن يصيبني منك الخير، ويصيبك مني الشر.

وحكي أن بعض الفقراء جاء إلى بعض الأشياخ الذين يعرفون اسم الله الأعظم فقال:

---

(١) أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عياش القرشي الهاشمي العباسي، أمير المؤمنين، ولد سنه (٩٥) أو في حدودها، وتوفي سنة (١٥٨)، وولي الخلافة بعد أخيه السفاح ووليها اثنتين وعشرين سنة، وكان جماعًا للمال تاركًا للهو واللعب كامل العقل جيد المشاركة في العلم والأدب، فقيه النفس قتل خلقًا كثيراً حتى استقام ملكه. تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات (١٥١-١٦٠).

(٢) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين، أبو الحسن، أبو محمد، الهاشمي، المدني، زين العابدين، القرشي، الأكبر، ثقة، ثبت عابد، فقيه، فاضل، مشهور، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٩). انظر ترجمته: تهذيب التهذيب (٧/ ٣٠٤).

(٣) بالأصل ذكرته وأبدلناها لسياق الكلام. التقريب (٢/ ٣٥).

علمني اسم الله الأعظم، قال: وفيك أهليته لذلك؟ قال: نعم، قال: اذهب إلى باب البلد واجلس هناك فما جرى هناك فتعال أعلمني به ، فخرج إلى حيث أمره وإذا بشيخ حطاب قد أقبل ومعه حمار عليه حطب فتعرض له جندي فأخذ حطبه وضربه ضربًا مؤلمًا قال: فرجع الفقير إلى الشيخ وهو مقهور حزين على الحطاب وأخبر الشيخ القصة.

فقال له الشيخ: لو كنت تعرف الاسم الأعظم ماذا كنت تصنع بالجندي؟

قال: كنت أدعو عليه بالهلاك.

قال: فذلك الشيخ الحطاب هو الذي علمني الاسم الأعظم. انتهى والله تعالى أعلم.

***

الباب الثالث والخمسون

في الشفقة على خلق الله تعالى
وإكرام المشايخ وفضل الشيب وفي تسريح الشعر والخضاب

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤]. خصوصًا إلى الدابة والرقيق.

وقال النبي ﷺ في حق الرقيق: «**إخوانكم خولكم جعلهم الله تعالى تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم**»[١].

● **مسألة:**

تجب نفقة الرقيق عند المكاتب على سيده قوتًا وأدمًا وكسوة وسائر المؤن صغيراً كان أو كبيراً، زمنًا أو سليمًا، مرهونًا أو مستأجراً على حسب كفايته، من غالب قوت البلد الذي تطعم منه المماليك ، ولا يكفي في كسوته ستر العورة فقط إلا أن يكون ببلاد السودان، ولو كان له عبيدٌ استحب التسوية بينهم إلا في الإناث فيفضل الجميلة على غيرها لأن الاستمتاع بها جائز بخلاف الذكور، فلا يفضل الجميل على غيره.

وقد تقدم في باب ذكر ما أعد الله من العذاب لمن تشبه بقوم لوط عليه السلام .

ويجب شراء ماء الطهارة له، ويسقط ما يجب للرقيق بمضي الزمن، فإن امتنع السيد من الإنفاق عليه باع الحاكم ما له بعد الاستدانة واجتماع شيء صالح للبيع، فإن لم يكن للسيد شيء أمره الحاكم ببيع أو إجازة أو عتق، فإن امتنع تولى الحاكم ذلك، فإن لم يتيسر أنفق عليه من بيت المال، فإن لم يكن فعلى المسلمين.

ويجب علف الدابة أو تخليتها للرعي إن كفاها، فإن امتنع أجبره الحاكم على بيع المأكول أو ذبحه وغيره على بيع، ولا يزيد في حلب الدابة بحيث يضر ولدها، ويترك للنحل شيء من العسل إن لم يكتف بغيره. ويجب عليه تحصيل ورق التوت لدود الحرير. فإن امتنع باع الحاكم ما له في ذلك ويجوز تجفيف الدود في الشمس بعد حصول الغرض.

---

(١) أخرجه: البخاري (٣٠) كتاب الإيمان، ٢٢-باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها. ومسلم (٤٠-١٦٦١) كتاب الإيمان، ١٠-باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ١٣).

وقال ﷺ : «من لا يرحم لا يرحم»[١].

وقال ﷺ : «من لا يرحم الناس لا يحبه الله»[٢].

وقال ﷺ : «رأيت ليلة الإسراء سبعة قصور بين كل قصرين ما بين المشرق والمغرب قلت: لمن هذا؟ قال: لمن قاد ضريرًا سبع خطوات قلت: أُبَشِّرُ به أمتي؟ قال: نعم، وأكثر من هذا من قال من أمتك سبع مرات: لا إله إلا الله يعطى في الجنة بقدر الدنيا عشرين مرة».

وعن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: إذا أخذت كريمتي عبدي لم أرض له ثوابًا دون الجنة»[٣]. قيل: يا رسول الله وإن كانت واحدة؟ قال: «وإن كانت واحدة».

وعن النبي ﷺ : «ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت غاشًا لرعيته إلا حَرَّمَ الله عليه الجنة وأدخله النار»[٤].

وقال حامد اللفاف رحمه الله: إن أردتم أن تكونوا رفقاء في الدارين فعليكم بثلاثة أشياء: اجعلوا جل عبادتكم في مخالفة هواكم، واجعلوا كثرة فضائلكم في موافقة أصحابكم، وتقربوا إلى الله سبحانه وتعالى بالشفقة للمسلمين.

● **حكاية:**

قال موسى ﷺ : يا رب أوصني بوصية، قال: (كن مشفقًا على خلقي)، قال: نعم. فأراد الله تعالى أن يظهر شفقته للملائكة، فبعث الله إليه ميكائيل في صورة طير صغير وجبريل في صورة طير كبير -أي شاهين- فجاء الطير إلى موسى وقال: أجرني من الشاهين، ففعل.

ثم جاء الشاهين وقال: يا موسى هرب مني طير وأنا جائع، قال: هل تريد سد الجوعة؟ قال: نعم. قال: أنا أعطيك لحمًا، قال: لا آكل إلا من فخذك قال: نعم، قال: من عضدك، قال: نعم، قال: لا آكل إلا من عينك، قال: نعم، قال الله: أدركت يا كليم الله، هذا

---

(١) أخرجه: البخاري (٥٩٩٧) كتاب الأدب، ١٨-باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ومسلم (٦٥-٢٣١٨) كتاب الفضائل، ١٥-باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، وأبو داود (٥٢١٨) كتاب الأدب، باب في قبلة الرجل ولده، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٤١، ٥١٤)، وابن حبان في صحيحه (٢٢٣٦-الموارد)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٣٩٢).

(٢) بلفظ: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله» أخرجه: مسلم في صحيحه (٦٦-٢٣١٩) كتاب الفضائل، ١٥-باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال.

(٣) أخرجه: الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/ ١٤٢).

(٤) أخرجه: مسلم (٢١-١٤٢) كتاب الإمارة، ٥-باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر.

جبريل وهذا الطائر ميكائيل، أراد الله أن يظهر شفقتك للملائكة ليرد عليهم قولهم: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾.

وروي أن عمر بن الخطاب ﷺ رأى (بيد رجل)[1] عصفوراً فاشتراه منه وأعتقه، فلما مات رآه بعض أصحابه في المنام فسأله عن حاله فقال: لما مت ووضعت في قبري حصل لي من الملكين خوف، فسمعت قائلاً يقول لهما: لا تُخِيفَا عبدي، فإنه رحم عصفوراً في الدنيا ورحمته في الآخرة.

● **لطيفة:**

أمر عمر بن الخطاب ﷺ بكتابة عهد لرجل قد ولاه ناحية، فبينما الكاتب يكتب إذ جاء صبي فجلس في حجر عمر ﷺ فلاطفه بالكلام فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إن لي عشرة أولاد ما دنا أحد منهم مني، فقال عمر للكاتب: مزق الكتاب فإنه إذا لم يرحم أولاده كيف يرحم الرعية.

وولى عمر رجلاً على بلاد، فلما توجه الرجل إليها رأى في منامه كأن القمر والشمس يقتتلان، فرجع إليه وقَصَّ عليه القصة بما رأى، فقال له: هل كنت مع الشمس أو مع القمر؟ فقال: مع القمر، فعزله عمر. فقيل له في ذلك، فقال: لأن القمر ملك ظالم والشمس ملك عادل، فحيث كان مع الظالم أخاف أن يكون ظالمًا للرعية.

قال: رأى النبي ﷺ رجلاً يحد شفرته وقد أضجع شاة ليذبحها فقال له: «أتريد أن تميتها موتتين، هلاَّ أحددت شفرتك قبل أن تضجعها»[2]. رواه الطبراني رحمه الله.

قال الإمام النووي رحمه الله: يستحب أن يعرض عليها الماء قبل الذبح وألا يذبح بعضها بحضرة بعض، وألا يحد الشفرة قبالتها [3].

وقال بعض الصالحين: كان والدي إذا ذبح دجاجة اعتزل بها عن رفقتها.

● **فائدة:**

قال القرطبي رحمة الله عليه في تفسيره: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام: أتدري بما اتخذتك كليمًا؟ قال: لا، قال: أتذكر يوم كذا وأنت ترعى غنمًا فهربت

---

(١) غير موجودة بالأصل.

(٢) أخرجه: الطبراني في الكبير (١١/ ٣٣٣)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٢٨١)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٢٣١) والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٥٨).

(٣) قال النووي: يستحب ألا يحد السكين بحضرة الذبيحة وألا يذبح واحدة بحضرة أخرى ولا يجرها إلى مذبحها. النووي في شرح مسلم (١٣/ ٩٠).

منك شاة فتبعتها من وادٍ إلى وادٍ حتى أدركتها ولم تغضب عليها، قال: نعم، قال: فبذلك اتُّخِذْتَ كليمًا.

● **فائدة:**

قال الدميري في حياة الحيوان: قال الشبلي بعد موته في المنام: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه وقال: أتدري لم غفرت لك؟ قال: فذكرت صلاتي وصيامي فقال: ألا تذكر يوم كذا وكذا وأنت في أذقَّة بغداد فرأيت هرة في يوم شديد البرد فجعلتها في فروتك؟ قال: نعم، فبذلك غفرت لك.

● **لطيفة:**

نقل السبكي [١] رحمة الله عليه في طبقاته أن الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله لما نام يوم الجمعة جاء الهر فنام على كمه، فاستيقظ وقت الصلاة فنظره نائمًا فقطع كمه ولم يزعجه، فلما فرغ من الصلاة وذهب الهر أعاد كمه إلى موضعه رحمه الله.

روى البخاري: (بينما رجل على ركية -أي على بئر- فرأى كلبًا يأكل الثرى من العطش أو يلهث عطشًا فسقاه فغفر له) [٢].

وذكر القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾، قيل: هو الزكاة، وقيل: هو السائل الذي يسأل الناس من الفاقة، والمحروم هو السائل الذي أصاب ماله عاهة، وقيل: الكلب.

وسئل عمر بن عبد العزيز عن سبب توبته فقال: ضربت غلامي فقال: يا مولاي أذكر الليلة التي صبيحتها القيامة.

وقد نقل في سيرة ابن هشام أن النبي ﷺ أرسل خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني الحارث سنة عشر، وأمره أن يأمرهم بالإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثة أيام، فإن لم يفعلوا قاتلهم، ففعل فأسلموا فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم لمحمدٍ ﷺ من خالد بن الوليد، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد يا رسول الله فإنك بعثتني إلى بني الحارث بكذا، فقد أسلموا وأنا مقيم عندهم أُعَلِّمُهم الإسلام حتى تكتب إليَّ يا رسول الله بأمر إن شاء الله تعالى، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فكتب إليه النبي ﷺ : «**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى خالد بن**

---

(١) الإمام علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف أبو الحسن السبكي ولد سنة (٦٨٣)، وتولى منصب قاضي قضاة الشام سنة (٧٣٩)، وتولى مناصب كثيرة قبل هذا المنصب وصنف ما يربو على مائة وخمسين مصنفًا في العلوم الشرعية والعربية.

(٢) انظر ما تقدم من تخريجه من قبل.

الوليد سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فإن كتابك جاءني مع رسولك يخبر أن بني الحارث أسلموا قبل أن تقاتلهم، وأن الله قد هداهم بهداه، فبشرهم وأنذرهم، فأقبل ومعك وفدهم. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

فأقبل خالد ومعه منهم خمسة فسلَّموا على النبي ﷺ وأتوا بالشهادتين.

فقال النبي ﷺ: «وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله». ثم قال: «أنتم الذين إذا زجروا استقدموا»، قالها أربع مرات فلم يردوا عليه، ثم قال واحد منهم: يا رسول الله نحن الذين إذا زجروا استقدموا، قالها أربعًا.

فقال ﷺ: «لو لم يكتب إليَّ خالد بن الوليد أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم»، فقال واحد: أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالداً. فقال: «فمن حمدتم؟» قال: حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله، فقال: «صدقتم»، ثم قال: «بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟» قالوا: كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحداً بظلم، فصدقهم النبي ﷺ وعاش بعد ذلك أربعة أشهر فقط.

● حكاية:

قال في عقائق الحقائق: إن السبع أزعج أهل السفينة، فدعا عليه نوح عليه السلام، فابتلاه الله بالحمَّى فوقع في زاوية السفينة وله أنين، فلطمه نوح لطمة شديدة، فأوحى الله إليه: أنا الحكم العدل، وهذا خلق من خلقي وهو مريض يشكو إليَّ حاله، وأنا أحب شكاية المريض، فقم إليه وصالحه، فقام إليه ووضع يده على رأسه فخفف الله عنه، ولولا وجود الحمى على الأسد لعظم ضرره في الأرض.

● لطيفة:

لما افتقد سليمان عليه السلام الهدهد أرسل العُقَاب في طلبه، فارتفع في الهواء، فرآه مقبلاً من نحو اليمين، فانقض عليه، فقال: بحق الذي قواك علي أن ترحمني، فعفا عنه وأتى به إلى سليمان يجر جناحه تواضعًا، فقال له سليمان: لأعذبنك، فقال: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله، فعفا عنه.

قال الدميريّ في حياة الحيوان: جلس موسى ﷺ تحت شجرة فلدغته نملة، فأحرق النمل فأوحى الله إليه: هلا نملة واحدة، وكان قبل ذلك يقول: يا رب كيف تعذب قومًا بذنب رجل واحد؟ فأراه ذلك في النمل ليعلم أن العقوبة قد تعم الطائع والعاصي.

قال أبو يزيد البسطامي رحمه الله: الصوفية قبضوا باليمين كتاب الله وبالشمال سنة محمد ﷺ، ونظروا بإحدى العينين إلى الجنة، وبالأخرى إلى النار، ووضعوا قدمًا في الدنيا

وقدمًا في الآخرة. وقال الشبلي رحمه الله: الصوفي من لبس الصوف على الصفا، وسلك طريق المصطفى، وكانت الدنيا عنده خلف القفا.

والقفا: مقصور، وهو مؤخر العنق.

فصل في إكرام المشايخ

قال النبي ﷺ : «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم» [١].

وعنه ﷺ: «ما من نبي إلا وقد مشى إليّ وسلّم عليّ ليلة المعراج إلا نبي واحد، قال لي جبريل: امش إليه يا محمد وسلّم عليه لا لكونه أفضل منك، بل لشيخوخته، هذا نوح شيخ المرسلين». حكاه النسفي رحمه الله.

قال الحناطي: أول من شاب إبراهيم، وسيأتي بيانه فيكون نوح عليه السلام شيخ المرسلين بكبر سنه لا ببياض شعره.

وعن النبي ﷺ : «الشيب أول منازل الموت».

وعنه ﷺ : «من شاب شيبة في الإسلام [٢] يقول تعالى: مرحبًا بعبدي هذا صفة من ابيضت له شعرة واحدة، ويقول الله تعالى: قد وهبت سواد صحيفتك شيبتك».

قالت عائشة رضي الله عنها: هذا لمن مات وقد شاب فكيف بمن يموت وهو شاب.

فقال: أمتي كلهم يقومون من قبورهم وقد شابت شعورهم هيبة ملك الموت.

وقد تقدم نظيره في باب فضل العلم: «أمتي كلهم علماء».

وقال النبي ﷺ : «طوبى لمن طال عمره وحسن عمله» [٣].

وعنه ﷺ: «ألا أخبركم بخياركم، خياركم أطولكم أعمارًا وأحسنكم أعمالاً».

وقال النبي ﷺ : «بقيت (ثمن) [٤] المؤمن لا ثمن لها يصلح فيها ما فسد».

وقال ابن أبي جمرة في شرح البخاري: رأس مال المؤمن: عمره، وربحه: عمله الصالح.

---

(١) أخرجه: أبو داود (٤٨٤٣) كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٦٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١١٣)، والشجري في أماليه (٢/ ٢٤١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٩٧٢)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ١١٨)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢/ ١١٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٢٠٢) كتاب الترجل، باب في نتف الشيب، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تنتفوا الشيب، ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام، إلا كانت له نورًا يوم القيامة». وفي حديث يحيى: «إلا كتب الله له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة».

(٣) أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ١١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٢٧٠)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١١، ٦٠)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٣٣٨).

(٤) هكذا بالأصل.

وقالت عائشة رضي الله عنها: قال النبي ﷺ: «من بلغ الثمانين من هذه الأمة لم يعرض ولم يحاسب وقيل له: ادخل الجنة»[١].

وقال عبد الله بن عمر ﷺ قال النبي ﷺ: «السعادة كل السعادة طول العمر في طاعة الله ﷻ»[٢].

وعنه ﷺ[٣]: «إذا بلغ المرء المسلم أربعين سنة صرف الله عنه ثلاثة أنواع: الجنون والجذام والبرص؛ وإذا بلغ خمسين سنة خفف الله عنه ذنوبه؛ وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة؛ وإذا بلغ سبعين سنة أحبه الله تعالى وأحبه أهل السماء؛ وإذا بلغ ثمانين سنة قبل الله حسناته ومحا سيئاته؛ وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكان أسير الله في الأرض شفيعًا لأهل بيته يوم القيامة».

ورأيت في قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: ما لكم لله ثوابًا. قاله عطاء ابن أبي رباح.

وقال ابن عباس: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: ما لكم لله ثوابًا.

وقيل: لا تخشون ما لكم له عقابًا.

وقيل: ما لكم لا تعرفون له حقًا.

وقيل: ما لكم لا توحدون الله ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾، أي أنواعًا: صحيحًا وسقيمًا، غنيًا وفقيرًا.

وقيل: ﴿أَطْوَارًا﴾ يعني: صبيانًا، ثم شبابًا، ثم شيوخًا.

فإذا بلغ الصبي سبع سنين وميز أي فرق بين الحسن والقبيح، وقيل: يفهم الخطاب ويرد الجواب: أمر بالصلاة[٤] وفي العشر يضرب عليها، والضرب والتعليم واجبان على الآباء والأمهات.

وفي الخامس عشر: يجري عليه القلم، وفي الإحدى والعشرين سنة يستيقظ قلبه، وفي الثانية العشرين ينتهي عقله، وفي الثلاثين تنتهي قوته، وفي الأربعين يأمن من الجنون والجذام

---

(١) أخرجه: أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢١٥) وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٨١)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ٧٢).

(٢) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (١/ ٥٤٧)، والزبيديّ في الإتحاف (٩/ ٥٨٤)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٣٠٦).

(٣) أخرجه: الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٧٨)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ٧٣).

(٤) أخرج الترمذي في سننه (٤٠٧) في الصلاة، باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة، عن سبرة الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: «علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر». وكذا أخرجه: البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٨٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٥٨).

والبرص، وحبب إليه الإنابة، وفي الستين تعرفه الملائكة، وفي السبعين تغفر له ذنوبه، وفي الثمانين تمحى سيئاته، وفي التسعين يعتقه الله من النار، وإذا بلغ المائة شفعه الله في سبعين من أهل بيته.

وذكر الحناطي عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ : «يتغير الغلام لسبع سنين ويحتلم في أربعة عشر، ويتم بطوله لإحدى وعشرين ثم لا يزداد بعد ذلك عقلاً إلا بكثرة التجارب». وأوحى الله تعالى إلى محمد ﷺ : «الشيب على عبدي المؤمن نور من نوري، وأنا أكرم من أن أحرق نوري بناري».

● حكاية:

قال محمد النيسابوري : رأيت بعضهم في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه وقال: أيها الشيخ السوء كنت تحمل العلم إلى السلاطين وتنال من دنياهم، فقلت: يا رب كانت علي مقدرة [1] وأنا صاحب عيال، فأمر بي إلى النار، فقلت: ما هكذا ظني بك. فقال: وما كان ظنك بي؟ قلت: حدثني يحيى، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس عن محمد ﷺ ، عن جبريل عنك أنك قلت: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء»[2]. فقال: صدق يحيى، وصدق شعبة، وصدق قتادة، وصدق أنس، وصدق محمد، وصدق جبريل، أنا قلت ذلك. فطيبني وألبسني سبعين حلة، وجعل على رأسي تاجًا، ومشى بين يدي الولدان المخلدون إلى الجنة.

وقال ابن مسعود: والله الذي لا إله إلا هو لا يحسن الظن بالله أحد إلا أعطاه الله ظنه. حكاه القرطبي في التذكرة.

وفي شرح البخاري لابن أبي جمرة رحمه الله: أن بعض الصالحين كان خطيبًا، فلما مات قيل له: ما فعل بك الملكان في قبرك؟ فقال: لما سألاني ارتج علي الجواب إلا ساعة، وإذا بشاب حسن، قد دخل علي وعلمني الجواب. فقلت من أنت؟ قال: عملك، قلت: ما أبطأك عني ؟ قال: كنت تأخذ (الخطابة) [3] من السلطان. فقلت: ما أكلت منها شيئًا بل كنت أفرقها، فقال: لو أكلتها ما جئتك.

وعن أبي بكر الصديق ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إن الله حرم الجنة على جسد غذي

---

(١) أي مضيقة في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ [الفجر:١٦].

(٢) أخرجه: الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/ ١٦٩، ٢٢١، ١٠/ ٢٧٧)، وابن أبي الدنيا في حسن الظن ، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٢٢).

(٣) كذا بالأصل.

بحرام»[١]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام.

● **فائدة:**

قال رجل: يا نبي الله أدبرت الدنيا عني وقلَّت ذا يدي، فقال: «**أين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبهما يرزقون؟! أن تقول ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الغداة مائة مرة: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفر الله، تأتيك الدنيا راغمة ويخلق الله من كل كلمة ملكًا يسبح الله إلى يوم القيامة لك ثوابه**».

● **موعظة:**

قال الحسن البصري رحمه الله : مكتوب على وجه الأرض: من أحب الدنيا أبغضه الله، ومن أبغضها أحبه الله.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الدنيا ثلاثة أقسام: قسم للمؤمنين يتزودون به إلى الآخرة، وقسم يتزين به المنافقون، وقسم يتمتع به الكافرون.

قال الحناطي: الزهد ثلاثة أحرف: الزاي: ترك الزينة، والهاء: ترك الهوى، والدال: ترك الدنيا.

● **حكاية:**

خرج علي بن أبي طالب كرم الله وجهه للصلاة فوجد شيخًا يمشي أمامه فمشى خلفه ولم يتقدم عليه إكرامًا واحترامًا له، فلما ركع النبي ﷺ وضع جبريل جناحه على ظهره، فكلما أراد أن يرجع منعه جبريل حتى أدركه علي رضي الله عنه. لكنه حديث موضوع.

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى ينظر إلى وجه الشيخ صباحًا ومساءً ويقول: كبر سنك ودق عظمك، ورق جلدك، واقترب أجلك، فاستحي مني فإني أستحيي منك**».

وعن النبي ﷺ[٢]: «**أول من جزع من الشيب إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين رآه في عارضه فقال: يا رب ما هذه الشوهة الذي شوهت بخليلك؟ فأوحى الله إليه: هذا سربال الوقاية ونور الإسلام، وعزتي وجلالي ما ألبسته أحدًا من خلقي يشهد أن لا إله إلا الله وحدي لا شريك لي إلا استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانًا أو أنشر له ديوانًا أو أعذبه بالنار. فقال: يا رب زدني وقارًا، فأصبح رأسه مثل الثغامة**» -بفتح الثاء المثلثة وتخفيف العين المعجمة-

---

(١) ذكره السيوطي في جمع الجوامع (٤٨٠٢).

(٢) أخرجه: العجلوني في كشف الخفا (١/ ٣١٢).

وهو نبات له ثمر أبيض.

قال الحناطي: لما ولدت سارة إسحاق وهي بنت مائة سنة، وإبراهيم ابن مائة وعشرين فقال قومه: أما تنظرون هذين الشيخين، قد وجدا غلامًا لقيطًا فاتخذاه ولداً ولا يوجد لمثلهما، فألقى الله تعالى شبه إبراهيم على إسحاق، ثم ميز الله إبراهيم بالشيب، وذلك أن كفًا طلع من السماء وبين أصبعيه شعرة بيضاء، فجعلت تدنو من إبراهيم حتى ألقاها على رأسه ﷺ.

● **فائدة:**

عن النبي ﷺ: «ما أكرم أحد شيخًا إلا قيض له من يكرمه عند كبر سنه»[(١)].

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في «منهاج القاصدين»: وفيه بشارة بطول العمر.

● **حكاية:**

دخل سليمان عليه السلام الجامع فوجد شيخًا فقال له: أتحب الموت؟ قال: لا، ذهب الشباب بشره وجاء الكبر بخيره.

نعم رأيت في كتاب «الإحياء» عن ابن عباس رضي الله عنهما: الخير كله في الشباب، وما أعطى الله عبداً علمًا إلا شابًا.

قلت: ولا يعارضه ما حكاه السبكي في طبقاته: أن القفال تعلم العلم على كبر سنه بعد أن أفنى شبابه، وكان ماهراً في صنعة الأقفال، حتى إنه عمل قفلاً وزنه أربع حبات، ثم صار بعد ذلك في العلم بحراً عميقًا غواصًا على المعاني الدقيقة وفارسًا لا يلحق آثاره ولا يسبق غباره، مات رحمه الله سنة سبع عشر وأربعمائة وهو ابن تسعين، واسمه: عبد الله بن أحمد بن عبد الله، فإن علم القفال على كبر سنه موهبة من الله يخص بها من يشاء من عباده.

● **لطيفة:**

قال الإمام الشافعي رحمه الله: ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه، فإن كان صغيراً استحقر، وإن كان كبيراً استهزموه.

وقال بعض المفسرين في سورة يوسف عليه السلام: طلب الحوائج من الشباب أيسر من طلبها من المشايخ، لأن يوسف عليه السلام قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾[(٢)] أي لا تعيير ولا توبيخ.

ويعقوب قال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾[(٣)]، قيل: أراد وقت السحر، وقيل: ليلة الجمعة، وقيل: ليالي البيض؛ لأن الدعاء فيها مستجاب.

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢٠٢٢) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في إجلال الكبير، عن أنس بن مالك.

(٢) أي لا تانيب عليكم اليوم عندي فيما صنعتم ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي يستر الله عليكم فيما فعلتم ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾. تفسير ابن كثير (٢/ ٥٠٢).

(٣) سورة يوسف (٩٨). وانظر ابن كثير (٢/ ٥٠٣) بأوسع مما ذكره المصنف.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا طلبت حاجة من أحد فلا تطلبها ليلاً ولا من ورائه، فإن الحياء في العينين.

وقال بعض العلماء رحمهم الله: يجب أن يكون عند الحاكم شيخ عالم عارف بمصالح الرعية، لأن نظر الشيخ أتم من الشباب. قال بعض الفضلاء:

إن الأمور إذا الأحداث دبَّرها ... دون الشيوخ ترى في بعضها خللا

● **فائدة:**

قال الإمام النسفي رحمه الله تعالى: إذا كان يوم القيامة يأمر الله تعالى بشيخ إلى الجنة ويرفع صحيفته إلى ملك ويقول له: إذا وصل إلى باب الجنة فادفع إليه كتابه، فإذا فعل ذلك يقول الشيخ للملك: قف حتى أقرأه، فيقول: ما معي إذن، فيفك خاتمه ويقرأه فيجد فيه ذنوبًا كثيرة فيخجل ويقول: أدخل الجنة مع هذه الذنوب؟! فيرسل الله تعالى ريحًا ، فتطير الكتب من يده، وتهب ريح الرحمة على قلبه فتنزع منه ذكر الذنوب حتى كأنه لا يعلمها، والله أعلم.

فصل في الخضاب والتسريح

عن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ: «**أول من اختضب بالحناء إبراهيم** عليه السلام»[١].

وعنه أيضًا عن النبي ﷺ[٢]: «**إذا دخل المؤمن قبره وهو مختضب بالحناء أتاه منكر ونكير، فقالا له: من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟ فيقول منكر لنكير: ارفق بالمؤمن، أما ترى نور الإيمان**».

وعن علي بن أبي طالب ﷺ، عن النبي ﷺ: «**الحناء بعد النورة أمان من الجذام**»[٣].

وعن أنس ﷺ: دخل رجل على النبي ﷺ وهو أبيض الرأس واللحية فقال: «**ألست مسلمًا؟**» قال: بلى، قال: «**فاختضب**»[٤].

وفي «لقط المنافع»: قال أبو طيبة ﷺ: نفقة درهم في سبيل الله بسبعمائة، ونفقة درهم في خضاب اللحية بسبعة آلاف[٥].

ذكر القرطبي في سورة العنكبوت: من صفات قوم لوط: تطريف الأصابع. وزاد مكحول: ومضغ العلك، ولف العمامة على الرأس بغير طاقية أيضًا. ويُحرَّم الخضاب على

---

(١) أخرجه: العجلوني في كشف الخفا (١/ ٣١٣).

(٢) أخرجه: السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٨٢).

(٣) أخرجه: الكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (٢/ ١١٤)، والذهبي في الطب النبوي (٩٢).

(٤) أخرجه: الهيثمي في المجمع (٥/ ١٦٠)، وابن حجر في المطالب (٢٢١٠)، والذهبي في الميزان (٥٨٤٦)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٣٦٢).

(٥) أخرجه: العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٦٤)، والسيوطي في الحاوي للفتاوي (٢/ ٩٤).

الرجل في يديه ورجليه إلا من ضرورة. قاله في «شرح المهذب».

وعن النبي ﷺ : ((من أمَرَّ المشط على حاجبيه عوفي من (الدباء)[١])).

وعن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ : ((عليكم بالمشط فإنه يذهب الفقر، ومن سرح لحيته حين يصبح كان له أمانًا حتى يمسي، لأن اللحية زين الرجال وجمال الوجه))[٢].

روي في «الإحياء»: إن لله ملائكة يقولون في حلفهم: والذي زين بني آدم باللِّحْي.

● **مسألة.**

قال الإمام النووي رحمه الله: لو غصب شجرة فتناثر ورقها ثم طلع لها ورق لزمه قيمة الورق الأول . ولو غصب جارية فتمعط[٣] شعرها، ثم نبت لها شعر لم يلزمه شيء.

ثم قال في كتاب الطلاق: لو قال: «أنت طالق عدد كل شعرة على جسد إبليس»، قيل: لا يقع عليه شيء، والمختار: أنه يقع عليه طلقة واحدة.

● **لطيفة.**

قال في كتاب عيون المجالس: سمع الحسين بن علي[٤] رضي الله عنه رجلاً على كرسي يقول: سلوني عما دون العرش. فقال: قد ادعى دعوة عريضة، ثم قال له الحسين: أيها المدعي أخبرني عن شعر لحيتك أشفع هو أم وتر؟ قال: فتحير وقال: علمني يا ابن بنت رسول الله. قال: إن الله تعالى قال: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾، فالمخلوقات زوج، والوتر هو الله تعالى.

● **فائدة.**

عن وهب رحمه الله: من سرَّح لحيته بلا ماء زاد همّه، أو بماء نقص همه، ومن سرحها يوم الأحد زاده الله نشاطًا، أو الإثنين قضى الله حاجته، أو الثلاثاء زاده الله رخاء، أو الأربعاء زاده الله نعمة، أو الخميس زاده الله في حسناته، أو الجمعة زاده الله سروراً، أو السبت طهر الله قلبه من المنكرات. ومن سرحها قائمًا ركبه الدين، أو قاعداً ذهب عنه الدين بإذن الله تعالى.

وفي «شرح المهذب» عن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال: ((نهانا رسول الله ﷺ أن يمشط أحدنا كل يوم))[٥]. رواه النسائي بإسناد صحيح.

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) أخرجه: العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٦٤) والسيوطي في الحاوي للفتاوي (٢/ ٩٤).

(٣) معط: معطًا: لم يكن على جسده شعر، فهو أمعط.

(٤) الحسين بن علي بن أبي طالب أبو عبد الله الهاشمي ريحانة رسول الله ﷺ وابن بنته فاطمة، السعيد الشهيد رضي الله عنه، استشهد بكربلاء وله ست وخمسون سنة، وقد حفظ عن جده وروى عنه وعن أبويه وخاله هند بن أبي هالة وكان مولده في الخامس من شعبان سنة أربع. تاريخ الإسلام وفيات (٦١-٧٠).

(٥) أخرجه: النسائي (١/ ١٣٠ - المجتبى)، وأبو داود في سننه (٢٨) في الطهارة، والحاكم في المستدرك (١/ ١٦٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٩٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٧٣).

● **لطيفة:**

الشيب في المنام وقار للكبير، وهم للصغير، وشيب المرأة في المنام دليل على فسق زوجها، فإن كان صالحًا تزوج عليها.

ونتفه في النوم دليل على أنه لا يكره المشايخ، وفي اليقظة مكروه.

قال في «شرح المهذب»: ولو قيل: ((يحرم))، لم يبعد للنهي الصحيح عنه.

وفي «الترغيب والترهيب»: عن النبي ﷺ: ((**لا تنتفوا الشيب فإنه نور يوم القيامة، من شاب شيبة كتب الله له بها حسنة، وحط عنه بها خطيئة، ورفع له بها درجة**))[1]. رواه ابن حبان في صحيحه .

وعن النبي ﷺ : ((**من كان له شعر فليكرمه**))[2]، رواه أبو داود.

● **مسألة:**

شيب الرقيق في غير وقته عيب يرد به. قاله في الروضة، وفيها أيضًا عن المتولي: الشيخ ليس كفؤ للشابة، وهو مردود. ولو غصب شابًا فشاخ أو أمرد فالتحى ضمن النقص. انتهى والله أعلم.

***

---

(١) أخرجه: ابن حبان في صحيحه (١٤٧٩ - الموارد). وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٢٧٤).

(٢) أخرجه: أبو داود (٤١٦٣) كتاب الترجل، باب في إصلاح الشعر، وابن عبد البر في التمهيد (٥/ ٥٤)، والزبيدي في الإتحاف (٣٩٥)، والكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (٢/ ٦٠)، والتبريزي في المشكاة (٤٤٥٠). وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٠٠).

الباب الرابع والخمسون

في فضل العقل

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق:٢٧] أي عقل. قاله له ابن عباس.

وقال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥] أي لذي عقل.

قال النبي ﷺ: «إن الرجل ليكون من أهل الصلاة والصيام والحج والجهاد، فما يجزى إلا على قدر عقله»[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «لكل شيء آلة، وآلة المؤمن العقل[٢]، ولكل شيء مطية، ومطية المؤمن العقل، ولكل شيء دعامة ودعامة المؤمن العقل، ولكل مؤمن غاية، وغاية المؤمن العقل، ولكل قوم راع وراعي العابدين العقل، ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل، ولكل أهل بيت قيم، وقيم بيوت الصديقين العقل، ولكل خراب عمارة، وعمارة الآخرة العقل».

● **لطيفة:**

قال قتادة رحمه الله: الرجال ثلاثة: رجل وهو العاقل، ونصف رجل وهو لا عقل له ولكن يشاور العقلاء، ورجل لا شيء وهو من لا عقل له ولا يشاور العقلاء.

وقال النووي في «بستان العارفين»: خير المواهب العقل، وشر المصائب الجهل.

● **فائدة:**

قال علي رضي الله عنه: خلق الله العقل من نور مكنون، فجعل العلم نفسه، والفهم روحه، والزهد رأسه، والحياء عينه، والحكمة لسانه، والخير سمعه، والرأفة قلبه، والرحمة صدره، والصبر بطنه، ثم قيل له تكلم فقال: الحمد لله الذي ذل كل شيء لعزته، فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقًا أعز علي منك، ولا أسكنتك إلا في أحب الخلق إلي.

---

(١) أخرجه: التبريزي في المشكاة (٥٠٦٥)، والذهبي في الميزان (٨٧٨٠)، وابن حبان في المجروحين (٣/ ٤٠)، والطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ١٢٥).

(٢) أخرجه: السيوطي في الحاوي (٢/ ٩٥)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٤٥٧)، وابن حجر في المطالب العالية (٢٧٤٦).

وقال الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله: العقل طائر غيبي لا يصاد إلا بشباك العناية، جوهري الصفات، نوري الذات.

● لطيفة:

العقل جوهر والغضب يزيله ، والدين جوهر والحسد يزيله، والحياء جوهر والطمع يزيله، والعمل الصالح جوهر والغيبة تزيله.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: «لما خلق الله العقل[١] قال له: أدبر فأدبر. ثم قال له: أقبل. فأقبل فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقًا أحسن منك، ولا ركبتك إلا في أحب الخلق إلي، فبك آخذ وبك أعطي، وبك أعاقب»[٢].

فترى العقل محبوبًا إلى الناس، وإن لم يعمل معهم خيراً.

ولما خلق الجهل قال له: أقبل فأدبر، ثم قال: أدبر فأقبل، فقال: وعزتي وجلالي وما خلقت خلقًا أبغض إلي منك، ولا ركبتك إلا في أبغض الخلق إلي.

فترى الجاهل ممقوتًا عند الناس، وإن لم يعمل معهم شراً.

● مسألة:

الجهل اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه ، وهو قسمان:

- جهل مركب: وهو عند طائفة أن يجهل ويجهل كونه يجهل. وعند أخرى: مثل اعتقاد المجسمة أن الله تعالى جسم ، ومثل اعتقاد المعتزلة أنه تعالى لا يرى في الآخرة .
- وجهل بسيط: مثل: عدم علمنا بما تحت الأرضين وما في بطون البحار من الحيوانات.

وقال الجنيد رحمه الله: لما خلق الله تعالى العقل قال له: من أنا؟ فسكت، فكحله بنور الوحدانية، ففتح عينيه وقال: أنت الله الذي لا إله إلا أنت.

وقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، بم يتفاضل الناس في الدنيا؟ قال: ((بالعقل))، قلت: وفي الآخرة؟ قال: ((بالعقل)).

---

(١) أخرجه: الطبراني في الكبير (٨/ ٢٤٠)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٤٥٣)، (٧/ ٢٠٩)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢١٢، ٢٧٥)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٧٤، ١٧٥)، والهيثمي في الجمع (٨/ ٢٨)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ٦٧).

(٢) قال العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢١٢) عن هذا الحديث: قال الزركشي: كذب موضوع باتفاق. انتهى، لكن قال السيوطي في الدرر: تابع الزركشي في ذلك ابن تيمية قال: وقد وجدت له أصلاً صالحًا أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند عن الحسن يرفعه قال: ((لما خلق الله العقل قال له: أقبل، فأقبل. ثم قال له: أدبر. فأدبر، قال: ما خلقت خلقًا أحب إلي منك، فبك آخذ وبك أعطي)). وهذا مرسل جيد الإسناد وهو موصول، وفي معجم الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بإسنادين ضعيفين. انتهى.

● **فائدة:**

قال الذهبي في «الطب النووي» عن النبي ﷺ : «**عليكم بالدباء فإنه يزيد في العقل**». والدباء من أجود (المزاور)[١] للمحمومين، وينفع في السعال.

● **حكاية:**

قيل لابن المبارك رحمه الله : ما خير ما أعطي الرجل؟ قال: العقل. قيل: فإن لم يكن؟ قال: فأدب حسن. قيل: فإن لم يكن؟ قال: فصمت طويل. قيل: فإن لم يكن؟ قال: فأخ صالح يستشيره. قيل: فإن لم يكن؟ قال: فموت عاجل.

وعن النبي ﷺ : «**ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار**» [٢].

ومن وصية آدم عليه الصلاة والسلام لأولاده: الاستشارة ؛ فإني لو شاورت الملائكة في الأكل من الشجرة لأشاروا بتركه، وألا يسمع أحد من رأي زوجته.

وحديث الاستخارة مشهور في البخاري وغيره.

● **فائدة:**

صلاة الاستخارة سنة، وهي ركعتان، يقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وفي الثانية الفاتحة وسورة الإخلاص.

قال الإمام النووي في «الروضة»: قال القرطبي في تفسيره: اختار بعض المشايخ أن يقرأ في الأولى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾، وفي الثانية: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ثم يدعو بدعائها المشهور بعد السلام وهو[٣]: «**اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، إنك علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري -أو قال: عاجل أمري- فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن**

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) أخرجه: الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٨٠، ٨/ ٩٦)، والطبراني في الصغير (٢/ ٧٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٥٤)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٦٠)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٦٤)، وذكره الألباني في الضعيفة (٦١١).

(٣) حديث الاستخارة أخرجه: البخاري (٦٣٨٢) كتاب الدعوات، ٥٠- باب الدعاء عند الاستخارة، وأبو داود (١٥٣٨) كتاب الصلاة، باب في الاستخارة، والترمذي (٤٨٠) في الصلاة، باب ما جاء في صلاة الاستخارة، والنسائي (٦/ ٨٠-٨١) المجتبى، ورقم (٤٩٨) في اليوم والليلة. وابن ماجه (١٣٨٣)، وابن حبان (٨٨٧) الإحسان، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٤٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ١٥١، ٣/ ٥٢، ٥/ ٢٥٠).

هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري -أو قال: عاجل أمري وآجله- فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به، ويسمي حاجته»[١].

وقال الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله: ثم يقول أيضًا: اللهم إن علم الغيب عندك، وهو محجوب عني، ولا أعلم ما أختاره لنفسي، فكن أنت المختار لي، فقد فوضت إليك مقاليد أمري ورجوتك فقري وفاقتي، فأرشدني إلى أحب الأمور إليك وأرجاها عندك، وأحمد عاقبتها، فإنك تفعل ما تشاء وتحكم ما تريد[٢].

واعلم أن صلاة الاستخارة تحصل بركعتين من النوافل كتحية المسجد، وصلاة الضحى.

قال الإمام النووي رحمه الله: والظاهر أنها تحصل بركعتين من الرواتب أيضًا.

قال في «الإحياء»: من أعطي أربعًا لم يحرم أربعًا: من أعطي الشكر لم يحرم الزيادة، ومن أعطي التوبة لم يحرم القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يحرم الخير، ومن أعطي المشورة لم يحرم الصواب.

وقال ابن العماد في تسهيل المقاصد: ومن أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة.

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ: «يا أنس إذا هممت بأمر فاستخر ربك سبع مرات ثم انظر إلى الذي سبق إلى قلبك، فإن الخير فيه»[٣]. رواه ابن السنى.

فإن لم يقدر على الصلاة استخار بالدعاء.

وقال: من استشار أخًا أو استنصحه فغشه بأن دله على غير الصواب فقد عصى الله ورسوله، فلا يشاور إلا العقلاء والأمناء.

وقال النبي ﷺ: «النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[٤].

وقد تقدم أن الأخ الصالح يستشار لأن الصلاح يمنعه من الغش.

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر بهامش الترمذي (٢/ ٣٤٧): وقد جاء من رواية أبي أيوب وأبي سعيد وأبي هريرة وابن مسعود وغيرهم، وليس في حديث واحد منهم ذكر الصلاة إلا في حديث أبي أيوب، ولم يقيده بركعتين ولا بقوله: «من غير الفريضة».

(٢) أخرج الحاكم في مستدركه (١/ ٣١٤) الحديث مختصراً وقال: هذه سنة صلاة الاستخارة عزيزة، تفرد بها أهل مصر، ورواته عن آخرهم ثقات، ووافقه الذهبي. وكذا رواه ابن حبان (٤٠٤٠) الإحسان.

(٣) أخرجه: القرطبي في تفسيره (٣/ ٣٠٧)، وابن تيمية في الكلم الطيب (١١٦)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢١٥).

(٤) أخرجه: البخاري في صحيحه تعليقًا في كتاب الإيمان ٤٣-باب قول النبي ﷺ: «الدين النصيحة ... لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

● **حكاية.**

طلب بعض الملوك مزينًا ليفصّده، فرآه ابن عم الملك فقال: إلى أين؟ قال: أفصد الملك، قال: فصّده في مكان يكون هلاكه فيه، ولك علي ألف دينار.

فلما حضر عند الملك تفكر في عاقبة أمره بواسطة العقل، فسأله الملك عن تفكره، فأخبره بالخبر فأعطاه عشرة آلاف دينار، وضرب عنق ابن عمه.

● **فوائد.**

الأولى: قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله ﷺ بم يتفاضل الناس في الدنيا؟ قال: «**بالعقل**»، قالت وفي الآخرة؟ قال: «**بالعقل**»، قالت: أليس يجزون بأعمالهم؟ فقال: «**يا عائشة: وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله من العقل**[1]**، وبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم، وبقدر ما عملوا يجزون**».

● **لطيفة.**

دخل عمر وأبو هريرة وأبي بن كعب رضي الله عنهم علي النبي ﷺ فقالوا: من أعبد الناس؟ قال: «**العاقل**»، قالوا: من أعلم الناس؟ قال: «**العاقل**» قالوا: من أفضل الناس؟ قال: «**العاقل**». قالوا: يا رسول الله أليس العاقل الذي تمت مروءته وظهرت فصاحته، وجاد كفه؟ قال: «**﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، العاقل المتقي الذي يتقي الله ومعاصيه**».

قال القرطبي في سورة تبارك: الكافر لا عقل له، بل له ذهن. وقال في سورة النمل: لا خلاف بين العلماء أن جميع الحيوانات لها أفهام وعقول. وقال الشافعي: أعقل الطيور الحمام.

الثالثة: العقل مشتق من عقال الناقة، فكما أن الناقة يمنعها العقال من الذهاب، كذلك العقل يمنع صاحبه من الهلاك.

● **مسألة.**

لو أوصى لأعقل الناس، صرف للزهاد، أو لأجهل الناس من المسلمين صرف لمن

---

(١) أخرجه: الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١/ ٤٥٧). قال النووي في حديث: «النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»: النصيحة لله تعالى: فمعناها منصرف إلى الإيمان به ونفي الشريك عنه، وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصحه نفسه، فالله سبحانه وتعالى لغني عن نصح الناصح، وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الخلق، والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه، وأما النصيحة لرسول الله ﷺ: فتصديقه على الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به، وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به، والمراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات، وأما نصيحة عامة المسلمين: وهم عدا ولاة الأمور فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم. شرح مسلم للنووي (٢/ ٣٣، ٣٤).

يسب أبا بكر وعمر. قاله في «الروضة».

ولو أوصى لسيد الناس صرف للخليفة. قاله الماوردي.

ثم قال الماوردي رحمه الله: رأيت الإمام عمر ﷺ في المنام فماشيته في الطريق فضاق، فقلت: تقدم يا أمير المؤمنين فإنك سيد الناس، فقال: لا تقل هذا، فقلت: بلى يا أمير المؤمنين، ألا أنه لو أوصى بثلث ماله لسيد الناس صرف إلى الخليفة.

وقال في «عوارف المعارف»: للعقل ألف اسم، كل اسم أوله ترك الدنيا، وقد أحسن القائل حيث قال:

إذا كمل الرحمن للمـــرء عقـــله ... فقد كملت أخلاقه ومـــآربه

وأفضل قسم الله للمرء عقلـــــه ... وليس من الأشياء شيء يقاربه

الرابعة: قال بعضهم: لما هبط آدم ﷺ جاءه جبريل بالدين والمروءة والعقل فقال: إن الله تعالى يخيرك في واحدة، فاختار العقل، فقال جبريل للدين والمروءة: اصعدا، فقالا: إن الله تعالى أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان.

قال عمر بن الخطاب ﷺ لكعب الأحبار: أخبرنا عن الأخلاق كيف خلقها الله وقسمها؟ فقال: خلق الله الأخلاق ثم قال للشقاء: أين تختار؟ قال: البادية. فقال الصبر: وأنا معك. ثم قال للفقر: أين تختار؟ قال: الحجاز، فقالت القناعة: وأنا معك. ثم قال للغناء: أين تختار؟ قال: مصر، فقال الذل: وأنا معك. ثم قال للبخل: أين تختار؟ قال: المغرب، فقال سوء الخلق: وأنا معك. ثم قال للحسد: أين تختار؟ قال: الشام، فقال الشر: وأنا معك.

الخامسة: نقل العلامة[1] في سورة يوسف عن ابن عباس رضي الله عنهما: خلق الله العقل على ألف جزء وقسمه بين العباد: تسعمائة وتسعة وتسعون للنبي ﷺ، وواحد لجميع الخلق، ثم قسم الواحد عشرة أقسام: تسعة للأنبياء والأولياء، وواحد لجميع الخلق، ثم قسم الواحد عشرة أقسام: تسعة للرجال وواحد للنساء.

وروي عن كعب الأحبار ﷺ: خلق الله العقل ثم قسمه ألف جزء، فأعطى آدم وذريته جزءاً واحداً ومحمداً ﷺ تسعمائة وتسعة وتسعين جزءاً، فاختار بعقله الزهد في الدنيا.

السادسة: في العقل الغريزي وهو الذي خلقه الله تعالى، في العبد دية وهي مائة بعير لحر ذكر مسلم، والمرأة خمسون، والذمي ثلث دية مسلم والذمية ثلث دية امرأة مسلمة، والمجوسي والعبد بقدر ما نقص من قيمته، وإن كان العقل مكتسباً فبعد المسلم والمسلمة، وقد عرفت حكم العبد.

مثاله: إذا ضُرب رأس رجل مثلاً مسلم فزال عقله المكتسب فنقول: لو كان هذا

---

(١) يقصد بدر الدين بن قاضي شهبة يأتي قريبًا.

الرجل عبداً وله عقل مكتسب يساوي ألفًا، فلما زال عقله المكتسب صار يساوي تسعمائة مثلاً فنأخذ من الضارب مائة.

السابعة: اختلف العلماء رحمهم الله في محل العقل وصفته، فقال الشافعي رحمه الله: هو نور في القلب يزيد وينقص، وقال أبو حنيفة رحمه الله: وأكثر الأطباء إنه في الدماغ، ووافقه الإمام أحمد رحمه الله.

وفي كتاب «الإحياء»: قالت الملائكة: يا رب هل خلقت خلقًا أعظم من العرش؟ قال: نعم العقل، قالوا: وما بلغ من قدره؟ قال: هيهات لا يحاط بعلمه، هل لكم علم بعدد الرمل؟ قالوا: لا، قال: فإني خلقت العقل أصنافًا شتى كعدد الرمل، فمن الناس من أعطيته حبة وحبتين والثلاث والأربع، ومنهم من أعطيته وسقًا وأكثر من ذلك.

قال في «الإحياء»: العقل منبع العلم ومطلعه وأساسه، والعلم يجري فيه مجرى الثمرة من الثمر، والنور من الشمس.

الثامنة: الوسق[1]: ستون صاعًا، والصاع: أربعة أمداد.

قال النووي رحمه الله في «الفتاوى»: والصاع بالدمشقي: رطل وأوقية وخمسة أسباع أوقية. روى ابن الملقن في «العمدة»: والرطل الدمشقي: ستمائة درهم.

قال العلامة بدر الدين ابن قاضي شهبة رحمه الله تعالى في «شرح الأشنيهية»: الدرهم عند أهل الحساب اثنا عشر قيراطًا وست دوانق، والدانق: قيراطان، والقيراط: طسوجان، والطسوج: حبتان، والحبة: فلسان عند أهل بغداد، وعند أهل مصر والشام القيراط[2]: جزء من أربعة وعشرين جزءاً، والحبة: ثلث القيراط. انتهى، والله تعالى أعلم.



(١) الوسق: مكيال مقداره ستون صاعًا، والصاع: خمسة أرطال وثلث.

(٢) القيراط: معيار في الوزن وفي القياس، اختلفت مقاديره باختلاف الأزمنة، وهو اليوم في الوزن أربع قمحات، وفي وزن الذهب خاصة ثلاث قمحات وفي القياس: جزء من أربعة وعشرين جزءاً من الفدان.

الباب الخامس والخمسون

في الصمت وحفظ اللسان

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال ﷻ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

قال الإمام أبو زكريا النووي رحمة الله عليه: اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه فالمصلحة والسنة الإمساك عنه.

وقد ينحو الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثير في العادة والسلامة لا يعدلها شيء.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت**»[1]. رواه البخاري.

قال النووي: وهذا الحديث صريح في أنه ينبغي ألا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً، وهو الذي ظهرت مصلحته، ومتى شك في ظهور المصلحة فلا يتكلم.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله: أي المسلمين أفضل؟ قال: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**»[2]. رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالى، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي**»[3]. رواه الترمذي.

وعن معاذ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه (٦٠١٨) كتاب الأدب ٣١- باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومسلم في صحيحه (٧٤) في كتاب الإيمان، وفي اللقطة رقم (١٤)، والترمذي (١٩٦٧)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٦٤).

(٢) أخرجه: البخاري (١١) كتاب الإيمان، ٥-باب أي الإسلام أفضل؟، ومسلم (٦٤، ٦٦) في الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل؟

(٣) أخرجه: الترمذي (٢٤١١) كتاب الزهد، باب منه (٦١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٣٨) والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٢٥)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٩٢٠).

النار؟ قال ﷺ : «لقد سألت عن أمر عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت». ثم قال ﷺ : «ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل» ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ حتى بلغ ﴿يَعْمَلُونَ﴾. ثم قال ﷺ : «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ ﷺ بلسانه وقال: «كف عليك هذا». قلت: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟!»[1]. رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وعن سفيان رحمه الله أنه قال: قالوا لعيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام: دلنا على عمل ندخل به الجنة؟ قال: لا تنطقوا إلا بخير.

وروي: أن عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام لقي خنزيراً على الطريق فقال له: أنفد بسلام، فقيل له: أتقول هذا لخنزير، فقال: إني أخاف أن أعوِّد لساني النطق بالسوء.

وقال بعض الحكماء: الصمت فيه سبعة آلاف خير، وقد جمع ذلك في سبع كلمات:

الأولى: أن الصمت عبادة فيه سبعة آلاف خير، وقد جمع من غير عناء.

الثانية: أنه زينة من غير حلي.

الثالثة: أنه هيبة من غير سلطان.

الرابعة: أنه حصن من غير حائط.

الخامسة: الاستغناء عن الاعتذار عن فضول الكلام عن كل أحد.

السادسة: راحة الكرام الكاتبين.

السابعة: أنه ستر للعيوب.

ويقال: يقول اللسان للجوارح في كل صباح: ما حالكم؟ فيقلن: بخير إن تركتنا.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا تم العقل نقص الكلام.

وقال لقمان لابنه: يا بني إذا افتخر الناس بحسن كلامهم، فافتخر أنت بحسن صمتك.

وقال حاتم رحمه الله: طلب رجلان العلم، فلما علما صمت أحدهما وتكلم الآخر. فكتب المتكلم إلى الصامت:

---

(١) أخرجه: الترمذي في سننه (٢٦١٦) كتاب الإيمان باب ما جاء في حرمة الصلاة، وابن ماجه (٣٩٧٣) كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٣١)، والنسائي في الكبرى في التفسير، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٢١).

وما شيء أردت به اكتسابـاً ما جمع في المعيشة من لساني

فكتب إليه الصامت:

وما شيء أردت به كمـالاً أحق بطول سجن من لساني

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله هذه الأبيات:

خـل جنبيك لواصـي وامـض عـنه بسـلام
مت بداء الصمت خـيراً لك مـن داء الكـلام
إنما السـالم مـن لجّـم فـاه بلجـام

وقيل لذي النون المصري رحمه الله: من أصون الناس لنفسه؟ قال: أملكهم للسانه.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: والذي لا إله إلا هو، ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان. وقيل: مثل اللسان مثل السبع إن لم تتوقه عمد عليك.

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله أنه أنشد:

تعاهد لسانك إن اللسـان سريع إلى المرء من قتلـه
وهذا اللسان بريد الفـؤاد يدل الرجال على عقلـه

وقال حماد بن سلمة رحمه الله لرجل : كيف سعر التمر؟ ثم قال: الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ؛ كانوا يكرهون للرجل أن يشتغل في أمر الدنيا ساعة واحدة لا يخالطه عمل الآخرة.

وقرأ أبو سوار العدوي رحمه الله هذه الآية: ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣]. ثم قال: هما نشرتان أمامك، ما جئت يا ابن آدم فصحيفتك منشورة؛ فأملِ فيها ما شئت، فإذا مت طويت، ثم إذا بُعثت نُشرت، ﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

وضع أبو بكر رضي الله عنه حجراً في فيه سنتين، فكان لا يخرجه إلا عند الأكل أو الصلاة؛ خشية أن يقول ما لا يعنيه. انتهى، والله وتعالى أعلم بالصواب.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «من كف لسانه ستر الله عورته، ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه، ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره»[١]. رواه ابن أبي الدنيا بإسناد جيد.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: «من صمت

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٤٥٢)، (٨/ ٥، ٢٤) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ١٠٦).

نجا»[١]. رواه البخاري[٢].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «من سره أن يسلم فليلزم الصمت»[٣]. رواه محمد بن إسماعيل.

وروى أبو القاسم الأصبهاني بإسناده عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يستكمل أحدكم حقيقة الإيمان حتى يخزن لسانه».

وروى أبو بكر بن إسماعيل بن أحمد الخطيب بإسناده عن أبي خلاد وكانت له صحبة قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا رأيتم الرجل المؤمن قد أعطي زهدًا في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه؛ فإنه يلقي الحكمة»[٤].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «إن لله عند كل لسان قائل، (قائل)[٥]: فلتتق الله يا عبد وتنظر ما تقول». رواه أبو القاسم.

وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ : «من كف لسانه ستر الله عورته، ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه، ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره»[٦]. رواه ابن أبي الدنيا.

وعن ابن مسعود ﷺ إنه كان عند الصفا يلبي ويقول: يا لسان، قل خيراً تغنم، أو أنصت تسلم من قبل أن تندم، قالوا: يا أبا عبد الرحمن هذا شيء تقوله أو سمعته؟ قال: لا، بل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه»[٧] رواه ابن أبي الدنيا أيضًا.

وقال الجنيد رحمه الله ونفعنا به: عمارة القلب نعمة وعمارة اللسان فتنة.

وقال خارجة ﷺ : صحبت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خمس عشرة سنة فما أظن الملائكة كتبت عليه شيئًا.

واعلموا، أن من حفظ لسانه على ما لا يعنيه حفظ جوارحه، ومن نطق فيما يعنيه وما

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢٥٠١) كتاب صفة القيامة. وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ١٥٩، ١٧٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٣٦).

(٢) لم أقف عليه في صحيح البخاري.

(٣) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٣٦)، وابن حجر في المطالب العالية (٣٢٢٠)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٤٥١).

(٤) أخرجه: ابن ماجه (٤١٠١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/ ٤٠٥)، والبخاري في التاريخ الكبير (٩/ ٩٨).

(٥) كذا بالأصل.

(٦) تقدم قريبًا.

(٧) أخرجه: الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٤٨).

لا بد منه فهو في حد الصمت عند المشايخ.

ونظر عبد الرحمن بن عائشة إلى رجل كثير الكلام فأنشد يقول:

الحلم زين والسكون سلامـــة ... فإذا نطقت فلا تكن مهـــذارا

ولئن ندمت على سكوتك مدة ... فلقد ندمت على الكلام مرارا

وحكي عن ابن العلاء رحمه الله قال: كنت بالبصرة وأنا مقبل على تدريس أصحابي إذ دخل عليَّ شيخ حسن الوجه قد بلغ الثمانين أو جاوزها فقال: قد قصدتك بمسألة اخترتك لها.

فقلت له: سل عافاك الله، فظننت أنه يسأل عن حادث قد نزل به، فقال: أخبرني عن نجم إبليس وعن نجم آدم ما هو؛ فإن هذين لعظم شأنهما لا يسأل عنهما إلا علماء الدين؟ فتعجبت أنا ومن في مجلسي من سؤاله، وبدر إليه منهم بالإنكار قوم فكففتهم عنه، ونال ما نال حيث سأل عما لا يعنيه. فقلت: هذا لا ينفع مع ما ظهر من حاله إلا بجواب كان، فأقبلت عليه وقلت له: يا هذا إن المنجمين يزعمون أن نجوم الناس لا تعرف إلا بمعرفة مواليدهم، فإن ظفرت بمن يعرف ذلك فاسأله. فقال: جزاك الله خيراً، ثم انصرف، فلما كان بعد أيام عاد وقال: ما وجدت إلى وقتي من يعرف مولديهما، فلو سكتوا عنه وجعلوا رد الجواب على الشيخ أولاً لسلموا من الجهل عن رد جوابه حيث تكلموا بما لا يعنيهم ولسلموا من شينه وبرئوا من عيبه.

وحكي: أن بعض الحكماء رأى رجلاً يكثر الكلام ويقل السكوت فقال: إنما خلق الله لك أذنين ولسانًا واحدًا ليكون ما تسمعه ضعف ما تتكلم به.

وقال بعض الحكماء: من كثر كلامه كثرت آثامه. وقال بعض الشعراء:

وزن الكلام إذا نطقت فإنمـــا ... يبدي عيوب ذوي العقول المنطق

وهـــدر الكلام شـــين ... وهـــو أخـــوف لصاحـــبه

قال النبي ﷺ: «وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم؟»[1].

وقال بعض الحكماء: ست خصال تعرف في الجاهل: أحدها: الغضب من غير شيء. الثانية: الكلام من غير نفع. الثالثة: العطية في غير موضع. الرابعة: إفشاء السر عند كل أحد. الخامسة: الثقة بكل إنسان. السادسة: ألا يعرف صديقه من عدوه.

وقال عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام: كل كلام ليس بذكر فهو لغو، وكل

---

(١) تقدم قريبًا من حديث معاذ ﷺ.

سكون ليس بفكر فهو غفلة، وكل نظر لغير عبرة فهو لهو، وطوبى لمن كان كلامه ذكر الله، وسكوته تفكراً، ونظره اعتباراً.

وذكر عن لقمان الحكيم أنه قال: دخل علي داود النبي ﷺ وهو يعمل سرود الدرع فجعل يتعجب مما يرى، فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته حكمته، فأمسك نفسه ولم يسأله، فلما انتهى داود عليه السلام قام فلبس الدرع ثم قال: نعم الدرع للحرب، ونعم عامله. فقال لقمان: الصمت حكمة، وقليل فاعله.

وعن لقمان الحكيم أيضًا: أنه كان عبداً حبشيًا، فأول ما ظهرت حكمته أنه قال له مولاه: يا غلام اذبح لنا هذه الشاة[1] وائت بأخبث مضغتين منها، فجاءه بالقلب واللسان، فسأله عن ذلك فقال: ليس في الجسد مضغتان أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا.

وقال ذا النون المصري رحمه الله: المؤمن من بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، أوسع شيء صدراً وأحقر شيء نفسًا ، زاجر عن كل شر، حاضر على كل خير، لا حقود ولا حسود ولا مرتاب ولا سبَّاب ولا عيَّاب، يكره الرفعة ويبغض السمعة، طويل الهم، كثير الغم، كثير الصمت، عزيز الوقت، ضحكه تبسم واستفهامه تعلم، ومراجعته تفهم، لا يبخل ولا يعجل ولا يضجر ولا يجهل، لا جزع ولا هلع ولا عنف ولا خلف، قليل المنازعة، جميل المرافقة، عدل إن غضب، رفيق إن طلب، خليص الود، وثيق العهد، وفيٌّ الوعد، شفوق، وصول، حليم، حمول، قليل الفضول، راض عن مولاه، مخالف لهواه، لا يغلظ على من يؤذيه، ولا يخوض فيما لا يعنيه، إن سب أو أوذي لم يسب، وإن طلب ومنع لا يغضب، لا يشمت بمصيبة، ولا يذكر أحداً بغيبة، هشاش بشاش، لا غشاش، كظام بسام، دقيق النظر، عظيم الحذر، فهذا هو المؤمن حقًا. انتهى والله تعالى أعلم.

***

---

(١) لا بد أنه يوجد سقط هنا في الكلام، حيث إن القصة معروفة بأنه أمره أن يذبح الشاة ويأت بأطيب مضغتين منها، فأتاه بالقلب واللسان، ثم أمره أن يذبح الشاة ويأتيه بأخبث مضغتين منها، فأتاه بالقلب واللسان، وهذا والله أعلم.

الباب السادس والخمسون

في ذم الكذب وبخس الكيل والوزن

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦٠، ٦١].

وقال رسول الله ﷺ: «تحروا الصدق فإن رأيتم فيه الهلكة ففيه النجاة، واجتنبوا الكذب فإن رأيتم فيه النجاة ففيه الهلكة»[1].

وثبت عنه ﷺ: «إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد عنه الملك مسيرة ميل من نتن ريحه»[2].

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله: صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله: كذابًا»[3].

وفي الصحيحين أيضًا عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[4].

وفي موطأ الإمام مالك رحمه الله: سئل رسول الله ﷺ: أيكون المؤمن كذابًا؟ قال: «لا».

وفي «صحيح» مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء كذبًا

---

(١) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٩٠) والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٧١).

(٢) أخرجه: الطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٣٠)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٥١٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٠٧٦).

(٣) أخرجه: البخاري (٦٠٩٤) كتاب الأدب، ٦٩- باب قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ وما ينهى عن الكذب، ومسلم (١٠٣-٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب، ٢٩- باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله.

(٤) أخرجه: البخاري (٣٤) كتاب الإيمان، ٢٥- باب علامة المنافق، ومسلم (١٠-٥٨) كتاب الإيمان، ٢٥- باب بيان خصال المنافق.

أن يحدث بكل ما سمع»[١].

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام: لا تجالس المغتابين، ولا تحلفوا باسمي كاذبين ولا صادقين، ومن حلف باسمي صادقًا ورثته الفقر، ومن حلف باسمي كاذبًا ورثته العمى.

وقيل: إن الله تعالى خلق ملكًا عرض شحمة أذنيه خمسمائة عام، يسبح الله تعالى يقول في تسبيحه: سبحانك من عظيم ما أعظمك، فيقول الله سبحانه وتعالى له: قل ذلك لمن يحلف بي كاذبًا.

وقال وهب المكي[٢] رحمه الله: إن العبد ليخرج لا يخرج من الدنيا حتى ينظر إلى الملكين اللذين كانا يحفظانه، فإذا رآهما لا يرجع إلى الدنيا، فإن كان قد صحبهما بما لله تعالى فيه رضا قالا له: جزاك الله من صاحب خير، فنعم الصاحب كنت، رب مجلس خير أجلستنا، ورب كلام خير أسمعتنا، ورب عمل خير أحضرتنا، فنحن لك اليوم على تحب.

وإن كان قد صحبهما بما لم يكن لله تعالى فيه رضا قالا له: لا جزاك الله من صاحب خير، أَفَرُبَّ مجلس سوء أجلستنا، ورب كلام سوء أسمعتنا، ورب عمل سوء أحضرتنا، فنحن لك اليوم على تكره.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: ما كذبت قط، ولا حلفت بالله صادقًا ولا كاذبًا.

وقال رحمه الله: ما تركت غسل الجمعة في برد ولا سفر ولا غير ذلك.

وقال: ما شبعت اثنتي عشرة سنة إلا شبعة واحدة طرحتها من ساعتي.

وقال له: ما لك تداوم على إمساك العصى ولست بضعيف ولا عاجز؟ فقال: لأتذكر أني مسافر.

وذكر: أن إبليس كان يرى في الزمن الأول، فرآه رجل يومًا فقال له: يا أبا مرة كيف أصنع حتى أكون مثلك؟ فقال له إبليس: ويحك لم يطلب هذا مني أحد فكيف تطلبه أنت؟ فقال الرجل: أنا أحب ذلك، فقال له إبليس لعنه الله: أما إن أردت أن تكون مثلي فتهاون بالصلاة ولا تبالي بالحلف كاذبًا أو صادقًا، فقال الرجل: تبت إلى الله لا أعود إلى مثل هذا، فقال له إبليس: ما تعلم أحد مني بالاحتيال غيرك، وأنا عاهدت أن لا أنصح آدميًا قط. نقل

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه (٥-٥) في مقدمة صحيح مسلم، ٣- باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

(٢) وهب بن كيسان أبو نعيم القرشي مولى آل الزبير المعلم المكي المدني الأسدي، ثقة، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٢٧). التقريب (٢/ ٣٣٩).

ذلك من «روض الأفكار»، من باب: التحذير من مكر الشيطان.

وقال ذا النون المصري: سيف الله ما وقع في شيء إلا قطعه.

فصل في بخس الكيل والميزان

قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١-٦][1].

وفي وصية النبي ﷺ : «يا عليّ؛ شر السراق من يسرق الشيطان»، فقال علي: وكيف ذلك يا رسول الله ﷺ ؟ فقال ﷺ : «ما نقص أحد من المكيال قبضة ولا حفنة إلا أخذه الشيطان، فمن ذلك أرزاقهم».

وعن مالك بن دينار رحمه الله أنه قال: دخلت على جار وقد احتضر للموت، فقال لي: يا مالك، جبلان من نار بين يدي أكلف بالصعود عليهما، فقال مالك: فسألت أهله عن حرفته وما كان يصنع فقالوا لي: كان له مكيالان، أحدهما كان كبيراً والآخر كان صغيراً، فكان يأخذ لنفسه بالكبير ويعطي الناس بالصغير. قال مالك: فدعوت بهما فأحضرا بين يديه فضربت بأحدهما على الآخر فكسرتهما، ثم سألت الرجل عن حاله فقال: يا مالك ما يزداد الأمر إلا شدة.

قال مالك: فعلمت أن سبب هذه العقوبة بخس المكيال .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «ما نقص قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا»[2].

وفي الخبر: إن إبليس لعنة الله عليه قال: خصلة واحدة أريدها من بني آدم ولا أطلبه بشيء سواها وأخلي بينه وبين ما يريد من عبادة ربه وطاعة مولاه، وذلك: أن يكون له كسب من حرام؛ فإن تزوج تزوج بمال حرام، وإن حج حج بمال حرام، وإن أكل طعامًا أكل من حرام، وإن لبس ثوبًا لبس من حرام، وإن فعل فعلاً من أفعال البر، لم يُقبل منه، وكان فعله مردوداً عليه .

---

(١) المراد بالتطفيف ههنا: البخس في المكيال والميزان؛ إمّا بالازدياد إن اقتضى الناس، وإمّا بالنقصان إن قضاهم، ولهذا فسَّر الله تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك وهو الويل. تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٣).

(٢) انظر الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٥) بلفظ «إلا سلط الله عليهم الجوع».

فتدبر هذا بعقلك ولا تغفل عنه فإنك متى غفلت فقد هلكت وعطبت.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال [١]: «إن في جهنم واديًا تستغيث جهنم من ريحه سبع مرات، لو ألقيت فيه الجبال لذابت من حره، يسجن فيه المتهاون بالصلاة والمطففون في المكيال وأهل بخس الميزان».

وروي عنه ﷺ قال: «الذي يبخس الميزان يجيء أسود الوجه يوم القيامة أزلع اللسان أزرق العينين، في عنقه ميزان من نار، ومكيال من نار، يحمل إلى جبلين من نار فيقال: زن هذا إلى هذا. فيعذب بين الجبلين خمسين ألف سنة».

وقال ﷺ : «يا أيها الناس اتقوا خمسًا قبل خمس: ما نقص قوم المكيال إلا ابتلاهم الله بالغلاء ونقص الثواب، وما نكس قوم عهدهم إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما منع قوم الزكاة إلا أمسك عليهم قطر المطر، ولولا البهائم ما سقوا قطر المطر، وما ظهرت الفاحشة في قوم إلا سلط الله عليهم الطاعون، وما حكم قوم بغير القرآن إلا أذاقهم الله الجور وأذاق بعضهم بأس بعض» [٢]. انتهى والله وسبحانه وتعالى أعلم.

***

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٥١٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٦٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٢٢).

(٢) انظر الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٤٣)، وفي علل الحديث لابن أبي حاتم (٦٣٠).

الباب السابع والخمسون

في التحذير من الغيبة

قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧، ١٨][(١)].

قال أهل البصرة: حذف أحدهما اكتفاء بالآخر، كقول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأي مختلف

أي نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راضٍ.

والقعيد: بمعنى القاعد، كالسميع والعليم والقدير. و«فعيل» نص في المبالغة.

وقال أهل الكوفة: أراد قعوداً، رده إلى الجنس، فوضع الواحد موضع الجمع كالرسول قد يجعل للاثنين، والجمع بلفظ الإفراد، قال الله تعالى في جعله للاثنين وهما: موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]، وقد ذكره فحطَّه مثنى اللفظ، قال تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾[طه: ٤٧]، والمراد أيضًا موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام.

قال الحسن بن محمد بن الحسين الدينوري بإسناده عن عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مقعد ملائكتك على نابيك، ولسانك قلمهما، وريقك مدادهما، وأنت تُجريه»، أظنه قال: فيما لا يعنيك، لا تستحي من الله ولا منهما.

وقال الثعلبي بإسناده إلى رسول الله ﷺ قال: «كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرًا، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمن لصاحب الشمال، دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر»[(٢)].

قال الضحاك: مجلسهما تحت الشعر على الحنك.

---

(١) يعني: الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي مترصد ﴿مَّا يَلْفِظُ﴾ أي ابن آدم ﴿مِن قَوْلٍ﴾ أي ما يتكلم بكلمة ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي إلا ولها من يرقبها، معد لذلك يكتبها، لا يترك كلمة ولا حركة. تفسير ابن كثير (٤/ ٢٢٤).

(٢) قال الأحنف بن قيس: صاحب اليمين يكتب الخير، وهو أمين على صاحب الشمال، فإن أصاب العبد خطيئة قال له: أمسك. فإن استغفر الله تعالى نهاه أن يكتبها وإن أبى كتبها. انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٢٢٤).

وبإسناده أيضًا عن أنس ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تبارك وتعالى وكَّل بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله، فإذا مات قال الملكان اللذان وكلا به يكتبان عمله: قد مات فلان فتأذن لنا أن نصعد إلى السماء، فيقول الله تبارك وتعالى: سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحون. فيقولان: فأين؟ فيقول: قوما على قبر عبدي فكبِّرا وهللا، واكتبا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة**».

قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي: ما يتكلم من قول: ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾، أي حافظ، ﴿عَتِيدٌ﴾ أي حاضر، وهو بمعنى المعتد من قوله تعالى: ﴿إنا اعتدنا﴾.

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٢].

نزلت هذه الآية الكريمة في رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ اغتابا رفيقهما، وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين ميسورين يخدمهما ويخف في حاجتهما، ويتقدم لهما إلى المنزل فيهيىء لهما أسبابهما وما يصلحهما من الطعام الشراب، فضم سلمان ﷺ إلى رجلين في بعض أسفاره، فتقدم سلمان ﷺ إلى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيىء لهما شيئًا، فلما قدما قالا له: ما صنعت شيئًا؟ قال: لا، قالا: ولم؟ قال: غلبتني عيناي. فقالا له: انطلق إلى رسول الله ﷺ اطلب لنا منه طعامًا وأدمًا، فجاء سلمان ﷺ إلى رسول الله ﷺ وطلب منه طعامًا ، فقال رسول الله ﷺ: «**اذهب إلى أسامة بن زيد وقل: إن كان عنده فضل من طعام فليعطك**»، وكان أسامة ﷺ خازن رسول الله ﷺ على رحله، فأتاه فقال: ما عندي شيء فرجع سلمان ﷺ إليهما وأخبرهما بذلك فقالا: كان عند أسامة ولكن بخل. فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة رضي الله عنهم فلم يجد عندهم شيئًا فرجع سلمان ﷺ، قالوا: لو بعثناك إلى بئر سهيجة لغر ماؤها، ثم انطلقا يتحسسان هل عند أسامة ﷺ ما أمر لهما به رسول الله ﷺ، فلما جاءا إلى رسول الله قالا له: يا رسول الله ما تناولنا في يومنا هذا لحمًا، فقال ﷺ : «**ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسامة**» فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ...﴾ الآية[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ قرأه السبعة بالجيم وقرأ ابن عباس وأبي رداء العطاردي:

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢١٦): وقال السدي في قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ زعم أن سلمان الفارسي ﷺ كان مع رجلين من أصحاب النبي ﷺ في سفر يخدمهما ويخف لهما... وذكر القصة بدون ذكر أسامة ﷺ.

﴿ولا تحسسوا﴾ بالحاء المهملة.

قال الأخفش رحمه الله: ليس يبعد أحدهما عن الآخر، إلا أن التجسس عن ما يكتم ويوارى، ومنه الجاسوس. والتحسيس: بالحاء طلب الأخبار والبحث عنها.

قال الثعلبي: ومعنى الآية: خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله، ولا تتبعوا عورات المسلمين.

وعن زيد بن أسلم رحمه الله : أن عمر ﷺ خرج ذات ليلة ومعه عبد الرحمن بن عوف يعسان، إذ شب لهما نار، فأتيا الباب فاستأذنا ففتح الباب فدخلا، فإذا رجل وامرأة تغني وعلى يد الرجل قدح، فقال عمر ﷺ للرجل: وأنت بهذا يا فلان؟ فقال: وأنت بهذا يا أمير المؤمنين؟ قال عمر ﷺ: فمن هذه منك؟ قال: امرأتي، قال: فما في القدح؟ قال: ماء ذلال، قال: وقال للمرأة ما الذي تغنين؟ قالت: أقول شعراً:

تطاول هذا الليل واسود جانبه ... وأرقني ألا حبيب ألاعبه
فوالله لولا خشية الله والتقى ... لتزعزع من هذا السرير جوانبه
ولكن عقلي والجواب يردني ... وأكرم بَعْلي أن تنال مراكبه

ثم قال الرجل: ما بهذا أمرنا يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾. فقال عمر ﷺ: صدقت، وانصرف. قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره»[١]. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته». رواه مسلم.

قال الإمام العلامة بركة المسلمين أبو الليث السمرقندي رحمه الله: الغيبة أربعة أوجه[٢]: في وجه كفر، وفي وجه هي نفاق، وفي وجه هي معصية، وفي وجه مباح، وهو مأجور عليه:

فأما الوجه الذي هو كفر: فهو إذا اغتاب المسلم، وقيل له: «لا تغتبه» فيقول: ليس

---

(١) أخرجه: مسلم (٧٠-٢٥٨٩) كتاب البر والصلة والآداب، ٢٠-باب تحريم الغيبة، وأبو داود (٤٨٧٤) كتاب الأدب، باب في الغيبة، والترمذي (١٩٣٤) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الغيبة، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٨٤).

(٢) قال النووي: تباح الغيبة لغرض شرعي وذلك لستة أسباب: أحدها: التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان القاضي وغيرهما، الثاني: الاستغاثة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب، الثالث: الاستفتاء بأن يقول للمفتي ظلمني فلان أو أبي أو أخي بكذا، الرابع: تحذير المسلمين من الشر من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة والشهود، الخامس: أن يكون مجاهراً بفسقه كالخمر ومصادرة أموال الناس فيجوز ذكره بما يجاهر، السادس: التعريف فإذا كان معروفًا بلقب كالأعمش والأعرج والأزرق والقصير والأعمى ونحوها جاز تعريفه به. النووي في شرح مسلم (١٦/ ١١٨). طبعة دار الكتب العلمية.

هذا غيبه وأنا صادق في ذلك، فقد استحل ما حرم الله تعالى، وصار بذلك كافراً.

وأما الوجه الذي هو نفاق: فهو أن يغتاب إنسانًا ليسميه عند من يعرف أنه يريد به فلانًا، فهو يغتابه ويرى من نفسه أنه متورع فهذا هو النفاق.

وأما الذي هو فيه عاص: فهو أن يغتاب إنسانًا ويسميه ويعلم أنها معصية فهو عاص وعليه التوبة.

وأما الرابع الذي هو مباح: فهو أن يغتاب فاسقًا معلنًا بفسقه، أو صاحب بدعة فهو مأجور عليه لأنهم يحذرون منه إذا عرفوا حاله. هكذا ذكر أبو الليث السمرقندي رحمه الله.

وهذا إذا أراد تحذير الناس منه، وذكره بما فيه من غير استنقاص واحتقار له، فإن قصد ذلك فهو غيبة محرمة .

قال الإمام أبو الليث السمرقندي رحمه الله: ويقال: لا تكون الغيبة إلا في قوم معلومين، فلو ذكر عن أهل مصر من الأمصار فقال: هم قوم سوء لا تكون غيبة، لأن فيهم البر والفاجر، وعلم أنه لم يرد به الجميع، ولكن الكفَّ عن ذلك أفضل.

قلت: الأقوب أن هذا غيبة محرمة لأنه كذب، فإن علم أنه أراد بعضهم الموصوفين بما ذكره وقصد تحذير الناس منهم والنصيحة فهو مأجور .

وروى الثعلبي بإسناد عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: جاء ماعز للنبي ﷺ فقال: إنه زنى، فأعرض عنه حتى أقر أربع مرات، فأمر برجمه، فمر النبي ﷺ على رجلين يذكران ماعزاً فقال أحدهما: هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم كرجم الكلب، فسكت عنهما حتى مر على جيفة حمار (شائل)[1] رجله فقال النبي ﷺ لهما «انزلا فأصيبا منه» فقالا: يا رسول الله، غفر الله، لك أوَ يؤكل من هذه الجيفة؟ فقال ﷺ : «فما أصبتما من لحم أخيكما آنفًا؟! إنها أعظم عليكما، أما إنه الآن في أنهار الجنة ينغمس فيها».

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لما عرج بي إلى السماء مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»[2]. رواه الترمذي وأبو داود.

وروى أبو عبد الله بإسناده عن جابر رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فأتى على قبرين يعذبان فقال: «إنهما يعذبان في غير كبير، كان أحدهما لا يتنزه من بوله، وكان الآخر

---

(١) أظنها رافعًا رجله.

(٢) أخرجه: أبو داود (٤٨٧٨) كتاب الأدب، باب في الغيبة، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٥٣٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥١٠)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٣٣).

يغتاب المسلمين» [١].

قوله: «في غير كبير» أي لم يكن اجتنابه كبيراً، فإنه كان يسهل عليهما التحفظ منه، أو يكون معناه: لم يكن كبيراً في زعمهما.

وقوله: «لا يتنزه من بوله» أي كان لا يحتفظ منه، فكان يصيب البول ثوبه أو بدنه ويصلي فيه، فلا تصح صلاته لحمله النجاسة.

وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه في حديثه الطويل قال: قام النبي ﷺ فسلم فقال قائل منهم: أين مالك بن (الدخشم) [٢]؟ فقال رجل: ذلك رجل منافق لا يحب الله ورسوله، فقال النبي ﷺ: «لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله تعالى؟ فإن الله تبارك وتعالى قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» [٣]. رواه البخاري ومسلم.

قال النووي رحمه الله: «وعتبان» بكسر العين على المشهور وحكي بضمها، وبعدها تاء مثناة من فوق ثم باء موحدة، و«الدخشم» بضم الدال وإسكان الخاء وضم الشين المعجمتين.

واعلم أنه يحرم سماع الغيبة لما دل عليه من الأحاديث الصحيحة الواردة في النهي عن ذلك، وعلى من سمع غيبة محرمة أن يردها وينكر على قائلها [٤]، فإن عجز أو لم يقبل منه فارق ذلك المجلس، والله أعلم.

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أربع يفطرن الصائم، وينقضن الوضوء، ويهدمن العمل: الغيبة، والكذب، والنميمة، والنظر إلى محاسن المرأة، وهي تسقين أصول الشر كما يسقي الماء أصول الشجر».

وقيل: أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى بن عمران كليم الرحمن عليه الصلاة والسلام: من مات تائبًا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار.

---

(١) الحديث أخرجه: البخاري (٢١٨) كتاب الوضوء، الأول باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، والثاني: باب منه، ما جاء في غسل البول.

(٢) في البخاري: الدخيشن أو الدخشن.

(٣) أخرجه: البخاري (٤٢٥) كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، ومسلم (٥٤-٣٣) كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا.

(٤) قال النووي في الغيبة المباحة: أما إذا رأيت من يشتري شيئًا معيبًا أو عبداً سارقًا أو زانيًا أو شاربًا أو نحو ذلك تذكره للمشتري إذا لم يعلمه نصيحة لا بقصد الإيذاء والإفساد، ومنها: إذا رأيت متفقهًا يتردد إلى فاسق أو مبتدع يأخذ عنه علمًا وخفت عليه ضرره فعليك نصيحته ببيان حاله قاصداً النصيحة. شرح مسلم للنووي (١٦/ ١١٧) طبعة دار الكتب العلمية.

قال حاتم رحمه الله: إن الكذاب كلب أهل النار، والحاسد خنزير أهل النار، والمغتاب والنمام قرد أهل النار.

● **فائدة:**

لو جرى قوله: «قرد أهل النار» على ظاهره لقال: قردا أهل النار، كقولك: زيد وعمرو علماء زمانهما، ولكن في الكلام حذف تقديره: والمغتاب قرد أهل النار والنمام كذلك، أو يجعل الخبر المقدر لقوله: «المغتاب». قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾. وقال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف

أي: نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض، فحذف خبر المبتدأ الأول.

وقال بعض السلف رحمه الله في بعض الكتب: يا ابن آدم، لك مخلاتان: مخلاة خلفك، ومخلاة أمامك، ففي التي خلفك عيوبك، وفي التي أمامك عيوب أخيك، فلو نظرت في التي خلفك شغلك عن التي أمامك.

يا ابن آدم لا تبغض نفسك عن اليقين، وتبغض أخاك على الظن، ماذا هذا بإنصاف.

وروي عن أبي الحسن الشاذلي رحمه الله: أنه رأى النبي ﷺ في النوم يباهي موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام بالإمام الغزالي رحمه الله وقال: «أفي أمتكما حبر هكذا؟ فقالا: لا».

وعن أبي الحسن أيضًا رحمه الله : أنه قال لأصحابه: من كان منكم له إلى الله تعالى حاجة فليتوسل إليه بالإمام الغزالي[1] رحمه الله.

خـــاتمـــة

قال أبو زكريا النووي رحمه الله: اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها وهو بستة أسباب :

الأول: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتكلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان بكذا.

---

(١) لشيخنا الألباني رحمه الله كتيب مفيد في التوسل وإنه ينحصر بما جاء في الكتاب والسنة وملخصه: التوسل بأسماء الله وصفاته لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ والتوسل بالعمل الصالح لما ورد في حديث أصحاب الغار وقالوا: هيا نتوسل إلى الله بصالح أعمالنا. انظر مسلم. والتوسل بدعاء الرجل الصالح لما ورد عن رسول الله ﷺ في قوله لعمر بن الخطاب ﷺ: «لا تنسنا يا أخي من دعائك». انظر أبو داود (١٤٩٨).

والثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب؛ فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فازجره ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر فإن لم يقصد ذلك كان حرامًا.

الثالث: الاستفتاء، فيقول للمفتي: ظلمني أبي أو أخي أو زوجي أو فلان بكذا، فهل ذلك حلال؟ وما طريقي في الخلاص وتحصيل حقي ودفع الظلم؟ ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكن الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص أو زوج كان من أمره كذا؟ فإنه يحصل له الغرض من غير تعيين، ومع ذلك فإن التعيين جائز كما سنذكره في حديث هند إن شاء الله تعالى.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم وذلك من وجوه :

منها : جرح المجروحين من الدواة والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب.

ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو إيداعه أو معاملته أو غير ذلك، ويجب على المشاور ألا يخفي من حاله شيئًا بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة.

ومنها: إذا رأى متفقهًا يتردد إلى مبتدع أو فاسق يأخذ عنه العلم وخاف أن يتصور المتفقه بذلك فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة وهذا مما يغلط فيه، وقد يحمل المتكلم في ذلك الحسد ويلبس الشيطان عليه ويخيل إليه أنه نصيحة، فليفطن لذلك.

ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها، إما ألا يكون صالحًا لها، وإما أن يكون فاسقًا أو معتلاً، ونحو ذلك، فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله ويولّي من يصلح.

الخامس: أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر ومضارّة الناس وأخذ المكس وجباية الأموال ظلمًا وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به ويحرم ذكره بغيره من العيوب إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب كالأعمش والأعرج والأصم والأعمى والأحول وغيرها[1]، جاز تعريفهم، ويحرم إطلاقهم على جهة التنقيص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى.

فهذه ستة أسئلة ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه ودلائلها من الأحاديث الصحيحة، فمن ذلك: ما روته عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً استأذن على رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) انظر شرح مسلم للإمام النووي (١٦/ ١١٧) وقد تقدم.

«ائذنوا له بئس أخو القوم وابن العشيرة». متفق عليه [1]، واحتج به البخاري في جواز غيبة أهل الفساد وأهل الريب.

وعنها رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما أظن فلانًا وفلانًا يعرفان من ديننا شيئًا» [2]. رواه البخاري ومسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قالت هند امرأة أبي سفيان للنبي ﷺ: إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم؟ قال ﷺ: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» [3]. متفق عليه. انتهى والله وتعالى أعلم.

***

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣١) كتاب الأدب، ٨٢-باب المداراة مع الناس، ومسلم (٧٣-٢٥٩١) ٢٢-باب مداراة من يتقى فحشه، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٨). والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٤٥).

(٢) أخرجه: البخاري (٦٠٦٧، ٦٠٦٨) كتاب الأدب ٥٩-باب ما يكون من الظن.

(٣) أخرجه: البخاري (٥٣٦٤) كتاب النفقات، ٩-باب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف. ومسلم (٧-١٧١٤) كتاب الأقضية، ٤-باب قضية هند. والنسائي (٨/ ٢٤٧-المجتبى) وابن ماجه (٢٢٩٣)، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٩، ٥٠)، والبيهقي (٧/ ٤٦٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٥٨٤)، والدارمي (٢/ ١٥٩).

الباب الثامن والخمسون

في التحذير من النميمة

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وقال ﷻ : ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ [القلم: ١١].

وعن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «لا يدخل الجنة نمام»[(١)]. رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال: «إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستنثر من البول»[(٢)]. رواه البخاري ومسلم، وهذا اللفظ إحدى روايات البخاري.

قال النووي رحمه الله: معنى: «وما يعذبان في كبير» أي في كبير في زعمهما، وقيل: كبير تركه عليهما.

وروى عبد الوهاب بن أبي عبد الله بإسناده عن عبد الرحمن بن سمرة ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقال: «رأيت الليلة عجبًا، رأيت رجلاً من أمتي يُعذَّب في القبر، فأتاه الوضوء فاستنقذه، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوته ملائكة العذاب فاستنقذته صلاته، ورأيت رجلاً من أمتي بين يديه ظلمة، وخلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة، فاستنقذه حجه وعمرته. ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه، فجاءته صلة رحمه فاستنقذته حتى كلموه. ورأيت رجلاً جاثيًا على ركبتيه قد حجب عن النور فاستنقذه حسن خلقه. ورأيت رجلاً أعطي كتابه بشماله فأنقذه خوفه من الله ﷻ . ورأيت رجلاً من أمتي على شفير جهنم فاستنقذه وجله من الله ﷻ . ورأيت رجلاً من

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٠٥٦) كتاب الأدب، ٥٠-باب ما يكره من النميمة عن حذيفة بلفظ «لا يدخل الجنة قتات»، ومسلم بلفظه (١٦٨-١٠٥) كتاب الإيمان ٤٥-باب بيان غلظ تحريم النميمة. وقال النووي: في رواية: «لا يدخل الجنة».

(٢) أخرجه: البخاري (٢١٨) كتاب الوضوء، باب منه ما جاء في غسل البول، وأيضًا رقم (٦٠٥٥) كتاب الأدب، باب النميمة من الكبائر، ومسلم (١١-٢٩٢) كتاب الطهارة ٣٤-باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، والنسائي (٤/ ١٠٦)، والترمذي (٧٠) في الطهارة.

أمتي هوى من الصراط في جهنم فاستنقذته دموعه من خوفه من الله ﷻ . ورأيت رجلاً من أمتي يلفح وجهه شرر النار فاستنقذته صلاته وصدقته. ورأيت رجلاً من أمتي أخذته الزبانية فاستنقذه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر. ورأيت رجلاً من أمتي يرعد على الصراط فاستنقذه حسن ظنه بالله ﷻ . ورأيت رجلاً من أمتي لا يجوز على الصراط فاستنقذته صلاته على النبي ﷺ . ورأيت رجلاً من أمتي انتهي به إلى النار فأغلق بابها فاستنقذته لا إله إلا الله. ورأيت أعجب العجب ناس تقرض شفاههم، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: المشاءون بالنميمة بين الناس. ورأيت رجالاً معلقين بألسنتهم، فقلت:من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا».

قال أبو بكر الرازي: فإن قيل: ما الفرق بين الهمزة واللمزة؟

قلنا: قيل: إنهما بمعنى واحد لا فرق بينهما، وإنما الثاني تأكيد للأول.

وقيل[1]: إنهما مختلفان، فقيل: الهمزة: المغتاب، واللمزة: العياب، وقيل: الهمزة: المغتاب في الوجه، واللمزة: المغتاب في القفا، وقيل: الهمزة: الطعان في الناس، واللمزة: الطعان في نفسه، وقيل: الهمزة: تكون بالعين، واللمزة: باللسان، وقيل عكسه. فهذه ستة أقوال.

وروى أبو القاسم الأصبهاني بإسناده، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ نهى عن النميمة والاستماع إلى النميمة[2].

وبإسناده عن أبي الدرداء ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «ستة من الأعمال يبغضها الله تعالى، وستة يقدرها الله ﷻ : المشاءون بالنميمة، والقتالون النفوس بغير حق، والكنازون في قلوبهم الغل لإخوانهم، فإذا لقوهم بالبشر في وجوههم، وإذا عرض لهم شيء من أموال الناس اقتطعوه بشهادة الزور والأيمان الكاذبة، والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطأً وإذا دعوا إلى الباطل كانوا سراعًا». والسادسة التي يقدرها الله: «التفريق بين الأحبة»[3].

وروى الحسن ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن من شرار الناس ذا الوجهين الذي أتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه»[4].

---

(١) قال ابن كثير (٤/ ٥٤٨): الهماز بالقول واللماز بالفعل يعني يزدري الناس وينتقص بهم، قال ابن عباس: همزة لمزة طعان معياب، وقال الربيع بن أنس: إن الهمزة يهمزه في وجهه واللمزة من خلفه، وقال قتادة: الهمزة واللمزة لسانه وعينه ويأكل لحوم الناس ويطعن عليهم. تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٨).

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٩١)، والخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ٢٢٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٩٣).

(٣) لم يذكر الستة الذين يقدرهم الله.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٥٥)، والزبيري في الإتحاف (٦/ ٣٤٧).

وقيل : من كان ذا لسانين في الدنيا فإن الله تعالى يجعل له يوم القيامة لسانين من نار.

وروي عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: ((لما خلق الله تبارك وتعالى الجنة قال لها: تكلمي، قالت: سعد من دخل الجنة، قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك مدمن خمر، ولا مصر على الزنا، ولا قتات وهو النمام، ولا ديوث وهو (القرطبان)[١]، ولا (شرطي)[٢] وهو المخنث، ولا قاطع رحم وهو الذي يقول: علي عهد أن أفعل كذا ثم لم يفعل)).

● **فائدة:**

قال: «القرطبان»: هو الذي لا يغار على أهله، وقيل: هو الذي يجمع بين الرجال الأجانب وبين أهله.

وقال ابن عباس والسدى في قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾: كانت تمشي بالنميمة. وروى معمر عن قتادة رحمهما الله قال: كانت تعير رسول الله ﷺ بالفقر، وكانت تحتطب فعيرت بذلك، وهذا قول ضعيف.

وقال الضحاك وابن زيد رحمهما الله : إنما كانت تأتي بالشوك فتطرحه بالليل في طريق رسول الله ﷺ[٣] وأصحابه ليعقرهم، وهي رواية عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال الربيع بن أنس: كانت تنشر السعدان على طريق رسول الله ﷺ فيطأه كما يطأ الحرير، وقرأ عاصم: ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ بنصب حمالة على الذم والباقون برفعه.

و«الحطب» جمع، واحدته: حطبة. وقال بعض أهل اللغة: «الحطب» ها هنا جمع «الحاطب»، وهو الجاني بالحديث، يعني أنها كانت تحملهم بالحديث على معاداته ونظيره من الكلام.

وقال أكثم بن صيفي لبنيه: إياكم والنميمة[٤] فإنها نار محرقة، وإن النمام ليعمل في ساعة ما لا يعمل الساحر في شهر. انتهى.

(١، ٢) كذا بالأصل.

(٣) عن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والثوري والسدى ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾: كانت تمشي بالنميمة، واختاره ابن جرير، وقال العوفي عن ابن عباس وعطية والضحاك وابن زيد: كانت تضع الشوك في طريق رسول الله ﷺ. تفسير ابن كثير (٤/ ٥٦٤).

(٤) قال النووي: قال العلماء: النميمة: نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم، قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله في الإحياء: اعلم أن النميمة إنما تطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه، كما تقول: فلان يتكلم فيك بكذا، قال: وليست النميمة مخصوصة بهذا، بل حد النميمة كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث، وسواء كان الكشف بالكناية أو بالرمز أو بالإيماء، فحقيقة النميمة: إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه فلو رآه يخفي مالاً لنفسه فذكره فهو نميمة، قال: وكل من حملت إليه نميمة، وقيل له: فلان يقول فيك أو يفعل فيك كذا فعليه ستة أمور: الأول: لا يصدقه، والثاني: ينهاه، والثالث: يبغضه، والرابع: لا يظن بأخيه السوء، والخامس: لا يحمله ذلك على التجسس والبحث، والسادس: لا يرضى لنفسه ما نهي النمام عنه فلا يحكي نميمته. شرح مسلم (٢/ ٩٧).

وقال الإمام العالم العلاَّمة الفضيل بن عياض رحمه الله: ثلاث يهدمن العمل الصالح، ويفطرن الصائم، وينقضن الوضوء: الغيبة والنميمة والكذب.

ويقال: عمل النمام بالمواجهة والمعاينة.

ويقال: عذاب القبر ثلاث أثلاث: ثلث من الغيبة، وثلث من البول، وثلث من النميمة.

وقال محمد بن السماك رحمه الله: لا تخف ممن تحذر ولكن احذر ممن تأمن.

وقال ابن أبي الدنيا بإسناده عن عمرو بن ميمون رحمه الله قال: لما تعجل موسى بن عمران كليم الله عليه الصلاة والسلام إلى ربه ﷻ رأى في ظل العرش رجلاً فغبطه بمكانه وقال: إن هذا الكريم على ربه ﷻ، فسأل ربه أن يخبره باسمه، فلم يخبره وقال: أحدثك عن أمره بثلاث: كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ولم يعق والديه، ولم يمش بالنميمة.

وروي عن كعب الأحبار رضي الله عنه أنه قال: أصاب بني إسرائيل قحط، فخرج بهم موسى ابن عمران كليم الله عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات يستسقون فلم يسقوا، فقال موسى عليه الصلاة والسلام: إلهي، عبادك قد خرجوا ثلاث مرات، فلم تستجب دعاءهم. فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: إني لا أستجيب لك ولا لمن معك لأن فيكم رجلاً نماماً، قد أصر على النميمة . فقال موسى: يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا؟ فقال: يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماماً. فتابوا بأجمعهم فَسُقُوا. انتهى والله أعلم.



الباب التاسع والخمسون

في التوبة

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

قال الحسن البصري رحمه الله: التوبة النصوح هي الندم بالقلب والاستغفار باللسان، والترك بالجوارح، والعزم ألا يعود.

وعن النبي ﷺ : «الموت أهون على التائب من شربة ماء بارد للعطشان».

وعن النبي ﷺ : «إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه، وأنسى جوارحه ومعالمه من الأرض، حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد بذنب»[١].

وقال النبي ﷺ: «ما علم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له قبل أن يستغفره»[٢]. رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

وقال النبي ﷺ[٣]: «ما من صوت أحب إلى الله تعالى من صوت عبد مذنب يقول: يا رب، فيقول: لبيك عبدي، أشهدكم يا ملائكتي أني غفرت له».

فإن قيل: كيف أخفى الله الموت والقيامة؟

الجواب: لأن الله تعالى أوجب قبول التوبة ولو مع التراخي، فلو بيَّن ذلك لتمادى العبد في المعصية إلى ذلك الوقت فيكون كالإغراء له وهو لا يجوز. ذكره بعض المفسرين في سورة طه.

وعن النبي ﷺ : «مكتوب حول العرش قبل خلق آدم بأربعة آلاف عام: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]».

● **فائدة:**

قال سهل رضي الله عنه: إذا عمل العبد حسنة وقال: يا رب أنت الذي وفقتني وأعنتني. قال الله تعالى: أنت أطعت وأنت تقربت. وإن قال: أنا عملت. قال الله تعالى: أنا الذي قدرت،

---

(١) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٩٤)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٢٨٦).

(٢) أخرجه: الحاكم في مستدركه (٤/ ٢٥٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٩٨)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٥٣)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٢/ ١٩٤).

(٣) أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢١٦).

ثم يعرض عنه.

وإن عمل سيئة وقال : يا رب أنت الذي قدرت علي. غضب عليه ربه وقال: أنت عصيت، وأنت أسأت. وإن قال: يا رب أنا ظلمت نفسي وأسأت وقصرت. يقول الله تعالى: أنا قدرت وقضيت، وأنا غفرت وسترت .

وزاد ابن الملقن في كتابه «الحقائق» عن بعضهم: أنه كان يقول: يا إلهي أنت قضيت وأنت حكمت. فهتف به هاتف: هذا شرط الربوبية فأين شرط الاعتراف بالعبودية. فقال: يا إلهي أنا عصيت، وأنا أذنبت. فقال الهاتف: وأنا غفرت وأنا سترت، وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة.

وروي: أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: يا رب إذا سألك الطائع ماذا تجبه؟ قال: أقول: لبيك. قال: فالزاهد؟ قال: أقول: لبيك، قال: فالصائم؟ قال: أقول: لبيك، قال: فالخاطئ؟ قال: أقول: لبيك لبيك؛ يا موسى كل واحد من هؤلاء يُدل بعمله والعاصي يتكل على رحمتي، وأنا لا أخيب عبداً اتكل علي؛ لأني قلت: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.

● موعظة:

قال ابن عباس رضي الله عنهما قال: موسى عليه السلام : يا رب إنك رب عظيم لو شئت أن تطاع لأطعت، ولو شئت ألا تعصى ما عصيت، وأنت تحب أن تطاع، وأنت في ذلك تعصى، فكيف هذا يا رب؟ فأوحى الله إليه: إني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون. حكاه القرطبي في سورة الأنبياء.

ثم حكى في سورة ﴿ٱقْتَرَبَتِ﴾: أنه قدم قوم على النبي ﷺ فقالوا: الأعمال والآجال بيد غيرنا، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾.

فقالوا : يا محمد يقدر علينا الذنب ويعذبنا؟

فقال: أنتم خصماء الله يوم القيامة[١] .

وقال النبي ﷺ : «الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن» [٢] .

ورأيت في تفسير الرازي في سورة الأنعام: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لعنت القدرية على لسان سبعين نبيًا، فإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين خصماء الله؟

---

(١) أخرجه: القرطبي في تفسيره (١٧/ ١٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٠١).

(٢) أخرجه: الذهبي في ميزان الاعتدال (٣٠٨٩)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٥٠)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٨٠٤).

فتقوم القدرية[١].

قال الرازي: خصماء الله في الحقيقة: المعتزلة الذين يوجبون على الله إثابة الطائع وعقوبة العاصي.

قال بعض الصالحين: كنت أقطع الطريق، فرأيت على الدجلة نخلتين إحداهما رطبة عليها رطب ، والأخرى يابسة، ورأيت طيراً يأخذ الرطب إلى اليابسة فصعدت إليها، فرأيت حية عمياء، والطير يطعمها الرطب، فقلت: يا رب هذه حية أمر النبي ﷺ بقتلها، أقمت لها طيراً يطعمها يأتي إليها برزقها، وأنا أشهد لك بالوحدانية، ثم أقمتني في قطع الطريق. فهتف بي هاتف: هذا بابي مفتوح للقاصدين. فكسرت سيفي وقلت: التوبة التوبة. فقال الهاتف: قبلناك. وكنت قد انفردت عن أصحابي فسمعوني أقول: التوبة التوبة، فلما جئتهم سألوني عن ذلك. فقلت: كنت مطروداً فوقع الصلح. فقالوا: ونحن معك أيضًا. فنزعنا ثيابنا وخرجنا نريد مكة، فدخلنا قرية، وإذا بعجوز تقول: أفيكم فلان الكردي؟ فقلت: هو أنا. فأخرجت ثيابًا وقالت: هذه ثياب ولدي أردت أن أتصدق بها، فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال: أعطي هذه الثياب لفلان الكردي. فأخذتها وقسمتها بين أصحابي. وأنشد في المعنى أبيات:

ما بال قلبك عن هوانا نـــازح ... هل أنت في دعوى المحبة مازح

كـــم ذا نحنُّ لغيرنـــا وبحُســـننا ... في كل عضو منك نور لائـــح

فارفع حجاب البعد عنا وعُدْ لـــنا ... ودع البعاد وخلّنا نتصالـــح

واسمح بنفسك إن أردت وصالنا ... ولئن حظيت بنا فإنك رابـــح

وإن اختشيت إساءة قدمتـــــها ... زرنا فإنا للمســـيء نســـامح

قال مالك بن دينار رحمه الله: إن قومًا من بني إسرائيل كانوا في مسجدهم، فجاء شاب حتى وقف على باب المسجد فقال: مثلي ليس يدخل معهم، أنا صاحب كذا وكذا، يحتقر نفسه بذنوبه فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان: إن الشاب من الصدِّيقين.

وفي الخبر: إذا تاب العبد يوقد بين السماء والأرض سبعون قنديلاً، وينادي مناد: ألا وإن العبد قد صلُح مع مولاه.

ومر بعض الصالحين على راع يرعى غنمًا والذئاب معها، فقال : متى أصلح الذئب مع الغنم؟ فقال: لما أصلح الراعي مع الله.

● **فائدة:**

رأيت في «تفسير النيسابوري»: عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أراد الله تعالى أن

---

(١) أخرجه: ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٤٣).

يتوب على آدم طاف بالبيت سبعًا، فصلى ركعتين وقال: اللهم أنت تعلم سري وعلانيتي، فاقبل معذرتي، وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي، وتعلم ما في نفسي فاغفر ذنوبي، اللهم إني أسألك إيمانًا يباشر قلبي، ويقينًا صادقًا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي، ورضّني بما قسمت لي.

فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم غفرت لك ذنوبك، وإن يأتيني أحد من ذريتك يدعني بمثل ما دعوتني غفرت له ذنبه، وكشفت عنه غمومه وهمومه، ونزعت الفقر من بين عينيه، وجاءته الدنيا وهو لا يريدها.

قال النيسابوري: وهذا يقتضي أن التوبة بعد الهبوط، والصحيح أنها قبله، فلذلك أعاد الأمر بالهبوط مرة أخرى بقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ .

فلما تابا وقع في نفسيهما أن الهبوط ارتفع بالتوبة فأمرهما بالهبوط ثانيًا ليعلما أن حكمه باق، وتحقيقًا للوعد بقوله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

● **لطيفة:**

وُجدت المعصية من المؤمن لأن روحه وُجدت بالمجاورة مع روح الكافر في صلب آدم، والكافر يفعل الحسنة لأنه وجد روح المؤمن أيضًا.

فإذا كان يوم القيامة بسط الله تعالى بساط الحكمة، ويضع عليه أعمال بني آدم، فتهب ريح، فيطير كل جنس إلى جنسه، فتطير معصية المؤمن إلى معصية الكافر وتصير حسنة الكافر إلى حسنة المؤمن، ويرث كل من المؤمن والكافر منزل الآخر في الدار التي أعدها الله له، وذلك لأن كلاً منهما له منزل في الجنة ومنزل في النار، فيصير له منزلان. ذكره النسفي رحمه الله تعالى.

وقال ابن العماد في «الذريعة»: مع الكافر ملكان: أحدهما للحسنات والآخر للسيئات، ثم قال: فإن قيل: الكافر لا حسنة له فما الفائدة في ملك اليمين؟

فالجواب: لعله يسلم فيعتد بحسناته.

وجواب آخر: وهو: أن تعرض عليه حسناته في الآخرة ثم لا يثاب عليه فتكون حسرة عليه.

فإن قيل: الحفظة يعلمون ما يصنعه العبد في الاستقبال، قال الله ﷻ: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ فما الاحتياج لملازمتهم للعبد؟

فالجواب: إنهم شهود، والشاهد لابد له من المعاينة، وقد يقال: ما في الآية دلالة لأن

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ أي في الحال، والمستقبل غيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

● مسألة:

اختلف العلماء في حد الكبيرة على أقوال كثيرة، جمعها أبو طالب المكي فقال: أربع في القلب وهي: الإصرار على المعصية، والشرك، واليأس من رحمة الله، والأمن من مكر الله. وثلاثة في البطن وهي: شرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا. واثنتان في الفرج: الزنا واللواط، واثنتان في اليد: السرقة والقتل، وواحدة في جميع البدن وهي عقوق الوالدين، وواحدة في الرجلين وهي الفرار من الزحف، وأربع في اللسان وهي: شهادة الزور، وقذف المحصنات، والسحر، واليمين الغموس وهي التي يتعمد فيها الكذب، سميت بذلك لأنها تغمس صاحبها في نار جهنم.

وزاد الإمام النووي رحمه الله في «الروضة»: الكذب الذي فيه ضرر، وامتناع المرأة من زوجها بلا عذر. ثم قال: وفي حد الكبيرة وجوه:

أحدها: أنها الموجبة للحد.

وثانيها: ما لحق صاحبها وعيد شديد بنص كتاب أو سنة، وهم إلى الأول أميل.

ثم قال: ومن الصغائر: ضحك في الصلاة، وكشف عورة في حمام، وخلوة من غير حاجة، والتغوط مستقبل القبلة[1] أو في طريق المسلمين، أو اتخاذ كلب لا يحل اقتناؤه.

● موعظتان:

الأولى : اليمين الغموس[2] لا كفارة لها عند أبي حنيفة والإمام أحمد، وقال الشافعي : يكفرها صوم ثلاثة أيام، ولو في كل شهر يومًا.

ولا يجوز قطع صومها بخلاف الإثنين والخميس، إذا كان عاجزًا عن إحدى ثلاث: عتق رقبة مؤمنة بلا عيب يخل بالعمل والكسب، أو كسوة عشرة مساكين بما يسمى كسوة لا

---

(١) روى أبو داود في سننه (٧) كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة، عن سلمان قال: ((لقد نهانا ﷺ أن نستقبل القبلة بغائط أو بول وأن نستنجي باليمين وألا يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار أو يستنجي برجيع أو عظم)) وانظر الأحاديث أرقام (٨، ٩، ١٠). والترمذي (٨) في الطهارة، باب في النهي عن استقبال القبلة بغائط أو بول، وفي رقم (١٦) وقال فيه: حديث سلمان حديث حسن صحيح.

(٢) قال في الفقه على المذاهب الأربعة (٥/ ٣٤٩): اليمين الغموس هو أن يحلف على حصول شيء وهو عالم أنه لم يحصل كأن يقول: والله ليس لك على دين وهو يعلم أنه له، أو يحلف على أن فلانًا لم يضرب فلانًا وهو يعلم أنه ضربه. وليس لليمين الغموس كفارة إلا التوبة منها عند جمهور العلماء وعند الشافعية لها كفارة كغيرها من الأيمان، ومتى أخرج كفارتها سقط عنه إثمها.

خف ونحوه، أو إطعامهم بالسوية وهو الأحق، كل مسكين مد طعام وهو ثلاث أواق بالدمشقي من غالب قوت البلد حبًا سليمًا لا دقيقًا وخبزًا.

الثانية: أمر نوح عليه السلام في السفينة أن لا يقرب ذكرٌ أنثى، فخالف الكلب فأخبرته الهرة، فطلبه فحلف، ثم عاد مرة أخرى، فسألت الهرة ربها أن يمسك عليه حتى يراه نوح، فاستمر ذلك فيه عقوبة له إلى يوم القيامة، وهو من الممسوخ، وسبب مسخه: أنه كان يشهد بالزور.

قلت: وفي مسخه نظر، لما حكاه القرطبي رحمه الله: أن آدم عليه السلام لما هبط قصده السباع ومعهم الكلب. وقال القرطبي في تفسيره: إن العقرب امتنعت من دخول السفينة فمسكها جبريل بذنبها فاستمر ذنبها معقوفًا وذلك من سوء المخالفة.

وينقل عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: من قرأ عند النوم ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١] لم يضره كيد ساحر.

● حكاية:

كان في زمن موسى بن عمران عليه السلام عبد لا يستقيم على توبة، فأوحى الله إليه قل له: تفسد توبته فإن رجعت إلى معصيتك عاقبتك، ولا أقبل توبتك، فبلَّغه موسى فصبر أيامًا ثم رجع إلى معصيته، فأوحى الله إليه قل له: إني قد غضبت عليه، فبلَّغه موسى الرسالة فخرج إلى الصحراء وقال: يا إلهي ما هذه الرسالة التي أرسلتها إلي مع موسى، أنفذت خزائن عفوك أم ضرتك معصيتي أوَ بخلت على عبادك، فكيف لا تغفر والكرم من صفاتك، فإذا آيست عبادك من رحمتك فمن يرجون، وإن طردتهم فمن يقصدون، اللهم إن كانت رحمتك نفدت ولابد من عذابي فاجعل علي ذنوب عبادك، فإني قد فديتهم بنفسي. فأوحى الله إليه: يا موسى قل له: لو كانت ذنوبك مطبقة بين السماء والأرض لغفرتها لك لما عرفتني بكمال العفو والمغفرة والرحمة.

● حكاية:

كان ببغداد رجل مسرف على نفسه، وله أم صالحة، وكانت كلما عمل معصيته كتبتها في ديوان. فبينما هو ذات يوم، وإذا بالباب يطرق، فخرج فوجد امرأة جميلة فقال: ما حاجتك؟ قالت: عندي أيتام ما أكلوا طعامًا منذ ثلاثة أيام.

فقال: ادخلي، فعرفت منه الفساد، فقالت: معاذ الله، فجذبها كرهًا، فقالت: يا كاشف كل شدة اعصمني منه. ثم قالت: اسمع ما أقول وأنشدت:

ألا أيها الناسي ليوم رحيلـــه — أراك عن الموت المفرق لاهيـــا
ولم يخرجوا إلا بقطن وخرقـــة — وما عمَّروا من منزل ظل خاليا
وأنت غداً أو بعده في جوارهم — وجدوا فريداً في المنازل ثاويـــا

ثم بكت فقالت: بالله عليك إن كان قد حصل لك الصلح بينك وبين مولاك فلا تنس كرامة الدلال. فأعطاها وقال: أطعمي أولادك واسأليهم الدعاء. الدعاء يمحو ما في الديوان.

قالت: نعم، فلما صنعت لهم الطعام فسألتهم الدعاء فقالوا: لا نأكل حتى ندعو له، فإن الأجير لا يستحق الأجرة حتى يعمل.

ثم إن الرجل دخل على أمه ونظر في الديوان فوجده أبيض ما فيه سيئة، فأخبر أمه بذلك فقالت: ما السبب؟ قال: جاءتني امرأة تطلب قوت ولديها فجرى الصلح على يديها.

ثم توضأ وقال: اللهم كما محوت الذنوب من المكتوب ألحقني بك. فحركته أمه فإذا به قد مات. رحمة الله عليه.

● لطيفة.

إنما أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ولده إسماعيل لأنه رأى عاصيًا، فدعا عليه، فهلك، ثم ثانيًا وثالثًا فقال الله تعالى: كف عن عبادي أما تعلم أني أرحم بهم، إن تابوا تبت عليهم، أو يخرج من أصلابهم من يعبدني، فالمشيئة مشيئتي، فإذا سألتني هلاك عبدي فأنا أسألك ذبح ولدك واحدة بواحدة. ذكره ابن عطاء الله في «شرح الحكم».

● فائدة.

لما خرج يوسف عليه السلام من الجب أشرق نوره على جبال كنعان، فعرف أخوته بخروجه فلحقوه وباعوه، قال عكرمة: بأربعين درهمًا، وقال ابن عباس: بعشرين.

والعاصي إذا بكى ندمًا أشرق نوره تحت العرش فتقول الملائكة: ما هذا؟ فيقال: عبد خرج من جب المعصية. وسيأتي في باب الخوف إن شاء الله تعالى.

● لطيفة.

قيل: لما هبط آدم عليه السلام بكى على ذنبه فقال: يا رب إن تبت إليك وأصلحت، أتقبلني؟ فأوحى الله إليه: يا آدم إني كتبت على عرشي قبل أن أخلق السموات والأرض، إني لغفار لمن تاب، يا آدم إني أحشر التائبين ضاحكين مستبشرين ودعاؤهم مستجاب.

وتقدم قريبًا أن الله تاب عليه قبل هبوطه.

● **لطيفة:**

قال الحناطي: قال أبو بكر الصديق ﷺ: الظلمات خمسة والسرج لها خمسة: الذنوب ظلمة وسراجها التوبة، والقبر ظلمة وسراجه الصلاة، والميزان ظلمة وسراجه: لا إله إلا الله، والقيامة ظلمة وسراجها العمل الصالح، والصراط ظلمة وسراجه اليقين.

● **مسائل:**

● **الأولى: ما الحكمة في تسليط إبليس على المؤمن؟**

قال العلامي في سورة يوسف ﷺ : قال العلماء : فيه لطف عليم، فإنه تعالى (يحيل)[1] بمعاصينا عليه.

قال الله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠]، ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ ، ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ .

وقال النيسابوري: الحكمة في تسليط إبليس على المؤمن: أنه إذا أوقعه في معصية وتاب منها يكون أشد على إبليس، كالصياد إذا وقع في شبكته صيد ثم ذهب منه فإنه يكون أشد عليه قبل وقوعه.

وقال أيضًا: مثال المؤمن مع إبليس كشجرة مر عليها رجل فيأخذ منها سواكًا مثلاً، فلا يخاصمه صاحبها؛ لأنها تنبت غيره، فإذا أخذ فأسًا وأراد قطعها منعه من ذلك وخاصمه، فالمعصية كالسواك فتخلفها بحسنة والكفر كالفأس. فإذا أراد الشيطان أن يوقعه في الكفر منعه الله سبحانه وتعالى من ذلك.

● **والثانية: ما الحكمة في خلق إبليس؟**

قيل: أراد الله تعالى أن يغفر ذنوبنا ويردها عليه فيضاعف عليه العذاب. وأيضًا، فلولا النار لم يظهر طيب العود، وكذلك لولا الشيطان لم يظهر فضل المؤمن بمخالفته له، وذلك بتوفيق الله تعالى أو التوبة عما فعله بوسوسته مع موافقته القدر، وأيضًا لأن المدينة لابد لها من كناس يدفع عنها القاذورات، فلا يغني عنها صاحب المسك مثلاً.

فالقلب مدينة، والنفس منتنة ، فخلق إبليس كناسًا لها. وأيضًا: فإن الله تعالى كان قادراً على نصر المؤمنين في الحرب فهزمهم ليجدوا الشهادة، ثم نصرهم ليجدوا الغنيمة، كذلك ينصرهم على الشيطان ليجدوا الجنة وغلبهم فأوقعهم في الشهوات، فإذا تابوا فقد

---

(١) كذا بالأصل.

حصل لهم لذة الدنيا والآخرة.

قال ابن العماد في «كشف الأسرار»: خلق الله إبليس من الظلمة، وقيل: من اللعنة.

وقال الإمام النووي رحمه الله وغيره: الصحيح: أنه من الملائكة.

وقال القاضي عياض : إنه أبو الجن كما أن آدم أبو البشر .

وذكر ابن العماد : أن له ذكراً في فخذه اليمين، وفرجًا في اليسرى.

ورؤية الجن على صورهم ممتنعة.

وذكروا في باب الجمعة: أنها تصح بأربعين[1] مكلفًا من الجن، أو كان بعضهم إنسًا وبعضهم جنًا إذا تصوروا بصور بني آدم.

● الثالثة: ما الحكمة في «أعوذ بالله» دون غيره من الأسماء؟

قال النيسابوري: لأن العدو كلما كان شديداً احتيج له إلى عدة كثيرة، وهذا الاسم جامع لجميع صفات الكمال.

● الرابعة: ما الحكمة في الاستعاذة بالله[2] دون جبريل وغيره من الملائكة مع أن الكفاية من شره تحصل بأصغر الملائكة، وهو أحقر من أن يستعاذ منه بالله العظيم؟

قال النيسابوري: كأنه تعالى يقول: عبدي ما وكلت حفظك إلى غيري بل توليته بنفسي.

● الخامسة: ما الحكمة من اقتران التعوذ بالبسملة؟

قال النيسابوري: لأن البسملة فيها شفاء المؤمن، وفي الاستعاذة سم للشيطان.

وفي الحديث: «أغلقوا أبواب المعاصي بالاستعاذة وافتحوا أبواب الطاعة بالبسملة».

● السادسة: ما الحكمة في موت الحبيب ﷺ وإبقاء العدو؟

والجواب: إن العدو خصم، والحبيب شافع، والله تعالى قاض، فأراد تقديم الشفيع قبل الخصم لينوب عنا في دفع الخصومة.

قال الإمام النووي رحمه الله في «تهذيب الأسماء والصفات»: وأما إنظاره إلى يوم

---

(١) قال المالكية: أقل الجماعة التي تنعقد بها الجمعة اثنا عشر رجلاً غير الإمام، ويشترط فيهم شروط أحدها: أن يكونوا ممن تجب عليهم الجمعة، فلا يصح أن يكون منهم عبداً أو صبيًا أو امرأة. الثاني: أن يكونوا متوطنين... إلى آخره. وقال الشافعية: يشترط أن يكونوا أربعين ولو بالإمام، وأن يكونوا أحراراً ذكوراً مكلفين متوطنين بمحل واحد، فلا تنعقد بالعبيد والنساء والصبيان والمسافرين. والحنفية قالوا: تصح بثلاثة غير الإمام. الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٣١٢).

(٢) وذلك في قوله تعالى ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٢٠٠]. وقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨].

الدين[1] فزيادة في عقوبته وتكثير معاصيه.

ثم قال في «الروضة»: يجوز للقاضي أن يشفع لأحد الخصمين عند الآخر.

قال النيسابوري: لما أنظر الله إبليس قال: وعزتك لا خرجت من قلب بني آدم مادامت أرواحهم في أجسامهم. فقال تعالى: وعزتي لا أمنعهم التوبة ما دامت أرواحهم في أجسادهم. فقال: وعزتك لأغوينهم أجمعين[2]. فقال تعالى: لأكفرن عنهم سيئاتهم. فقال: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾، أي ينسيهم الآخرة؛ ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾، أي يزين لهم الدنيا؛ ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾، أي يصدهم عن الحق؛ ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾، أي يزين لهم الباطل.

قال الرازي: لما قال هذا الكلام رقت قلوب الملائكة على بني آدم، فأوحى الله إليهم: أنه بقي للإنسان جهة الفوق والتحت، فإذا رفع يديه في الدعاء على سبيل الخضوع أو وضع وجهه على الأرض على سبيل الخشوع غفرت له ذنب سبعين سنة.

قال القرطبي في تفسيره: قال ابن عباس رضي الله عنهما : إذا أشار أحدكم بأصبع واحدة فهو الإخلاص في الدعاء، وإذا رفع يديه حذو صدره فهو الدعاء، وإذا رفعهما حتى يجاوز بهما رأسه وظاهرهما مما يلي وجهه فهو الابتهال.

وقال في التترخانية: عن محمد ابن الحنفية: الدعاء على أوجه: دعاء الرغبة: يرفع بطوله كفيه إلى السماء، ودعاء الرهبة: أن يجعل ظهرهما إلى وجهه، ودعاء التضرع: يقبض الخنصر والبنصر ويلحق الإبهام والوسطى ويشير بالسبابة، قال في «الإحياء»: يميل بيديه إلى يساره لأن القلب في جهة اليسار، كما أن الطائف في البيت الحرام يجعله على يساره. وتقدم ذلك في باب الحج.

فإن قيل: من أين علم الملعون أن أكثرهم لا يشكرون حيث قال: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾[3] [الأعراف: ١٧]؟

قيل: رأى ذلك في اللوح المحفوظ. وقيل: ظن ذلك فأصاب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ

---

(١) في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الأعراف:١٣-١٦].

(٢) في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [ص : ٧٧-٨٢].

(٣) قال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ قال: موحدين. وقول إبليس هذا إنما هو ظنٌ منه وتوهمٌ، وقد وافق في هذا الواقع كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ..﴾ الآية، تفسير ابن كثير (٢ / ٥٠٩).

عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ﴾ .

فلما قال ذلك، قال الله تعالى: أنا أفتح لهم باب التوبة. فقال لعنه الله: أنا أسده عليهم بطول الأمل. فقال تعالى: هل تقدر أن تمنع المغفرة مني لهم؟!

قال سفيان الثوري رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾: أي: ليس تقدر أن توقعهم في ذنب أعجز عن عفوه.

● **السابعة: ما وجه ذكر تخصيص عداوته للإنس وهو عدو لله والملائكة والجن؟**

فالجواب: الأصل أنه عدو بني آدم لأنه لما لم يسجد لآدم ظن أن آدم عليه السلام صار سببًا.

وأما عداوته للجن لأنهم آمنوا برسل بني آدم.

وقال العلامى في تفسير سورة النحل: قال إبليس: يا رب أمة محمد ﷺ يقولون: إنا نحب الله ونبغض الشيطان، ثم يعصونك ويطيعوني. فقال تعالى: فبدعواهم محبتي أغفر لهم وإن قصروا في خدمتي، وبدعواهم أنهم يبغضونك أغفر لهم ما عملوا بأمرك.

وقال الرازي في سورة براءة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ﴾ أي يشابهون ﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: ٣٠] وهم كفار العرب الذين قالوا: الملائكة بنات الله.

● **فائدة:**

النصارى قالوا: كما قالت اليهود لأنهم سبقوهم إلى الكفر، ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. أي: يقبلون قولهم ويتركون قول الله.

● **موعظة:**

لـمَّا نهي آدم عن الشجرة وجدها قريبة من سريره فأمره أن يطير فطار السرير ألف عام في الجنة، ثم نزل فوجدها قريبة منه فقال: يا رب نهيتني عن الشجرة وجعلتها قريبة مني.

فقال: لو لم أضع الرحمة بجنب المعصية لم أضع السرير تحت الشجرة.

فلما هبط جاءه جبريل بثورين أحمرين فحرث عليهما ثم ضربهما فقالا: كيف تضربنا؟ فقال: لأنكما خالفتما أمري، فقالا: ولم لا يعاقبك ربك لما أكلت من الشجرة؟!

فبكى آدم وقال: يا رب عيرني كل شيء حتى البقر، فأخرسها الله تعالى إلى يوم القيامة، وذللها لأولاده، فقال آدم: يا رب هلا غفرت لي في الجنة.

فقال: لو غفرت لك في الجنة لم يظهر كرمي بمغفرتي لرجل واحد، ولكن أردت أن تخرج إلى الدنيا وتأتيني بألوف من العصاة فأغفر لهم حتى يتبين كرمي وجودي.

● لطيفة:

قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: هل يرحم الله العصاة؟ فدعا بإنائين: أحدهما حسن، والآخر قبيح، فنزل المطر فملأهما جميعًا، فقال: كذلك رحمة الله سبحانه وتعالى، تعم الطائع والعاصي.

وقال داود عليه السلام: يا إلهي ما أكرمك على عبادك! فقال تعالى: يا داود إني لا أرد العصاة عن المعصية بالعذاب، ولكن أردهم بالإحسان ليستحيوا مني.

● حكاية:

رأيت في كتاب «الحدائق» لابن الملقن رحمه الله تعالى: أن بني إسرائيل أصابهم قحط، فخرج موسى عليه السلام يستسقي، فلم تزدد الشمس إلا حراً والسماء إلا صحواً. فقال: يا رب إن كان جاهي خلق عندك فبجاه محمد ﷺ اسقنا الغيث. فأوحى الله إليه: جاهك غير خلق عندي، ولكن فيكم رجل له أربعون سنة يعصيني، فبه منعتكم الغيث. فقام خطيبًا وقال: أيها العاصي الذي له أربعون سنة يعصي ربه أقسمت عليك أن تخرج من بيننا.

فقال العاصي في نفسه: إن قمت عرفني بنو إسرائيل. فوضع رأسه في جيبه وقال: يا إلهي تبت إليك. فنزل المطر كأفواه القرب. فقال موسى: يا رب بم أسقيتنا الغيث؟قال: بالعاصي. فقال: يا رب أرني إياه؟

فقال: يا موسى أنا ما فضحته حال معصيته، فكيف وقد تاب.

ورأيت في قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾: أن الله تعالى يبدل كاتب الحسنات كل يوم بغيره، وكاتب السيئات هو الحاضر لا يبدله.

والإشارات في ذلك: أن العبد يأتي يوم القيامة بشهود كثيرة للحسنات وكاتب واحد للسيئات، فيقول الله تعالى: لا أقبل واحداً وأترك جماعة.

● فائدة:

قال أنس رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يومًا يتفكر في ذنوب أمته، وإذا بطائر منظوم بالدر والياقوت، فتعجب النبي ﷺ من حسن صورته، ثم طار إلى جزيرة رمل، فصار يأخذ من الرمل بمنقاره ويطرحه في البحر.

ثم جاء النبي ﷺ فسأله عن ذلك؟ فقال: أردت أن أرد أمواج البحر.

فتبسم النبي ﷺ وقال: «عجبت من حسن صورتك وضعف عقلك»، فقال: إن الله تعالى جعلني مثلاً حين علم ما خطر ببالك، والذي بعثك بالحق ما ذنوب أمتك في سعة رحمة الله إلا كما يأخذ الطير من الرمل ويرمي في البحر.

● **وهذه لطائف:**

الأولى: قال الله سبحانه وتعالى حكاية عن سليمان ﷺ في قصة الهدهد ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ﴾[1] قيل: ببعده عن ألفه، وقيل: بنتف ريشه، ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١].

فنزل جبريل ﷺ ، وقال: إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول: القسمة أربعة: العذاب للكافرين، والذبح للمنافقين، والبرهان للطائعين، والعفو للمذنبين.

الثانية: جاء في الخبر: إذا كثرت ذنوب بني آدم يثقل العرش على الحملة فيعلمون ذلك فينادون: «يا كريم، العفو»، حتى يخف عنهم.

وإذا قال العبد: يا كريم. يقول الله تعالى: ماذا رأيت من كرمي وأنت في سجن الدنيا، اصبر حتى ترى كرمي في الجنة.

الثالثة: في عيون المجالس عن أنس ﷺ: الدنيا مسيرة ألف سنة: ستمائة بحر، وأربعمائة بر، والخلق ألف خلق: ستمائة في البحار، وأربعمائة في البر، وما من ليلة إلا وتقول البحار: ائذن لنا أن نغرق الخاطئين، فيقول الله تعالى للبحار: اسكنَّ. فيسكنَّ، ويقلن: سبحان الحليم الكريم.

الرابعة: قال الحناطي رحمه الله: عن سهل بن عبد الله ﷺ قال: المؤمن أقرب إلى الله من العرش؛ لأن بين الله وبين العرش حجاب، وليس بين الله وبين المؤمن حجاب.

وقال الشبلي رحمه الله: قلبي خير من الدنيا والآخرة، لأن الدنيا دار نعمة والآخرة دار الجنة، وقلبي دار المعرفة بالله.

وقال النسفي رحمه الله: أكبر العطايا: المعرفة، فوسعها أصغر الأشياء وهو القلب، والرحمة أوسع الأشياء، فكيف لا تسع المعصية وهي أصغر الأشياء.

الخامسة: في كتاب «العقائق»: أن يوسف ﷺ نادى في مصر: أن الغرباء لا يبيعهم أحد شيئًا من الحنطة غيره؛ ليصل إليهم من كرمه ، كذلك سبحانه وتعالى لا إله إلا هو يقول للملائكة: حاسبوا أهل الطاعة وأما أهل التقصير فلا يحاسبهم غيري.

وفيه أيضًا: إذا مات العبد عاصيًا، وجمع الله الخلائق يوم القيامة صفوفًا، فيدخل في صف العلماء فيطردونه ثم إلى المصلين كذلك، فيقول: وافضيحتاه ما بقي إلا النار، فيذهب إليها بنفسه فيراه مالك فيقول: إلى أين؟ فيقول: إلى النار، فيقول: من أي الأمم أنت؟ فيقول: من أمة محمد ﷺ. فيقول: اذهب إليه، فيقول: لا أعلم موضعه. فيقول: هو تحت العرش.

(١) عن ابن عباس يعني: نتف ريشه، وقال عبد الله بن شداد: نتف ريشه وتشميسه وكذا قال غير واحد من السلف أنه نتف ريشه وتركه ملقى يأكله الذر والنمل. وقوله ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ يعني أقتله. تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٢).

فيذهب إليه باكيًا مستغيثًا. فيقول النبي ﷺ: «إني مشغول بالأمة» فعند ذلك ينادي: يا من لا شريك له ارحم من لا شفيع له.

فيقول الله تعالى: اذهبوا به إلى الجنة، فقد غفرت له، فيقول محمد ﷺ : «يا رب أمرتني أن لا أشفع فيه ثم تدخله الجنة؟».

فيقول الله ﷻ : لما انقطع رجاؤه من الخلق رجع إليّ واعتمد عليّ، وأنا الجواد، من قصدني وجدني.

السادسة: قال القرطبي في تفسيره في سورة سبحان: إن أبا بكر ﷺ قال: قرأت القرآن كله فلم أر آية فيه أرجى وأحسن من قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ ، وأنه لا يشاكل العبد إلا العصيان ولا يشاكل المولى إلا الغفران.

وقال عمر ﷺ: قرأت القرآن كله فلم أر فيه أرجى وأحسن من قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر:١-٣]؛ فإنه قدم غفران الذنوب على قبول التوبة.

وقال عثمان ﷺ: قرأت القرآن كله فلم أر فيه أرجى وأحسن من قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].

وقال علي ﷺ: قرأت القرآن كله فلم أر فيه أرجى وأحسن من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

ثم قال القرطبي رحمه الله: قرأت القرآن كله فلم أر فيه أرجى وأحسن من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

والمراد بالظلم في الآية التي قرأها القرطبي هو الشرك والعياذ بالله، كما في صحيح البخاري[1] عن النبي ﷺ : «لا يخرج المشرك عن إشراكه عمل، كذلك لا يخرج المؤمن عن

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه (٤٦٢٩) كتاب تفسير القرآن سورة الأنعام، عن ابن مسعود قال: لما نزلت ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال أصحابه: وأينا لم يظلم؟ فنزلت ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

إيمانه ذنب»[١]. حكاه الرازي في سورة النساء.

السابعة: لما نظر يعقوب عليه السلام الدم على قميص يوسف عليه السلام بكى، فلما رأى القميص صحيحًا ضحك (بالتوحيد والمعرفة فمرحت)[٢].

ورأيت في «الإحياء»، عن ابن شريح رحمه الله: أنه رأى في منامه كأن القيامة قد قامت وكأن الله تعالى يقول للعلماء: هل عملتم بما علمتم؟ ثلاث مرات.

قال: فقلت: إنك قلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، وليس في صحائفنا شرك، فقال: اذهبوا فقد غفرت لكم.

وعن النبي ﷺ : «**يؤتى يوم القيامة برجل من أمتي له ذنوب كعدد رمل عالج، فيوقف بين يدي الله تعالى، فيقال: انطلقوا به إلى جهنم. فيلتفت، فيقول الله تعالى: ما لك تلتفت؟ فيقول: يا رب خرجت من الدنيا وما انقطع رجائي منك، وأمرت بي إلى النار وما انقطع رجائي منك. فيقول الله عز وجل: ما كان هذا ظن عبدي، ولكن هذه دعوى ادعاها عبدي، أشهدكم يا ملائكتي أني قبلت دعواه وغفرت له**».

● مسألة:

يشترط لصحة التوبة إقلاع وندم وعزم أن لا يعود، وظلامة آدمي إن تعلقت به، فإن ظلمه بأخذ ماله ومات وجب رده إلى وارثه، لأنه المطالب به في الآخرة.

وقال في التترخانية للحنفية: لو مات وترك دينًا ولم تصل ورثته إلى أخذه فالثواب لهم في الآخرة، ولا خصومة للأول في الآخرة. قاله أكثر المشايخ.

فلو أعسر وانتظر الوارث يساره وتاب صحت توبته.

قاله الماوردي: فإن مات معسراً أوفى الله عنه.

ويشترط لصحة التوبة أيضًا: أن يكون قادراً على المعصية، فلو تاب عن الزنا مثلاً لعجزه عنه لهرم أو غيره، فلا.

ويشترط أيضًا: أن تكون التوبة لله تعالى، فلو كان يعصي بماله فترك المعصية لشحه مثلاً، فلا تقبل توبته.

قال الأسنوي في «المهمات»: ولا يشترط لصحة التوبة أن يفضح نفسه عند الحاكم، بل عليه أن يستتر بستر الله تعالى، ويقيم الحد على نفسه، لأن العفو في حقوق الله تعالى قريب من التائبين.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن (٧٢).

(٢) كذا بالأصل.

فإن رفع أمره إلى الحاكم كما فعل ماعز ﷺ حيث شهد على نفسه أربع شهادات بالزنا عند النبي ﷺ رجم بالحجارة فهو الأكمل.

قال في «الروضة»: ويسن لمن أقر بالزنا أن يرجع عن الإقرار(١).

● فائدة:

مظالم العباد: فيجب إظهارها والتمكين من استيفائها، وأما غيرها من المعاصي كالنظر إلى غير محرم والقعود في المسجد جنبًا، ومس المصحف بغير وضوء، وشرب الخمر، وسماع الملاهي. فيستحب أن يكفر كل معصية بحسنة تشاكلها. فمعصية النظر إلى ما لا يحل بالنظر في المصحف، وسماع الملاهي بسماع القرآن، والقعود في المسجد جنبًا بالاعتكاف فيه، وشرب الخمر بالتصدق بكل شراب حلال، ويكفر أذى المؤمنين بالإحسان إليهم، ويكفر القتل بإعتاق الرقاب. قاله في «الإحياء».

واعلم أن كفارة القتل بالإعتاق واجب، إلا إذا كان عاجزًا فيصوم شهرين متتابعين، فلو أفطر لمرض وجب الاستئناف، ولا يقطع التتابع فطر لحيض ونفاس أو إغماء مستغرق جميع النهار.

● فوائد:

الأولى: قال السري السقطي رحمه الله لرجل : التوبة ألا تنسى ذنبك. فقال الرجل: التوبة أن تنسى ذنبك. ووافقه الجنيد رحمه الله لأن الجفاء في حال الجفاء صفاء، والمعصية جفاء، والتوبة صفاء.

قال النسفي: قال رجل من أصحاب الجنيد رحمه الله: أصبت ذنبًا فادع الله أن يغفره لي، فسمع الجنيد هاتفًا يقول: لما كشف ستره لك فاغفر له أنت.

وقيل: قال رجل لابن مسعود ﷺ: عملت ذنبًا فهل من توبة؟ فأعرض عنه، ثم التفت إليه فإذا عيناه تذرفان، فقال له: إن للجنة ثمانية أبواب كلها تغلق وتفتح، إلا باب التوبة فإن عليه ملكًا موكلاً لا يغلق إلى يوم القيامة، فلا تيأس.

---

(١) قال النووي: قوله في الرجل الذي اعترف بالزنا: «فاعرض عنه النبي ﷺ فجاءه من جوانبه حتى أقر أربع مرات». احتج به أبو حنيفة وسائر الكوفيين وأحمد وموافقوهما في أن الإقرار بالزنا لا يثبت ويرجم به المقر حتى يقر أربع مرات، وقال مالك والشافعي وآخرون: يثبت الإقرار به بمرة واحدة ويرجم واحتجوا بقوله ﷺ ((واغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها)) ولم يشترط عددًا، وحديث الغامدية ليس فيه إقرارها أربع مرات، واشترط ابن أبي ليلى وغيره من العلماء إقراره أربع مرات في أربعة مجالس. النووي في شرح مسلم (١١/ ١٦١) طبعة دار الكتب العلمية.

وقيل: إنما هلك إبليس لأنه لم ير وجوب التوبة، ولا يعترف بخطيئته، وقنط من رحمة الله.

وآدم عليه السلام سعد لأنه اعترف بذنبه، ورأى وجوب التوبة، فتاب إلى ربه ولم ييأس من رحمة الله تعالى.

الثانية: قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: لا أحدثكم إلا عن نبي مرسل أو كتاب منزل: إن العبد إذا عمل ذنبًا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفة عين.

وقال النبي ﷺ [1]: «إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة»، قيل: وكيف يا رسول الله؟ قال: «يكون قد نصب عينه تائبًا فارًا منه حتى يدخل الجنة».

وقال الغزالي: تجب التوبة على الفور لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ أي عن قريب عهد بالخطيئة، فإذا بادر بالتوبة سريعًا محت المعصية. كالنجاسة إذا كانت رطبة فإزالتها سهلة حينئذ.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ فلا طاقة لظلمة المعصية مع نور الحسنة، كما لا طاقة لكدوره الوسخ مع بياض الصابون.

قال الرازي: المراد بالقرب في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ حضور زمان الموت، لأن الأجل آت وكل آت قريب.

أما[2] من تاب بعد المعصية بزمان طويل، وقبل الموت بزمان بعيد، فهو خارج عن المخصوصين بختم التوبة على الله، لأن الله تعالى خصهم بـ «إنما» التي هي للحصر بل هو من جملة الموعودين لقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾. تفاوت عظيم.

قال المفسرون في تفسير الجهالة[3]: فالأكثرون: أن كل من عصى الله فهو جاهل لأنه لو استعمل ما معه من العلم بالثواب والعقاب ما قدم على المعصية.

---

(١) أخرجه: القرطبي في تفسيره (١٨/ ٢٤٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٥٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٩٩)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٥٢٤)، وابن المبارك في الزهد (٥٢).

(٢) لم يذكر المصنف الفائدة الثالثة، ولعل مكانها المناسب هو هذا المكان والله أعلم.

(٣) قال مجاهد وغير واحد: كل من عصى الله خطأً أو عمداً فهو جاهل حتى ينزع عن الذنب، وقال قتادة عن أبي العالية: إنه كان يحدث: أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة، رواه ابن جرير. انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٣).

الرابعة: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: دخلت على مريض من الأنصار مع النبي ﷺ وهو في سكرات الموت، فقال له النبي ﷺ : ((تب))، فلم يقدر بلسانه، فجال بطرفه نحو السماء، فتبسم النبي ﷺ، فسئل عن ذلك فقال: ((لما لم يعمل بلسانه أومأ بطرفه لندم قلبه، فقال الله تعالى: أشهدكم أني قد غفرت له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر)).

وعنه ﷺ : ((جاءه جبريل عند موته فقال : يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: من تاب قبل موته بسنة قبلت توبته، فقال: يا جبريل سنة لأمتي كثير. فغاب ثم قال: إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: من تاب قبل موته بشهر قبلت توبته. فقال: يا جبريل: شهر لأمتي كثير. فقال: إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: من تاب قبل موته بجمعة قبلت توبته. فقال: يا جبريل الجمعة لأمتي كثير. فقال: إن ربك يقرئك السلام ويقول: من تاب قبل موته بيوم قبلت توبته. فقال: يا جبريل يوم لأمتي كثير. فقال: إن ربك يقرئك السلام ويقول: من تاب قبل موته بساعة قبلت توبته. فقال: يا جبريل الساعة لأمتي كثير، فغاب ثم رجع وقال: إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: إن كانت السنة كثيرة، والشهر كثير، والجمعة كثيرة، واليوم كثير، والساعة كثيرة، فمن لم يرجع إليَّ قبل موته بسنة ولا بشهر ولا بجمعة ولا بيوم ولا بساعة حتى بلغت الروح الحلق ولم يمكنه الاعتذار بلسانه فاستحيى وندم بقلبه غفرت له ولا أبالي)). ذكره النسفي رحمه الله تعالى في كتابه «زهرة الرياض».

● **فائدة:**

فإن قيل : ما الحكمة في أن توبة أمة محمد ﷺ: الندم بقلوبهم، وتوبة قوم موسى ﷺ قتل أنفسهم؟

فالجواب: إن أمة موسى طلبوا المعجزة للإيمان عيانًا فقالوا: أرنا الله جهرة، فلما طلبوا العيان جعلت توبتهم عيانًا وهي قتل أنفسهم.

وأمة محمد ﷺ آمنوا بالغيب فكانت توبتهم بالقلب.

وقال النبي ﷺ : ((ما بكي عبد على ذنبه في الدنيا حتى تنحدر دموعه على خديه إلا حرم الله ديباجة وجهه على النار)).

السادسة[1]: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ : ((من تاب قبل موته بسنة

---

(١) لم يذكر المصنف الفائدة الخامسة فليتنبه لذلك.

تاب الله عليه، ثم قال: إن السنة لكثيرة، من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه، ثم قال: إن الشهر لكثير، من تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه، ثم قال: إن الجمعة لكثيرة، من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه، ثم قال: إن اليوم لكثير، من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه، ثم قال: إن الساعة لكثيرة، من تاب قبل أن يغرغر تاب الله عليه».

السابعة: تفكر إبراهيم عليه السلام في أمر آدم عليه السلام وقال: يا رب خلقته بيدك ثم بزلة واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرجته من الجنة، وقد أسكنته إياها بغير عمل، ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك؟ فأوحى الله إليه : يا إبراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب أمر شديد.

الثامنة: لما عصى آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة فبكى، وبكى عليه كل شيء في الجنة إلا الذهب والفضة، فأوحى الله إليهما: ما لكما لا تبكيان على آدم؟ فقالا: كيف نبكي على من خالف أمرك؟ فقال: وعزتي وجلالي لأجعلنكما قيمة كل شيء ولأجعلن بني آدم خدمًا لكما.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الدرهم والدينار خواتيم الله في أرضه، لا تؤكل ولا تشرب، حيثما قصدت بهما قضيت حاجتك.

وقال كعب الأحبار[1] رضي الله عنه: أول من ضرب الدرهم والدينار آدم عليه السلام وقال: لا تصلح المعيشة إلا بهما. ذكره الثعلبي في كتاب «العرائس».

روى ابن عباس رضي الله عنهم: الدراهم: دار همّ، والدينار: دار نار.

وقال مالك بن دينار: مكتوب في التوراة: حرام على قلب يحب الدرهم أن يقول الحق.

قال الحناطي رحمه الله: لما ضرب الدرهم والدينار أخذهما إبليس فقبلهما وقال: من أحبكما فهو عبدي حقًا.

قال الإمام النووي رحمه الله في «تهذيب الأسماء واللغات»: درهم بكسر الدال والهاء وبفتحها، وجمعها: دراهم.

التاسعة: لما أكل آدم من الشجرة فرت الأشجار عنه إلا شجرة العود، فعاتبها ربها في ذلك. فقالت: يا رب عرفت أنه عتاب. فقال: وعزتي وجلالي لأجعلن لك قيمة عند أولاده، ولكن حيث أويت من خالف أمري لا يخرج منك الريح الطيبة إلا بالنار.

---

(١) كعب الأحبار هو كعب بن ماتع، أبو إسحاق الحميري، أخرج له الستة، وهو ثقة، توفي سنه (٣٤) وقيل (٣٢). التقريب (٢/ ١٣٥).

العاشرة: فإن قيل : كيف حرم الله تعالى أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على الأرض؟

فالجواب: أن التراب أحد الطهورين فهو تطهير للنجاسة الكلية، والذنوب أقبح النجاسات، فاحتيج إلى الطهارة بالتراب، فلذلك تأكل الأرض أجساد غير الأنبياء، لأن الأنبياء معصومون من الذنوب عمداً وسهواً قبل النبوة وبعدها.

الحادية عشر: اجتمع ميكائيل وجبريل عليهما الصلاة والسلام، قال جبريل: أتعجب من الله خلق الخلق ورزقهم وهم يعصون فلا يعذبهم؟!

فقال ميكائيل: لا تعجب؛ أعمالهم لا تزيده شيئًا ومعاصيهم لا تنقصه شيئًا، فحيث لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية لم يعاقبهم.

فأوحى الله إليهما: إني كما قال ميكائيل، لا كما قال جبريل.

قال النبي ﷺ : «هبط ملك من السماء ليعذب رجلاً فقال: أسألك بوجه الله الكريم ألا تعذبني. فصعد فهبط آخر فقال: أسألك بوجه الله الكريم ألا تعذبني. فعذبه، فلما صعد بين السماء والأرض انقطع جناحاه، فتحير وقال: بماذا أصابني؟! فنودي: سألك بوجهي الكريم ألا تعذبه فعذبته، ولو سألني بوجهي الكريم أن أغفر له ولجميع الخلق لغفرت لهم».

اللهم اختم لنا منك بخير أجمعين. انتهى والله تعالى أعلم.



الباب الستون

في فضل الاستغفار

قال الله تعالى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[1] [آل عمران :١٧]. فـ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ يعني عن المعاصي والشهوات. وقيل: على الطاعات. ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾: أي في الأقوال والأفعال. ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾: الطائعين. ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾: يعني في سبيل الله. ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾: قال أنس ﷺ: هم السائلون من الله المغفرة.

وقد قال الله تعالى مخبراً عن قول يعقوب لبنيه: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ حيث قالوا: ﴿يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٩٧] قال: أخر ذلك إلى وقت السحر. وسأل النبي ﷺ جبريل: أيّ الليل أسمع؟ قال: لا أدري غير أن العرش يهتز عند السحر.

قال الزجاج: السحر: من حين يدبر الليل إلى أن يطلع الفجر الثاني.

وقال ابن زيد: هو سدس الليل الأخير.

● **فائدة:**

قال رسول الله ﷺ : «إن لله ريحًا تهب وقت الأسحار، تحمل الأذكار والاستغفار إلى الملك الجبار، وتحمل أنين المذنبين واستغفار المستغفرين إلى رب العالمين».

وروت الأئمة عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا حين يمضي ثلث الله الأول فيقول: أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ ولا يزال كذلك حتى ينفجر الصبح». هذا لفظ مسلم[2].

---

(١) ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: في قيامهم بالطاعات وتركهم المحرمات، ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما اخبروا به من إيمانهم بما يلتزمونه من الأعمال الشاقة. ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ والقنوت: الطاعة والخضوع. ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ أي من أموالهم في جميع ما أمروا به من الطاعات. ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ دل على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار. تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٣).

(٢) أخرجه: مسلم في صحيحه (١٦٨-٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين، ٢٤-باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه.

وقد اختلف في تأويله، فأول ما قيل فيه: ما جاء في كتاب النسائي مفسراً عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنه قالا: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل، ثم يأمر مناديًا يقول: هل من داع يستجاب له؟ هل من مستغفر يغفر له؟ هل من سائل يعطى؟»[1].

صححه أبو محمد عبد الحق، وهو يرفع الإشكال ويوضح كل احتمال، وأن الأول من باب حذف المضاف، أي: ينزل ملك ربنا فيقول، وفي رواية ينزل: بضم الياء، وفي ذلك كلام يطول ذكره.

أما الاستغفار: فمندوب إليه، وقد أثنى الله تعالى على المستغفرين في هذه الآية وغيرها فقال تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ .

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: أُمرنا أن نستغفر بالسحر سبعين مرة.

وقال الثوري رحمه الله: بلغني: أنه إذا كان أول الليل نادى منادٍ: ليقم التائبون ويقومون كذلك يصلون إلى السحر، فإذا كان عند السحر نادى مناد: أين المستغفرون؟ فيستغفر أولئك، ويقوم آخرون فيصلون فيلحقون بهم، فإذا طلع الفجر نادى: ألا ليقم الغافلون فيقومون من فرشهم كالموتى نشروا من قبورهم.

وروي عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول: إني لأهم بعذاب أهل الأرض، فإذا نظرت إلى عمار بيوتي وإلى المتحابين في وإلى المستغفرين بالأسحار صرفت عنهم العذاب بهم».

● **فائدة:**

قال مكحول: إذا كان في أمة خمسة عشر رجلاً يستغفرون الله كل يوم خمسًا وعشرين مرة لم يؤاخذ الله تعالى تلك الأمة بعذاب العامة. ذكره أبو نعيم في «الحلية».

● **فائدة:**

تُعرض الأعمال على الله يوم الخميس ويوم الإثنين، يغفر للمستغفرين، ويتوب على التائبين، ويدع أهل الأضغان بأضغانهم.

وفي الحديث: «أكثروا من الاستغفار، فإن الاستغفار يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب وكما تأكل الشاة الخضر، وإن صحيفة العبد إذا عرج بها إلى السماء ولم يكن فيها استغفار لم يكن لها نور، وإذا طلعت وفيها استغفار كان لها نور يتلألأ وإن لم يكن فيها إلا استغفار يسير».

---

(١) أخرجه: عبد الرزاق في مصنفه (١٩٦٥٤)، والقرطبي في تفسيره (٤/ ٣٩).

وفي حديث أبي بكر الصديق: «ما أصر من استغفر، ولو عاد في اليوم سبعين مرة»[١]. أخرجه أبو داود.

وفي الحديث: «إذا فعل العبد خطيئته نكتت في قلبه نكتة، فإن نزع واستغفر صقلت، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي ذكره الله تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٢]». رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم.

وروي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن للقلوب صدأ كصدأ النحاس، وجلاؤها الاستغفار»[٣]. رواه البيهقي.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من أصحابه أستحلفه، فإذا حلف لي صدقته.

قال: وحدثني أبو بكر -وصدق أبو بكر- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول[٤]: «ما من عبد يذنب ذنبًا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله إلا غفر له»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ الآية. أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان.

وعن بلال بن يسار بن زيد[٥]، عن أبيه، عن جده أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من قال: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفر له وإن كان فر من الزحف»[٦]. رواه أبو داود والنسائي، والترمذي وقال: حديث غريب. وقال الحافظ

---

(١) أخرجه: أبو داود (١٥١٤) كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، والترمذي (٣٥٥٩) كتاب الدعوات، باب (١٠٧) منه: في دعاء النبي ﷺ، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٤٩)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٦٠٥).

(٢) أخرجه: الترمذي (٣٣٣٤) كتاب تفسير القرآن، باب من سورة المطففين، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٣٩) والكبرى في التفسير، وابن حبان (١٧٧١، ٢٤٤٨-الموارد).

(٣) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٦٩).

(٤) أخرجه: أبو داود (١٥٢١) كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، والترمذي (٣٠٠٦) في التفسير، سورة آل عمران، والنسائي في الكبرى في التفسير، وفي عمل اليوم والليلة (١٣٨) باب ما يفعل من بكى بذنب، وابن ماجه في إقامة الصلاة باب ما جاء في أن الصلاة كفارة.

(٥) بلال بن يسار بن زيد، القرشي، البصري، مقبول، أخرج له: أبو داود والترمذي. انظر ترجمته في التهذيب (١/ ٥٠٥)، التقريب (١/ ١١٠)، الكاشف (١/ ١٦٦)، التاريخ الكبير (٢/ ١٠٨)، الجرح والتعديل (٢/ ١٥٥٤)، الثقات (٦/ ٩١).

(٦) أخرجه: أبو داود (١٥١٧) كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٧٠)، والترمذي في سننه (٣٥٧٧) في الدعوات، والحاكم (١/ ١١٨).

المنذري: وإسناده جيد.

وروي عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ في مسير فقال: «**استغفروا الله**»، فاستغفرنا، فقال: «**أتموها سبعين**» -يعني مرة- فأتممناها، فقال رسول الله ﷺ[1]: «**ما من عبد ولا أمة يستغفر الله في يوم سبعين مرة إلا غفر الله له سبعمائة ذنب، وقد خاب عبد أو أمة عمل في يوم أو ليلة أكثر من سبعين ذنب**». رواه ابن أبي الدنيا، والبيهقي والأصبهاني.

وعن أنس ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قال: «**سبحانك اللهم وبحمدك، عملت سوءًا وظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، عملت سوءًا وظلمت نفسي، فتب علي إنك أنت التواب الرحيم**». وذكر أنه عن النبي ﷺ[2]، رواه البيهقي.

● فائدة:

إذا استغفر العبد بلسانه وهو مصر على الذنب بقلبه فاستغفاره مجرد دعاء إن شاء رده، ويكون إصراره على معصيته مانعًا من الإجابة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ، لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمستغفر من الذنب وهو مصر عليه وفي نيته أن يعود إليه كالمستهزئ بربه.

وقال الضحاك رحمه الله: ثلاثة لا يستجاب لهم، ذكر منهم: رجل مقيم على امرأة يزني بها، فكلما قضى شهوته وقام عنها يقول: رب اغفر ما أصبت من فلانة، فيقول الرب تعالى له : اترك هذه المرأة وأنا أغفر لك، وأما مادمت مقيمًا عليها فإني لا أغفر لك. ورجل عنده مال الناس وهو يأكل من مالهم ولا يدفع لهم منه شيئًا ويقول: يا رب اغفر لي ما أكلت من مال فلان وفلان، فيقول الله تعالى : رد مالهم إليهم وأنا أغفر لك.

● فائدة:

قول القائل: «أستغفر الله» معناه: أطلب مغفرتك فهو مثل قوله: «اللهم اغفر لي».

وفي كتاب سبل الخيرات: قال الفضيل[3]: قول العبد: «أستغفر الله» تفسيرها: أقلني.

---

(١) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٧١) والخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ٣٩٣)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٣٥٠)، والشجري في أماليه (١/ ٢٣٤).

(٢) أخرجه: البيهقي (٢/ ١٠٩).

(٣) الفضيل هو ابن عياض رحمه الله تقدمت ترجمته من قبل.

قال بعض العلماء: للعبد نعمة وذنب لا يصلحها إلا الحمد والاستغفار.

وقال الربيع بن خيثم: لا يقولن أحدكم: أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنبًا وكذبًا إن لم يفعل، ولكن ليقل: اللهم اغفر لي وتب علي.

وقالت رابعة العدوية: استغفارنا هذا يحتاج إلى استغفار كثير.

● **فائدة:**

قال ابن رجب في «مجمع الزهور»: أفضل الاستغفار: أن يبدأ العبد بالثناء على الله، ثم يثني بالاعتراف بذنبه، ثم يسأل الله المغفرة، ولأجل ذلك قال النبي ﷺ ما رواه البخاري من حديث شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: **((سيد الاستغفار: أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت))**[1].

قال: **((ومن قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات من ليلته قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة))**.

وعن النبي ﷺ : **((من قال عشرًا حين يمسي وحين يصبح: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه. غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج، ومن قال: ظلمت نفسي وعملت سوءًا، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. غفرت ذنوبه ولو كانت مثل دبيب النمل))**.

وفي كتاب النسائي عن خباب بن الأرت[2] قلت: يا رسول الله: كيف نستغفر الله؟ قال: **((قل: اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم))**.

● **فائدة:**

من تعسرت عليه معيشته فليكثر من الاستغفار.

● **فائدة أخرى:**

من أبطئ عليه قضاء حاجته فليكثر من الاستغفار، ومن أبطئ عليه المطر فليكثر من

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٣٠٦) كتاب الدعوات، ٢-باب أفضل الاستغفار، والترمذي (٣٣٩٣) كتاب الدعوات، والنسائي (٨/ ٢٧٩-المجتبى) وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٢) الخباب بن الأرت بن جندلة بن سعد، أبو عبد الله، أبو يحيى، أبو محمد، التميمي، الزهري، الخزاعي، صحابي جليل مشهور، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٣٧). ترجمته: تهذيب التهذيب (٣/ ١٣٣)، تقريب التهذيب (١/ ٢٢٢)، الكاشف (١/ ٢٧٧)، تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٢١٥)، الجرح والتعديل (٣/ ١٨١٧)، أسد الغابة (٢/ ١١٤)، سير الأعلام (٢/ ٣٢٣)، الثقات (٣/ ١٠٦)، أسماء الصحابة الرواة (٨٩)، الإصابة (٢/ ٢٥٨)، حلية الأولياء (١/ ١٤٣، ٣٥٩).

الاستغفار، ومن طلب كثرة المال فليكثر من الاستغفار، ومن طلب كثرة الولد فليكثر من الاستغفار.

والدليل على ذلك: ما رواه ابن عباس رضي الله عنهم قال: كنت جالسًا عند علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فجاءه رجل فقال: أشتهي ولدًا، فقال له: عليك بالاستغفار.

ثم أتاه آخر وقال: نحن نسكن الجبال ونحتاج إلى الماء. فقال له: عليك بالاستغفار.

قال ابن عباس: فضحكت من ذلك، فقال: مم تضحك يا ابن عمي؟ فقلت: تعجبت من جواب واحد لثلاث مسائل[1] مختلفة؟ فقال لي: أنسيت القرآن، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا...﴾ [نوح: ١٠-١١] الآية. وبالجملة؛ فدواء الذنوب الاستغفار.

وقيل: إن رجلاً من بعض الصلحاء حاسب نفسه وقت بلوغه، فوجد زلاته لا تجاوز ستة وثلاثين زلة، فاستغفر الله تعالى لكل زلة مائة ألف مرة، وصلى لكل زلة ألف ركعة، ختم في كل ركعة منها ختمة؛ ثم قال بعد ذلك: والله إني خائف أن يؤاخذني الله بذنوبي، وأنا على خطر من ذلك.

فيا إخواننا: من زاد اهتمامه بذنوبه فليتعلق بأذيال من قلَّت ذنوبه، يلتمس منهم الاستغفار. فقد كان الإمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ مع جلالة قدره وورعه وزهده وخوفه من ربه يطلب من الصبيان والأطفال الاستغفار ويقول لهم: استغفروا لعمر.

● **تنبيه:**

إنما كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول للغلمان قولوا: «اللهم اغفر له» لأنهم لا يذنبون ويؤمِّن على دعائهم.

● **فائدة:**

ذكر القرطبي في تفسيره عن أنس يرفعه: «من قرأ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ...﴾ عند منامه خلق الله تعالى سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة».

● **تنبيه:**

للمغفرة أسباب كثيرة: فمن سعى فيها فعسى الله أن يغفر له:

منها: إذا توضأ العبد ودعا بعد الوضوء.

ومنها: ما إذا دخل منزله ودعا.

---

(١) لم يذكر سوى مسالتين فقط؛ والمسألة الباقية التي لم تذكر هي مسالة الأموال.

ومنها: ما إذا خرج من الخلاء ودعا بالغفران[١].

ومنها: ما إذا أيقظ امرأته للذكر والصلاة ودعا.

ومنها: ما إذا لبس ثوبًا جديداً ودعا عند لبسه[٢].

ومنها: ما إذا بات على طهارة.

ومنها: ما إذا دعا عند فراغه من الاغتسال.

ومنها: ما إذا دعا عند دخول المساجد[٣].

ومنها: إذا دعا عند الأذان[٤].

ومنها: الدعاء عند الإقامة.

ومنها: الصلوات الخمس في أوقاتها.

ومنها: إدراك الصلاة مع الجماعة.

ومن أسباب المغفرة: الصلاة في المسجد الحرام.

ومنها: الصلاة في مسجد النبي ﷺ.

ومنها: الصلاة في المسجد الأقصى.

ومن أسباب المغفرة: إذا قال الإنسان عند قراءته الفاتحة: «آمين»، ولا سيما إذا كان في الصلاة، للحديث «**من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه**»[٥].

وفي الحديث: «**إذا أمَّن القارئ فأمِّنوا**»[٦].

ومنها: ما يقال بعد الرفع من الركوع. والحديث في الصحيحين «**إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا ولك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما**

---

(١) حديث: «كان إذا خرج من الخلاء قال: غفرانك» أخرجه: أبو داود في الطهارة، باب ما يقول الرجل إذا خرج من الخلاء رقم (٣٠)، والترمذي في الطهارة (٧)، وابن ماجه في الطهارة رقم (٣٠٠).

(٢) روى الترمذي في سننه (١٧٦٧) كتاب اللباس، باب ما يقول إذا لبس ثوبًا جديداً، عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبًا سماه باسمه عمامة أو قميصًا أو رداء ثم يقول: «اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له». ورواه أبو داود في اللباس في فاتحته، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص ١١٠) باب ما يقول إذا استجد ثوبًا.

(٣) أخرج مسلم في صحيحه (٦٨-٧١٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٠-باب ما يقول إذا دخل المسجد وفيه: «اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك».

(٤) أخرج مسلم (١٣-٣٨٦) كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن، عن سعد بن أبي وقاص عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال حين يسمع الأذان: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله رضيت بالله ربًا وبمحمد رسولاً وبالإسلام دينًا، غفر له ذنبه يومه».

(٥) أخرجه: البخاري (٧٨٠)، ومسلم في الصلاة، ١٨-باب التسميع والتحميد والتأمين رقم (٧٢-٤١٠).

(٦) أخرجه: البخاري (٦٤٠٢) كتاب الدعوات، ٦٥-باب التأمين، والنسائي (٢/ ١٤٤- المجتبى).

تقدم من ذنبه»[١].

ومن أسبابها: ما يقال في السجود: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي.

ففي النسائي أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من عبد يسجد فيقول في سجوده: رب اغفر لي ثلاث مرات إلا غفر له قبل أن يرفع رأسه**».

ومن أسباب المغفرة: ما يقوله في التشهد وهو أن يقول: اللهم إني أسألك بالله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، أن تغفر ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم[٢]. قال رسول الله ﷺ حين سمع الرجل يقول ذلك «**قد غفر الله له، قد غفر الله له**».

● **فائدة:**

في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ...﴾ [آل عمران: ١٣٥] الآية:

سبب نزول هذه الآية: ما رواه القرطبي في تفسيره عن ابن مسعود ﷺ قالوا: يا رسول الله هل كانت بنو إسرائيل أكرم منا على الله حيث كان المذنب منهم إذا أذنب ذنباً يصبح عقوبته على باب داره، وكفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه: اقطع أذنك، اجدع أنفك، افعل كذا، تكفيراً لذنبك؟ فأنزل الله هذه الآية توسعة ورحمة للمؤمنين.

فالفاحشة تطلق على كل معصية، وقد كثر اختصاصها بالزنا، ﴿أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ ما دون الكبائر، ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ معناه خافوا من عقوبته والحياء منه، ذكروا العرض الأكبر وتفكروا في أنفسهم أن الله تعالى سائلهم ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾. أي طلبوا الغفران لأجل ذنوبهم، ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، لأن أحداً لا يقدر على ذلك إلا الله ﷻ ﴿ولم يصروا على ما فعلوا﴾؛ أي أقلعوا عنها وعزموا ألا يعودوا إلى فعلها.

قال سهل بن عبد الله: الجاهل ميت والناسي نائم، والعاصي سكران، والمصر هالك، والإصرار هو التسويف.

والتسويف هو أن يقول: أتوب غداً، أتوب غداً، وهذه دعوى النفس كي تتوب غداً، وغداً لا يملكه، فإن نوى التوبة النصوح خرج من كونه مصراً.

---

(١) أخرجه: البخاري (٧٩٦) كتاب الأذان، ١٢٥-باب فضل «اللهم ربنا لك الحمد»، ومسلم (٧١-٤٠٩) كتاب الصلاة، ١٨-باب التسميع والتحميد والتأمين. والترمذي (٢٦٧)، والنسائي (٢/ ١٩٦) في المجتبى، وابن ماجه (٨٧٦، ٨٧٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٢، ٣٩٤)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٩٦)، وعبد الرزاق (٢٩٠٩، ٢٩١٣) والمنذري في الترغيب (١/ ٣٣٣).

(٢) أخرجه: أبو داود (٩٨٥) في الصلاة باب ما يقول بعد التشهد في الأسماء والصفات (٥٨)، والنسائي (٣/ ٥٢-المجتبى) وأحمد في مسنده (٤/ ٣٣٨)، وابن خزيمة في صحيحه (٧٢٤).

● فائدة:

إن من عمل ذنبًا يكتب عليه سيئة واحدة، ويكتب له أربعون حسنة، ولكن بشروط: وهو أن العبد إذا أذنب ذنبًا، ثم لما فرغ منه ندم على فعله، فالندامة بعشر حسنات، ثم أعقب الندامة بالإقلاع منه وألا يعود إليه، والإقلاع بعشر حسنات، ثم عقَّب الإقلاع بالاستغفار، والاستغفار بعشر حسنات، ثم لما استغفر تدارك نفسه بالتوبة، فتاب منه توبة نصوحًا. والتوبة بعشر حسنات، فهذا يكتب عليه سيئة واحدة ويكتب له أربعون حسنة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. القصة[1] فيها مطولة.

ولكن ساق القرطبي رحمه الله حديثًا في هذا المحل، وسبب نزول هذه الآية في وحشي قاتل حمزة عم النبي ﷺ أشرك بالله وقتل حمزة عم النبي ﷺ، ثم جاء إلى النبي وقال: إني لنادم فهل لي من توبة؟ فنزلت هذه الآية.

● لطيفة:

روي: أن الله تعالى أرسل ملكًا من الملائكة ليعذب رجلاً من أهل الأرض، فقال الرجل للملك: أسألك بوجه الله الكريم ألا تعذبني، فقال: ووجه الله الكريم لأعذبنك، قال: فعذبه، ثم صعد إلى السماء، فلما صار في الهواء قطعت جناحاه. فقال: أي رب لم هذا؟ فقال: سألك عبدي بوجهي الكريم، ولم تدع لوجهي حقًا، أما لو سألني بوجهي أن أغفر له ولجميع الخلائق لغفرت لهم، وأنا الغفور الرحيم.

وعن البراء بن عازب[2] رضي الله عنه قيل له: يا أبا عمارة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ أهو الرجل يلقى العدو فيقاتل حتى يقتل؟

قال: لا، ولكن الرجل يذنب الذنب فيقول: لا يغفره الله. رواه الحاكم موقوفًا.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. انتهى والله تعالى أعلم بالصواب.

---

(١) القصة التي ألمح إليها هي قصة وحشي، وهو وحشي بن حرب الحبشي العبد مولى جبير بن مطعم وقيل: مولى ابنه الحارث ابن نوفل، هو قاتل حمزة وقاتل مسيلمة الكذاب: لما أسلم قال له النبي ﷺ: ((هل تستطيع أن تغيب وجهك عني؟)) روى عنه ابنه حرب وعبيد الله بن عدي بن الخيار وجعفر بن عمر بن أمية، وسكن حمص. تاريخ الإسلام وفيات (٤١-٥٠).

(٢) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن مجدعة بن حارثة، أبو عمارة، الأنصاري الأوسي المدني (ذو الغرة) الحارثي، صحابي ابن صحابي، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٧٢). انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١/ ٤٢٥)، تقريب التهذيب (١/ ٩٤)، الكاشف (١/ ١٥١)، التاريخ الكبير للبخاري (٢/ ١١٧)، التاريخ الصغير للبخاري (١/ ٦، ١٢٠، ١٣٠)، الجرح والتعديل (٢/ ٣٩٩)، أسد الغابة (١/ ٢٠٦)، الإصابة (١/ ٢٧٨)، الوافي بالوفيات (١/ ١٠٤)، الثقات (٣/ ٢٦)، أسماء الصحابة الرواة (١٤).

الباب الحادي والستون

في فضل لا حول ولا قوة إلا بالله

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٢-٣٩].

عن عمرو بن ميمون، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة من تحت العرش؟» قلت: بلى بأبي أنت وأمي، قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله إذا قالها العبد، قال الله: أسلم عبدي واستسلم»(١).

نقله النحاس من «شرح معاني القرآن» في «الكواكب المشرقة» للسمرقندي بسنده: أن رسول الله ﷺ قال: «من قال كل يوم مائة مرة: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، صرف الله عنه سبعين بابًا من البلاء أهونهن الهم والغم».

وقال فيه أيضًا بإسناده عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: خرجت مع النبي ﷺ نطوف في محل المدينة فقال: «يا أبا هريرة ألا أدلك على كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولا منجى من الله إلا إليه» (٢).

وبإسناده عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت ليلة أسري بي، مر بي على إبراهيم خليل الله فقال: من معك يا جبريل؟، فقال: معي محمد خليل الله، فقال إبراهيم: يا محمد، مر أمتك فيكثروا من غراس الجنة، فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة، فقلت: وما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله» (٣).

---

(١) أخرجه: أحمد في مسنده (٢/ ٣٥٥)، (٤/ ٤٨) ومن طرق وبألفاظ مختلفة أخرجه: البخاري (٦٣٨٤) كتاب الدعوات، ٥٢-باب الدعاء إذا علا عقبه، ومسلم (٤٤-٢٧٠٤) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ١٣-باب استحباب خفض الصوت بالذكر.

(٢) أخرجه: النسائي (١٣) في عمل اليوم والليلة مختصراً عن أبي هريرة، وعن أبي موسى أخرجه: البخاري ومسلم كما تقدم وكذلك: أبو داود (١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨) والترمذي (٣٤٥٧)، وابن ماجه (٣٨٢٤) في الأدب، باب ما جاء في: لا حول ولا قوة إلا بالله.

(٣) أخرجه: ابن حبان في صحيحه (٢٣٣٨-الموارد) وفي الإحسان (٨٢١)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه: الترمذي (٣٤٥٨)، وأحمد في مسنده (٥/ ٤١٨)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٤٥).

وفي حديث منه أيضًا: عن أبي سعيد الخدري ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، قال الملك: هديت، وإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، قال الملك: وقيت، وإذا قال: توكلت على الله، قال الملك: كفيت، فيقول الشيطان عند ذلك: كيف أنا بعبد قد هدي، ووقي، وكفي» [١].

واعلم رحمك الله أن معنى التحول والخروج عن ذل المعصية إلى عز الطاعة إلا بكرم الله وعصمته، ولا تقدر على طاعة الله إلا بعون الله ومشيئته.

● **فائدة:**

في كتاب «الفرج بعد الشدة» لابن أبي الدنيا: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم» [٢].

وأما تفسير الآية في قوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ﴾.

قال البغوي: هذه الآية نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم ، أحدهما مؤمن والآخرة كافر، وقيل: إنما هو مثل ضربه الله تعالى برجلين كانا في بني إسرائيل، أحدهما مؤمن اسمه: تمليخا، والآخر كافر، وسماه بعض المفسرين: قطفر، وقصتهما ملخصًا ما حكاه بعض المفسرين قال: كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار فاقتسما ذلك الميراث وأخذ كل منهما حصته، فأما الكافر منهما فاشترى من ذلك المال أرضًا بألف دينار، فقال صاحبه المؤمن: اللهم إن فلانًا قد اشترى أرضًا بألف دينار، وإني اشتريت منك أرضًا في الجنة بألف دينار، فأخرج من ماله ألف دينار وتصدق بها، ثم إن صاحبه بنى داراً وصرف عليها ألف دينار، فقال المؤمن: اللهم إن فلانًا بنى داراً بألف دينار، وأنا اشتريت منك داراً في الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار، ثم اشترى الكافر خدمًا وحشمًا ومتاعاً بألف دينار، فقال صاحبه المؤمن: اللهم إن فلانًا اشترى خدمًا وحشمًا ومتاعًا بألف دينار، وأنا اشتريت منك خدمًا وحشمًا ومتاعًا في الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار.

ثم إن الكافر تزوج امرأة بألف دينار، فقال صاحبه المؤمن: اللهم إني أخطب إليك من نساء الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار، فذهب جميع ما كان معه في جانب الله تعالى، ولم يبق معه الدرهم الفرد.

---

(١) أخرجه: أبو داود في سننه (٥٠٩٥) كتاب الأدب، باب ما يقول الرجل إذا رأى الهلال، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٤٤٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٧٥-الموارد).

(٢) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٩٨)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٥٢٥)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٢٨).

واحتاج إلى شيء يقتات به فقال في نفسه: أمضي إلى صاحبي لعل أن ينالني منه معروف، قال: فقعد له في الطريق التي يمر منها إلى منزله، قال: فبينما هو جالس في تلك الطريق وإذا بصاحبه قد أقبل ومعه من الحشم والخدم والعبيد والغلمان ما لا يكاد يوصف، فقام إليه صاحبه فنظر إليه الآخر فعرفه، فقال: فلان؟ قال: نعم فقال: ما شأنك؟ قال: أصابتني حاجة، فقال: أين مالك؟ قال: أقرضته إلى الإله العلي الوفي، وقدمته لنفسي ينفعني عند ربي، فقال له صاحبه الكافر: أنا أكثر مالاً وأعز نفراً. يعني: عشيرة ورهطًا وخدمًا وحشمًا، لا أعطيك شيئًا. ثم أخذ بيده وأدخله إلى بساتينه وعرضها عليه وهو ظالم لنفسه بكفره وقال له: (ما أظن أن جناني هذه وبساتيني تفنى أبدًا).

قال أهل المعاني : راقه حسنها ، وغرته زهوتها، فتوهم أنها لا تفنى أبدًا، وأنكر البعث والحساب فقال: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ يعني كائنة. فقال له صاحبه المؤمن: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ وجعلك بشراً سويًا وخولك في نعمته وأسال عليك ستر رحمته، تكفر بها، لكن أنا أقر وأقول: هو ربي ولا أشرك بربي أحداً، ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ يعني هلا إذا دخلت جنتك، ﴿قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾، واعترفت لله سبحانه وتعالى بالقدرة والقوة، وأنه الذي أعطاك ذلك بحوله وقوته؛ لأن العبد ليس له حول ولا قوة إلا بالله سبحانه وتعالى.

● **فائدة:**

روى الثعلبي رحمه الله: عن أنس بن مالك ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**من رأى شيئًا فأعجبه فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لم يضره**»[1].

قال: ثم أخذ المؤمن يرد على الكافر ويقول له: لما رأيتني أقل منك مالاً وولدًا، تكبرت عليَّ وتعاظمت، فعسى الله ربي أن يعطيني خيراً مما أعطاك من بساتينك وما ملكت يمينك، ويرسل على جنتك عذابًا، ناراً، أمراً من السماء صاعقة يهلكها، فتصبح أرضًا ملساء لا نبات فيها، فتموت أشجارها وتغور أنهارها ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾، يعني إن طلبته لم تجده. ثم تركه ومضى إلى حال سبيله مكسور الخاطر حيث إن صاحبه الذي قصده لم يعطه شيئًا وعايره بالفقر وافتخر عليه، وافترقا على ذلك.

فلما كان مساء تلك الليلة أرسل الله تعالى القادر على كل شيء على جنان ذلك الكافر وبساتينه ناراً من السماء فاحترقت وغار ماؤها، وصارت أرضًا سوداء كأن لم تغْنَ بالأمس، فلما

---

(١) أخرجه: الديلمي في مسند الفردوس (٥٦٩٦) والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٠٠) في تعليقه على حديث «العين حق تدخل الجمل القدر والرجل القبر» وقال بعد ذكره الحديث: وفي لفظ: (لم تضره العين).

أصبح ذلك الكافر إلى جناته وبساتينه فرآها قاعًا صفصفًا، فضرب بيده على الأخرى ندامة على ما أنفق فيها وهي ساقطة على سقوفها ويقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ [(١)].

فهذا ما دلت عليه الآية الشريفة بقوله سبحانه: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ﴾ الآية، ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني جندًا يمنعونه من عذاب الله مما نزل بجنته، ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف:٤٣][(٢)].

● **فائدة:**

قال أبو جعفر: «قد حوقل الرجل»، و«حوقل» إذا قال: «لا حول ولا قوة لأحد على طاعة إلا بالله». ويقال: «قد بسمل الرجل» إذا قال: «بسم الله». ويقال أيضًا: «حسبل الرجل إذا قال: «حسبنا الله».

فلا حول لأحد ولا حيلة عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة لأحد على طاعة الله إلا بمعونة الله تعالى، وإجماع المسلمين بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فمن خالف ذلك فهو كافر.

● **فائدة:**

قال في كتاب ابن السني والطبراني في كتاب «الدعاء»: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سأل عثمان بن عفان ﷺ رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فقال: «يا عثمان، لم يسألني عنها أحد غيرك، تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر، سبحان الله وبحمده، أستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

يا عثمان، من قالها إذا أصبح وإذا أمسى عشر مرات[(٣)] أعطي ست خصال: أولها: يحرسه الله تعالى من إبليس وجنوده. ثانيها: يحرسه الله باثني عشر ملكًا. ثالثها: يعطى

---

(١) يقول تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ بأمواله أو بثماره على القول الآخر، والمقصود: أنه وقع بهذا الكافر ما كان يحذر مما خوفه به المؤمن من إرسال الحسبان على جنته التي اغتر بها وألهته عن الله ﷻ ﴿فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ وقال قتادة: يصفق كفيه متأسفًا متلهفًا على الأموال التي أذهبها عليه ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾. تفسير ابن كثير (٣/ ٨٧).

(٢) أي عشيرة أو ولد كما افتخر به واستعز ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّ﴾. تفسير ابن كثير (٣/ ٨٧).

(٣) أخرجه: الذهبي في ميزان الاعتدال (٨٣٩٥) وابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ١٩٢)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ٤٥)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٤/ ٢٣١).

قنطارًا في الجنة، رابعها: ترفع له درجة في الجنة، خامسها: يزوجه الله من الحور العين، سادسها: فكأنما حج واعتمر فقبل حجه وعمرته، فإن مات من يومه مات شهيدًا».

● فائدة:

ليس في الملائكة ملك أشد قوة من ملك يقال له: حرقيل، قال: لأنه أول عبد قال: لا حول ولا قوة إلا بالله.

● فائدة ثانية:

من أبطأ عليه الرزق فليستغفر الله، ومن غمه أمر فليكثر من: لا حول ولا قوة إلا بالله. وفي رواية: من أحزنه أمر فليقل: لا حول ولا قوة إلا بالله.

● فائدة ثالثة:

روى ابن السني والطبراني، عن أنس بن مالك ﷺ يرفعه[1]: «**من قال حين ينصرف من صلاته: سبحان الله وبحمده لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثلاث مرات: قام مغفورًا له**».

● فائدة رابعة:

روى النسائي والترمذي عن عبد الله بن عمر يرفعه: «**ما على الأرض أحد يقول: لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إلا غفرت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر**»[2].

واختلفوا في تفسير «الباقيات الصالحات» هي قول العبد: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

واستدل الثعلبي بحديث عن خالد بن عمران: أن النبي ﷺ خرج على قومه فقال: «**جُنَّتكم**» -يعني وقايتكم- قالوا: يا رسول الله: من عدو حضر؟ قال: «**لا، بل من النار**».

قالوا: وما جُنَّتنا من النار؟ قال: «**الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات ومجنبات ومعقبات، وهن الباقيات**

---

(١) أخرجه: ابن السني في عمل اليوم والليلة (١٢٦) والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ١٣١).

(٢) أخرجه: الترمذي (٣٤٦٠) كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد، والنسائي في عمل اليوم والليلة (صفحة ٥٦) باب ثواب من قال دبر صلاة الغداة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (صفحة ٢٤٤) باب من أوى إلى فراشه فلم يذكر الله تعالى، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

الصالحات»[(١)].

وفي حديث آخر عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات» قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: «التكبير والتهليل والتسبيح ولا حول ولا قوة إلا بالله»[(٢)].

وقيل: التقى رجلان عظيمان فسلَّما على بعضهما، وكان أحدهما: سالم بن عبد الله، والآخر: محمد بن كعب القرظي[(٣)] ثم قال أحدهما للآخر: ما الذي يحضرك في الباقيات الصالحات؟

قال سالم: لا إله إلا الله والحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فقال: متى جعلت فيها لا حول ولا قوة إلا بالله؟ فقال: ما زلت أجعلها فيها. قال: فراجعه مرتين أو ثلاث، ويقول له: بل فيها لا حول ولا قوة إلا بالله، وأثبتها أنت عندك.

ثم استدل على ذلك بقوله له كما تقدم: أن أبا أيوب الأنصاري[(٤)] حدثني أنه سمع رسول الله ﷺ وسلم يقول: «عرج بي إلى سماء الدنيا فرأيت إبراهيم فقال: يا جبريل ما هذا معك؟ قال: محمد، ففرح بي، ثم قال: يا محمد مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة، فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة. قلت: وما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾».

هذا رد على الرؤساء الذين كانوا يسخرون بالمال (والمغنى)[(٥)] والأبناء، فأخبر الله تعالى أن ذلك مما يتزين به في الحياة الدنيا لا مما ينفع في الآخرة، والذي نفع في الآخرة هو

---

(١) أخرجه: النسائي في عمل اليوم والليلة (٨٤٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٤١) وصححه، ووافقه الذهبي، وذكره ابن الإمام في سلاح المؤمن وقال: رواه النسائي واللفظ له، والحاكم في المستدرك، قوله: «جنتكم» يعني وقايتكم وستركم، وقوله: «مجنبات» هو بفتح النون أي مقدمات أمامكم، و«معقبات» بكسر القاف أي مؤخرات، يعقبونكم من ورائكم. انظر مختصر سلاح المؤمن (صفحة ٤٥) (من تحقيقنا، طبعة دار الكتب العلمية).

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده (٣/ ٧٥)، والحاكم في مستدركه (١/ ٥١٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٢٤)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٣٢-الموارد)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ١٣١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٨٧).

(٣) محمد بن كعب بن سليم بن أسد، أبو حمزة، أبو عبد الله، القرظي المدني الكوفي القاص، ولد سنة (٤٠) على الصحيح، ثقة عالم، قال البخاري: إن أباه كان ممن لم ينبت من بني قريظة، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٢٠). انظر ترجمة في تهذيب التهذيب (٩/ ٤٢٠)، تقريب التهذيب (٢/ ٢٠٣).

(٤) حديث أبو أيوب الأنصاري تقدم من قبل. وأبو أيوب الأنصاري هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف الخزرجي البخاري، المدني، صحابي جليل شهد بدراً، أخرج له: أصحاب الكتب الستة توفي سنة (٥٠، ٥٥). ترجمته: تهذيب التهذيب (٣/ ٩٠)، تقريب التهذيب (١/ ٢١٣) الكاشف (١/ ٢٦٨)، التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ١٣٦).

(٥) كذا بالأصل.

الذي يأتي به فقراء المسلمين وهي الباقيات الصالحات[1].

ثم فسَّرها النبي ﷺ بقوله: «وهن: سبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن المقدمات، وهن المجنبات، وهن المعقبات، وهن الباقيات الصالحات».

ونقل الواحدي في «وسيطه» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عجزتم عن الليل أن تكابدوه، وعن العدو أن تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر؛ فإنهن الباقيات الصالحات فقولوها، فهؤلاء خير عند الله ثوابًا، وأفضل عملاً من المال والبنين».

فينبغي للمؤمن الذي يعلم أنه قادم على ربه ويعلم أن هذه الدار ليست بدار إقامة ولا خلود لأحد فيها أن يقتفي آثار الصالحين، وأن يرغب فيما عند الله، فما عند الله خير وأبقى.

وقال أبو الدرداء: اثنا عشر خصلة من فعال الأنبياء:

أولها: أنهم كانوا آمنين بما وعدهم الله تعالى.

ثانيها: كانوا آيسين من الخلق.

الثالث: كانت عداوتهم مع الشيطان.

الرابع: كانوا مقبلين على أمر أنفسهم.

الخامس: كانوا مشفقين على الخلق.

السادس: كانوا محتملين لإيذاء الخلق.

السابع: كانوا موقنين بالجنة، يعني: أنهم كانوا إذا عملوا عملاً صالحًا أيقنوا أن الله لا يضيع عملهم.

الثامن: كانوا متواضعين في موضع الخلق.

التاسع: كانوا لا يسرعون بالنصيحة في موضع العداوة.

العاشر: كانت أموالهم عفواً؛ يعني كانوا لا يمسكون فضل المال وينفقون على الفقراء.

الحادي عشر: كانوا يدعون على الوضوء.

الثاني عشر: كانوا لا يفرحون بما وجدوا من الدنيا ولا يهتمون لما فاتهم منها.

---

(١) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ قال: هي ذكر الله ، قول: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله وتبارك الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله وصلى الله على رسول الله، والصيام والصلاة والحج والصدقة والعتق والجهاد والصلة، وجميع أعمال الحسنات، وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض. وقال العوفي عن ابن عباس: هي الكلام الطيب. تفسير ابن كثير (٣/ ٨٩).

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اخزن لسانك إلا من خير، فإنك بذلك تغلب الشيطان».

وسئل النبي ﷺ : أي الأعمال أفضل؟ فأخرج لسانه ووضع يده عليه[1].

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها» فقال أعرابي: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام»[2].

واعلم أن المتكلم يملي على كُتَّابه، فليمل ما شاء ولا يمل إلا خيراً يجده أمامه. وقال بعضهم شعراً:

احفظ لسانك أيها الإنســـان	لا يقتلنك إنـــه ثعبـــان
كم في المقابر من قتيل لسانــه	كانت تهـاب مكانه الأقــران

قيل : إن الحيات سمها في أنيابها، والآدمي سمه في لسانه، فما من شيء أعجب من الكلام؛ منه ما هو ترياق نافع، فعليك بترياقه النافع، وهو ذكر الله تبارك وتعالى، واحذر سمَّه القاتل الناقع، وهو التحدث فيما لا يعني .

وقد قيل للقمان الحكيم رحمه الله: بماذا نلت الحكمة؟ قال: لا أسأل عما لقيت، ولا أتكلم فيما لا يعنيني.

فتفكروا في آلاء الله ومخلوقاته، فإنه لم يخلق شيئًا عبثًا، ولا يتركه سدى، بل العاقل الحازم الناظر لنفسه بالحزم لا يغفل عن ذكر الله لحظة، فيكون له في جميع ما يراه من خلق الله عبرة وموعظة وفكرة. فيشتغل بذلك عن الخوض فيما لا يعنيه الذي يورثه في آخرته الندامة والحسرة والتيه والحيرة.

وقد ضرب الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله بذلك مثلاً في هذا المعنى فقال: إذا دخل بزاز ونجَّار وبنَّاء وحائك داراً معمورة، فإذا تفقدتهم رأيت البزاز[3] ينظر إلى الفراش يتأمل قيمتها، والحائك ينظر إلى الثياب يتأمل قيمتها، والنجار ينظر إلى السقف يتأمل كيفية تركيبها، والبناء ينظر إلى الحيطان يتأمل كيفية إحكامها واستقامتها، فلذلك يا أخي

---

(١) أخرجه: الخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٣٩٣) والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٩٩)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧/ ٤٠٤)، (٨/ ٦٢١)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ١٠٧).

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده (١/ ١٥٦)، (٥/ ٣٤٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٥٤)، (٥/ ١٦)، (١٠/ ٤١٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ١٧٨، ١٧٩)، (٨/ ٢٠٣)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨٢، ٥/ ٨١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٢٤)، والسهمي في تاريخ جرجان (٣٠٣).

(٣) البزاز: هو بائع البز وهو نوع من الثياب.

سالك طريق الآخرة لا يرى من الأشياء شيئًا حتى تكون له موعظة يفتح الله تبارك وتعالى له به طريق عبرة. فإن نظر إلى سواد، تذكر به ظلمة لحده. وإن نظر إلى حية، تذكر بها أفاعي جهنم، أعاذنا الله منها. وإن نظر إلى صورة قبيحة، تذكر بها منكراً ونكيراً والزبانية. وإن دخل الحمام فلا يدخله للتنعيم بل على قدر الحاجة فليقصر، وليذكر جهنم بحرارتها، ويقدر نفسه محبوسًا في البيت الحار ساعة، ويقيسه إلى جهنم، فإنه أشبه بيت بجهنم.

فاحبس لسانك قبل أن يطيل حبسك، فلا شيء أولى بطول حبس من لسان يقصر عن الصواب ويسرع إلى الجواب.

وقد قال سفيان الثوري يومًا لأصحابه: أخبروني لو كان معكم من يرفع حديثكم إلى السلطان أكنتم تتكلمون بشيء؟ قالوا: لا، قال: فإن معكم من يرفع حديثكم إلى رب العالمين وسلطان السلاطين من لا يخفى عليه خافية، يشير إلى قوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢][١].

قال بعض الحكماء: ترك فضول الكلام يثمر النطق بالحكمة، وترك فضول النظر يثمر الخشوع والخشية، وترك فضول الطعام يثمر حلاوة لذة العبادة، وترك الضحك يثمر جلالة الهيبة، وترك الرغبة والحرص يثمر الجنة، كما أنهما أخرجا آدم من الجنة .

فحاصله: أن ذكر الله تعالى أنفع وأعظم من الكلام في غيره، وإلا فالصمت أولى:

وأنشد في ذلك المعنى:

الصمت نفع والكـلام مضـرة ... وَلَرُبَّ نوع مـن الكلام شـفاء

فإن أردت من الكـلام شفـاءه ... لسـقام قلبـك فالقـرآن دواء

وحكي: أن ذا النون المصري رحمه تعالى قال: أقمت على باب رجل من الصالحين أربعين يومًا، وهو يخرج لكل صلاة، فلا أقدر أن أكلمه لأنه كالواله، فأمسكته يومًا، وقلت له: يا عبد الله إن لي على بابك أربعين يومًا طمعًا في أن أكلمك. فقال لي: إن لساني سبع، وأنا أخاف إن أنا أطلقته أكلني.

وكذلك أعظم رسول الله ﷺ أمر اللسان فقال: «من تكفل لي ما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا هريرة، هل أدلك على كنز من

---

(١) يعني: وإن عليكم لملائكة حفظة كرامًا، فلا تقابلوهم بالقبائح فإنهم يكتبون جميع أعمالكم، وروى ابن أبي حاتم بسنده عن مجاهد قال قال رسول الله ﷺ : «أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين: الجنابة والغائط... الحديث». تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٢).

كنوز الجنة؟ ›› فقال: ما أعظم فقري إلى ذلك يا رسول الله. قال: ‹‹لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا منجا من الله إلا بالله، ولا مفر من الله إلا إلى الله. هل تدري ما حق الله على العباد؟››[١]. قال: الله ورسوله أعلم. قال: ‹‹حقه عليهم: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، هل تدري بعد ذلك ما حق العباد على الله؟››. قال: الله ورسوله أعلم. قال: ‹‹حقهم عليه: ألا يعذب من فعل ذلك منهم››[٢]. في المعنى شعر:

الناس في غفلة عما يـراد بهـم ... كأنهم غنم في دار جـــزار
لم يرحـم الشيب إشفاقـًا عليـــه ... ولا يوقر الشيخ إجلالاً لمقدار
وليس يقبل فداء من طالب أبـداً ... لو أن دانقه[٣] يفدى بقنطـار
بل كل من صلحت للذبح سيمته ... أذاقه الكأس لم يعبأ بديــار
يا رب صبراً على ما قد قضيت به ... ونجِّنا من عذاب القبر والنار
إن العبيد لفي خوف وفي وجـل ... مما جنى من خطايات وأوزار
وظنه في عظيم العفو أعظم مـن ... ذنوبه لم يخب ظن بغفـــار

اللهم يا مقلب القلوب، قلب قلوبنا لطاعتك، يا مصرف القلوب ثبت قلوبنا على توحيدك، يا مفرج كربة المكروبين افتح لنا أبواب عفوك وسامحنا بخفي لطفك، واغفر لنا ولمن حضر مجلسنا أجمعين، انتهى والله تعالى أعلم.

***

(١) الحديث عن أبي هريرة أخرجه: النسائي (١٣) في عمل اليوم والليلة مختصراً. وعن أبي موسى الأشعري أخرجه: البخاري (٦٣٨٤) في الدعوات، ومسلم (٢٧٠٤) في الذكر والدعاء، وأبو داود (١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨)، والترمذي (٣٤٥٧).

(٢) آخر الحديث مشهور من حديث معاذ بن جبل وأوله: ‹‹يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟.... الحديث›› وأخرجه البخاري ومسلم وقد تقدم.

(٣) هو سدس الدرهم وجمعها: دوانق، ودوانيق.

الباب الثاني والستون

في فضل الدعاء

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥].

وقال جل جلاله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وقال ﷻ: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

وعن الحسن رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ، قال: اعملوا وأبشروا فإنه حق على الله ﷻ أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله.

وعن عطاء رحمه الله قال: لما نزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ قالوا: لو علمنا أي عبادة هي؟ قال: فنزلت: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ الآية.

وعن الشيخ عبد العزيز الديريني رحمة الله عليه: يروى: أن قومًا لما نزل قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قالوا: يا رسول الله في أي وقت ندعوا الله تعالى؟ وقال قوم: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟[1] فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، إذا سألك عبادي عن ذاتي، فأنا الموجود[2] من غير موجد، لا يدركني شيء، ولا يحيط بي أين، ولا يصرفني حتى، ولا يلحقني متى، وإن سألوك

---

(١) قال ابن أبي حاتم بسنده عن معاوية بن حيدة القشيري: أن أعرابيًا قال: يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت النبي ﷺ فأنزل الله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ إذا أمرتهم أن يدعوني فدعوني استجبت. تفسير ابن كثير (١/ ٢١٨).

(٢) وروى البخاري في صحيحه (٦٣٨٤) كتاب الدعوات ٥٢-باب الدعاء إذا علا عقبه عن أبي موسى قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا علونا كبرنا فقال النبي ﷺ ((أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمًا ولا غائبًا ولكن تدعون سميعًا بصيرًا)). الحديث بطوله وقد تقدم.

عن صفاتي فالعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والإرادة صفات قديمة لا تدركها الأوهام. وإن سألوك عن أفعالي فكل يوم أنا في شأن؛ أقرب وأبعد؛ أشقي وأسعد؛ وأحيي وأميت، وأغفر لمن شئت، وأعطي وأمنع، وأخفض وأرفع. وإذا سألوك عن الدلالة علي، فالدلالة عليَّ عجيب تدبيري ومحكم آياتي وبديع تقديري في مخلوقاتي. وإن سألوك عن قربي منهم فإني قريب بالقدرة والنصرة والرحمة والنعمة والعلم والحكم، ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، إن دعاني لضر كشفت، وإن دعاني لحاجة قضيت وأشفيت، وإن دعاني لهم كَفيت، وإن دعاني لرزق أطعمت وأرويت، وإن دعاني لدين أديت، وإن دعاني لتوبة تقبلت، وإن دعاني لعيب أصلحت، وإن دعاني لذنب غفرت وصفحت، وإن دعاني لنقص كملت، وإن أطاعوني أحسنت لهم، وإن عصوني سترت عليهم، وإن أدبروا نادمتهم، وإن أقبلوا أدنيتهم، وإن سألوا أعطيتهم[١].

وفي بعض كتب الله المنزلة: يا عبدي، إذا سألت فاسألني، فإني غني، وإذا طلبت النصرة فاطلبها مني؛ فإني قوي، وإذا أفشيت سرك فافشه إلي، فإني وفي، وإذا أقرضت فأقرضني، فإني (ملي)[٢]، وإذا دعوت فادعني فإني حفي.

سبحان من لا يخيب من قصده، ومن قصد الله صادقًا وجده قد شمل الخلق فضل نعمته، كل إلى فضله يمد يده.

أنا الذي من عرفني عبدني، أنا الذي من طلبني وجدني، أنا الشفوق على خلقي، أنا الرفيق بعبادي، من توكل علي كفيته، من بكى على ذنوبه رحمته، من سألني أعطيته، من دعاني أجبته.

يا عبدي، ارض بقضائي واصبر على بلائي، واشكر نعمائي، واذكر آلائي، فما لك رب سواي، وكنت موقنًا بإجابتي، غير آيس من رحمتي، واعلم أني لا أمنع عبداً رزقه، وإن أساء فعله فعليك بالدعاء وكن موقنًا بالإجابة مع جمع النية، واسألني حسن الاختيار فنعم الناظر أنا لك.

يا عبدي، هل كان لك عمل صالح قدمته قبل أن أخلقك فشكرت لك ذلك حتى

---

(١) قال النووي: قوله ﷺ ((يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلا أو فلم يستجب لي)) وفي رواية: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل» قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: «يقول: دعوت فلم أر يستجيب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء». قال أهل اللغة: يقال: حسر واستحسر، إذا أعيا وانقطع عن الشيء والمراد هنا: أنه ينقطع عن الدعاء، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي لا ينقطعون عنها، ففيه أنه ينبغي إدامة الدعاء ولا يستبطئ الإجابة. شرح مسلم للنووي (١٧/ ٤٢).

(٢) كذا بالأصل.

جازيتك عليه؟ وإنما ذلك تفضل مني عليك، وكم زينتك في قلوب عبادي بلا أعمال مستوجبة؟ وكم عاهدتني فلم تف بعهدي وأنا الرقيب عليك.

يا عبدي، أمن الجميل أن يجلس إليك عبد من عبادي فتقبل عليه بكليتك وسمعك وبصرك، فإن كلمك أحد غيره أومأت إليه بيدك إعظامًا وإجلالاً، وتقف بين يدي في صلاتك وقلبك لاه تلتفت يمينًا وشمالاً، أفمن الإنصاف هذا ترضى لي بما لا ترضى لعبدي، وأنا العزيز الحكيم.

وروى أبو إسحاق إسماعيل بن عمرو السمرقندي بإسناده عن سلمان الفارسي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يستحيي أن يمد العبد يديه فيسأله فيردهما خائبتين**»[١].

وأنشد أبو الفرج بن الجوزي:

إذا كثرت منك الذنوب فداؤها	برفع يد في الليل والليل مظلم
ولا تقنط[٢] من رحمة الله إنما	قنوطك منها من خطاياك أعظم
فرحمته للمحسنين كرامة	وغفرانه للمسرفين تكرم

وروى أبو سعيد رحمه الله بإسناده عن ثوبان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**»[٣].

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا بإسناده، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا ينفع حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء ينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة**»[٤].

وعن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه ﷻ قال[٥]: «**أربع خصال يا ابن آدم، واحدة لي وواحدة لك، وواحدة فيما بيني وبينك، وواحدة فيما بينك وبين عبادي، فأما التي لي: فتعبدني لا تشرك بي شيئًا، وأما التي لك: فما عملت من خير جازيتك، وأما التي بيني وبينك: فمنك الدعاء وعليَّ الإجابة، وأما التي بينك وبين عبادي:**

---

(١) أخرجه: القضاعي في مسند الشهاب (١١١٠، ١١١١).

(٢) قنط قنوطًا: يئس أشد اليأس، فهو قانط وقنوط، وفي القرآن ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾، وأقنطه: أيأسه.

(٣) أخرجه: الترمذي (٢١٣٩) كتاب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، عن سلمان. وعن ثوبان: أخرجه: ابن ماجه (٩٠) في المقدمة ١٠-باب في القدر، وابن حبان في صحيحه (٨٧٢-الإحسان) والحاكم في مستدركه (١/ ٤٩٣) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه: الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٩)، وابن حجر في التلخيص (٤/ ١٢١)، وأيضًا في المطالب العالية (٣٣٥٨).

(٥) أخرجه: ابن حبان في الثقات (١/ ٣٧٢)، وابن حجر في المطالب العالية (٨٢٨٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٥١).

فارض لهم ما ترضى لنفسك)).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ [(١)]: ((والذي نفسي بيده إن العبد ليدعو الله عز وجل وهو عليه غضبان فيعرض عنه، ثم يدعوه فيقول لملائكته: أبى عبدي أن يدعو غيري، يدعوني فأعرض عنه، أشهدكم يا ملائكتي أني قد استجبت له)).

وفي «المستدرك» على «الصحيحين» للحاكم أبي عبد الله [(٢)]: عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((إن لله تعالى ملكًا موكلاً بمن يقول: يا أرحم الراحمين، فمن قالها ثلاثًا قال له الملك : إنه أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل)).

وفي الخبر: ((إذا قال العبد: يا كريم، يقول الله تعالى: عبدي ماذا رأيت من كرمي، وأنت في السجن أسير تذكر في الجنة)).

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: ((إذا أذنب عبدي ذنبًا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال الله تعالى: أذنب عبدي ذنبًا علم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء)) [(٣)].

قال أبو زكريا النووي رحمه الله تعالى: وقوله: ((فليفعل ما شاء))، أي: ما دام يفعل كذا يذنب ويتوب أغفر له، فإن التوبة تهدم ما قبلها [(٤)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: ((من دعى بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما يغفر له بها ذنبًا قد سلف، وإما أن يعجلها له في الدنيا، إما أن يدخرها له في الآخرة)).

---

(١) أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٢٠٨).

(٢) أخرجه: الحاكم في المستدرك (١/ ٥٤٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٨٦)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٤١).

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه (٧٥٠٧) كتاب التوحيد ٣٥-باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾. ومسلم (٢٩-٢٧٥٨) كتاب التوبة، ٥-باب قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة. والنسائي (٤١٩) في عمل اليوم والليلة، وابن السني (ص٣٩٢) في عمل اليوم والليلة.

(٤) قال النووي: التوبة لها ثلاثة أركان: الإقلاع والندم على فعل تلك المعصية والعزم على ألا يعود إليها أبداً فإن كانت المعصية لحق آدمي فلها ركن رابع وهو التحلل من صاحب ذلك الحق وأصلها الندم وهو ركنها الأعظم واتفقوا على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة وأنها واجبة على الفور لا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة والتوبة من مهمات الإسلام وقواعده المتأكدة ووجوبها عند أهل السنة بالشرع وعند المعتزلة بالعقل ولا يجب على الله قبولها إذا وجدت بشروطها عقلاً عند أهل السنة لكنه سبحانه وتعالى يقبلها كرمًا وفضلاً. النووي في شرح مسلم (١٧/ ٥٠).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي**»[١]. رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى.

وفي رواية لمسلم: «**لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل**»، قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: «**يقول: قد دعوت فلم أر يستجاب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء**»[٢].

وعن أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي. يا ابن آدم لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لآتيتك بقرابها مغفرة**»[٣]. رواه الترمذي، وقال : حديث حسن.

قال النووي: «عنان السماء»: بفتح العين، قيل: هو السحاب. و«قراب الأرض» -بضم القاف، وقيل بكسرها والضم أصح وأشهر-: وهو ما يقارب ملئها.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**»[٤].

وفي رواية لمسلم رحمه الله تعالى: «**ينزل ربنا سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر**»[٥].

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٣٤٠) في الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، ومسلم (٩٠-٢٧٣٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة، وأبو داود (١٤٨٤)، والترمذي (٣٣٨٧) في الدعوات، باب ما جاء فيمن يستعجل في دعائه، وابن ماجه (٣٨٥٣)، ومالك في الموطأ (١/ ٢١٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٥٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٩٠).

(٢) أخرجه: مسلم (٩٢-٢٧٣٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ٢٥-باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل.

(٣) أخرجه: الترمذي في سننه (٣٥٤٠) كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، والدارمي في سننه (٢٧٩١)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٧٢)، والمنذري في الترغيب (٢/ ٤٦٧) والزبيدي في الإتحاف (٩/ ١٧٧).

(٤) أخرجه: البخاري في صحيحه (٦٣٢١) كتاب الدعوات، ١٤-باب الدعاء نصف الليل، ومسلم في صحيحه (١٦٨-٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٢٤-باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، والترمذي في سننه (٣٤٩٨) كتاب الدعوات. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٥) أخرجه: مسلم في صحيحه (١٦٩-٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٢٤-باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه.

وفي «صحيح مسلم»: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة»[١].

وقوله ﷺ : «ينزل ربنا» أي ينزل ملك بأمر ربنا يقال: قدم فلان، وقد قدم غلامه، وهذا كثير مشهور في كلام العرب[٢].

وأخرج النسائي، عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ يتمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا يقول: هل من داع يستجب له؟ هل من مستغفر يغفر له؟ هل من سائل يعطى؟»[٣]. وصححه أبو محمد عبد الحق.

قال القرطبي في تذكرته: وكل حديث اشتمل على ذكر الصوت أو النداء فهذا التأويل فيه، وإن ذلك من باب حذف المضاف.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ فأكثروا الدعاء»[٤]. رواه مسلم.

قال النووي رحمه الله تعالى: روى الإمام الشافعي في الأم بإسناده حديثًا مرسلاً أن رسول الله ﷺ قال: «اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش، وإقامة الصلاة، ونزول الغيث».

قال الشافعي رحمه الله: قد حفظت من غير واحد طلب الإجابة عند نزول الغيث وإقامة الصلاة.

---

(١) أخرجه: مسلم (١٦٦-٧٥٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٢٣-باب في الليل ساعة مستجاب فيه الدعاء، وأحمد في مسنده (٣/ ٣١٣).

(٢) قال النووي: هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء: أحدهما -وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين-: أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى ، وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق، وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق. والثاني: مذهب المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي عن مالك والأوزعي: أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين: أحدهما: تأويل مالك بن أنس وغيره، معناه: تنزل رحمته وأمره وملائكته، كما يقال: فعل السلطان كذا. إذا فعله أتباعه بأمره. والثاني: أنه على الاستعارة ومعناه: الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف والله أعلم. شرح مسلم للنووي (٦/ ٣٢، ٣٣).

(٣) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٢٢١)، والمنذري في الترغيب (٢/ ٤٨٩).

(٤) أخرجه: مسلم في صحيحه (٢١٥-٤٨٢) كتاب الصلاة، ٤٢-باب ما يقال في الركوع والسجود. وأبو داود في سننه (٨٧٥)، والنسائي (٢/ ٢٢٦-المجتبى) وأحمد في مسنده (٢/ ٢٤١).

قال صاحب «نخب الكنوز»: وللإجابة ساعات، وأنجح أوقات الدعاء: السحر[١]، قال الله تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، و﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ .

وقيل: لما قال بنو يعقوب لأبيهم: ﴿يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝٩٧ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ أنه أخر الدعاء إلى وقت السحر.

وقيل: إلى ليلة الجمعة، ويوم الجمعة، وقيل: إلى ليلة العاشر من الشهر بعد غيبوبة القمر.

وقيل: إن في كل يوم وليلة تسعين وقتًا تستجاب فيها الأدعية فمنها: عقيب الأذان، وعقيب قول الإمام ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، وقوله: «سمع الله لمن حمده»، وفي السحر، وفي التشهد الأخير من الصلوات، وقبل الظهر وعند الزوال، وبين المغرب والعشاء، وعند ختم القرآن[٢]، وفي الطواف، ووقت جلوس الإمام على المنبر، وفي ليلة القدر، ووقت نزول الغيث. ويروى: في كل ليلة وقت السحر. وقال تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ أي تشهده ملائكة الليل مع ملائكة النهار.

وقال علي كرم الله وجهه: عجبت لمن يهلك، والنجاة معه، قيل: يا أمير المؤمنين وما النجاة؟ قال: الاستغفار بالأسحار، ولأنه وقت يُلذ فيه السكون، وتُملأ بالنعاس العيون، ويغلب فيه الكسل، ولاسيما سحر الليلة الغراء واليوم الأزهر؛ فإنه ورد عنه ﷺ أنه قال: «**ينزل ربكم إلى سماء الدنيا في كل ليلة جمعة، وينادي أنا الملك الديان، هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟**». انتهى ما ذكره صاحب النخب.

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة**»[٣] رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن السني وغيرهم، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :

---

(١) وذلك في حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري (٧٤٩٤) وفيه: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له».

(٢) روى الترمذي (٢٩١٨) عن عمران بن حصين: أنه مر على قارئ يقرأ ثم سأل فاسترجع ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوام يسألون به الناس» وقال الترمذي: حديث حسن.

(٣) أخرجه: أبو داود (٥٢١) كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء بين الأذان والإقامة، والترمذي (٢١٢) في الصلاة، باب ما جاء في أن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة، والنسائي (٦٧) في عمل اليوم والليلة، وابن حبان في صحيحه (١٦٩٦-الإحسان) والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤١٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٩٠٩)، والشجري في أماليه (١/ ٢٣٥، ٢٤٢) والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٣٤٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٣٣).

«ثنتان لا تردان، أو قلّما تردان: الدعاء عند النداء وعند البأس، حين يلحم بعضهم بعضًا»[(١)].

قال النووي رحمه الله تعالى في بعض النسخ: «يلحم» بالحاء وفي بعضها بالجيم وكلاهما ظاهر.

وفي سنن أبي داود والترمذي والنسائي رحمهم الله عن فضالة بن عبيد ﷺ قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى ولم يصل على النبي ﷺ، فقال ﷺ: «عجَّل هذا»، ثم دعاه فقال له أو لغيره: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد ربه تعالى والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بما يشاء»[(٢)]. قال الترمذي: حديث صحيح.

وفي كتاب الترمذي عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: الدعاء معلق بين السماء والأرض، ولا يصعد منه شيء حتى يُصلى على النبي ﷺ.

وعن عليٍّ كرم الله وجهه عن النبي ﷺ بمعناه، وقال: «وعلى آل محمد».

وروي: أن الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي ﷺ.

وعن ابن مسعود ﷺ أنه قال: «إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئًا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل؛ فإنه أجدر أن ينجح»[(٣)].

وفي الحديث: «الدعاء بين الصلاتين لا يرد».

وفي حديث آخر: «كل دعاء محجوب دون السماء، فإذا جاءت الصلاة عليَّ صعد الدعاء»[(٤)].

قال النووي رحمه الله تعالى: أجمع العلماء على استحباب ابتداء الدعاء بالحمد لله تعالى والثناء عليه، ثم الصلاة على رسول الله ﷺ، وكذلك يختم الدعاء بهما.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كنت أصلي والنبي ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما جلست بدأت بالثناء على الله، ثم الصلاة على النبي ﷺ، ثم دعوت لنفسي، فقال النبي ﷺ: «سل تعطه»[(٥)].

---

(١) أخرجه: أبو داود (٢٥٤٠) كتاب الجهاد، باب الدعاء عند اللقاء، والحاكم في المستدرك (١/ ١٩٨) وابن حبان في صحيحه (١٧٢٠)، والمنذري في الترغيب (٣/ ١٨٩)، والطبراني في الكبير (٦/ ١٦٦)، والتبريزي في المشكاة (٦٧٣).

(٢) أخرجه: أبو داود (١٤٨١) في الصلاة، باب الدعاء، والترمذي (٣٤٧٧) كتاب الدعوات، والنسائي في السهو، باب التهجد والصلاة على النبي ﷺ، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٣٠)، وابن خزيمة في صحيحه (٧١٠).

(٣) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٥).

(٤) أخرجه: القاضي عياض في الشفا (٢/ ١٥٢) والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٠).

(٥) أخرجه: الترمذي (٥٩٣) في الصلاة، باب ما ذكر في الثناء على الله والصلاة على النبي ﷺ قبل الدعاء، وابن خزيمة في صحيحه (١١٥٦)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ١٤، ٤١).

وقال ابن عطاء رحمه الله: للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات، فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح، وأركانه: حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله تعالى، وقطعه عن الأسباب، وأجنحته: الصدق، ومواقيته: الأسحار، وأسبابه: الصلاة على محمد ﷺ.

وفي لفظ آخر: عن ابن عطاء رحمه الله: للدعاء أركان وأجنحة وأوقات وأسباب، فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته ارتفع، وإن وافق أوقاته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح.

فأركانه: حضور القلب مع الله تعالى والخشوع لله والحياء مع الله ورجاء كرم الله، وأجنحته: الصدق وأكل الحلال، وأوقاته: أوقات الفراغ والخلوة في الأسحار، وأسبابه: الصلاة على النبي ﷺ فإن الدعاء لا يرد إذا كان قبله وبعده الصلاة على النبي ﷺ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إن الله تبارك وتعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله عز وجل أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾. ثم ذكر الرجل أشعث أغبر يطيل السفر يمد يده إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام وملبسه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك»[1]. رواه مسلم.

وقال وهب بن منبه رحمه الله: بلغني أن موسى عليه الصلاة والسلام مر برجل قائم يدعو ويتضرع طويلاً، وهو ينظر إليه، فقال موسى عليه الصلاة والسلام: يا رب أما استجبت لعبدك. فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى لو أنه بكى حتى بلغت نفسه ورفع يده حتى بلغ عنان السماء ما استجبت له، قال: يا رب بم ذلك؟ قال: لأن في بطنه الحرام وعلى ظهره الحرام وفي بيته الحرام.

ومر إبراهيم بن أدهم رحمه الله بسوق البصرة، فاجتمع الناس إليه فقالوا: يا أبا إسحاق، ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء:

الأول: عرفتم الله تعالى فلم تؤدوا حقه.

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه (٦٥-١٠١٥) كتاب الزكاة، ١٩-باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، والترمذي في سننه (٢٩٨٩) كتاب تفسير القرآن، من سورة البقرة، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٢٨) وعبد الرزاق في مصنفه (٨٨٣٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٤٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٤٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ٨)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ١٢٨). قال النووي: قوله ﷺ «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا» قال القاضي: الطيب في صفه الله تعالى بمعنى المنزه عن النقائص، وهو بمعنى: القدوس. وأصل الطيب: الزكاة والطهارة والسلامة من الخبث. النووي في شرح مسلم (٧/ ٨٨).

والثاني: زعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺ وتركتم سنته.

والثالث: قرأتم القرآن فلم تعملوا به.

والرابع: أكلتم نعم الله تعالى، ولم تؤدوا شكرها.

والخامس: قلتم: «إن الشيطان عدوكم» ووافقتموه.

والسادس: قلتم: «إن الجنة حق» ولم تعملوا لها.

والسابع: قلتم: «إن النار حق» ولم تهربوا منها.

والثامن: قلتم: «إن الموت حق» ولم تستعدوا له.

والتاسع: انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم.

والعاشر: دفنتم موتاكم، ولم تعتبروا بهم.

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول: من أقر لله بإساءته جاد عليه بمغفرته، ومن لم يَمُنّ على الله تعالى بمعرفته بطاعته أوصله إلى جنته، ومن أخلص لله تعالى في دعوته من عليه بإجابته.

وقيل: إذا دعا العبد المذنب وقال: يا رب. أعرض عنه الرب تبارك وتعالى، فيقول ثانية: يا رب. فيعرض عنه، ثم يقول ثالثة: يا رب. فيعرض عنه، ثم يقول الرب ﷻ: قد استحييت من عبدي من كثرة ما يقول: «يا رب»، وأعرض عنه، لبيك عبدي ما حاجتك؟ سل ما شئت[١].

● أدعية الشيخ عبد العزيز الديريني:

إلهي لولا أنك بالفضل تجود ما كان عبدك إلى الذنب يعود، ولولا محبتك للغفران ما أمهلت من يبادرك بالعصيان، وأسبلت سترك على من أسبل ذيل النسيان، وقابلت إساءتنا منك بالإحسان، وأنشد يقول:

أستغفر الله مما كان من زللـــــي ... ومن ذنوبي وتفريطي وإصــــراري

يا رب هب لي ذنوبي يا كريم فقد ... أمسكت حبل الرجا يا خير غفاري

● مسألة:

قد تقدم أنه يستحب ابتداء الدعاء بالحمد لله والثناء عليه والصلاة على رسول الله

---

(١) قال النووي: إذا تاب من ذنب ثم ذكره هل يجب تجديد الندم؟ فيه خلاف لأصحابنا وغيرهم من أهل السنة. قال ابن الأنباري: يجب، وقال إمام الحرمين: لا يجب. وتصح التوبة من ذنب وإن كان مصراً على ذنب آخر، وإذا تاب توبة صحيحة بشروطها ثم عاود ذلك الذنب كتب عليه الذنب الثاني، ولم تبطل توبته، هذا مذهب أهل السنة في المسألتين، وخالفت المعتزلة فيهما، قال أصحابنا: ولو تكررت التوبة ومعاودة الذنب صحت، ثم توبة الكافر من كفره مقطوع بقبولها وما سواها من أنواع التوبة، هل قبولها مقطوع أم مظنون؟ فيه خلاف لأهل السنة، واختار إمام الحرمين أنه مظنون وهو الأصح. والله أعلم. النووي في شرح مسلم (١٧/ ٥٠) طبعة دار الكتب العلمية.

ﷺ، فليأت بالأفضل من ذلك فإنه أسرع للإجابة.

قال النووي رحمه الله: لو حلف إنسان ليحمدن الله تعالى بمجامع الحمد، ومنهم من قال: بأجل التحاميد، فطريقه في بر يمينه أن يقول: «الحمد لله حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده». ومعنى: «يوافي نعمه» أي: يلاقيها فتحصل معه، «ويكافئ»: بهمزة في آخره أي يساوي مزيد نعمه، ومعناه: يقوم بشكر ما زاد من النعم والإحسان.

قالوا: ولو حلف ليثنينَّ على الله تعالى أحسن الثناء، فطريق البر أن يقول: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

وروى الطبراني[1] بإسناده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في دبر كل صلاة: الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرًا، كان له من الأجر مثل السموات السبع والأرضين السبع وما فيهن، وما تحتهن، والجبال، وذلك أن الله ﷻ يقول: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾[مريم: ٩٠، ٩١] [2]».

فهذا من الأجر على هذا الكافر من الوزر، انتهى.

ويستحب أن يختم الداعي دعاءه بـ«آمين».

لما روي عن أبي مصبح المقرئ قال: كنا نجلس إلى أبي زهير النميري، وكان من الصحابة رضي الله عنهم، فيحدث بأحسن الحديث، فإذا دعا الرجل قال: اختمها يا فلان بـ«آمين». فإن «آمين» في الدعاء كالطابع على صحيفة.

وقال وهب بن منبه رحمه الله: «آمين» أربعة أحرف يخلق الله من كل حرف ملكًا يقول: اللهم اغفر لمن يقول: «آمين».

وقال حكيم بن جابر رحمه الله: إنه قال: «آمين» اسم من أسماء الله تعالى، وقال مجاهد وجبير رحمهما الله: اسم من أسماء الله ﷻ[3]، كما قال حكيم.

---

(١) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٣٦).

(٢) قال الضحاك: أي يتشققن فرقًا من عظمة الله، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ﴾ أي غضبًا له ﷻ ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ قال ابن العباس: هدمًا. وقال سعيد بن جبير: (هدًا) ينكسر بعضها على بعض متتابعات. تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٣).

(٣) يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها: «آمين» مثل يس، ويقال: «آمين» بالقصر أيضًا، ومعناه: اللهم استجب، وقال جويبر عن الضحاك ابن عباس قال: قلت: يا رسول الله ﷺ ما معنى «آمين»؟ قال: «رب افعل»، وقال الجوهري: معنى «آمين»: كذلك فليكن. وقال الترمذي معناه: لا تخيب رجاءنا. وقال الأكثرون: معناه: اللهم استجب لنا. وحكى القرطبي عن مجاهد وجعفر الصادق وهلال بن يساف: أن «آمين» اسم من أسماء الله تعالى. تفسير ابن كثير (١/ ٣١).

قال النووي رحمه الله: ومعناه -أي معنى «آمين»-: اللهم استجب. وقيل معناه: افعل، وقيل: اللهم أمِّنا بخير. وقيل: هو طابع الله تعالى على عباده، يدفع بهم الآفات. وقيل: هي درجة في الجنة يستحقها قائلها. وقيل: هو اسم عبراني معرب.

قال أبو بكر الوراق: هو قوة الدعاء واستنزال الرحمة، وقيل غير ذلك.

وفي «آمين» لغات؛ قال العلماء: أصحها «آمين» بالمد، وتخفيف الميم.

والثانية: بالقصر. وهاتان مشهورتان.

والثالثة: «آمين» بالإمالة مع المد، حكاها الواحدي عن الحسن والحسين بن المفضل .

قال: وتحقيق ذلك ما روي عن جعفر الصادق ﷺ قال: معناه: قاصدين نحوك وأنت أكرم من أن تخيب قاصداً. هذا كلام الواحدي رحمه الله.

وهذه الرابعة غريبة جداً، وقد عدَّها أهل اللغة في لحن العوام.

وقال جماعة من العلماء: من قالها في الصلاة بطلت، والمعتمد أنها لا تبطل؛ إذ معناها: قاصدين إليك. والله تعالى أعلم.



الباب الثالث والستون

في فضل أدعية خاصة وفي آخره دعاء الاستخارة

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال إذا أصبح: اللهم إني أصبحت منك في نعمة وعافية وستر، فأتمم نعمتك وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة، ثلاث مرات، وإذا أمسى، كان حقًا على الله تعالى أن يتم عليه» [١].

وعن معاذ رضي الله عنه قال[٢]: إن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ والله إني لأحبك»، ثم قال: «أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[٣]. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وعن علي رضي الله عنه قال: إن كاتبًا جاء فقال: إني عجزت عن كتابتي فأعني، قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ، لو كان عليك مثل جبل ثبير دينًا أداه الله تعالى عنك؟ قال: قل: «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك» [٤]. رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه رحمهم الله.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه كان إذا آوى إلى فراشه قال: «اللهم رب السموات ورب الأرضين ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، والظاهر فليس فوقك شيء والباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر»[٥].

---

(١) أخرجه: ابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٣)، وفي الأذكار النووية (٧٨).

(٢) أخرجه: أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (٣/ ٥٣-في المجتبى)، و(١٠٩) في عمل اليوم والليلة، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٧٣) وابن حبان في صحيحه (٢٠٢١) وقد صححه الحافظ ابن حجر. انظر الأذكار (١٥٩).

(٣) أخرجه: أبو داود كما تقدم وأخرجه أيضًا: الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٧٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٨٤، ٤٢٧)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢١٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٥٤).

(٤) أخرجه: الترمذي (٣٥٦٣) كتاب الدعوات، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٣٨) وصححه ووافقه الذهبي، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٦١٣)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣/ ٢٧١).

(٥) أخرجه: مسلم (٦١-٢٧١٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، وأبو داود (٥٠٥١) كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم، وابن ماجه في الدعاء، باب ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٥١) وأحمد في مسنده (٢/ ٤٠٤، ٥٣٦)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٥٧)، وابن حبان في صحيحه (٥٢٥، ١٢١٢ -الموارد).

وفي رواية أبي داود: عن أبي بكرة ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: ((دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت)) [١].

وفي كتاب ابن السني، عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أصابه هم أو حزن فليدع بهذه الكلمات: اللهم إني عبدك وابن أمتك في قبضتك، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن نور صدري وربيع قلبي وجلاء أحزاني وذهاب غمي))، فقال رجل من القوم: يا رسول الله إن المغبون لمن غبن هؤلاء الكلمات؟ فقال: ((أجل، فقولوهن وعلموهن، فإنه من قالهن التماسًا لما فيهن، أذهب الله حزنه وأحاله فرحة)) [٢].

وعن سعيد بن المسيب، عن معاذ بن جبل ﷺ قال: إن رسول ﷺ افتقده يوم الجمعة، فلما صلى أتاه معاذ ﷺ قال: ((ما لي لم أرك؟)) فقال: يا رسول الله، كان لفلان اليهودي عليَّ دين فخشيت إن خرجت أن يحبسني عنك، فقال ﷺ: ((يا معاذ ألا أعلمك كلمات، دعاء تدعو به، فلو كان عليك من الدين كذا وكذا لأداه الله عنك؟))، قال: بلى، قال: ((قل: ﴿ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٢٦] يا رحمن الدنيا ورحيمها، تعطي منها من تشاء، وتمنع منها ما تشاء، فارحمني رحمة تغنني عن عمن سواك)).

قال السمرقندي [٣] رحمه الله فيقال: إن هذا الدعاء لو دعا به أسير لفك أسره.

قوله: (منها) هكذا رأيته بإفراد الضمير، ويجوز عوده إلى الدنيا، ويجوز عوده إلى الآخرة، وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]. والذهب مؤنثة، تقول في تصغيرها: ذُهيبة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٩٠)كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح، وأحمد في مسنده (٥/ ٤٢) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٣٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ١١٤)، وابن أبى شيبة فى مصنفه (١٠/ ١٩٦).

(٢) أخرجه : الحاكم فى المستدرك (١/ ٥٠٩)،وابن حبان فى صحيحه (٩٧٢-الإحسان)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٩١، ٤٥٢)، وذكره الهيثمى في مجمع الزوائد (١٠/ ١٣٦) وأبو يعلى (٥٢٩٧).

(٣) أبو الليث السمرقندي نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي من أئمة الحنفية من الزهاد المتصوفة قال الذهبي في سير الإعلام: الإمام الفقيه المحدث الزاهد صاحب كتاب تنبيه الغافلين، توفي سنة (٣٧٥).

وفي سنن أبى داود، عن أبى سعيد الخدري ﷺ قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: أبو أمامة[١] ﷺ فقال: «يا أبا أمامة، ما لي أراك جالسًا في المسجد في غير وقت الصلاة؟» قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله، قال: «ألا أعلمك كلامًا إذا قلته أذهب الله همك وقضى دينك؟»، قال بلي، قال: «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال». قال: ففعلت، فأذهب الله عني الهم وقضى عني ديني[٢].

وفي كتاب ابن السني، عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت: دخل عليٌّ رسول الله ﷺ وقد خرج في أصبعى بثرة فقال: «عندك (ذريرة)[٣] فاجعليها عليك» وقال: «قولي: اللهم مصغر الكبير ومكبر الصغير صغر ما بي»، فطُفيت[٤].

وفي صحيح البخاري ومسلم رحمهما الله، عن عائشة رضى الله عنها: أن النبي ﷺ كان يعود بعض أهله فيمسح بيده اليمنى ثم يقول: «اللهم رب الناس أذهب البأس، اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاءك، شفاء لا يغادر سقمًا»[٥].

وفي صحيح البخاري رحمه الله: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى، قال: «اللهم رب الناس مذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقمًا»[٦].

قال النووي رحمه الله: معنى «لا يغادر»: أي لا يترك. و«البأس»: الشدة والمرض.

وفي كتاب الترمذى وابن ماجه عن عبد الله بن أبى أوفى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له حاجة إلى الله تعالى أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء، ثم ليصل ركعتين، ثم يثني على الله تعالى، وليصل علي النبي ﷺ ثم ليقل: لا إله إلا الله

---

(١) أبو أمامة البلوي الأنصاري الحارثي، صحابي له حديث، أخرج له: مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، اسمه إياس، وقيل: عبد الله بن ثعلبة، وقيل: ثعلبة بن عبد الله بن سهل. ترجمته: تهذيب التهذيب (١٢/ ١٣)، تقريب التهذيب (٢/ ٣٩٢)، الثقات (٣/ ٤٥١)، أسد الغابة (٦/ ١٧) الإصابة (٧/ ١٩)، التاريخ الكبير (٩/ ٣).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (١٥٥٥) كتاب الزكاة، باب في الاستعاذة.

(٣) كذا بالأصل.

(٤) أخرجه: ابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٢٩)، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٧٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٩٥)، والكحال في الأحكام النبوية (٢/ ١٤٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٠٧).

(٥) أخرجه: البخاري (٥٧٤٣) ٧٦-كتاب الطب، ٣٨-باب رقية النبي ﷺ في صحيحه (٤٦-٢١٩١) كتاب السلام، ١٩-باب استحباب رقية المريض. وعن أنس: أبو داود (٣٨٩٠) كتاب الطب، باب كيف الرقى؟ والترمذي (٩٧٣) كتاب الجنائز، باب ما جاء في التعوذ للمريض.

(٦) هو عن أنس في البخاري (٥٧٤٢) كتاب الطب ٣٨-باب رقية النبي ﷺ.

الحليم الكريم، سبحان الله ربّ العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، اللهم إني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، لا تدع لي ذنبًا إلا غفرته، ولا همًا إلا فرجته، ولا حاجة هي لك رضًا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين»[(١)].

قال الترمذى رحمه الله: في إسناده مقال، قال رحمه الله تعالى: ويستحب أن يدعو بدعاء الكرب: «اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

وفي كتابي الترمذى وابن ماجه، عن عثمان بن حنيف ﷺ قال: إن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله تعالى أن يعافني قال: «إن شئت دعوت وإن شئت صبرت؟ فهو خير لك»، قال: فادع. فأمره أن يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ﷺ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى، اللهم شفعه فيَّ»[(٢)]. قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

وهذا دعاء جبريل عليه السلام في كتاب «الإصابة» أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن عليًا ﷺ سأل النبي ﷺ شيئًا من الدنيا فقال: «والذي بعثني بالحق نبيًا ورسولاً يا علي ما عندي قليل ولا كثير، ولكني أعلمك شيئًا أتاني به جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد هذه هدية من الله عز وجل لم يعطها أحدًا من قبلك، وهي تسعة عشر حرفًا، لا يدعو بها ملهوف ولا مكروب ولا محزون (سرف ولا حرف)[(٣)] ولا عبد خاف سلطانًا إلا فرج الله عنه، أربعة منها مكتوبة على جبهة جبريل عليه السلام، وأربعة حول العرش، وأربعة حول الكرسي» قال: فكيف أدعو بها يا نبي الله؟ قال: «قل: يا عماد من لا عماد له، يا سند من لا سند له، يا حِرز من لا حِرز له، يا غياث من لا غياث له، يا كريم العفو، يا حسن الثنايا، يا عظيم الرجاء، يا عون الضعفاء، يا منقذ الفرقاء، يا منجي الهلكاء، يا محسن، يا مجمل، يا منعم، يا مفضل، أنت الذي سجد لك سواد الليل، ونور النهار، وضوء القمر، وشعاع الشمس، ودوي الماء، وحفيف الشجر، يا الله، لا شريك لك، يا رب يا رب. ثم

---

(١) أخرجه الترمذي (٤٧٩) في الصلاة، باب ما جاء في صلاة الحاجة، وابن ماجه (١٣٨٤) ٥-كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، ١٨٩-باب ما جاء في صلاة الحاجة، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٢٠)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٤٧٠)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٤٠).

(٢) أخرجه: الترمذي (٣٥٧٨) كتاب الدعوات، ١١٩-باب منه، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠) (ص ٢٠٤)، باب ذكر حديث عثمان بن حنيف، وابن ماجه (١٣٨٥) كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في صلاة الحاجة، والحاكم في المستدرك (١/ ٣١٣) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) كذا بالأصل.

تدعو بحاجتك فلا تقوم من مقامك حتى يستجاب لك)). وقال ﷺ : ((لا تعلموها السفهاء)).

قوله: «حفيف الشجر»، هو: ما يسمع عند هبوب الريح، وكذلك يقال: حفيف جناح الطائر.

وقيل: إن دعاء عيسى عليه الصلاة والسلام الذي كان يحيي به الموتى بإذن الله تعالى هو هذا الدعاء: (بسم الله وبالله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم يا أول، يا قديم، يا حق، يا دائم، يا قائم، يا فرد، يا وتر، يا أحد، يا صمد، يا حي، يا قيوم، يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا ذا الجلال، والإكرام، يا رب السموات والأرض وما بينهما، ورب العرش العظيم، يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، يا كافي، يا شافي، يا معافي، يا هادي، يا باري، يا عالم، يا صادق، يا كهيعص، يا رب الأرباب، يا سيد السادات، يا مالك الملوك، يا ولي الدنيا والآخرة.

اللهم أنت إله من في السموات والأرض، لا حكم فيها غيرك، قدرتك في الأرض كقدرتك في السماء، وسلطانك في الأرض كسلطانك في السماء، أسألك باسمك الكبير، ووجهك المنير العلي العظيم أن تصلي على محمد وعلى آل محمد الطيبين الطاهرين، وأن تفعل بنا ما أنت أهله).

وروي عن مقاتل بن سليمان[1] أنه قال: من أراد أن يفرج الله تعالى همه وغمه ويبشره بما يشتهي فليقرأ هذه الدعوات ثلاث أيام، كل يوم مائة مرة، فإن لم يكن كما أقول ويستجيب دعاؤه، فليلعن قبري: بسم الله الرحمن الرحيم، ما شاء الله كان، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يا قديم، يا وفي، يا خفي، يا قائم، يا دائم، يا فرد، يا أحد، يا صمد، يا وتر، يا حي، يا قيوم، برحمتك أستغيث.

وذكر الإمام العالم العلامة حجة الإسلام الغزالي رحمه الله في كتابه «وسائل الحاجات وآداب المناجيات»: إن من أصابه كرب أو دين يقول ما سمعه النبي ﷺ من رجل ساجد في الحرم وهو يقول في سجوده: ((يا حسن التجاوز، يا عظيم العفو عنا، يا من ليس له بد ولا لأحد عنه غنى، يا من مصير كل شيء إليه ورزق كل أحد عليه، يا من لا تغيره حروف

---

(١) مقاتل بن سليمان بن بشير، أبو الحسن الأزدي الخراساني، البلخي، صاحب تفسير المروزي، أخرج له أبو داود في المسائل، كذبوه وهجروه، ورمي بالتجسيم، توفي سنة (١٠٥). ترجمته: تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٧٩)، التقريب (٢/ ٢٧٢)، والتاريخ الكبير (٨/ ١٤)، وميزان الاعتدال (٤/ ١٧٣)، والجرح والتعديل (٨/ ١٦٣٠)، وسير الأعلام (٧/ ٢٠١)، والمجروحين (٣/ ١٤)، والثقات (١٧٨١).

الزمان (ولا ينكاده)[١] صنع كل شيء فان، يا من سطح الأرض على الهواء، وسد الهواء بالسماء، واختار الأسماء الحسنى، احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يضام، وارحمني برحمتك وقدرتك عليّ، لا أهلك و أنت رجائي يا ذا الجلال والإكرام، يا إلهي وسيدي ومولاي. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليمًا كثيراً».

فحركه رسول الله ﷺ وقال: «يا هذا ارفع رأسك، ممن سمعت هذا الدعاء؟»، فقال الرجل: اللهم ما سمعته من بشر رأته عيناي، غير أني كنت أطوف بالبيت فسمعت هاتفًا من خلفي وهو يدعو به، فسمعته أذناي ووعاه قلبي، فأردت أن أدعو بما سمعته.

فقال النبي ﷺ: «أخي الخضر[٢] ورب الكعبة، والذي نفسي بيده لو كتب لك ثواب ما دعوت به سبعون ألف ملك لم يبلغوا ثوابه، ولم يقدروا على كتابه، حتى كتب الله لك بيده، ما دعا به أحد إلا اهتدى، ولا مديون إلا قضي دينه، ولا مكروب إلا كشف الله كربه».

وفي صحيح البخاري: عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك (وأستقدرك بقدرتك)[٣]، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم؛ وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري -أو قال: عاجل أمري وآجله- فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري -أو قال: في عاجل أمري وأجله- فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان[٤]، ثم أرضني به»، قال: «ويسمي حاجته»[٥].

قال النووي رحمه الله تعالى: تستحب الاستخارة بالصلاة والدعاء المذكور، وتكون الصلاة ركعتين من النافلة، والظاهر أنها تحصل بركعتين من السنن الرواتب وبتحية المسجد

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) جاء ذكره في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ وكما دلت عليه الأحاديث الصحيحة.

(٣) في إحدى روايات النسائي «وأستهديك بقدرتك».

(٤) وفي رواية أخرى للنسائي: «واقدر لي الخير حيث كنت ثم أرضني بقضائك». وفي رواية للبخاري أيضًا: «ثم رضني به».

(٥) أخرجه: البخاري (١١٦٢) ١٩ - كتاب التهجد ٢٥ -باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، ورقم (٦٣٨٢) ٨- كتاب الدعوات ٥٠ -باب الدعاء عند الاستخارة. وأبو داود(١٥٣٨)كتاب الصلاة، باب في الاستخارة. والترمذي (٤٨٠) في الصلاة، باب ما جاء في صلاة الاستخارة، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٩٨)، وابن ماجه (١٣٨٣) ٥- كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء في صلاة الاستخارة، وابن حبان في صحيحه (٨٨٧-الإحسان).

وغيرها من النوافل، ويقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وفي الركعة الثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ولو تعذرت عليه الصلاة استخار بالدعاء، ويستحب افتتاح الدعاء المذكور وختمه بالحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

ثم إن الاستخارة مستحبة [1] في جميع الأمور كلها، صرح به هذا الحديث الصحيح.

وإذا استخار مضى بعدها لما يشرح له صدره. والله تعالى أعلم.

وفي كتاب ابن السنى: عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «يا أنس إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات، ثم انظر إلى ما سبق إليه قلبك، فإن الخير فيه».

قال النووي: وروى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ: قال: «إن لله تسعة وتسعون اسمًا، مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة» [2].

قال البخاري رحمه الله: «أحصاها» يعنى حفظها، ويؤيده: أن في رواية الصحيح: «من حفظهما دخل الجنة».

وقيل: معناه: من عرف معانيها وآمن بها .

وقيل: معناها: أطاقها بحسن الرعاية وبخلق ما يمكنه من العمل بمعانيها.

وذكر القرطبي في كتابه «المفهم»: إن الإحصاء على ثلاث مراتب:

أولها : العدد، ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ .

وثانيها: بمعنى الفهم، ومنه يقال: «رجل ذا حصاة» أي ذو لب وفهم، ومنه يسمى العقل: حصاة.

وثالثها: بمعنى الإطاقة على العمل والقوة، ومنه قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ أي تطيقوا العمل بذلك .

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على الترمذي: وعبد الرحمن بن أبي الموال ثقة، كما قال الترمذي، وحديثه صحيح، وقد أنكر عليه بعض العلماء هذا الحديث، ففي التهذيب : «قال أبو طالب عن أحمد : كان يروي حديثًا منكرًا عن جابر في الاستخارة ليس يرويه غيره» وفيه: قال ابن عدي: هو مستقيم الحديث، والذي أنكر عليه حديث الاستخارة، وقد روى حديث الاستخارة غير واحد من الصحابة، كما رواه ابن الموال. انتهى. هامش الترمذي (٢/ ٣٤٧)

(٢) أخرجه: البخاري (٣٧٣٦) كتاب الشروط، ١٨- باب ما يجوز من الاشتراط. وفي كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدة، وفي كتاب الدعوات باب لله مائة اسم غير واحد، ومسلم (٦) كتاب الذكر والدعاء، ٢-باب في أسماء الله تعالى، والترمذي (٣٥٠٦، ٣٥٠٧) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨٦٠) كتاب الدعوات ١٠- باب أسماء الله ﷻ.

والمرجو من كرم الله: أن من له إحصاء هذه الأسماء على إحدى هذه المراتب مع صحة النية أن يدخله الله الجنة(١).

لكن المرتبة الأولى هي مرتبة أصحابه.

والثانية: للسائلين.

والثالثة: للصديقين.

ويعنى بإطاقتها: حسن المراعاة لها والمحافظة على حدودها والاتصاف بقدر الممكن فيها.

روى الإمام أحمد بن الحسين بن علي البيهقى بإسناده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن لله تسعة وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة، وإنه وتر يحب الوتر))(٢).

وقوله ﷺ: ((مائة إلا واحد)) تأكيد لقوله: ((تسعة وتسعين اسمًا))، واحترازاً من تصحيف «تسعة» لسبعة، و«تسعين» لسبعين.

انتهى، والله تعالى أعلم بالصواب.

***

---

(١) قال النووي: وأما قوله: ((من أحصاها دخل الجنة)) فاختلفوا في المراد بإحصائها، فقال البخاري وغيره من المحققين: معناه حفظها، وهذا هو الأظهر؛ لأنه جاء مفسراً في الرواية الأخرى: ((من حفظها)). وقيل: (أحصاها) عدَّها في الدعاء بها، وقيل: أطاقها، أي أحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها، وقيل: معناه العمل بها والطاعة بكل أسمائها والإيمان بها لا يقتضي عملاً. وقال بعضهم: المراد حفظ القرآن وتلاوته كله لأنه مستوفٍ لها، وهو ضعيف، والصحيح الأول. شرح مسلم للنووي (٦/١٧).

(٢) أخرجه: مسلم (٥-(٢٦٧٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة ٢-باب في أسماء الله تعالى وفضل من احصاها. قال النووي: الوتر: الفرد ومعناه في حق الله تعالى: الواحد الذي لا شريك له ولا نظير، ومعنى: «يحب الوتر» تفضيل الوتر في الأعمال وكثير من الطاعات فجعل الصلاة خمسًا والطهارة ثلاثًا، والطواف سبعًا، والسعي سبعًا، ورمي الجمار سبعًا، وأيام التشريق ثلاثًا والاستنجاء ثلاثًا، وكذا الأكفان. شرح مسلم للنووي (٦/١٧).

الباب الرابع والستون

في الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر

قال الله تبارك وتعالي: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الشورى:٢٨]. وقوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

وعن علي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ((**أفضل أعمال أمتي انتظارها فرج الله**)).

وفي مسلم[١] عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول ﷺ دعا فاطمة ابنته فسارَّها، فبكت، ثم سارها فضحكت، فقالت عائشة: فقلت لفاطمة: ما هذا الذي سارك به رسول الله ﷺ فبكيت، ثم سارك فضحكت؟ قالت: سارنى فأخبرني بموته، فبكيت، ثم سارنى فأخبرني أني أول من يتبعه من أهله، فضحكت[٢].

وفي رواية لمسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كن أزواج النبي ﷺ عنده، لم يغادر منهن واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي، ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئًا، فلما رآها رحّب بها فقال: ((مرحبًا بابنتي)) ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارَّها فبكت بكاء شديداً، فلما رآها جزعة سارَّها الثانية فضحكت. فقلت لها: خصك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسرار، ثم أنت تبكين؟ فلما قام رسول الله ﷺ سألتها: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما كنت أفشي على رسول الله ﷺ سره، قالت: فلما توفي رسول الله ﷺ قلت: عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما حدثتنى ما قال لك رسول الله ﷺ؟[٣]

فقالت: أما الآن، فنعم، أما حين سارنى في المرة الأولي: فأخبرنى أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، وإنه عارضه الآن مرتين ((**وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإنه نعم السلف أنا لك**)) قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت فلما رأى جزعي سارنى الثانية فقال: ((**يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين،**

---

(١) والحديث أخرجه: البخاري (٣٦٢٣، ٣٦٢٤، ٣٦٢٥) كتاب المناقب، ٢٥-باب علامات النبوة في الإسلام.

(٢) أخرجه: مسلم (٩٧-٢٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة،١٥- فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام.

(٣) قال النووي: هذه معجزة ظاهرة له ﷺ بل معجزتان فأخبر ببقائها بعده وبأنها أول أهله لحاقًا به ووقع كذلك: «وضحكت سروراً بسرعة لحاقها»، وفيه إيثارهم الآخرة وسرورهم بالانتقال إليها والخلاص من الدنيا. شرح مسلم للنوي (١٦/ ٥) طبعة دار الكتب العلمية.

أو سيدة نساء هذه الأمة؟» قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت[١].

وفي رواية أخرى لمسلم أيضًا[٢]: عن عائشة رضي الله عنها قالت: اجتمع نساء النبي ﷺ، فلم يغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال: «مرحبًا بابنتي» فأجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم إنه أسر إليها حديثًا فبكت فاطمة، ثم إنه سارها فضحكت أيضًا، فقلت لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول ﷺ، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن، فقلت لها حين بكت: أخصك رسول الله بحديثه دوننا ثم تبكين؟وسألتها عما قال. فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ.

حتى إذا قبض سألتها فقالت: إنه كان حدثني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وإنه عارضه به في العام مرتين، «ولا أراني إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهلي لحوقًا بي[٣]، ونعم السلف أنا لك» فبكيت لذلك، ثم إنه سارني فقال: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء أهل هذه الأمة؟» فضحكت لذلك[٤].

وفي صحيح البخاري رحمه الله تعالى: عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: خرجنا مع رسول الله في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي، فأقام رسول ﷺ على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؛ أقامت برسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟ فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء، وليس معهم ماء.

فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي[٥]، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي.

فقام رسول الله حين أصبح على غير ماء فأنزل الله آيه التيمم، ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾.

---

(١) أخرجه: مسلم (٩٨-٢٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة، ١٥-باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام.

(٢) أخرجه: مسلم (٩٨-٢٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة، ١٥-باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام.

(٣) روى البخاري في صحيحه (٣٦٢٦) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، وفيه (فقالت: سارني النبي ﷺ فأخبرني أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ثم سارني فأخبرني أني أول أهل بيته أتبعه فضحكت).

(٤) آخره: أخرجه: البخاري (٣٦٢٤) كتاب المناقب ٢٥-باب علامات النبوة في الإسلام، ولفظه (فقالت: أسر إلي: «إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حاضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحاقًا بي» فبكيت فقال: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين» فضحكت لذلك).

(٥) قال النووي: فيه تأديب الرجل ولده بالقول والفعل والضرب ونحوه، وفيه تأديب الرجل ابنته وإن كانت كبيرة متزوجة خارجة عن بيته. وقولها: يطعن: هو بضم العين وحكي فتحها، وفي الطعن في المعاني عكسه. النووي في شرح مسلم (٤/ ٥٢) طبعة دار الكتب العلمية.

فقال أسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر .

قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فأصبنا العقد تحته»[(١)].

وفي رواية أخرى للبخاري، عن عائشة رضى الله عنها قالت: سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة، فأناخ النبي ﷺ ونزل، فثنى رأسه في حجري راقداً، وأقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة وقال: حبست الناس في قلادة، فَبِي الموت لمكان رسول الله ﷺ، وقد أوجعني، ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح، فالتُمس الماءُ فلم يوجد، فنزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية.

فقال أسيد بن حضير[(٢)]: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا بركة لهم[(٣)].

وفي صحيح البخاري: عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله تعالى مما قالوا.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه[(٤)]، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه.

قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما نزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين، آذن ليلة بالرحيل.

---

(١) أخرجه: البخاري (٣٣٤) كتاب التيمم، ١-باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾، والبخاري أيضاً (٤٦٠٧) كتاب التفسير، سورة المائدة، ومسلم (١٠٨-٣٦٧) كتاب الحيض، ٢٨-باب التيمم.

(٢) أسيد بن الحضير بن سماك الأوسي الأشهلي الأنصاري، أبو يحيى، وقيل: أبو عتيك، وقيل غير ذلك، أحد النقباء ليلة العقبة، وكان أبوه رئيس الأوس يوم بعاث فقتل يومئذ، وكان أسيد بعد أبيه شريفاً في قومه، وفي الإسلام يعد من عقلائها وذوي رأيهم، توفي سنة (٢٠) هـ. انظر تاريخ الإسلام وفيات سنة (٢٠).

(٣) أخرجه: البخاري (٤٦٠٨) كتاب تفسير القرآن ٣-باب قوله: فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً.

(٤) قال النووي في شرح مسلم: هذا دليل لمالك والشافعي وأحمد وجماهير العلماء في العمل بالقرعة في القسم بين الزوجات وفي العتق والوصايا والقسمة ونحو ذلك، وقد جاء فيها أحاديث كثيرة في الصحيح مشهورة.

قال أبو عبيد: عمل بها ثلاثة من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يونس وذكريا ومحمد ﷺ، قال: ولا معنى لقول من ردها، والمشهور عن أبي حنيفة إبطالها وحكي عنه إجازة، قال ابن المنذر وغيره: القياس تركها لكن عملنا بها للآثار. وفيه القرعة بين النساء عند إرادة السفر ببعضهن ولا يجوز أخذ بعضهن بغير قرعة هذا مذهبنا، وبه قال أبو حنيفة وآخرون وهو رواية عن مالك، وعنه رواية أن له السفر بمن شاء منهن بلا قرعة لأنها قد تكون أنفع له في طريقه، والأخرى أنفع له في بيته وماله. انظر النووي في شرح مسلم(١٧/ ٨٦) طبعة دار الكتب العلمية.

فقمت حيث آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافًا لم يثقلهن اللحم، إنما نأكل العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثه السن فبعثوا الجمل وساروا.

فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب، فأممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليَّ. فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت. وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأدلج فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، والله ما كلمني كلمة واحدة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين[١] في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك: عبد الله بن أبيّ بن سلول، فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرًا، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ رسول ﷺ فيسلّم ثم يقول: «كيف تيكم؟»، ثم ينصرف، فذاك الذي يريبني، ولا أشعر بالشر، حتى خرجت بعدما نقهت، فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع، وهو متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبًا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا.

فانطلقت أنا وأم مسطح ، وهي ابنه أبي رهم بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي قد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدرًا؟! قالت: أي هنتاه، أو لم تسمعي ما قال؟ قالت: قلت: وما قال؟ قالت: فأخبرتنى بقول أهل الإفك، فازددت مرضًا على مرضي،: فلما رجعت إلى بيتي ودخل عليّ رسول الله ﷺ ، تعني سلَّم، ثم قال: «كيف تيكم؟» فقلت: أتأذن لي أن آتى أبوي، قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ،

---

(١) أي داخلين في شدة الحر.

فجئت أبوي، فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة[١] عند رجل يحبّها ولها ضرائر[٢] إلا كثرن عليها.

قالت: فقلت: سبحان الله، ولقد تحدث الناس بهذا؟! قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، حتى أصبحت أبكي، فدعا رسول الله ﷺ عليَّ ابن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي، يستأمرهما في فراق أهله.

قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود، فقال: يا رسول الله، أهلك وما نعلم إلا خيراً.

وأما علي ابن أبي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيّق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك[٣].

قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: «أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟» قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمراً أغمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله.

فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول، قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيرًا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي».

فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله، أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

فقام سعد بن عبادة[٤] وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحًا، ولكن احتملته الحمية فقال لسعد: كذبت، لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن

---

(١) الوضيئة -مهموزة ممدودة-: هي الجميلة الحسنة، والوضاءة: الحسن.

(٢) الضرائر: جمع ضرة، وزوجات الرجل ضرائر؛ لأن كل واحدة تتضرر بالأخرى بالغيرة والقسم وغيره.

(٣) قال النووي: هذا الذي قاله علي رضي الله عنه هو الصواب في حقه لأنه رآه مصلحة ونصيحة للنبي ﷺ في اعتقاده ولم يكن ذلك في نفس الأمر لأنه رأى انزعاج النبي ﷺ بهذا الأمر وتقلقه فأراد راحة خاطره وكان ذلك أهم من غيره. النووي في شرح مسلم (١٧/ ٩٠).

(٤) سعد بن عبادة سيد الخزرج توفي سنة ثلاث عشرة في قول، ويشهد ما قال أبو صالح السمان وابن سيرين وغيرهما: إن سعد أقسم ماله وخرج إلى الشام فمات وولد له بعد موته، فجاء أبو بكر وعمر إلى ابنه قيس فقالا: إن سعداً يرحمه الله توفي وإنا نرى أن تردوا على هذا الولد فقال: ما أنا بمغير شيئًا صنعه سعد ولكن نصيبي له. تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (١٣).

حضير وهو ابن عم سعد، فقال لسعد بن عباده: كذبت لعمر الله، لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتثاور الحيان: الأوس والخزرج، حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم.

قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويومًا، لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع، يظنان أن البكاء فالق كبدي.

قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، فاستأذنت عليَّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي.

قالت: فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني.

قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: «أما بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه».

قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أُحسُّ منه قطرة، فقلت لأبي: أَجِبْ[1] رسول الله ﷺ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ.

قالت: فقلت وأنا جارية حديثة السن[2] لا أقرأ كثيراً من القرآن: إني والله لقد علمت، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة، والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني منه

---

(١) قال النووي: قولها لأبويها: «أجيبا عني» فيه تفويض الكلام إلى الكبار لأنهم أعرف بمقاصده واللائق بالمواطن منه، أبواها يعرفان حالها، وأما قول أبويها: لا ندري ما نقول؟ فمعناه أن الأمر الذي سألها عنه لا يقفان منه على زائدة على ما عند رسول الله ﷺ قبل نزول الوحي من حسن الظن بها، والسرائر إلى الله تعالى. النووي في شرح مسلم (١٧/ ٩٣).

(٢) قال النووي: اعلم أن في حديث الإفك فوائك كثيرة، ثم ساق البخاري أربعًا وخمسين فائدة، نذكر بعضها، منها: جواز الإقراع بين النساء، وجواز ركوب النساء في الهوادج، وجواز خدمة الرجال لهن في تلك الأسفار، وجواز لبس النساء القلائد في السفر كالحضر، إعانة الملهوف وعون المنقطع وإنقاذ الضائع وإكرام ذوي الأقدار كما فعل صفوان، وحسن الأدب مع الأجنبيات لا سيما في الخلوة، وتغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي، ويستحب للمرأة إذا أرادت الخروج لحاجة أن تكون معها رفيقة، وفضيلة أهل بدر، ولا تذهب الزوجة إلى بيت أبيها إلا بإذن زوجها، واستحباب مشاورة الرجل بطانته وأهله، وخطبة الإمام عند نزول أمر مهم، واشتكاء ولي الأمر من تعرض له بأذى في نفسه أو أهله، وبراءة عائشة رضي الله عنها من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز، والعفو والصفح عن المسيء... إلى آخره. مختصراً من شرح مسلم للنووي (١٧/ ٩٧ــ١٠٠)، ط. دار الكتب العلمية.

بريئة لتصدقني، والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨].

قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله يبرئني ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيًا يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها.

قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق، وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي ينزل عليه .

قالت: فلما سُرِّي عن رسول الله ﷺ سُري عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: «يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك»، فقالت أمي: قومي إليه، قالت: فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله عز وجل، وأنزل الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ الآيات العشر كلها.

فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه -وكان ينفق على مسطح بن أثاثه لقرابته منه وفقره-: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قال أبو بكر: بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب ابنة جحش عن أمري فقال: «يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟» فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيراً، وقالت: وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله ﷺ، فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك[1].

وروى البخاري رحمه الله في رواية: قال ابن شهاب: الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط : ثم قال عروة: قالت عائشة رضي الله عنها: والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل

---

(١) أخرجه: البخاري (٤٧٥٠) كتاب تفسير القرآن ، ٦- باب ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ إلى قوله : ﴿ٱلْكَٰذِبُونَ﴾، ومسلم (٥٦-٢٧٧٠) كتاب التوبة، ١٠-باب في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف.

ليقول: سبحان الله، فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كنَفَ أنثى قط.

قالت: ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله[١].

وفي صحيح البخاري[٢] رحمه الله تعالى عن مسروق رحمه الله تعالى قال: دخلنا على عائشة وعندها حسان بن ثابت رضي الله عنها ينشدها شعراً بأبيات وهو يقول:

حصان رزان ما تُزنُّ بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت عائشة رضي الله عنها: لكنك لست كذلك.

قال مسروق: فقلت لها: لم تأذنين له أن يدخل عليك وقد أنزل الله: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾؟ فقالت: وأي عذاب أشد من العمى.

قالت له: إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله ﷺ.

بعد هذا البيت الذي ذكره البخاري من قول حسان بن ثابت، وفي المعنى:

حليلة خير الناس ديناً ومنصباً ... نبي الهدى والمكرمات الفواضل

عقيلة حي من لؤي بن غالب ... كرام المساعي مجدهم غير زائل

مهذبة قد طيب الله خيمها ... وطهرها من كل سوء[٣] وباطل

فإن كان ما قد جاءني فيه قلته[٤] ... فلا رفعت سوطي إلى أناملي

وإن الذي قد قيل ليس بلائق[٥] ... بك الدهر بل قيل امرئ متماحل

فكيف وودي ما حييت ونصرتي ... لآل رسول الله زين المحافل

له رُتب عال على الناس فضلها ... تقاصر عنها سورة المتطاول[٦]

قال الثعلبي رحمه الله: واختلف المفسرون في المعنى بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فقال قوم: هو حسان بن ثابت[٧].

---

(١) انظر ما جاء في حديث البخاري (٤٧٥٧) كتاب القرآن، سورة النور.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٥٥) كتاب التفسير، ١٠-باب قوله: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾ الآية، ورقم(٤٧٥٦) في التفسير، ١١- ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

(٣) بالأصل: «من كل شين» ونقلناها من تاريخ الإسلام للذهبي.

(٤) في تاريخ الإسلام: فإن كنت أهجوكم كما بلّغوكم.

(٥) بالأصل «بلائط» وأظن الصحيح ما أثبتناه من تاريخ الإسلام للذهبي في السيرة العطرة.

(٦) بتاريخ الإسلام:

وإن لهم عزاً يرى الناس دونه ... قصاراً وطال العز كل التطاول

(٧) روي مسلم في صحيحه [١٥٧-(٢٤٩٠)] كتاب فضائل الصحابة به،٣٤ -فضائل حسان بن ثابت ﷺ، وفي آخره: قال حسان:

=

روى داود بن أبي هند عن عامر الشعبي: أن عائشة رضي الله عنها قالت: ما سمعت أحسن من شعر حسان وما تمثلت به إلا رجوت له الجنة؛ قوله لأبي سفيان:

هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

أتشتمه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

لساني صارم لا عيب فيه ... وتجرى ما يكدره الدلاء

فقيل: يا أم المؤمنين أليس الله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؟ قالت: قد أصابه عذاب عظيم، أليس قد ذهب بصره وكتع بالسيف.

وروى أبو الضحى عن مسروق رحمه الله قال: كنت عند عائشة رضي الله عنها فدخل حسان بن ثابت ﷺ فأمرت فألقي له وسادة، فلما خرج قلت لعائشة رضي الله عنها: تدعين هذا الرجل يدخل عليك، وقد قال ما قال وأنزل فيه ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؟!

قالت: وأي عذاب أشد من العمى، ولعل الله يجعل ذلك العذاب الأليم ذهاب بصره[1]. وقالت: إنه كان يدفع عن رسول الله ﷺ.

=

هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

هجوت محمداً براً تقياً ... رسول الله شيمته الوفاء

فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

ثكلت بنيتي إن لم تروها ... تثير النقع من كنفي كداء

يبارين الأعنة مصعدات ... على أكتافها الأسل الظماء

تظل جيادنا متمطرات ... تلطمهن بالخمر النساء

فإن أعرضتموا عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطاء

وإلا فاصبروا لضراب يوم ... يعز الله فيه من يشاء

وقال الله قد أرسلت عبداً ... يقول الحق ليس به جفاء

ويقول الله قد يسرت جنداً ... هم الأنصار عرضتها اللقاء

لنا في كل يوم من معد ... سباب أو قتال أو هجاء

فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء

وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاء

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٤٧٥٥) كتاب تفسير القرآن، ١٠- باب قوله: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾الآية، وفيه «جاء حسان يستأذن عليها، قلت: أتأذنين لهذا؟، قلت: أو ليس قد أصابه عذاب عظيم؟! قال سفيان: تعني ذهاب بصره..... » الحديث.

وقال آخرون: بل هو عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه[١].

وروى ابن أبي ملكية عن عائشة رضي الله عنها قالت في حديث الإفك: ثم ركبت فأخذ صفوان بالزمام فمررنا بملأ من المنافقين -وكانت عادتهم أن ينزلوا منتبذين من الناس-، فقال عبد الله بن أبي رئيسهم: من هذه؟ قالوا: عائشة، قال: والله ما نجت منه ولا نجا منها. وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت، ثم يقودها.

وشرع في ذلك أيضًا حسان ومسطح وحمنة، فهم الذين تولوا كبرهُ منهم، ثم فشا ذلك في الناس.

قال البغوي رحمه الله في تفسير سورة النور: إن عائشة رضى الله كانت تفتخر بأشياء أعطتها لم تُعطها امرأة غيرها؛ منها: أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ بصورتها بسَرقَةٍ من حرير وقال: هذه زوجتك[٢]. وروي: أنه أتى بصورتها رضي الله عنها في راحته. وأن النبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها. وقبض رسول ﷺ ورأسه في حجرها[٣]. ودفن ﷺ في بيتها. وكان ينزل الوحي عليه وهو ﷺ معها في لحاف. ونزلت براءتها رضي الله عنها من السماء. وإنها ابنه خليفة رسول الله وصديقه. وخُلقت من طينته. ووعدت مغفرة -وهو العفو عن الذنب- ورزقًا كريماَ وهو الجنة.

وكان مسروق رحمه الله إذا روى عن عائشة رضي الله عنها قال: حدثتني الصدّيقة بنت الصدّيق، حبيبة رسول الله ﷺ المبرأة من السماء[٤].

---

(١) قال الذهبي في تاريخ الإسلام في السيرة العطرة: مرض عبد الله بن أبي بن سلول في أواخر شوال، ومات في ذي القعدة، وكان مرضه عشرين ليلة..... إلى آخر كلامه . وأخرج البخاري في صحيحه(٤٦٧٠)كتاب تفسير القرآن سورة براءة ١٢- باب قوله : ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ . وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: ((لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبدالله بن عبدالله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه، فقال رسول الله ﷺ : «إنما أخبرني الله فقال:﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم.......﴾» الحديث بطوله)).

(٢) رواه مسلم في صحيحه [٧٩-(٢٤٣٨)] كتاب فضائل الصحابة، ١٣- في فضل عائشة رضي الله عنها.

(٣) روى مسلم في صحيحه [٨٤- (٢٤٤٣)] كتاب فضائل الصحابة، ١٣-باب في فضل عائشة رضي الله عنها عن عائشة قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليتفقد يقول: ((أين أنا اليوم؟، أين أنا غدًا؟))، استبطاء ليوم عائشة قالت: فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري. قال النووي: السحر -بفتح السين المهملة وضمها وإسكان الحاء-: وهي الرئة وما تعلق بها. قال القاضي: وقيل: إنما هي شجري بالشين المعجمة والجيم وشبك هذا القائل أصابعه وأومأ إلى أنها ضمته إلى نحرها مشبكة يديها عليه، والصواب المعروف هو الأول. النووي في شرح مسلم (١٥/ ١٦٨).

(٤) قال الذهبي في تاريخ الإسلام وفيات سنة(٥١-٦٠) بسنده عن علي بن الأقمر قال: كان مسروق إذا حدث عن عائشة رضي الله عنها قال: حدثني الصديقة بنت الصديق، حبيبة حبيب الله المبرأة من فوق سبع سموات فلم أكذبها.

وفي «صحيح البخاري»: عن زيد بن أسلم، عن أبيه ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء، فلم يُجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يُجبه، ثم سأله فلم يُجبه، فقال عمر بن الخطاب: ثكلت أم عمر نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يُجيبُك.

قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل فيَّ القرآن، فما نشبتُ أن سمعت صارخًا يصرخ بي، فقلت: لقد خشيتُ أن يكون نزل فيَّ قرآن، فجئت رسول الله ﷺ فسلَّمت عليه. فقال: «لقد أُنزلت عليَّ الليلة سورةُ لَهيَ أحبُّ إلي مما طلعت عليه الشمس». ثم قرأ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[1].

● لطيفة.

يروى عن يحيى بن سليمان[2]: أنه بلغه أن ملك الموت عليه السلام استأذن ربه عز وجل أن يسلّم على يعقوب عليه الصلاة والسلام، فأذن له، فأتاه فسلّم عليه، فقال له يعقوب عليه السلام: بالذي خلقك هل قبضت روح يوسف؟ فقال: لا، فقال له ملك الموت عليه السلام: يا يعقوب ألا أُعلمكَ كلمات لا تسأل الله بها شيئًا إلا أعطاك؟ قال: بلى، قل: يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ولا يحصيه أحد غيره. قال: فما طلع الفجر حتى أُتي بقميص يوسف عليه السلام.

● فائدة.

روى الإمام أبو نصر محمد بن عبد الله بن أحمد الواحدي الأغنامي، عن شيخه في حديث أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، صاحب التفاسير، في تفسير قول الله عز وجل: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾[يوسف: ٩٤][3]: إن ريح الصبا استأذنت ربها عز وجل أن تأتي يعقوب عليه السلام بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير، فأذن لها، فأتته بذلك، فلذلك يتراوح كل محزون بريح الصبا، وهي تأتي من ناحية المشرق، إذا هبَّت على الأبدان نعمتها ولبتها، وهيجت

---

(١) أخرجه: البخاري (٤٨٣٣) كتاب تفسير القرآن ١ - في باب ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٥٤)، والسيوطي في الدر المنثور(٦/ ٦٨). والإمام مالك في الموطأ (٢٠٤)، والربيع بن حبيب في مسنده (١/ ٧).

(٢) يحيى بن سليمان بن يحيى بن سعيد بن مسلم، أبو سعيد الجعفي الكوفي، المقرئ، صدوق يخطئ، أخرج له البخاري والترمذي، وصوابه يحيى بن تسليم الطائفي، توفي سنة (٢٣٧، ٢٣٨). التهذيب(١١/ ٢٢٧) التقريب(٢/ ٣٤٩)

(٣) قال عبدا لرزاق بسنده عن ابن عباس يقول: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ قال: لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف فقال: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ قال: فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام. وكذا رواه سفيان الثوري وشعبة وغيرهما عن ابن سنان به، وقال الحسن وابن جريج: كان بينهما ثمانون فرسخًا وكان بينه وبينه منذ افترقا ثمانون سنة. تفسير ابن كثير(٢/ ٥٠٣).

الأشواق إلى الأوطان والأحباب، وأنشد:

أيا جبلي نعمـــان بالله خليـــا ... نسيم الصبا يخلص إليّ نسيمـــها

فإن الصبا ريـــح إذا ما تبسمت ... على نفس مهموم تجلب همومها

قال البغوي في تفسيره: روي: أن ريح الصبا استأذنت ربها ﷻ في أن تأتي يعقوب عليه السلام بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير.

قال مجاهد: أصاب يعقوب ريح يوسف عليهما الصلاة والسلام من مسيرة ثلاثة أيام.

وحكي: عن ابن عباس رضى الله عنهما: من مسيرة ثلاثة ليال .

وقال الحسن البصري رحمه الله: كان بينهما ثمانون فرسخًا.

وقيل: هبت ريح فصفقت القميص، فاحتملت ريح القميص إلى يعقوب، فوجد ريح الجنة، فعلم أن ليس في الأرض من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص، فلذلك قال: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ أي: تُسفِّهون.

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: تُجّهلون. وقال الضحاك رحمه الله: تُهرمون، فتقولون: شيخ كبير قد خَرِف وذهب عقله[1]. وقيل: تضعفون .

وقال أبو عبيدة: تُضللون، وأصل الفند: الفساد.

ومكث يعقوب عليه السلام يدعو عشرين سنة وولده خلفه قيام يَدْعون، حتى علموا دعوات فدعا بها يعقوب عليه السلام في السَّحْر فتيب عليهم، وهي دعاء: يا رجاء المؤمنين لا تقطع رجائي، وغياث المستغيثين أغثني، ويا مانع المؤمنين امنعني، ويا مجيب التوابين تب عليَّ.

وحكي: أن بعض الملوك غضب على بعض الفقراء فبنى له قبة وجعله فيها، وسد بابها ولم يترك بابًا، ومنعه الطعام والشراب، فلما كان ثلاثة أيام وجد ذلك الفقير خارجًا في عافية طيبًا. فأخبر الملك بذلك، فقال: هاتوه.

فلما حضر بين يديه قال الملك: بالذي نجاك من هذه الشدة وفرج عنك هذه الكربة وأنقذك مما كنت فيه قل لي: ما سبب خلاصك؟[2].

فقال الفقير: دعاء دعوت به. قال: وما هو؟ قال: اللهم إني أسألك يا لطيف يا

---

(١) ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ تنسبوني إلى الفند والكبر، وقال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وسعيد ابن جبير: تسفهون، وقال مجاهد أيضًا والحسن: تهرمون. المرجع السابق(٢/ ٥٠٣).

(٢) في دعاء الكرب روى البخاري (٦٣٤٥) كتاب الدعوات ٢٧- باب الدعاء عند الكرب، عن ابن عباس: أن رسول ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم».

لطيف، يا من وسع لطفه أهل السموات والأرض، أسألك اللهم أن تلطف بي من خفيّ خفيّ خفيّ لطفك الخفيّ الخفيّ الخفيّ، الذي إذا لطفت به لأحد من عبادك كفي، فإنك قلت وقولك الحق: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩].

وعن عبد الواحد بن زيد رحمه الله: أنه قال: قصدت بيت المقدس فضللت الطريق، فإذا بامرأة أقبلت إلي فقلت لها: يا غريبة أنت ضالّة؟

قالت: كيف يكون غريبًا من يعرفه؟ وكيف يكون ضالاً من يحبه؟ قالت: خذ رأس عصاي وتقدم بين يدي، فأخذت رأس عصاها ومشيت بين يديها سبعة أقدام أو أقل أو أكثر، فإذا أنا بمسجد بيت المقدس، فدلكت عيني وقلت: هذا غلط منّي.

فقالت: يا هذا سيرك سير الزاهدين، وسيري سير العارفين، فالزاهد سيار، والعارف طيَّار، ومتى يلحق السيَّار بالطيار؟! ثم غابت عني فلم أرها بعد ذلك رحمها الله.

وحكي: أن شابًا كان يحضر مجلس بعض علماء السلف الوعاظ رحمهم الله تعالى، فكان الشاب إذا سمع الواعظ يقول: يا ستار، يهتز كما تهتز السعفة، فقيل له في ذلك. فقال: اعلموا أني كنت أخرج في زي النساء، وأحضر كل موضع فيه عرس أو عزاء تجتمع فيه النساء، فحضرت يومًا عرس بعض بنات الملوك، فسرق عقد لبنت الملك، فصاحوا أن أغلقوا الباب، وفتشوا النساء. ففتشوهن واحدة واحدة، حتى لم يبق إلا واحدة وأنا، فدعوت الله تعالى وأخلصت التوبة وقلت: إن نجوت من هذه الفضيحة لا أعود إلى مثل هذا أبداً، فوجدوا العقد مع المرأة التي بقيت، فقالوا: أطلقوا المرأة الأخرى يعنونني، فأطلقوني وحالي مستور، فمن حينئذ إذا سمعت ذكر الستار أذكر ستره علي ويأخذني ما رأيتم من الاهتزاز.

واستُخلف[1] أبو بكر الصديق ﵁، فجاء رجل للمسجد، فقام إلى سارية يصلي، فبصر به عمر ﵁ فقال: من أين الرجل؟ قال: من اليمن، قال: فما فعل عدو الله بصاحبنا الذي حرقه بالنار فلم تضره؟ قال: ذلك عبد الله بن أيوب، قال: نشدتك بالله أنت هو؟ قال: اللهم نعم، فقبَّل بين عينيه، ثم جاء به وأجلسه بينه وبين أبي بكر ﵁ فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد ﷺ من فُعل به كما فُعل بإبراهيم الخليل صلوات الله

(١) في أمر خلافة الصديق قال علي بن أبي طالب: والله ما مات رسول الله فجاءة ولا قتل قتلاً ولكن مرض أيامًا وليالي كل ذلك يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيقول له: «ائت أبا بكر فمره فليصل بالناس» ولقد تركني وهو يرى مكاني ولو كان عهد من رسول الله ﷺ إليَّ ما تركت أحداً من بني تيم ولا ابن الخطاب يقومان يخطبان على منبر رسول الله ولجاهدتهم بسيفي، فلما قبض رسول الله نظرنا في أمورنا فإذا الصلاة عمود الإسلام وقوام الدين فرضينا لدنيانا ما رضيه رسول الله ﷺ لديننا، فولينا أبا بكر أمورنا نغزو إذا غزا ونأخذ إذا أعطانا ونقيم الحدود بين يديه، ولا يختلف منا اثنان والكلمة جامعة. انظر مختصر كتاب الموافقة للزمخشري (ص٢٧، ٢٨) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية.

وسلامه عليه.

وحكي: أن الإمام علي -رضي الله عنه وكرم الله وجهه- جيء له بأسود، فقال له: أسَرقت؟ قال: نعم. فقال له ذلك ثلاثًا وهو يُقرُّ بالسرقة، فأمر بقطع يده فقُطعت فأخذها الأسود وخرج فاستقبله سلمان ﷺ فقال: من قطع يدك؟

قال أمير المؤمنين وعضد الدين وصهر الرسول وزوج البتول.

قال سلمان ﷺ: قطع يدك وتُثني عليه!

قال: نعم، بيد واحدة نجاني من العذاب الأليم.

فأخبر سلمان ﷺ بذلك عليًا كرم الله وجهه، فدعا الأسود ووضع يده في موضع القطع وغطاها بمنديل، ثم دعا الله تعالى فلصقت بإذن الله الواحد الأحد.

وروي: أنه كان في زمن الحجاج رجل معروف باليسار فافتقر، واجتمع عليه دين، فقصد الحجاج ودخل عليه فرآه ساجداً وهو يبكي ويسأل الله تعالى حاجة. فلما رآه كذلك رجع، وقال: أسأل ممن يسأله الحجاج، فلما رفع الحجاج رأسه، فأخبر بالقصة، فاستدعى الرجل، فلما حضر قال له: ما الذي حملك على الإتيان والرجوع؟ فقال: كان علي خمسمائة درهم دينًا، فقلت: أسألك لتقضي ديني، فلما رأيتك تسأل الله حاجة قلت: أرجع وأسأل ممن يسأله الحجاج، فأمر له بألف درهم وقال له: أوف دينك والباقي أنفقه عليك و على عيالك، وأعلم أن ذلك من الله تعالى لا من الحجَّاج.

وروي: أن شخصًا من الصالحين دخل البادية فغلب عليه العطش فقال: أصبر لأجل الله تعالى، فمشى حتى لم يبق له طاقة، فمال إلى شجرة أم غيلان، فرأى قربة معلقة بشجرة يرشح منها، فشرب حتى روي، وقال: تُرى من أين هذه؟ فنودي من فوقه: أما علمت أنه من أطاع الله في الخلوات أعانه في الفلوات. وأنشد يقول:

أيا من فضلـــه عـــم البرايـــا	ويا من كلما نودي أجابـــا
ويا من كلَّم الصديـــق موســى	وألهمه الهداية والصوابـــا
ويا من رد يوسف بعد حـــين	على من كان ينتحب انتخابا
ويا من خص أحمد باصطفـــاء	وأعطـــاه النبـــوة والكتابـــا
أجرني من عذابك إن جسمي	ضعيف ليس يحتمل العذابـــا

انتهى والله أعلم.

***

الباب الخامس والستون

في الخوف من الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[آل عمران: ٢٨].

قال تعالى: ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[التوبة:١٣].

قال تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ إلى قوله: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[هود:١٠٢-١٠٨].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[الحج:١، ٢].

وقيل في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾[الرحمن:١٩]، أي بحر الخوف وبحر الرجاء في قلب المؤمن. وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦].

والآيات في مثل هذا الباب كثيرة معلومة.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع»[1].

وقال النبي ﷺ: «من ذرفت عيناه من خشية الله كان له بكل قطرة من دموعه مثل أحد في ميزانه، وله بكل قطرة عين في الجنة على حافتها من المدائن والقصور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

فإن قيل: قد بكى إبليس لعنه الله فما أفاده، وقد قال ﷺ: «دمعة العاصي تطفئ غضب الرب» ؟

فالجواب: أنه قال: «دمعة العاصي»، وما قال: دمعة الكافر، فالمعاصي سموم، والدمعة ترياقها .

---

(١) أخرجه: أحمد في مسنده (٢/ ٥٠٥)، والحاكم في المستدرك(٤/ ٢٦٠)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين(٩/ ٢١٤)، والترمذي في سننه (١/ ٢٣) في الزهد باب ما جاء في فضل البكاء من خشية الله.

● **لطيفة:**

خلق الله تعالى وحشًا، فيأتي إلى جُحْر الحية فيخرجها بنفسه فيأكلها، فيجد ألم السُّم، فيبكي من ذلك، فيجد الشفاء بخروج دمعته، ثم تنعقد دموعه فتصير ترياقًا خالصًا.

وقال النبي ﷺ[١]: «ما من مؤمن يخرج من عينه دموع وإن كان مثل رأس الذباب من خشية الله ﷻ، ثم يصيب شيئًا من حرِّ وجهه إلا حرَّمه الله على النار». رواه ابن ماجه.

● **لطيفة:**

قال بعضهم: رأيت شابًا حسنًا في النوم، فقلت له: من أنت؟، قال: أنا التقوى. قلت: أين تسكن؟ قال: في كل قلب حزين بكَّاء. ورأيت امرأة سوداء فقلت: من أنت؟ قالت: أنا الضحك، قلت: فأين تسكنين؟ قالت: في كل فرح مرح.

نعم جاء في الحديث: عن النبي ﷺ قال[٢]: «إن من خيار أمتي قوم يضحكون جهرًا من سعة رحمة الله، ويبكون سرًا من خوف عقابه، أبدانهم في الأرض، وقلوبهم في السماء، أرواحهم في الدنيا، وعقولهم في الآخرة، يمشون بالسكينة، ويتقربون بالوسيلة».

وروى مسلم رحمه الله: عن أبي هريرة ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار»[٣].

وروى البخاري: عن سهل ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإن الأعمال بالخواتيم»[٤].

قال أبو محمد عبد الخالق: واعلم أن سوء الخاتمة -أعاذنا الله منها- لا يكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه[٥].

وإنما يكون ذلك لمن كان له فساد في العقل، وإصرار على الكبائر، وإقدام على العظائم،

---

(١) أخرجه: ابن ماجه في سننه(٢/ ١٤٠٤) ٣٧-كتاب الزهد، ١٩- باب الحزن والبكاء، عن عبدالله بن مسعود، والمنذري في الترغيب والترهيب(٤/ ٢٣) والطبراني في الكبير(١٠/ ٢٠) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٣٥٩).

(٢) أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١٦)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/ ٣٥٥)، والعراقي في المغنى عن حمل الأسفار(١/ ٧٥)،(٤/ ٢٢٨).

(٣) أخرجه: مسلم في صحيحه [١١-(٢٦٥١)] كتاب الإقرار، ١-باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه...

(٤) أخرجه: البخاري في صحيحه (٦٦٠٧) كتاب القدر، ٥-باب العمل بالخواتيم، من حديث طويل هذا آخره، والتبريزى في مشكاة المصابيح(٢٣).

(٥) قال النووي : هذه الأحاديث كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة في إثبات القدر وأن جميع الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره خيرها وشرها نفعها وضرها. قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ فهو ملك لله تعالى يفعل ما يشاء ولا اعتراض على المالك في ملكه ولأن الله تعالى لا علة لأفعاله.النووي في شرح مسلم(١٦/ ١٦٠) طبعة دار الكتب العلمية.

فربما غلب عليه ذلك حتى ينزل به الموت قبل التوبة، فيضله الشيطان عند تلك الصدمة، (ويحفظه)[1] عند تلك الدهشة والعياذ بالله، ثم العياذ بالله، قد يكون ممن كان مستقيمًا، ثم يتغير عن حاله، ويخرج عن سنته، ويأخذ في غير طريقه، فيكون ذلك سببًا لسوء خاتمته وشؤم عاقبته؛ كإبليس الذي عبد الله ثمانين ألف سنة، وبلعام بن باعور الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها بخلوده إلى الأرض واتبع هواه. وبرصيصا العابد الذي قال تعالى في حقه: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾، وستأتي قصته في باب التحذير من كيد الشيطان.

وعن أنس ﷺ قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط، فقال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا»، فغطى أصحاب رسول الله ﷺ رءوسهم ولهم خنين[2]. رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية: بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء، فخطب فقال: «عرضت عليَّ الجنة والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا»، فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يومًا أشد منه، غطوا رءوسهم ولهم خنين[3].

قال النووي رحمه الله: الخنين -بالخاء المعجمه- هو البكاء مع غنة وانبثاق الصوت من الأنف.

وعن عدي بن حاتم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ[4]: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة». رواه البخاري ومسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها: عن النبي ﷺ: «إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه بالحزن ليكفرها عنه»[5].

قال: ورؤي بعضهم في المنام فقيل له: ما الذي رأيت؟ قال: ما رأيت درجة أرفع من درجة المحزونين.

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) أخرجه: البخاري (٦٤٨٦) كتاب الرقاق، ٢٧- باب قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا»، ومسلم في صحيحه [١٣٤-(٢٣٥٩)] كتاب الفضائل ٣٧- باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه.

(٣) تقدم في مسلم قبل هذا.

(٤) أخرجه: البخاري (٧٥١٢) كتاب التوحيد ٣٥- باب قول الله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، ومسلم في صحيحه (٦٧-١٠١٦) كتاب الزكاة، ٢٠-باب الحث علي الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة.

(٥) أخرجه: أحمد في مسنده (٦/ ١٥٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٩١،١٠، ١٩٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٢٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين(٥/ ٨، ١٥، ٣/ ٥٧٧).

وعنه ﷺ(١): «إن الله يحب كل قلب حزين».

قال بعضهم: فلهذا قيل للنبي ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ ولم يقل له: لا تخف، ولا تفزع؛ لأن الحزن للمؤمنين؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾.

والفزع للكافرين، والفرق بين الخوف والحزن: أن الخوف من شيء لم يقع. والحزن من شيء وقع.

وفي «نزهة الناظرين»: قال بعضهم: أكثر حسنات المؤمن في صحيفته من الهم والحزن، ولكل شيء زكاة، وزكاة العقل طول الحزن، وإذا أحب الله عبداً نصب في قلبه نائحة، وإذا أبغضه جعل في قلبه مزماراً.

● **فائدة:**

عن النبي ﷺ(٢): «من قال: لا إله إلا الله قبل كل شيء، لا إلا الله بعد كل شيء، لا إله إلا الله يبقى ربنا ويفنى كل شيء، عوفي من الهم والحزن» رواه الطبراني.

وفي تفسير القرطبى في قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ أي قربت الساعة، ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ وهو القرآن، ﴿تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ أي غافلون في لهو.

فلما نزلت هذه الآية لم يضحك النبي ﷺ إلا تبسمًا، فلما سمعها أهل الصفة بكوا بكاءاً شديداً، فبكى النبي ﷺ معهم.

وقال: «لا يلج النار من بكى من خشية الله، ولا يدخل الجنة مصرًا على معصية الله»(٣).

روى الترمذى: عن النبى ﷺ: «كان الكفل من بنى إسرائيل لا يتورع من ذنب، فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارًا على أن يطأها، فلما دنا منها ارتعدت وبكت. فقال: ما يبكيك؟ قالت: لأن هذا عمل ما عملته، وما حملني عليه إلا الحاجة. فقال: وتفعلين هذا من مخافة الله، فأنا أولى، اذهبي فلك ما أعطيتك، ووالله لا أعصيه بعدها أبدًا. فمات من

---

(١) أخرجه: الحاكم في مستدركه (٤/ ٣١٥) والهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٩)، وذكره الألباني السلسلة الضعيفة (٤٨٣).

(٢) أخرجه: الطبراني في الكبير (١٠/ ٣٥٢) والمنذري في الترغيب والترهيب(٢/ ٦١٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٣٧)، والشجري في أماليه (١/ ٥٩)، وذكره الألباني في السلسة الضعيفة(٤٥٧).

(٣) أخرجه: السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٣١) والمنذري في الترغيب والترهيب(٤/ ٢٢٩) والزبيدي في الإتحاف(٩/ ٢١٤)، والتبريزي في مشاة المصابيح(٣٨٢٨).

ليلته فأصبح مكتوب على بابه : قد غفر للكفل»[١].

قال القرطبى رحمه الله في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: والجمهور على أنه ليس بنبي[٢].

ثم حكى عن كعب الحبار رحمة الله عليه قال: كان في بنى إسرائيل ملك كافر، فمر به رجل صالح فقال: والله لا أخرج من هذه البلدة حتى آمر الملك بالإسلام، فلما أمره به قال: إن أسلمت ما لي عند الله سبحانه؟ قال: الجنة، قال: من يتكفل لي بذلك؟ قال: أنا. فأسلم، فلما مات خرجت يده من قبره وفيها رقعة خضراء مكتوب فيها بالنور: إن الله قد غفر لي وأدخلني الجنة في كفالة فلان.

فأسرع الناس إليه فأسلموا، وتكفل لهم بالجنة، فسمي بذي الكفل.

● حكاية.

عن النسفي رحمه الله تعالى في كتابه «نزهة الرياض»: يؤتى يوم القيامة بعبد كثير السيئات، فيؤمر به إلى النار، فتقول شعرة من عينه: يا رب، محمد ﷺ قال: «من بكى من خشية الله حرمه الله على النار»[٣] وهذا تغرغرت عينه من خشيتك يومًا من الأيام، وأنت أعلم به؟ فيقال: لم لا تستوهبي كله، فتقول: خشيتك يا رب، فيغفر الله له، فينادي جبريل : ألا وإن فلانًا قد نجا بشعرة واحدة.

وفي تفسير القرطبي رحمه الله في سورة النجم: «إن جبريل علية الصلاة والسلام نزل على محمد ﷺ وعنده رجل يبكي فقال: من هذا ؟ قال: فلان، قال جبريل: إنا نرى أعمال بنى آدم كلها إلا البكاء، فإن الله تعالى يطفئ بالدمعة الواحدة بحوراً من النار».

وفي «الترغيب والترهيب» من رواية البيهقي رحمة الله عليه: خطب النبى ﷺ فبكى رجل بين يديه فقال: «لو شهدكم اليوم كل مؤمن عليه من الذنوب كأمثال الجبال الرواسي لغفر لهم ببكاء هذا الرجل، وذلك أن الملائكة تستغفر له وتقول: اللهم شفع البكائين فيمن لم يبك»[٤].

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢٤٩٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب(٤٨) عن ابن عمر، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٥٤)، وابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٢٦٦) والمنذري في الترغيب والترهيب(٣/ ٢٨١).

(٢) قال مجاهد: وذو الكفل: رجل صالح نبي تكفل لبني قومه أن يكفيه أمر قومه ويقيمهم له ويقضي بينهم بالعدل ففعل ذلك فسمي ذا الكفل، وقال ابن كثير في تفسيره: الظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي، وقال آخرون: إنما كان رجلاً صالحًا، وكان ملكًا عادلاً وحكمًا مقسطًا . انظر تفسير ابن كثير. (٣/ ١٩٥).

(٣) أخرجه: الزبيدي في إتحاف السادة المتقين(٥/ ٣٨٦).

(٤) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب(٤/ ٢٣٣).

وقيل: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام: وعزتي وجلالي ما بكى حزين في أمة إلا كان قائدهم إلى الجنة.

وقال الفضيل[1] رحمه الله: ((من خاف الله دله الخوف على كل خير)).

وقال أيضًا: ((إذا قيل لك: ما تخاف الله؟ فاسكت؛ فإن قلت: نعم، كذبت، وإن قلت: لا، كفرت)).

● موعظة:

رأى إسرافيل عليه الصلاة والسلام في اللوح: إن عبداً يعبد الله ثمانين ألف عام ثم يرد عليه عبادته ويلعنه. فبكى إسرافيل خوفًا أن يكون هو ذلك العبد، فيسأله الملائكة عن بكائه، فأخبرهم بما رآه في اللوح المحفوظ، فبكوا جميعًا كل منهم يخاف أن يكون هو ذلك العبد.

ثم قالوا: نذهب إلى عزازيل[2] فإنه مجاب الدعوة فيدعو لنا، فأخبروه بذلك، فقال: اللهم لا تغضب عليهم، فدعا لهم ونسي نفسه، فإنه لم يقل: اللهم لا تغضب علينا.

وقيل: إن إبليس رأى على باب الجنة مكتوبًا: إن لله ﷻ عبداً من المقدمين يأمره بأمر فلا يمتثل أمره، فقال: يا رب ائذن لي أن ألعنه، فلعن نفسه بنفسه ألف مرة.

وكان اسمه في سماء الدنيا: العابد. وفي الثانية: الراكع. والثالثة: الساجد. وفي الرابعة: الخاشع. والخامسة: القانت. وفي السادسة: المجتهد. وفي السابعة: الزاهد.

ثم بعد ذلك سمي: إبليس؛ لأنه أبلس من رحمة الله[3].

وفي كتاب «الإحياء» : قال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين، أنتم تخافون المعاصي، ونحن معاشر الأنبياء نخاف من الكفر.

وشكا نبي من الأنبياء الجوع والقمل والعري، فأوحى الله إليه: أما رضيت أن عصمت قلبك أن يكفر بي حتى تسألني الدنيا، فأخذ التراب وجعله على رأسه وقال: رضيت يا رب، فاعصمني عن الكفر.

---

(١) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، أبو علي التميمي، اليربوعي الخرساني، ثقة عابد إمام ، وأخرج له الستة عدا ابن ماجه، وتوفي سنة (١٧٨) أو قبلها. التهذيب (٨/ ٢٩٤) التقريب(٢/ ١١٣).

(٢) بالأصل عزرائيل وأظنه عزازيل وهو اسم إبليس كما جاء من قبل في كتابنا هذا.

(٣) خالف إبليس أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله ﷻ وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه، وسماه إبليس إعلامًا له بانه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذمومًا مدحوراً إلى الأرض، فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه، فلما أمن الهلاك إلى يوم القيامة تمرد وطغى. تفسير ابن كثير(٤/ ٤٣).

وفي سورة الرعد في تفسير القرطبي رحمة الله عليه: عن النبي ﷺ: «لولا غفران الله ورحمته وتجاوزه لما هنئ لأحد عيش، ولولا عقابه ووعيده وعذابه لاتكل كل أحد»[١].

● حكاية.

قال إبليس : يا رب أخرجتني من الجنة لأجل آدم، وإني لا أقدر عليه إلا بتسليطك، فقال: أنت مسلط عليه. قال: زدني. قال: لا يولد له ولد إلا ولك مثله. قال: زدني. قال: صدورهم مساكن لكم. قال: زدني. قال: اجلب عليهم. أي صحْ عليهم ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾، فكل راكب وراجل في معصية الله فهو من خيله ورجله، ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَالِ﴾ بإنفاقها في معصية الله، ﴿وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾ بعدم التسمية[٢] عند الجماع، وقيل: وهم أولاد الزنا.

قال آدم: يا رب قد سلّطته عليَّ، فلا أمتنع منه إلا بك. قال: لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه. قال: زدني. قال: لا أنزع عنهم التوبة ما دامت أرواحهم في أجسادهم. قال: زدني. قال: أغفر لهم ولا أبالي. قال: اكتفيت اكتفيت.

فقال إبليس: يا رب جعلت في بني آدم الرسل، وأنزلت عليهم الكتب، فما رسلي؟ قال: الكهان. قال: فما كتبي؟ قال: الوشم. قال: فما حديثي؟ قال: الكذب. قال: فما قرآني؟ قال: الشعر. قال: فما مؤذني؟ قال: المزمار. قال: فما مسجدي؟ قال: الأسواق[٣]. قال: فما بيتي؟ قال: الحمام. قال: فما طعامي؟ قال: الذي لا يذكر عليه اسمي. قال: فما شرابي؟ قال: المسكر.

● مواعظ.

الأولى: عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما: سأل النبى ﷺ إبليس عن ضجيعه؟ فقال: السكران. وعن جليسة ؟ قال: الذي يؤخر الصلاة عن وقتها. وعن ضيفه؟ قال:

---

(١) أخرجه: القرطبي في تفسيره (٩/ ٢٨٥) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار(٣/ ١٤٤).

(٢) روى البخاري في صحيحه (٥١٥٦) كتاب النكاح، ٦٧- باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله، ومسلم[١١٦-(١٤٣٤)] كتاب النكاح، ١٨- باب ما يستحب أن يقول عند الجماع. عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان شيئًا أبدًا».

(٣) حديث: «شر البقاع الأسواق» أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد(٢/ ٤،٦/ ٧٧)، والتبريزي في المشكاة (٧٤١)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١)، والزبيدي في الإتحاف(٥/ ٥١٣).

السارق. وعن أنيسه؟ قال: الشاعر. وعن رسوله؟ قال: الكاهن والساحر. وعن قرة عينه؟ قال: الذي يحلف بالطلاق وإن كان صادقًا. وعن حبيبه؟ قال: تارك الصلاة[١]. وعن أعز الناس عليه؟ قال: من يسب أبا بكر وعمر رضى الله عنهما.

الثانية: كثرة الحلف بالطلاق يخشى منه الحنث، فيكون الولد من الزنا. وعنه ﷺ: «لا يدخل الجنة ولد الزنا، ولا ولد ولده»[٢] ذكره في «المنتخب». وفي رواية : حتى عد سبعة.

وقال عكرمة رحمه الله: إذا كثر ولد الزنا قحط المطر، فهذه عقوبة ولد الزنا، فما ظنك بالزاني؟! اللهم تب على الزناة.

الثالثة: لو زنى بامرأة يظنها أجنبية[٣]، فإذا هي زوجته، أثم كالزاني ويعزر، ولا يكون الولد له عند بعض العلماء. وعند البغوي: يكون له، وهو الصواب.

ولا يرث الزاني من ولده ولا عكسه، ويرث ولد الزنا من أمه وعكسه.

● **فائدة:**

اعلم أن الطلاق قد يكون واجبًا فيما إذا حلف: أن لا يطأها مطلقًا أو فوق أربعة أشهر، ومضت هذه المدة، فإنه يجب عليه أن يفي بأن يطأ أو يطلق، فإن أبى أن يطلقها، طلق القاضي عليه بأن يقول: طلقت فلانة بنت فلان، من فلان.

ويحصل الوطء بتغييب الحشفة فقط.

ويجب الطلاق فيما إذا كان الشقاق بين الزوجين ورأى الحكمان الطلاق واجبًا.

وإن كانت حائضة فإنه لا يحرم للحائض إلا قطع الخصومة.

ومثله: القاضي إذا طلق عليه في الحيض فلا يحرم[٤].

---

(١) روى مسلم في صحيحه (١٣٤-٢٨٢) كتاب الإيمان ٣٥-باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة عن جابر بن عبدالله سمعت النبي ﷺ يقول: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة».

(٢) أخرجه:ابن حجر في المطالب العالية (١٧٨٢)، والسيوطي في اللآلىء المصنوعة (٢/ ١٠٥)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٠١، ٣٠٧)، (٨/ ٢٤٩)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٢٢٨)، والبخاري في التاريخ الكبير(٢/ ٢٥٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء(٢/ ٣٠٨).

(٣) قال الحنفية: إذا وجد الرجل على فراشه امرأة أجنبية عنه، يحد الرجل في هذه الحال؛ لأنها ليست بشبهة حيث إنه يمكن معرفة زوجته بكلامها وجسمها وحركتها ولمسها جسده. وقال المالكية والشافعية والحنابلة: لا يقام الحد. الفقه على المذاهب الأربعة.(٥/ ٧٧).

(٤) قال النووي : اجمعت الأمة على تحريم طلاق الحائض الحائل بغير رضاها فلو طلقها أثم ووقع طلاقه ويؤمر بالرجعة، وشذ بعض أصل الظاهر فقال: لا يقع طلاقه لأنه غير مأذون له فيه فاشبه طلاق الأجنبية، والصواب الأول وبه قال العلماء كافة ودليلهم أمره بمراجعتها ولم لم يقع لم تكن رجعة، فإن قيل: المراد بالرجعة الرجعة الغوية: وهي الرد إلى حالها الأول لا أنه =

وقد يكون الطلاق مستحبًا فيما إذا قصر في حقها بأن كانت غير عفيفة أو لا يحبها.
وقد يكون مكروهًا بأن كانت صالحة.
وقد يكون حرامًا بأن يطلقها قبل أن ينام عندها ليلتها من نوبتها وكانت حائضة بلا عوض، وإن رضيت على الأصح، لأن طلاق الحائض حرام إلا في صور أخرى غير الذي تقدمت: الأول: أن تكون حاملة، وقيل: إن الحامل تحيض، وهو الأصح[١]، أو طلقها بعوض أو قبل الدخول، أو علقه على صفة فوجدت وهي حائض، والنفاس في ذلك كالحيض.

● **لطيفة:**

كان عبد الله بن أبي بكر الصديق رضى الله عنهما متزوجًا بامرأة يحبها، فأمره أبو بكر بطلاقها، فطلقها، ثم سمعه أبو بكر ﷺ ينشد ويقول من حبه إياها رضى الله عنهم أجمعين:

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلهـا ولا مثلها في غير جرم يطلـــق
لها خلق رجل وحلم ومنصب وخلق سوي في الحياة ومصدق

قال: فأمره أبو بكر ﷺ أن يراجعها. فلما مات تزوجها بعده الزبير[٢]، فاستأذنته في الخروج ليلاً للمسجد، فأذن لها، ثم سبقها إلى موضع مظلم ووضع يده عليها، فرجعت فسبقها إلى منزله، وسألها عن سبب رجوعها؟ فقالت: كنا نخرج والناس ناس، وأما اليوم فلا.
وتقدم في باب بر الوالدين: لو أمرته أمه بطلاق زوجته استجاب لذلك إلا في مسألتين.

● **حكاية:**

قالت عائشة رضي الله عنها: كان لي جارية تخدمني، فاستيقظت في بعض الليالي وطلبت الماء، فلم أجده في الكوز، فسألتها عن ذلك فقالت: رأيت في منامي القيامة قد قامت، ورأيت والدي وهو يستغيث من العطش، فطلب مني، فذهبت إلى الكوز فأخذت منه

= تحسب عليه طلقة قلنا: هذا غلط لوجهين: أحدهما: أن حمل اللفظ على الحقيقة الشرعية يقدم على حمله على الحقيقة اللغوية كما تقرر في أصول الفقه.الثاني: أن ابن عمر صرح في روايات مسلم وغير بأنه حسبها عليه طلقة، والله أعلم.
وأجمعوا على أنه إذا طلقها يؤمر برجعتها، وهذه الرجعة مستحبة لا واجبة، هذا مذهبنا وبه قال الأوزعي وأبو حنيفة وسائر الكوفيين وأحمد وفقهاء المحدثين وآخرون، وقال مالك وأصحابه: هي واجبة. النووي في شرح مسلم (١٠/ ٥٢، ٥٣). طبعة دار الكتب العلمية.

(١) كذا بالأصل.

(٢) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب أبو عبدالله القرشي الأزدي المكي، حواري رسول الله ﷺ وابن عمته صفية، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، شهد بدراً والمشاهد كلها، أسلم وهو ابن ست عشرة سنة. تاريخ الإسلام وفيات سنة (٣٦).

شربة فسمعت قائلاً يقول: من هذا الذي يسقي شارب الخمر، شلت يداه. فاستيقظت وقد يبست يدي.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال[1]: «من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب لم يتب الله عليه». رواه الترمذي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

وعنه أيضًا: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة له»[2].

● حكاية:

قال في «روض الأفكار»: قال بعض الصالحين: رأيت في ليلة مقمرة عشرة قد شربوا الخمر، فلما دنوا من الجامع قالوا: حتى نصلي العشاء، فتقدم واحد منهم وقال لمن عن يساره: اعتدلوا لا رحمكم الله، ثم قال لمن عن يمينه: اعتدلوا لا رضي الله عنكم، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ﴾، قال: فلقد رأيت الأرض ساخت بهم حتى لم يبق لهم أثر.

وعن عائشة رضي الله عنها: من شرب الخمر لا تزوجوه، وإن مرض فلا تعودوه، ولا يشرب الخمر إلا ملعون في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن قضى حاجة شارب الخمر، فقد أعان على هدم الإسلام، ومن أطعمه لقمة سلط الله عليه حية وعقربًا، ومن جالسه حشره الله تعالى يوم القيامة أعمى لا حجة له.

● موعظة:

قال النبى ﷺ: «من ترك الخمر وهو يقدر عليه لأسقينَّه من حظيرة القدس، ومن ترك الحرير وهو يقدر عليه لأكسينَّه إياه من حظيرة القدس»[3] رواه البزار بإسناد صحيح.

وعن النبى ﷺ: «من شرب الخمر سقاه الله من حميم جهنم»[4]. رواه البزار.

وعنه ﷺ: «أقسم ربي بعزته لا يشرب عبد من عبيدي جرعة إلا سقيته مكانها من

---

(١) أخرجه االترمذي (١٨٦٢) كتاب الأشربة ١-باب ما جاء في شارب الخمر، وأحمد في مسنده (٢/ ١٧٦) وابن ماجه في سننه (٣٣٧٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٤٦) والهيثمي في الجمع ٥/ ١٧١)، وابن كثير في تفسيره (٧/ ٦٣).

(٢) أخرجه: أبو داود (٣٦٧٤)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٩٧) والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٣٢٧)، (٦/ ١٢) والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٨٩/ ٥/ ٧٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب(٣/ ٢٤٩)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ١٥٠).

(٣) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٦٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٧٦).

(٤) أخرجه :الطبراني في المعجم الكبير(٨/ ٢٥١).

حميم جهنم». وقال ابن عباس رضى الله عنهما: إذا دارت الأقداح هجرتهم الملائكة ولعنتهم، وحضرتهم الشياطين.

وقال النبى ﷺ: «مدمن الخمر إذا مات لقي الله كعابد وثن»[١]. رواه الإمام أحمد.

وقال النبى ﷺ: «اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر»[٢] رواه الحاكم.

وقال النبى ﷺ: «ومن شرب الخمر فجعلها في بطنه لم تقبل منه صلاة سبعًا، وإن مات منها مات كافرًا، فإن أذهبت عقله عن شيء من الفرائض لم تقبل منه صلاة أربعين يومًا، وإن مات منها مات كافرًا»[٣]. رواه النسائي.

● مسألة:

يجب على السكران: القصاص وقضاء الصلاة ، ويصح بيعه ونكاحه وجميع تصرفاته القولية والفعلية له وعليه، إذا شربه مختاراً عالمًا بالتحريم من غير ضرورة، بأن غص بلقمة ، فإنه يجب إغاثتها بخمر، إن لم تجد غيرها، ولو بولاً. أو شربها للتداوي مركبة مع غيرها، ولا تحريم إلا بالتداوي بصرفها. ومع ذلك لا حدَّ عليه كما في «الروضة» وأصلها.

قال أبو حنيفة رحمه الله: ضرب الشارب أشد من ضرب القاذف.

قال في «المنهاج»: حدُّ الحر: أربعون[٤]، والرقيق: عشرون. ولو رأى الإمام بلوغه ثمانين جاز، والزيادة تعزيرات.

قال في «الكشاف»: قال النبى ﷺ: «يؤتى يوم القيامة بوالٍ زاد في الحد سوطًا، فيقول الله تعالى: لم فعلت ذلك؟ فيقول: ردعًا لعبادك، فيقول: أنت أرحم بهم مني؟ ثم يؤمر به إلى النار».

---

(١) أخرجه: أحمد في مسنده (١/ ٢٧٢)، والمنذري في الترغيب (٣/ ٢٥٥)، والتبريزي في المشكاة (٣٦٥٧)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ١٨٢)، والهيثمي في المجمع. وعن أبي هريرة: ابن ماجه في سننه (٣٣٧٥) في الأطعمة ٣-باب مدمن الخمر، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٧٧).

(٢) أخرجه: الحاكم في المستدرك (٤/ ١٤٥) والسيوطي في الدر المنثور(٢/ ٣٢٢)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٥).

(٣) أخرجه: النسائي (٨/ ٣١٦-المجتبى)، والمنذري في الترغيب (٣/ ٢٦٥)، والهيثمي في المجمع (٥/ ٧١)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٤٠٤) والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ١١٠)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٤١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣).

(٤) روى مسلم (٣٦-١٧٠٦) كتاب الحدود، ٨- باب حد الخمر، عن أنس بن مالك: أن نبي الله ﷺ جلد في الخمر بالجريد والنعال، ثم جلد أبو بكر أربعين، فلما كان عمر ودنا الناس من الريف والقرى قال: ما ترون في جلد الخمر؟ فقال عبدالرحمن بن عوف: أرى أن تجعلها كأخف الحدود قال: فجلد عمر ثمانين.

● **لطيفة:**

قال رجل لأبي حنيفة رحمه الله: شربت الخمر ولا أعلم أطلقت زوجتي أم لا؟ فقال: الزوجة زوجتك حتى يتبين طلاقها. فسأل سفيان الثورى رحمه الله: فقال: راجعها فإن كنت طلقتها فقد راجعتها، وإلا فلا يضرك. فسأل شريك بن أبي نمر[1] فقال: طلقها وراجعها. فسأل زفر فقال: الحق ما قاله أبو حنيفة.

وأضرب لك مثال ذلك: فرجل مرَّ ثوبه النظيف على نجاسة ولم يعلم هل أصابه شيء منها أم لا؟ فثوبه باقٍ على طهارته، فسفيان أمره بغسله فما زاده إلا طهارة، وشريك بن أبي نمر أمره أن يبول على ثوبه ثم يغسله[2].

● **فائدة:**

قيل: إن آدم عليه الصلاة والسلام: لما غرس الكرامة جاءه إبليس فذبح عليها طاووسًا، فشربت دمه، فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قردًا، فشربت دمه، فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها أسدًا، فشربت دمه، فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرًا، فشربت دمه.

فمن أجل ذلك تجد شارب الخمر أول ما يشربها وتدب فيه يزهو بنفسه ويحسن كالطاووس، فإذا جاء مبادىء السكر لعب وصفق بيديه كالقرد، فإذا قوي سكره غضب وعربد كهيئة الأسد، فإذا انتهى سكره انعقص ونام كالخنزير.

وكان الناس يتشاءمون بالطاووس في الدور؛ لأنه كان سببًا لدخول إبليس الجنة وخروج آدم منها.

وقيل: إن نوحًا عليه الصلاة والسلام غرس دالية، فيبست، فشق ذلك عليه، فقال إبليس: أنا أحييها لك فذبح عليها أسدًا ودبًا ونمرًا وابن آوى وكلبًا وثعلبًا وديكًا، فاخضرت في الحال.

فلذلك يصير شارب الخمر شجاعًا كالأسد، وقويًا كالدب، وغضبانًا كالنمر،

---

(١) شريك بن عبد الله بن أبي نمر، أبو عبدالله، أبو نمر، أبو حاتم القرشي، وقيل: الليثي، المدني، صدوق يخطيء، أخرج له: الستة، وتوفي سنة (١٤٠، ١٤٤، ١٧٧) انظر ترجمته في التهذيب (٤/ ٣٣٧)، والتقريب (١/ ٣٥١)، والكاشف (٢/ ١١)، الثقات (٤/ ٣٦٠).

(٢) قال المالكية: يشترط في وقوع طلاق السكران أن يتناول شيئًا عالمًا بأنه يغيّب العقل أو شاكًا فيه، وفي هذه الحالة يكون تناوله حرامًا بلا فرق بين أن يكون خمرًا أو لبنًا رائبًا، أو غير ذلك، أما إذا تحقق أنه غير مسكر أو غلب على ظنه أنه كذلك وشربه فسكر وطلق، فإن طلاقه لا يقع. وقال الحنفية: السكران الذي يصل إلى حد يشبه المجنون يقع طلاقه، ومن باب أولى إذا لم يصل إلى هذا الحد. الفقه علي المذاهب (٤/ ٢٧٨، ٢٧٩).

(وعجدثـًا)[١] كابن آوى، ومتملقًا كالثعلب، ومصوتًا كالديك، فحرمت الخمر على نوح واسمه عبد الجبار.

وقال القرطبي في سورة العنكبوت: اسمه: السكن؛ لأن الناس سكنوا إليه بعد آدم.

وقال القشيري: اسمه: يشكر، وسمي نوحًا لكثره نوحه على ذنوب أمته وبكائه.

قيل: في الصحيح من أشراط الساعة: أن يشرب الخمر؛ فكيف يكون شربها من علامة الساعة وهي موجودة في زمان نوح عليه السلام وغيره؟!

المراد: الشرب الظاهر بين الناس لا الخفي، أو المراد: مجموع ما في الحديث من أن يدفع العلم ويثبت الجهل ويظهر الزنا ويشرب الخمر على الطرقات.

وفي كتاب «عيون المجالس»: أنه كان رجل يشرب الخمر مع زوجته، فخبزت عجينًا يومًا وبقي منه بقية، فدخلت جاريتها فقالت: يا فلانة، اخبزي بقية العجين. ثم ماتت.

فرآها بعض الصالحين بعد عشر سنين وهي في عذاب شديد، فسألها عن سبب ذلك فقالت: لأني خبزت عجينًا لمن يشرب الخمر.

قلت: هذا من مضارها في الآخرة، وأما مضارها في الدنيا فقال بقراط الحكيم: مضار الخمر بالرأس والمعدة والذهن أشد.

ومَنْ أكثر مِنْ شربها لم يأمن الأمراض المخوفة، وأيضًا: الإكثار من شربها يورِّث: الصرع والفالج وضعف العقل، وموت الفجأة، وشربها على الريق فيه ضرر عظيم، وبعد الطعام يضر مَنْ بدنه حار.

● موعظة:

روى الإمام أحمد رحمه الله، وأبو داود: أن النبي ﷺ نهى عن كل مسكر ومفتر[٢].

قال في «نزهة النفوس والأفكار»: إذا دخلت الحشيشة في المعدة صار لها بخار رديء يستر نور العقل، ثم يصعد في العروق إلى أعلى البدن، حتى يصل إلى العينين، فتحمر العينان، فيخرج صاحبها من السعة إلى الضيق، ويفقد كل خل وصديق. وتجعله بعد الشجاعة ذليلاً، وبعد الصحة عليلاً، ويقل نشاطه عن العبادة، وتحطه عن درجة السيادة، وما احسن ما قيل في ذمها:

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٨٦) كتاب الأشربة، باب النهي عن المسكر، عن أم سلمة. وأحمد بن حنبل في مسنده (٤/ ٢٧٣)، (٦/ ٩٥) وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٦٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٩٦)، وأحمد بن حنبل في الأشربة (٥).

ما للحشيشة فضل عند أكلها لكنه غير مهدي إلى رشده
صفراً في وجهه خضراً في فمه حمراً في عينه سوداً في جسده

● **حكاية.**

قال ذو النون رحمه الله: كنت مسافراً فرأيت ماءً متغيراً يخرج من كهف فدخلته، فوجدت إبليس باكيًا فقلت: ما هذا البكاء؟ قال: وهل يحق البكاء إلا إني كنت من المقربين عند الله، والآن صرت من المطرودين.

فقلت له: كيف خالفت أمره؟

قال: لم يكن له في أمري عناية، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر:٤٧]. ومن شعره لعنه الله:

ولي كبد حراً من ذا يبيعني بها كبداً ليست بغير قروح
أبى الناس بالأثمان أن يشتروها ومن يشتري ذا علة بصحيح

● **حكاية.**

رأى يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام إبليس باكيًا في بعض الأودية فسأله عن ذلك؟ فقال: كيف من عبد ربه زمانًا طويلاً، ثم ذهبت عبادته مجانًا ؟. فقال: ارجع عن إضلالك الخلق. فقال: يا يحيى، إن كنت أضللتهم فمن أضلني؟ قال: فارجع إلى ربك. قال: تكن لي شفيعًا عنده؟

فبكى يحيى في محرابه وقال: إلهي قد علمت حديث المطرود، وقد وقف على باب الصلح، فهل له إليك طريق؟ فنزل جبريل وقال: إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك: اشتغل بنفسك وإلا فعلت بك كما فعلت به.

ورآه أيضًا في بعض الأيام يبكي فسأله، فقال: علي مائة ألف عام وقفت فيها على الباب، فخرج بعد ذلك الجواب: ليس لك طريق، قد أخطأك التوفيق.

فقال يحيى : يا رب هلا صالحته؟.

فقال جبريل: إنه يبكي نفاقًا، لا وفاقًا، قل له: يسجد لقبر آدم، فأخبره بذلك، فضحك وقال: أنا ما سجدت له حيًا، فكيف أسجد له ميتًا؟!

● **مسألة.**

كفر إبليس من وجوه أربعة:

الأول: أنه نسب الحق سبحانه إلى الجور بقوله: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾.

الثاني: أنه استحقر نبيًا، ومن استحقر نبيًا فقد كفر، بل قال النووي في «الروضة»: لو قال: «لو كان فلان نبيًا ما آمنت به»، كفر.

الثالث: أنه خالف الإجماع، ومن خالف الإجماع فقد كفر.

الرابع: أنه قاس مع وجود النص، وهو الأمر بالسجود، والقياس مع وجود النص كفر.

قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: أول من قاس وأخطأ في قياسه إبليس، حيث قال: إن النار خير من الطين. فإن الطين خير من النار من وجوه أربعة:

الأول: أن جوهر الطين: الزارعة والسكون والوقار والإنابة والحلم والصبر والحياة، وذلك هو الداعي لآدم على التوبة. ومن جوهر النار: الحدة والخفة والارتفاع والاضطراب، وذلك هو الداعي لإبليس على ترك السجود والتكبر وعدم التوبة.

الثاني: أن الخبر ناطق بأن تراب الجنة المسك، وما في الجنة نار.

الثالث: النار سبب العذاب، وليس التراب سببًا للعذاب.

الرابع: الطين مستغن عن النار، والنار محتاجة إلى المكان، ومكانها التراب.

قال القرطبي: ويحتمل وجهًا خامسًا: وهو أن التراب مسجد وطهور، والنار تخويف وعذاب.

● **لطيفة:**

بكى آدم عليه الصلاة والسلام في البر والبحر، فدمعه في البر صار قرنفلاً، وفي البحر بلخشًا؛ لأنه هبط من باب التوبة.

وحواء بكت في البر والبحر، فدمعها في البر صار منه الحناء، وفي البحر صار منه اللؤلؤ؛ لأنها هبطت من باب الرحمة .

والحية بكت في البر والبحر، فدمعها في البر صار عقربًا، وفي البحر صار سوطًا؛ لأنها هبطت من باب السخط.

والطاووس بكى في البر والبحر، فدمعه في البر صار بقًا، وفي البحر صار علقًا، لأنه هبط من باب الغضب.

وإبليس بكى في البر والبحر، فدمعه في البحر صار شوكًا، وفي البحر صار تمساحًا، لأنه هبط من باب اللعنة.

قال الرازي رحمه الله: عن النبي ﷺ: «ولو جمع بكاء الدنيا إلى بكاء داود لكان بكاء داود أكثر. ولو جمع بكاء أهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح لكان بكاء نوح أكثر. ولو

جمع بكاء أهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح إلى بكاء آدم على خطيئته لكان بكاء آدم أكثر».

● **عجيبة:**

قال بعضهم: سبب هداية أهل الكهف أنهم كانوا قيامًا على رأس ملكهم دقيانوس، فوثب هر من وراءه على غفلة فارتاع لذلك وفزع، فقالوا: لو كان إلهًا ما خاف من الهر، فلذلك أخبر الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ بالفرار منهم والرعب منهم لئلا يعتقد فيه أحد الألوهية.

وقيل: إنما أخبره بالفرار منهم لو رآهم؛ لأنهم من علامات الساعة، فيكون فراره من الساعة لا منهم.

● **حكاية:**

قالت جارية عمر بن عبد العزيز: رأيت الصراط في المنام على متن جهنم، ثم جيء بعبد الملك بن مروان فمشى عليه قليلاً، ثم هوى.

ثم أقبل عمر بن عبد العزيز، فوقع مغشيًا عليه، فجعلت الجارية تنادى في أذنه: ألا وإني رأيت قد نجوت. وتقدم شيء من كراماته في باب فضل العدل.

● **حكاية:**

قال ابن الجوزى رحمه الله في «روح الأرواح»: قال ابن عباس رضى الله عنهما: بلغني أن أخوين تذاكرا، فكل واحد ذكر ذنبه لأخيه، فقال أحدهما: ذهبت في طريق فرأيت سنبلة، وكان على يمين الطريق ويساره زرع، فجعلتها في أحد الزرعين، ولعلها كانت من الزرع الآخر، فأخاف أن يسألنى ربى عن إلقائها في غير موضعها.

وقال الآخر: أنا صليت لله كثيراً، فما أدري هل قمت على رجلي اليمنى أكثر من اليسرى، فأخاف أن يسألني عن ذلك، فسمعهما أبوهما فقال: اللهم إن كانا صادقين فاقبض أرواحهما حتى لا يعصيانك، فقبض أرواحهما، فبلغ ذلك أمهما فقالت: تفخر على الناس بدعوتك المجابة، ثم رفعت برأسها إلى السماء وقالت: يا إلهي أسألك بما بيني وبينك إلا وهبت لي ولدي، فقاما حيين بإذن الله تعالى.

● **حكاية:**

مرت رابعة العدوية رحمها الله على رجل معه خروف مشوي، فنظرت إليه طويلاً وبكت. فقال: ما لك؟ تريدين أن تأكلي منه شيئًا؟ فقالت: ما نظرت إليه من قِبَل الشهوة،

وإنما نظرت إليه من جهة أن الحيوانات يدخلون النار أمواتًا وابن آدم يدخلها حيًا.

● **مسألة.**

لو حلف أن لا يأكل رؤوس الشوى، لم يحنث إلا برؤوس الغنم، أو لا يأكل لحم هذا الخروف، فصار كبشًا فأكله لم يحنث.

نظيره: لو حلف أن لا يكلم هذا الصبي فكلمه شيخًا، لم يحنث، أو لا يأكل هذا اللحم فأكله شويًا، حنث. قاله في «الروضة».

قال في نزهة النفوس والأفكار: وأنفع الرؤوس رأس الضأن، وأكلها يقوي البدن الضعيف، وهي كثيرة الغذاء وتسخن المعدة.

وقال الفرزدق[١] لرجل: إذا اشتهيت لحمًا فإياك والرأس والبطن؛ فإن الداء فيهما.

وقال غيره: فاكهة اللحم: الرؤوس، وأجودها: لحم الخدين.

قال محمد بن شهاب: أكل اللحم يزيد سبعين قوة.

وكان ابن عمر رضى الله عنهما لا يفوته اللحم في السفر ولا في شهر رمضان طلبًا للقوة على العبادة.

واختلف العلماء في الخبز واللحم أيهما أفضل؟

قال ابن مفلح: يتوجه أن اللحم أفضل؛ لأنه طعام أهل الجنة.

قلت: وهذا التعليل لا يؤخذ منه أفضلية اللحم على الخبز، لأن غيره طعام أهل الجنة أيضًا، بل تؤخذ الأفضلية من قوله ﷺ: ((**سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة: اللحم**))[٢].

وقال علي رضي الله عنه: كلوا اللحم فإنه جلاء للبصر، ويُصفي اللون، ويحسن الخلق، من تركه أربعين يومًا ساء.

وفي «لقط المنافع»: عن النبى ﷺ: ((**للقلب فرحة عند أكل اللحم**))[٣].

وفيه أيضًا: أردأ اللحم: لحم الخيل والإبل.

---

(١) الفرزدق مقدم شعراء العصر، أبو فراس، همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال التيمي البصري، روى عن عليّ وأبي هريرة والحسين وابن عمر وأبي سعيد، قال أبو عمرو بن العلاء: لم أر بدويًا أقام بالحضر إلا فسد لسانه غير رؤبة والفرزدق. انظر تاريخ الإسلام.وفيات (١٠١-١١٠).

(٢) أخرجه: ابن ماجه (٣٣٠٥) كتاب الأطعمة ٢٧-باب اللحم، قال في الزوائد: في إسناده أبو مشجعة وابن أخيه مسلمة بن عبد الله لم أر من جرحهما ولا من وثقهما، وسليمان بن عطاء: ضعيف، قال: السندي: قال الترمذي: واتهم بالوضع. وأخرجه: العجلوني في كشف الخفا (١/ ١٥٤، ٥٥٩) وابن الجوزي في الموضوعات(٢/ ٣٠٢).

(٣) أخرجه : الكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (٢/ ٩٤) .

وفي «نزهة النفوس»: لحم الضأن يزيد في الحفظ ويقوي الذهن، وأطيبه لحم الظهر، والمطبوخ أنفع وأخف على المعدة من المشوي والمقلي.

وأنفع المشوي من الضأن ما عمره سنة، وكذلك العجل السمين؛ لأنه من سنة إبراهيم ﷺ.

ولحم الماعز يورث السوداء والنسيان، ويفسد الدم، خصوصًا المشايخ، ومن طبعه بارد، ولحم البقر كثير الضرر إلا إذا أكل بالزنجبيل أو الفلفل الكثير.

وأجود اللحوم لحم الدجاج.

قال في «لقط المنافع»: لحم الدجاج يحسن اللون، ويقوي العقل خصوصًا التي لم تبض، ولحم الديك العتيق ينفع من القولنج، وهو دواء لا غذاء، بمعنى أنه لا يكثر منه، وأجود الديوك ما لم يصفق بجناحيه.

● **حكاية.**

خرج مالك بن دينار[1] رحمه الله بعد صلاة العشاء لحاجة له، فرأى الثلج نازلاً من السماء يمينًا وشمالاً، فتفكر في تطاير الصحف إلى طلوع الشمس ونسي حاجته.

قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال ﷺ: «**أما في ثلاث مواطن فلا يذكر أحدٌ أحدًا: عند تطاير الصحف، وعند الميزان، وعند الصراط**».

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: سألتك يا رسول الله أن تشفع لي يوم القيامة، قال: «**أنا فاعل ذلك غدًا إن شاء الله تعالى**». قلت: فأين أطلبك؟، قال: «**عند الحوض**». قلت: فإن لم ألقاك؟ قال: «**عند الميزان**»، قلت: فإن لم ألقاك؟ قال: «**عند الصراط؛ فإني لا أخطئ هذه الثلاثة**»[2].

قال ابن الجوزى: الصراط شعرة من جفن مالك بوَّاب جهنم، طولها ألف عام.

---

(١) مالك بن دينار ، أبو يحيى، أبو هاشم السلمي الناجي البصري القرشي، صدوق عابد، أخرج له البخاري تعليقا وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة (١٢٣/ ١٢٤/ ١٢٥).

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٤٣٣) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ما جاء في شأن الصراط، وأحمد في مسنده (٦/ ١٠١)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٦٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٥٩٥)، والسيوطي في الدر المنثور(٣/ ٧٠) والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٢٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٤٩٥).

● **فائدة.**

قال في كتاب «النورين في إصلاح الدارين»: من قال خلف كل فريضة: ((أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهًا واحداً وربًا شاهداً وأنا من المسلمين، جعل له الصراط أربعة أذرع)).

قال بعض العلماء: الحوض يَرِدُه الناس قبل الميزان.

ومال إليه القرطبي؛ لأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشًا. وقيل: بعد الصراط، أورده الإمام الغزالي رحمه الله.

● **مسألة.**

لو قال: «أنت طالق كالثلج أو كالنار»، وقع الطلاق في الحال. نقله الرافعي في آخر الباب الأول من أبواب الطلاق، ثم نقل عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: إن قصد التشبيه بالثلج في البرودة وفي البياض وبالنار في الاستضاءة طلقت سنيًا، أعني: وهي طاهرة، وإن قصد التشبيه بالثلج في البرودة وبالنار في الحرارة والإحراق طلقت في زمن البدعة، أعني وهي حائض.

ولو قال في الصيف: «اشتر لي ثلجًا»، فليس له شراؤه أيام الشتاء. قاله الرافعي في باب الوكالة.

● **فائدة.**

قال في «مفردات ابن البيطار» وغيرها: إن الثلج يسكن وجع الأسنان الحارة، لأنه بارد بطبعه، والعلة تداوى بضدها.

وقد غلط من قال: «إن الثلج حار»، غلطًا قبيحًا.

والماء المبرد بالثلج أنفع من الثلج، ثم الثلج يقوي المعدة، ويصلح الأمزجة الحارة، وكل ذلك رديء للمشايخ.

● **لطيفة.**

الثلج في المنام رزق لمن أكله في وقته، وإن كان كثيراً فهو عذاب، لأنه من الآيات التي أرسلها الله على بني إسرائيل.

ومن وقع عليه ثلجٌ أصابه هَمٌّ.

● **حكاية.**

قال منصور بن عمار رحمه الله: رأيت شابًا يصلي صلاة الخائفين، فلما فرغ قلت له:

إن في جهنم واديًا يقال له: ﴿لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ الآية ؟[المعارج:١٥، ١٦] ، أي لجلدة الرأس، وقيل: لمحاسن الوجه. فوقع مغشيًا عليه، فلما أفاق قال: زدني.

فقلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ الآية، فوقع ميتًا.فرأيت على صدره مكتوب: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ﴾ [الحاقة:٢١، ٢٢].

ثم رأيته في المنام فسألته عن حاله وهو على سرير على رأسه تاج فقال: أنا في ثواب أهل بدر. قلت: بماذا؟، قال: لأنهم قتلوا بسيف الكفار، وأنا قتلت بسيف الجبار.

● موعظة:

الحجارة المذكورة في الآية حجارة الكبريت[1]؛ لأنها سريعة الاتقاد وشديدة الحرارة، ومنتنة الريح.

● فائدة:

الكبريت إذا دق ووضع على لسعة حية أو عقرب زال الألم، ودخانه تهرب منه الحية والعقرب، ويزيل الطرش من الأذن، وإذا دق وخلط بماء ووضع على البهق أزاله.

● حكاية:

في كتاب «نرجس القلوب»: كان في الزمن الأول عبد تمادى في عصيانه وزاد في طغيانه، فتداركه الله. فقال لزوجته: هل من يشفع لي؟ قالت: لا، قال: أتوب إلى الله؟، قالت: لا تذكره؛ فقد أفسدت المعاملة بينك وبينه. فخرج إلى الصحراء وقال: يا سماء اشفعي لي ويا أرض اشفعي لي، فما زال كذلك حتى وقع مغشيًا عليه، فبعث الله إليه ملكًا فأجلسه ومسح وجهه وقال: أبشر فقد قبل الله توبتك.

فقال: من كان شفيعي إليه؟ قال: خوفك.

● حكاية:

خرج عبدالله بن عمر رضى الله عنهما إلى السفر ومعه أصحابه، فوضعوا سفرة للأكل، فمر بهم راع فدعاه ابن عمر، فقال: إني صائم.

---

(١) في قوله تعالى ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ المراد بالحجارة هي هاهنا حجارة الكبريت العظيمة السواد الصلبة النتنة وهي أشد الأحجار حراً إذا حميت أجارنا الله منها، وعن ابن مسعود قال: هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين. رواه ابن جرير وهذا لفظه وابن أبي حاتم، والحاكم في مستدركه. تفسير ابن كثير (١/ ٦١).

قال: في مثل هذا الحر وأنت ترعى الغنم؟!

فقال: أبادر أيامي الخالية.

فقال له: هل لك أن تبيعنا من غنمك؟

قال: إنها لمولاي، قال: فما يقول لك إن قلت: «أكلها الذئب».

فولى الراعي وهو يقول: أين الله؟ أين الله؟ أين الله؟ فما زال ابن عمر يقول: قال الراعي: أين الله؟ أين الله؟ أين الله؟ حتى قدم المدينة، فسأل عن الغلام فاشتراه وأعتقه واشترى الغنم ووهبها له. وقال: أعتقتك كلمتك في الدنيا، فأرجو أن تعتقك في الآخرة.

قلت: إنما قال عبد الله بن عمر: فما يقول لك مولاك إن قلت: أكلها الذئب، اختباراً له أنه أمره بالكذب.

● حكاية.

قالت أخت بشر الحافي[1] رحمهما الله: خرجت بعد طلوع الفجر، فرأيت أخي واضعًا إحدى رجليه على عتبة الباب، فسألته عن ذلك، فقال: من أول الليل أتفكر في بشر الحافي، وبشر المجوسي، وبشر اليهودي، أيهم الناجي في الآخرة؟

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: رأيت كأني دخلت الجنة، فرأيت فيها: ثلاثمائة نبي، فسألتهم: ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا؟ قالوا: من سوء الخاتمة.

قال بعض الحكماء: الحزن يمنع الطعام، والخوف يمنع الذنوب، والرجاء يقوي على الطاعة.

وعن النبي ﷺ[2]: **«المؤمن بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليتزود العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار»**.

● حكاية.

نقل العلامي في تفسيره في سورة يوسف: إن الفضيل كان يقطع الطريق، فبينما هو ذات ليلة واضع رأسه في حجر غلامه إذا ظهرت قافلة، فلما دنوا منها قالوا: إن «الفضيل»

---

(١) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء هلال أبو نصر المرزوي المعروف بالحافي، الزاهد البغدادي ثقة، قدوة أخرج له: أبو داود في مسائله، والنسائي في مسند عليٍّ، توفي سنة (٢٢٧). انظر ترجمته في التهذيب (١/ ٤٤٤)، والتقريب (١/ ٩٨) سير الأعلام (١٠/ ٤٦٩) الجرح والتعديل (٢/ ٣٥٦) ميزان الاعتدال (١/ ٣٢٨).

(٢) أخرجه: الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨/ ٨٦) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٢٠٠).

هاهنا فكيف نصنع؟ فقال ثلاثة من قراء القرآن في القافلة: نرمي إليه ثلاثة أسهم، فإن رجع رجعنا، فرمى واحد منهم سهمًا وقال[1]: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

فصاح الفضيل وقال: يا غلام أصابني سهم الله.

ثم رمى الثاني سهمًا وقرأ قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ فصاح وقال: يا غلام أصابني سهم الله .

ثم رمى الثالث سهمًا وقرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾. فصاح صيحة عظيمة ثم قال لغلامه ورفقائه: ارجعوا فإني نادم ، قد دخل خوف ربي قلبي. فتوجه نحو مكة شرفها الله تعالى، فرآه الرشيد فقال: يا فضيل، رأيت في المنام قائلاً يقول: ألا إن الفضيل قد خاف ربه، واختار خدمته. فبكى وقال: يا رب تجيب عبداً كان هاربًا مذنبًا منذ أربعين سنه، انتهى ذلك.

ومات الفضيل رحمه الله بمكة سنة سبع وثمانين ومائة، وضريحه ظاهر يزار[2].

● لطيفة:

النخلة إذا نبتت على أرض باردة كانت سريعة التلف وثمرها رديء، كذلك القلب إذا كان بارداً من خشية الله كان عمله قليلاً ويخاف عليه عند الموت من زوال الإيمان والعياذ بالله.

● فائدة:

قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: ما من مؤمن يعمل حسنة وسيئة ويرجو قبول حسنته ويخاف المطالبة بسيئاته إلا كانت السيئة بين الرجاء والخوف كثعلب بين أسدين.

---

(١) قال الذهبي في تاريخ الإسلام عن الفضل بن موسى قال: كان الفضيل بن عياض شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها سمع رجلاً يتلو ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فقال: يا رب قد آن. فرجع، فآواه الليل إلى خربة، فإذا فيها رفقة فقال بعضهم: نرتحل؟ وقال قوم: حتى نصبح فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا، فتاب الفضيل وأمنهم وجاور بالحرم حتى مات. تاريخ الإسلام وفيات (١٨١-١٩٠).

(٢) قال الذهبي: كانت قراءاته حزينة شهية بطيئة مترسلة كأنه يخاطب إنسانًا، إذا مر بآية فيها ذكر الجنة تردد فيها وسأل، وكانت صلاته بالليل أكثر ذلك قاعداً يلقى له حصير فيصلي في أول الليل ساعة ثم تغلبه عيناه فينام قليلاً ثم يقوم فإذا غلبه نام ثم يقوم هكذا حتى يصبح.توفي رحمه الله سنة سبع وثمانين ومائة. تاريخ الإسلام وفيات (١٨١-١٩٠). وأما زيارة الضريح، فهي لا تجوز في دين الله ﷻ، وقد قدمنا الكلام في هامش سابق على زيارة القبور وما العلة في زيارتها، ونبهنا على المصادر التي يرجع إليها في هذا الأمر، والله الموفق والهادي إلى الصواب.

● **مسألة:**

قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله: لو قال قائل: أيهما أفضل: الخوف أو الرجاء؟ فهو سائل فاسد كقول القائل: هل الخبز أفضل أم الماء؟

فالجواب: أن يقال: الخبز للجيعان أفضل، والماء للعطشان أفضل، فإن اجتمع الجوع والعطش فضلنا الأغلب منهما، فإن تساويا تساويا في الفضيلة. وهذا التفضيل يأتي في الخوف والرجاء. فإن كان الأغلب على العبد الأمن فالخوف أفضل، أو اليأس من رحمة الله تعالى والعياذ بالله فالرجاء أفضل .

● **لطيفة:**

قال الإمام الحناطي رحمه الله: يقول الله تعالى يوم القيامة لأحد الخصمين إذا اختصما إليه: قد ظلمك أخوك، فإن أخذت مظلمتك من أخيك أخذت منك حقي، وإن عفوت عنه عفوت عنك.

قال الغزالي في «الدرة الفاخرة» كلامًا نحو ما قاله الحناطي ثم قال: وذلك لمن له من الله غاية.

وقال صالح بن عبدالكريم: الخوف والرجاء لهما نوران، فقيل: أيهما أنور؟ فقال: الرجاء، فبلغ ذلك أبا سليمان الداراني رحمه الله فقال: واعجباه، الخوف يتشعب منه الصوم والصلاة والأعمال الصالحة .

فكتب إليه: الخوف راجع إلى سوء الأدب، والرجاء راجع إلى كرم المولى سبحانه.

قال الإمام النووي رحمه الله: أحاديث الرجاء أكثر من أحاديث الخوف.

وقال في «حاوي القلوب الطاهرة»: قيل لبعضهم: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه وقال: لم خفتني كل ذلك الخوف أما علمت أني كريم؟!.

وقال الفضيل رحمه الله تعالى: المحبة أفضل من الخوف، ألا ترى لو كان عبدان أحدهما يحبك والآخر يخاف منك، فالذي يحبك ينصحك دائمًا، والذي يخافك لا ينصحك إلا في حضرتك.

وقيل: أرسل الله تعالى ملكًا إلى سليمان عليه الصلاة والسلام فقال: إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك: اسأله حاجة، فقال: حاجتي أن يجعل قلبي يحبه ويخشاه، فقال وعزتي وجلالي لأهبن له ملكًا لا ينبغي لأحد بعده[1].

---

(١) في قوله: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ﴾.

● **موعظة:**

قال سفيان الثوري رحمه الله: قال الله تعالى لجبريل: ادن، فدنا، ثم انتفض، ثم قال: ادن فدنا، ثم انتفض، ثم قال: ادن فدنا، ثم انتفض.

فقال: ألم ائتمنك؟ ألم أرسلك؟ فقال: بلى ولكن وعزتك لا آمننَّ مكرك. فقال: كذلك.

رأى النبي ﷺ جبريل متعلقًا بأستار الكعبة وهو يقول: إلهي لا تغير اسمي ولا تبدل جسمي، فإن الفراق بعد الوصال شديد، والهجران بعد القرب أليم.

● **حكاية:**

قال ابن عباس رضى الله عنهما: قدم وفد من العرب وفيهم شاب فقال للشيوخ: انطلقوا وآمنوا بمحمد ﷺ وأنا أحفظ رحالكم، ففعلوا، ثم جاء الشاب وتعلق بالنبي ﷺ وقال: أستجير بك من النار، فقالوا: دعه يا غلام. فقال: لا والذي بعثك بالحق، حتى يجيرني. فنزل جبريل وقال: أخبره أن الله تعالى قد أجاره.

● **موعظة:**

في قصة بلعام بن باعوراء[1] وبرصيصا العابد لأولي الألباب، فالأول عَبَدَ الله أربعمائة عام، ثم مكر الله به، فحول وجهه إلى عبادة الشمس، وتقدم أنه لم يشكر ربه يومًا من الأيام.

والثاني: عبَدَ الله مائة عام، وكان مجاب الدعوة، فأرسل ملكُ ابنته إليه ليدعو لها؛ فقال إبليس: اتركها عندك الليل، فلما جاء الليل وسوس له حتى زنا بها، فقال: اقتُلها وإلا فضحتك بين الناس، فقتلها، فأخبر إبليس الملك بذلك، فأمر بصلبه، فلما صلب جاءه إبليس فقال: من فعل هذا بك؟ قال: أنت، قال: فمن يخلصك؟ قال: أنت. قال: فاسجد لي سجدة، فسجد له بالإشارة، فمات كافراً.

وسيأتي في باب التحذير من كيد الشيطان ومكره.

---

(١) قال عبد الرزاق بسنده عن ابن مسعود في قوله تعالى ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ الآية قال: هو رجل من بني إسرائيل يقال له: بلعم بن باعوراء. وقال كعب: كان رجلاً من أهل البلقاء وكان يعلم الاسم الأكبر وكان مقيمًا ببيت المقدس مع الجبارين، وعن ابن عباس: كان من أهل اليمن ويقال له: بلعم، آتاه الله آياته فتركها، وقال مالك بن دينار: كان من علماء بني إسرائيل وكان مجاب الدعوة يقدمونه في الشدائد بعثه نبي الله موسى عليه السلام إلى ملك مدين يدعوه إلى الله فأقطعه وأعطاه فتبع دينه وترك دين موسى عليه السلام. تفسير ابن كثير(٢/ ٢٧٠).

وقال رجل لأبي بكر الصديق ﷺ: رأيت في المنام كأني خرجت من روضة مخصبة إلى أرض مجدبة، فقال: أخاف عليك من زوال الإيمان، فكان كما قال ﷺ.

قال بعض العلماء: لعل هذا من المنافقين.

وقال أبو النصر السمرقندي رحمه الله: رأى رجل في منامه كأن سورة الإخلاص في يده مكتوبة وهو يلحسها بلسانه.

فسأل بعض المعبِّرين عن ذلك فقال: احفظ دينك. ثم خرج إلى الجهاد، فأخذه العدو، فعرضوا عليه جارية حسناء، فرجع عن دينه.

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ[1]: «إني أرى ما لا ترون، أطّت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله سبحانه وتعالى»[2] رواه الترمذي، وقيل: حديث حسن.

قال النووي رحمه الله: أطَّت -بفتح الهمزة وتشديد الطاء- وتئط -بفتح التاء وبعدها همزة مكسورة- والأطيط: صوت الرجل، ومعناه: أن كثرة من في السموات من الملائكة العابدين قد أثقلتها حتى أطَّت.

و«الصُّعُدات»: بضم الصاد والعين: الطرقات، ومعنى «تجأرون»: تستغيثون.

وروي عن عدي بن أرطأة[3] أنه قال: ألا أحدثكم بحديث ما بيني وبين رسول الله ﷺ إلا رجل، قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة في السماء السابعة سجودًا مذ خلقهم الله إلى يوم القيامة ترعد فرائصهم من مخافة الله ﷻ، فإذا كان يوم القيامة رفعوا رءوسهم وقالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك».

---

(١) هو في الترمذي وابن ماجه وسيأتي. وعن أبي هريرة في الترمذي (٢٣١٣) وعن أنس بن مالك في ابن ماجه (٤١٩١) وكلاهما مختصراً بلفظ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً».

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٣١٢) كتاب الزهد باب في قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً» وابن ماجه (٤١٩٠) كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء، وأحمد في مسنده (٥/ ١٧٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٠، ٥٤٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٦٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٦٥) وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٢٢).

(٣) عدي بن أرطأة، أخو زيد بن أرطأة الفزازي عامل عمر بن عبد العزيز، مقبول، أخرج له البخاري في الأدب توفي سنة (١٠٢) ترجمته: تهذيب التهذيب (٧/ ١٦٤)، تقريب التهذيب (٢/ ١٦)، الذيل علي الكاشف (١٠٣٤)، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٤٤)، الجرح والتعديل (٧/ ٨)، ميزان الاعتدال (٣/ ٦١)، طبقات ابن سعد (٥/ ٣٤٠/ ٣٨٠) الثقات (٥/ ٢٧١).

وعن أبي زكريا التيمي رحمه الله : أنه قال: بينما سليمان بن عبد الملك[1] في المسجد الحرام إذ أتي بحجر منقور، فطلب من يقرأه، فأتي بوهب رحمه الله، فقرأه فإذا فيه: ابن آدم، إنك لو رأيت قُرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك، ولرغبتَ في الزيادة من عملك، ولقصَّرت من حرصك وحيلك.

وإنما تلقى غداً ندمت وقد زلت قدمت، وأسلمك أهلك وحشمك، وبان منك الولد والقريب، ورفضك الوالد والنسيب، فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة، فبكى سليمان بكاءاً شديداً.

وقال: أبو بكر الصديق رضي الله عنه: وددت أني خضرة تأكلني الدواب مخافة العذاب .

وقال عمر رضي الله عنه: من خاف الله لم يشف غيظه، ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان الأمر غير ما ترون.

وقال أيضًا: لو وقفت بين الجنة والنار، فخيرت بينهما وبين أن أصير رماداً اخترت أن أكون رماداً.

وقيل لأويس القرني رحمه الله: ما أوثق ما يثق به العبد من عملك؟ قال : لقد نزلت هيبة الله في قلبي ما أهاب شيئًا غيره.

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: إنما جعل الله هذه الغفلة في قلوب العباد رحمة لهم، كي لا يموتوا من خشيته. وكان عطاء السلمي رحمه الله يمس جسده في بعض الليالي مخافة أن يكون قد مُسخ. وقال ابن وهب: سمعت سفيان بن عيينة ينشد ويقول:

من كان يعلم أن الموت يدركـــــه	والقبر منزله والبعض مخـــرج
وأنه بين جـــــنات ستبهجـــــه	يوم القيامة أو نار ستنضجـــه
فكل شيء سوى التقوى به سمـح	وما أقام عليه منه أسمجــــــهُ
ترى الذي اتخذ الدنيا لــه وطنــاً	لم يدر أن المنايا سوف تزعجـه

وفي «الصحيح» عن رسول الله أنه قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظلهُ[2]: إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان

---

(١) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الخليفة، أبو الوليد القرشي الأموي، بويع بعهد من أبيه في خلافة ابن الزبير، وبقي على مصر والشام وابن الزبير على باقي البلاد مدة سبع سنين ثم غلبه عبد الملك على العراق وما والاها في سنة اثنتين وسبعين، وبعد سنة قتل ابن الزبير واستوثق الأمر لعبد الملك، وولد سنة (٢٦) وكان عابداً ناسكًا بالمدينة قبل الخلافة وشهد يوم الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين وحفظ أمرهم، توفي سنة (٨٦). تاريخ الإسلام وفيات (٨١-٩٠).

(٢) قال القاضي عياض: إضافة الظل إلى الله يوم القيام إلى الله تعالى إضافة ملك وكل ظل فهو لله وملكه وخلقه وسلطانه، والمراد هنا: ظل العرش، وقال القاضي: وقال ابن دينار: المراد بالذل هنا الكرامة والكنف والكف من المكاره في ذلك =

تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»[١].

وقال يزيد الرقاشي رحمه الله: خرج داود عليه الصلاة السلام مرة ينوح على نفسه، ومعه أربعون ألفًا، فمات منهم ثلاثون ألفًا، فما رجع إلاَّ في عشرة آلاف.

وكان إذا جاءه الخوف سقط واضطرب حتى يقعد إنسان على رجليه وآخر على صدره تتفرق أعضاؤه ومفاصله.

وروي: أن إبراهيم عليه السلام كان كثير البكاء، فأتاه جبريل عليه السلام وقال له: الجبار يقرئك السلام ويقول: هل رأيت خليلاً يخاف خليله؟! فقال: يا جبريل إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي.

قال الإمام العالم العلامة الشيخ عبد العزيز الديريني رحمه الله: هذا خوف المرسلين عليهم الصلاة والسلام مع عصمتهم من المخالفات وطهارتهم عن الزلاَّت، وإنما كانت خطاياهم نظرة إلى مباح، أو لفظة في ظاهرها مكروه وباطنها صلاح.

إبراهيم عليه الصلاة والسلام كسَّر الأصنام وقال: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا﴾ يعني: على زعمكم (ليخصكم)[٢] قومه ويظهر الحجة عليهم في عبادة من لا يقدر على شيء.

وقال في زوجته سارة: «هذه أختي» يعني: في الإسلام ليُخلِّصها من يد ظالم، وليس في شيء من هذا إثم، ولا وزر.

وداود عليه الصلاة والسلام نظر إلى امرأة جاره[٣] أول نظرة، ثم غضَّ طرفه، ولا إثم

=الموقف، قال: وليس المراد بالظل الشمس، قال القاضي: وما قاله معلوم في اللسان يقال: فلان في ظل أي في كنفه وحمايته. قال: وهذا أولى الأقوال وتكون إضافته إلى العرش لأنه مكان التقريب، والكرامة، وإلا فالشمس وسائر العالم تحت ظلّ العرش وفي ظله النووي في شرح مسلم (٧/ ١٠٨) طبعة دار الكتب العلمية.

(١) أخرجه: البخاري (٦٦٠) كتاب الأذان، ٣٦-باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، وفي كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين رقم (١٤٢٣)، وفي أرقام (٦٤٧٩، ٦٨٠٦) ومسلم في الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، رقم (٩١)، والترمذي (٢٣٩١) كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله. والنسائي (٨/ ٢٢٢-المجتبي)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٣٩)، وابن خزيمة في صحيحه (٣٥٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢١٧).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره: قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثًا لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضى الله عنه ويزيد =

في ذلك، ثم اشتهى أن تكون زوجته في الحلال، فخرج زوجها إلى الغزو فقتل من غير أن يتسبب داود في قتله بشيء. هذا أعظم ما ورد في قصته، وما زاد على هذا فهو باطل.

وقيل : إنه سأله أن يطلقها، قاله ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما، وقيل: إنما كان خاطبًا وسأله أن ينزل عن خطبتها، وليس في شيء من هذا إثم، وإنما هم كانوا أعلم بالله وأشد خشية وتعظيمًا. فصارت هذه الأشياء عندهم عظائم لشدة إجلالهم لله وتعظيمهم لهيبته[1] .

فلا يغتر الجاهل المسكين بما يسمع من ذكر معاصي هؤلاء، بل ينبغي أن يشتد خوفه ووجله وإشفاقه من ذنوبه، وينظر شدة خوفهم مع رفيع مقامهم وخفة هفواتهم، فكيف يَطيبنَّ قلب من لم يعلم عاقبة أمره؟ أو كيف يسكن قلق من ضيع في المخالفات سالف عمره؟! فنسأل الله تعالى أن يتغمدنا برحمته وإحسانه إنه هو الغفور الرحيم .

وعن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله قال: لكل شيء زينة، وزينة العباد الخوف، وعلامة الخوف قصر الأمل .

وقال ذو النون المصري رحمه الله: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإن زال عنهم الخوف زالوا عن الطريق .

وقال وهب بن منبه رحمه الله: علامة الخوف طاعة الله، ومن يعصي الله ثم يزعم أنه يخاف فقد كذب. وقال النووي رحمه الله: الخائف يهرب من ربه إلى ربه .

وقال إبراهيم بن سنان رحمه الله: إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه وطرد رغبة الدنيا عنه.

وقال حاتم الأصم رحمه الله: لا تغتر بموضعٍ صالحٍ، فلا مكان أصلح من الجنة، ولقي آدم عليه الصلاة والسلام فيها ما لقي. ولا تغتر بكثرة العبادة، فإن إبليس بعد طول تعبده لقي ما لقي. ولا تغتر بكثرة العلم، فإن بلعام[2] كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقي. ولا تغتر

=وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولي أن يقتصر على تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله ﷻ فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضًا. تفسير ابن كثير (٤/ ٣١).

(١) في قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ...﴾ الآية هذه الوصية من الله ﷻ لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله، وقد توعد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد. المرجع السابق (٤/ ٣٢).

(٢) قال ابن كثير في تفسيره (تفسير سور الأعراف) : هو من نزل في حقه تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾: المشهور في سبب نزول هذه الآية: إنما هو رجل من المتقدمين في زمن بني إسرائيل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف. وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس: هو رجل من مدينة الجبارين يقال له : بلعام، وكان يعلم اسم الله الأكبر.

برؤية الصالحين فلا شخص أكبر من رسول الله ﷺ ولم ينتفع بلقائه بعض أقاربه وأعدائه.

وعن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: لا يغرُنَّك قول من قال: «المرء مع من أحب»[١]، فإنكم لن تلحقوا الأبرار إلا بأعمالكم، وإن اليهود والنصارى وأهل البدعة يحبون أنبيائهم وليسوا معهم.

وقيل: للرجاء والخوف علامتان، فعلامة الرجاء: عملك لله بما يرضى، وعلامة الخوف: اجتنابك ما نهى الله عنه.

وعن رسول الله ﷺ: «يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافراَ»[٢].

وأكثر ما يكون عند الموت بأرباب البدع وأصحاب الآفات الباطنة أو الظَّلمة الجاهرين بالمعاصي، فمن كان في ظاهره الصلاح، ومكر به فالآفات باطنة.

ذكر: أن رجلاً من أصحاب الفضيل بن عياض رحمه الله مات، فرآه الفضيل رحمه الله في المنام فسأله عن حاله فأخبره أنه مكر الله تعالى به ومات يهوديًا، فقال له: لم ذلك؟ قال: لأني كنت أظن أني أفضل أصحابك، فكنت أتكبر عليهم، وكانت بي علة باطنة، فوُصفَ لي شرب الخمر، فكنت أشرب قدحًا في كل سنة. وأنشد:

حسَّنت ظنك بالأيام إذا حسَّنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القــدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بهـــا ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وخرج عيسى عليه الصلاة والسلام يومًا ومعه عابد من عباد بني إسرائيل فتتبعهما رجل عاصٍ فمقته العابد. وقال: اللهم لا تجمع بيني وبين هذا العاصي. فقال العاصي: اللهم اغفر لي.

فأوحى الله إلى عيسى عليه الصلاة والسلام : قد استجبت دعاؤهما، فرددت للصالح، وغفرت للمجرم.

ومرض بعض العارفين رحمهم الله فقال لبعض إخوانه: اقعد عند رأسي حتى أموت، فإن متُّ على الإسلام فاشتر بجميع ما أملكه لوزًا وسكرًا وفرقه على صبيان البلد، وقل:

---

(١) حديث: «المرء مع من أحب» أخرجه: مسلم (٦٥-(٢٦٤٠) كتاب البر والصلة والآداب، ٥٠- باب المرء مع من أحب، عن ابن مسعود قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحب قومًا ولمَّا يلحق بهم؟ قال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب».

(٢) أخرجه: الترمذي (٢١٩٥) كتاب الفتن، وباب ما جاء: «ستكون فتن كقطع الليل المظلم»، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٩١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٤٨)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٢٥)، وأبو عوانة في مسنده (١/ ٢٥٠)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٦٧).

هذا غرس فلان. وإن لم يكن كذلك فأعلم الناس حتى لا يغتروا بجنازتي. فقعد عند رأسه حتى مات على الإيمان، فاشترى اللوز والسكر وفرقه على صبيان البلد، فهذا كان خائفًا فسلم، ومن لم يخف من سلب الإيمان فهو على خطر.

شكا نبي من بني إسرائيل الجوع والفقر، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: عبدي أما رضيت أن عصمت قلبك أن تكفر بي حتى تسألني الدنيا. فأخذ التراب ووضعه على رأسه وقال: بلى يا رب قد رضيت.

ويقال في قوله تعالى إخباراً عن أهل الجنة: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾، [الطور:٢٦]: أي كنا نحن في الدنيا بين أهلنا خائفين من سوء الخاتمة، ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور:٢٧]، أي: منَّ الله علينا فتوفنا على الإيمان.

وقال حامد رحمه الله: إذا صَعَدتِ الملائكة بروح المؤمن تقول الملائكة: كيف سلم هذا من دار فُتن فيها خيارنا؟! وسيأتي بيان ذلك في الباب في قصة هاروت وماروت.

وقال سفيان الثوري رحمه الله: رأيت رجلاً متعلقًا بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم سلِّم، اللهم سلِّم. فقلت: ما قصتك يا أخي؟، قال: كنا أربعة أخوة مسلمين، فتوفي منا ثلاثة كل واحد يُفتن عند موته ولم يبق إلا أنا، ولا أدري ما يُختم(به حالي)[1].

وتاب رجل نباش، فسئل عن سبب توبته؟ فقال: رأيت سبعين رجلاً في قبورهم قد حولوا عن القبلة.

وقال الحسن البصري رحمه الله: دخل بعض الفقراء بلاد الروم فرأى جارية جميلة، فافتتن بها فخطبها، فأبوا أن يزوجوه حتى يتنصر، فأجابهم إلى ذلك، فأحضروا القسيسين وتنصَّر، فخرجت الجارية وبصقت في وجهه.

وقالت: ويحك تركت دين الحق لشهوة ساعة، فكيف لا أترك أنا دين الباطل لنعيم الأبد، أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

هذا آخر ما نقلته مما ذكر الشيخ عبد العزيز الديريني رحمه الله ونفعنا به والمسلمين آمين.

وروي أن العبد إذا كان عند الموت قعد عنده شيطانان، الواحد عن يمينه على صفة أبيه يقول: يا بني إني كنت عليك شفيقًا، ولك محبًا، ولكن مت على دين النصارى، وهم خير الأديان. والآخر عن شماله على صفة أمه يقول: يا بني إنه كان بطني لك وعاء، وثديي لك سقاء، وفخذي لك وطاء، ولكن مُت على دين اليهود وهو خير الأديان. ذكره أبو

---

(١) غير موجودة بالأصل.

الحسن القابسيّ في شرح ابن أبي زين له. وذكره معناه أبو حامد في كتاب «علم الآخرة».

روى ابن المبارك وسفيان، عن ليث عن مجاهد رحمهم الله أنه قال: ما من ميت إلا يعرض عليه أهل مجالسته الذين يجالس، إن كانوا أهل لهو فأهل لهو، وإن كانوا أهل ذكر فأهل ذكر.

وقيل لرجل عند الموت: يا فلان قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول: ده يا زده وازده، تفسير: عشرة، أحد عشرة، اثنا عشرة، كان هذا الرجل من أهل العمل والديوان، فغلب عليه الحساب والميزان.

وحكي: أن بعض السماسرة حضره الموت، فقيل: قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول: ثلاثة ونصف، أربعة ونصف، غلبت عليه السمسرة.

قال القرطبي رحمه الله: لقد رأيت بعض الحُسَّاب وهو في غاية المرض يعقد بأصابعه ويحسب. وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول: الدار الفلانية اعملوا فيها كذا. وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول: البقرة الصفراء، غلب عليه حبُّها والاشتغال بها.

وحكى ابن المظفر رحمه الله في كتاب «النصائح» له: أنه كان يونس بن عبيد بزازاً، وكان لا يبيع في طرفي النهار ولا في يوم غيم، فأخذ يومًا ميزانه فرضخه بين حجرين، فقيل له: ألا أعطيته الصانعَ فأصلح فساده؟! فقال: لو علمت فيه فساداً لما أبقيت من مالي قوت ليلة. قيل: فلم كسرته؟، قال: حضرت الساعة رجلاً احتضر للموت، فقلت له: قل لا إله إلا الله، فامتعض مني، فألححت عليه، فقال: ادع لي، فهذا لسان الميزان على لساني يمنعني من قولها، قلت: أفما يمنعك الآن من قولها؟ فقال: نعم. قلت: وما كان عملك به؟، قال ما أخذت ولا أعطيت بها إلا حقًا في علمي، غير أني كنت أقيم المدة لا أتفقده ولا أختبره، وكان يونس بعد ذلك يشترط على من بايعه أن يأتي بميزان ويزن بيده، وإلا لم يبايعه.

قوله: «أقيم المدة لا أتفقده ولا أختبره»، يحتمل أنه كان الميزان يتركه هذه المدة من غير إصلاح، يتغير فيه فيعطي به ناقصًا، ويأخذ به الراجح.

وقال الربيع: قيل لرجل بالبصرة: يا فلان قل : لا إله إلا الله، فجعل يقول:

يا رُبَّ قائله يومًا وقد لعبت ... كيف الطريق إلى حمام منجاب

قال الفقيه أبو بكر أحمد بن سليمان بن الحسن المنجاد: هذا رجل استدلته امرأة إلى الحمّام، فدلها إلى منزله، قال هذا عند الموت.

قال أبو محمد عبد الحق: وهذا الكلام له قصة، وذلك أن رجلاً كان واقفًا بإزاء داره، وكان بابها يشبه باب حمام فمرت به امرأة لها منظر، وهي تقول: أين الطريق إلى حمام ابن منجاب؟ فأشار إلى داره فدخلت الدار، ودخل وراءها، فلما رأت نفسها معه في داره، وعلمت أنه خدعها، أظهرت له البشر والفرح باجتماعهما معه على تلك الخلوة في تلك

الدار، وقالت له: يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا وتقر به أعيننا. فقال لها: آتيك بكل ما تريدين وتشتهين، فخرج وتركها في الدار، ولم يقفل، فتركها ومضى وأخذ ما يصلح لهما. ورجع ودخل الدار فوجدها قد خرجت وذهبت. فهام الرجل بها وأكثر الذكر لها والجزع عليها، وجعل يمشي في الطرق والأزقة وهو يقول:

يا رُبَّ قائلة يومًا وقد لعبت ... أين الطريق إلى حمام منجاب

وإذا جارية تجاوبه من طاقة وهي تقول:

قرنان هلا جعلت إذا ظفرت بها ... حرزًا على الدار أو قفلاً على الباب

فزاد هيمانه واشتد هيجانه، ولم يزل كذلك حتى كان من أمره ما ذكره. فنعوذ بالله من المحن والفتن. قلت: وقد ذُكر أن سبب فتنة هاروت وماروت شرب الخمر[1].

قال الثعلبي رحمه الله: وكانت قصتهما على ما ذكر ابن عباس ﷺ والمفسرون: أن الملائكة رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة، وذلك في زمن إدريس النبي عليه الصلاة والسلام، فعيَّروهم بذلك ودعوا عليهم وقالوا: هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض واخترتهم، فهم يعصونك، فقال الله ﷻ لهم: لو أنزلتكم إلى الأرض وركَّبت فيكم ما ركبت فيهم لارتكبتم ما ارتكبوا. فقالوا: سبحانك ما ينبغي لنا أن نعصيك.

قال الله ﷻ : فاختاروا. فاختاروا هاروت وماروت، وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم.

قال الكلبي رحمه الله: قال الله ﷻ لهم: اختاروا ثلاثة، فاختاروا هاروت وعرايا وماروت، فركب الله ﷻ فيهم الشهوات التي ركَّبها في بني آدم، وأهبطهم إلى الأرض، وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق، ونهاهم عن الشرك والقتل بغير حق والزنا وشرب الخمر.

فأما عرايا وهو عزرائيل، فإنه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال ربه وسأله أن يرفعه إلى السماء، فسجد أربعين سنة، ثم رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطأطئًا رأسه حياءً من الله ﷻ.

---

(١) روى أحمد في مسنده بسنده عن ابن عمر أنه سمع نبي الله ﷺ يقول: «إن آدم ﵇ لما أهبطه الله إلى الأرض قالت الملائكة: أي رب ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ قالوا: ربنا نحن أطوع لك من بني آدم، قال الله تعالى للملائكة: هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض فننظر كيف يعملان؟ قالوا: ربنا هاروت وماروت. فأهبطا إلى الأرض، ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءتهما فسألاها نفسها فقالت: لا، والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشراك. فقالا: والله لا نشرك بالله شيئًا أبداً، فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي فسألاها نفسها فقالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبي فقالا: لا والله لا نقتله ابداً ، فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها فقالت: لا والله حتى تشربا هذا الخمر، فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي، فلما أفاقا قالت المرأة: والله ما تركتما شيئًا أبيتماه عليَّ إلا قد فعلتماه حين سكرتما، فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا، وهكذا رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه. تفسير ابن كثير (١/ ١٣٨).

وأما الآخران، فإنهما ثبتا على ذلك، وكانا يقضيان بين الناس يومهما، فإذا أمسيا ذكرا اسم الله ﷻ وصعدا إلى السماء.

قال قتاده رحمه الله: فما مر عليهما شهر حتى أُفتتنَا، وذلك أنه اختصم إليهما ذات يوم الزهرة، وكانت من أجمل الناس.

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: وكانت من أهل فارس، وكانت ملكة في بلدها، فلما رأياها أخذت بقلبهما فراوداها عن نفسها، فأبت وانصرفت. ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك، فأبت وقالت: لا إلاَّ أن تعبدا ما أعبد، وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر، فقالا: لا سبيل على هذه الأشياء، فإن الله ﷻ قد نهانا عنها، فانصرفت. ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر، وفي نفسهما من الميل إليها ما فيها، فراوداها عن نفسها. فعرضت عليهما ما قالت بالأمس، فقالا: الصلاة لغير الله تعالى أمر شديد، وأهون الثلاثة شرب الخمر، فشربا الخمر فنسيا، ووقعا بالمرأة وزنيا، فلما فرغا رآهما إنسان فقتلاه.

وقال الربيع: وسجدا للصنم فمسخ الله تعالى الزهرة كوكبًا.

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه و رضي الله عنه والسدي والكلبي رحمهم الله: أنها قالت لهما: لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء. فقالا: بسم الله الأعظم. قالت: فما أنتما تُدركاني حتى تُعلّمانيه.

فقال: أحدهما لصاحبه: علّمها، فقال: إني أخاف الله ﷻ، وقال الآخر: فأين رحمة الله؟! فعلّماها ذلك، وتكلمت به، وصعدت إلى السماء فمسخها الله ﷻ كوكبًا.

فعلى قول هؤلاء هي الزهرة بعينها وقيدوها بأنها هي هذه الكوكبة الحمراء، واسمها بالفارسية: يا هند وبالسبطية: يبدخت[1].

واستدل الثعلبي رحمه الله تعالى لصحة هذا القول بما رواه بإسناده عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: كان النبي ﷺ إذا رأى سهيلاً قال: «**لعن الله سهيلاً إنه كان عشاراً باليمن، ولعن الله الزهرة، فإنها فتنت ملكين**»[2].

وقال مجاهد رحمه الله: كنت مع ابن عمر رضى الله عنهما ذات ليلة فقال: «أُرْمق الكوكبة ، يعني الزهرة، فإذا طلعت فأيقظني، فلما طلعت أيقظته، فجعل ينظر إليها ويُسبُّها

---

(١) قال السدي: فنزلا ببابل دیناوند، فكانا يحكمان حتى إذا أمسيا عرجا، فإذا أصبحا هبطا، فلم يزالا كذلك حتى أتتهما امرأة تخاصم زوجها فأعجبهما حسنها واسمها بالعربية: الزهرة وبالنبطية: بيدخت وبالفارسية: أناهيد. تفسير ابن كثير (١/ ١٤١).

(٢) أخرجه: الطبراني في الكبير (١/ ٦٦)، والهيثمي في المجمع (٣/ ٨٩)، وابن حجر في المطالب (٣٥٣٦)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ٢)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٨٨)، وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (٦٣٧).

سبًا شديدًا، فقلت: رحمك الله تسبُّ نجمًا ساطعًا سامعًا مطيعًا ما له سبب؟، فقال: إن هذه بغيًّا، فلقي الملكان منها ما لقيا.

وقال نافع رحمه الله: كان ابن عمر رضى الله عنهما إذا رأى الزهرة قال: لا مرحبًا بها ولا سهلاً.

وروى أبو عثمان النهدي عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن المرأة التي فُتن بها الملكين مُسخت، فهي هذه الكوكبة الحمراء. يعنى «الزهرة»، كان يسميها : بيدخت.

وأنكر الآخرون هذا القول، وقالوا: إن الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي جعلها الله ﷻ قوامًا للعالم، وأقسم بها فقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ [التكوير:١٦، ١٥][(١)].

وإنما كانت هذه التي فتنت هاروت وماروت امرأة تسمى «زهرة» من جمالها، فلما بغت مسخها الله شهابًا، فلما رأى رسول الله ﷺ الزهرة ذكر هذه المرأة لموافقة الاسمين فلعنها، وكذلك سهيل العشّار كان رجلاً فلما ترآى النجم ذكره فلعنه، ويدل على ما روى قيس ابن عبادة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه القصة قال: كانت امرأة فضلت الناس بالحُسن كما فضلت الزهرة على سائر الكواكب. ومثل ذلك قال كعب الأحبار وغيره، والله أعلم.

قالوا: فلما أمسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب همًّا بالصعود إلى السماء[(٢)]، فلم تطاوعهما أجنحتهما، فعلما ما حلَّ بهما، فقصدا إدريس النبي عليه الصلاة والسلام وأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله ﷻ وقالا له: إنا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض، فاشفع لنا إلى ربك.

ففعل ذلك إدريس عليه الصلاة والسلام، فخيرهما الله ﷻ بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، وعلما أنه ينقطع يوم القيامة، فهما ببابل يعذبان، والله تعالى أعلم.

واختلف العلماء في كيفية عذابهما: فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: هما معلقان

---

(١) هي النجوم الدراري التي تجري تستقبل المشرق، وقال: الأئمة إنما قيل للنجوم الخُنَّس أي في حال طلوعها ثم هي «جوار» في فلكها وفي حال غيبوبتها يقال لها: كنس من قول العرب: أوى الظبي إلى كناسه إذا تغيب فيه. تفسير ابن كثير (٤/ ٤٧٩).

(٢) قالت لهما: اختارا أحد الخلال الثلاث: إما أن تعبدا هذا الصنم وإما أن تقتلا هذه النفس وإما أن تشربا هذه الخمر؟ فقالا: كل هذا لا ينبغي وأهون هذا شرب الخمر. فشربا الخمر فأخذت فيهما، فواقعا المرأة، فخشيا أن يخبر الإنسان عنهما فقتلاه، فلما ذهب عنهما السكر وعلما ما وقعا فيه من خطيئة أرادا أن يصعدا إلى السماء فلم يستطيعا، وحيل بينهما وبين ذلك وكشف الغطاء فيما بينهما وبين أهل السماء، فنظرت الملائكة إلى ما وقعا فيه فعجبوا كل العجب وعرفوا أنه من كان في عيب فهو أقل خشية، فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض فنزل في ذلك ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾. تفسير ابن كثير (١/ ١٤٠).

بشعورهما إلى قيام الساعة. وقال قتادة رحمه الله: كُبِّلا من أقدامهما إلى أصول أفخاذهما .

وقال مجاهد رحمه الله: إن حيًّا ملئ ناراً، فجعلا فيه. وقيل: معلقان منكسان في السلاسل. وقال عمر بن سعد رحمه الله: مُنكَّسان يُضربان بالسياط الحديد.

وروي: أن رجلاً أراد تعلم السّحر فقصد هاروت وماروت[1]، فوجدهما معلقين بأرجلهم مُزْرقَّة عيونهما مُسودَّة جلودهما، ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلا قدر أربع أصابع، وهما يعذبان بالعطش. فلما رأى ذلك هاله مكانهما: فقال: لا إله إلاَّ الله، فلما سمعا كلامه قالا له: من أنت؟ قال: رجل من المسلمين، قالا: ومن أي أمة؟ قال: من أمة محمد ﷺ، قالا: وقد بعث محمد؟ قال: نعم. قالا: الحمد لله، وأظهرا الاستبشار. فقال الرجل: ما استبشاركما؟ قالا: إنه نبي الساعة، وقد دنا انقضاء عذابنا. فقالوا: ومن ثم استغفار الملائكة لبني آدم.

● **فائدة.**

قال الترمذي الحكيم رحمة الله عليه: رأيت رب العزة سبحانه وتعالى في المنام، فقلت: يا رب أخاف من زوال الإيمان، قال: قل بين سنة الفجر والفريضة: «يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام، أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك يا الله، يا الله، يا الله، يا محيي».

وصلى الله على سيدنا محمد و على آله وسلم. انتهى والله تعالى أعلم.



---

(١) قد روي في قصة هارون وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل إذا ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال. تفسير ابن كثير (١/ ١٤١).

الباب السادس والستون

في الرجاء وحسن الظن بالله تعالى

قال الله تبارك: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾[الأعراف: ١٥٦]. معنى ﴿وَسِعَتۡ﴾: عمَّت، قاله الثعلبي.

وقال الحسن وقتادة رحمهما الله: وسعت في الدنيا البرُّ والفاجر، وهي للمتقين يوم القيامة خاصة.

وقال عطية العوفي[(١)] رحمه الله: وَسعت كل شيء ولكن لا تجب إلاَّ للذين يتقون، وذلك أن الكافر يُرزق ويدفع عنه بالمؤمن بسعة رحمة الله تعالى للمؤمنين، فيعيش فيها، فإذا صار إلى الآخرة وجبت للمؤمن خاصة، كالمستضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجه.

وقال أبو روق: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ يعني: الرحمة التي قسمها بين الخلائق يعطف بها بعضهم على بعض.

وقال ابن زيد رحمه الله: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾: هي التوبة.

وقال آخرون: لفظ عام، ومعناه خاص بهذه الأمة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة وابن جريج وأبو بكر الهذلي رحمهم الله: لما نزلت ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾[(٢)] [الأعراف :١٥٦]. قال إبليس لعنه الله: أنا من ذلك الشيء. فنزعها الله من إبليس فقال: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾. فقالت اليهود والنصارى: نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا ، فنزعها منهم وجعلها لهذه الأمة، ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾، الآية.

---

(١) عطية بن سعد بن جنادة، أبو الحسن العوفي الجدلي القيسي الكوفي، صدوق يخطئ كثيراً وكان شعيًا مدلسًا، أخرج له: البخاري في الأدب وأبو داود والترمذي وابن ماجه. انظر ترجمته في التهذيب (٧/ ٢٢٤)، والتقريب (٢/ ٢٤)، الكاشف (٢/ ٢٦٩)، التاريخ الكبير (٧/ ٨) التاريخ الصغير (١/ ٢٣٦، ٢٦٧)، ميزات الاعتدال (٣/ ٧٩)، وسير الأعلام (٥/ ٣٢٥).

(٢) قال ابن كثير: آية عظيمة الشمول والعموم كقوله تعالى إخباراً عن حملة العرش ومن حوله أنهم يقولون ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾. تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥٦).

وقال نوف البكائي الحميري(١) رحمه الله: لما اختار موسى الكليم ﷺ سبعين رجلاً لميقات ربه، قال الله تبارك وتعالى لموسى: أجعل لكم الأرض مسجداً وطهوراً، تصلون حيث أدركتم الصلاة إلا عند مرحاض أو حمام أو قبر، وأجعل السكينة في قلوبكم، وأجعلكم تقرأون التوراة عن ظهر قلوبكم، يقرأها الرجل منكم والمرأة والحرُّ والعبد والصغير والكبير.

فقال موسى عليه الصلاة والسلام ذلك لقومه. فقالوا: لا نريد إلا أن نصلي في الكنائس، ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا، ونريد أن تكون كما كانت في التابوت، ولا نستطيع أن نقرأ التوراة من ظهور قلوبنا، ولا نريد أن نقرأها إلا نظراً.

فقال الله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

فجعلهم لهذه الأمة. فقال موسى: يا رب، اجعلني نبيهم. فقال: نبيهم منهم، فقال: يا رب اجعلني منهم. فقال: إنك لن تدركهم. فقال موسى عليه السلام: أتيتك بوفد بني إسرائيل، فجعلت وفادتنا لغيرنا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾، فرضي موسى عليه الصلاة والسلام.

وقال نوف: ألا تحمدون ربًّا حَفِظَ غيبتكم وأخذ لكم بسهمِكُم، وجعل وفادة بني إسرائيل لكم.

وقال وهب بن منبه رحمه الله: لما قرأ موسى عليه الصلاة والسلام في الألواح وجد فيها فضيلة أمة محمد ﷺ فقال: يا رب، ما هذه الأمة المرحومة التي أجدها في الألواح؟

قال: هم أمة أحمد يرضون مني باليسير أعطهم إياه وأرضى عنهم باليسير من العمل، أُدخل أحدهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله(٢).

---

(١) نوف بن فضالة، أبو يزيد، أبو رشيد، أبو رشدين، أبو عمرو الحميري، البكائي، سامي، البقالي، القاص، هو ابن امرأة كعب الأحبار، مستور، أخرج له: البخاري ومسلم. انظر ترجمته في التهذيب (١٠/ ٤٩٠)، التقريب (٢/ ٣٠٩)، التاريخ الكبير للبخاري (٨/ ١٢٩)، الجرح والتعديل (٨/ ٢٣١١)، الأنساب (٢٨٩)، الحلية (٦/ ٤٨)، البداية والنهاية (٩/ ٢٤).

(٢) قال النووي: اعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحداً دخل الجنة قطعًا على كل حال، فإن كان سالمًا من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذي لم يبتل بمعصية أصلاً فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا =

قال: فإني أجد في الألواح أمة يحشرون يوم القيامة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر، فاجعلهم أمتي.

قال: هم أمة أحمد، أحشرهم يوم القيامة غُرًّا محجلين.

قال: يارب، إني أجد في الألواح أمة أرديتهم على ظهورهم، وسيوفهم على عواتقهم، أصحاب رءوس الصوامع يطلبون الجهاد بكل أفق حتى يقاتل الدجال. قال: فاجعلهم أمتي؟

قال : هم أمة أحمد ﷺ.

قال: يارب إني أجد في الألواح أمة يصلون في اليوم خمس صلوات في خمس أوقات في اليوم والليلة تُفتح لهم أبواب الجنة، وتنزل عليهم الرحمة، فاجعلهم أمتي.

قال: هم أمة أحمد.

قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة جعلت لهم الأرض مسجداً وطهوراً [(١)] ، وتحل لهم الغنائم، فاجعلهم أمتي.

قال: هم أمة أحمد.

قال: يا رب، إني أجد في الألواح أمة يصومون لك شهر رمضان فتغفر لهم ما كان قبل ذلك فاجعلهم أمتي.

قال: هم أمة أحمد.

قال: يا رب، إني أجد في الألواح أمة يحجون لك البيت الحرام لا يقضون وطراً، يعجون لك بالبكاء عجيجًا، ويضجون لك بالتلبية ضجيجًا، فاجعلهم أمتي.

قال: هم أمة أحمد.

قال: فما تعطيهم على ذلك؟

قال: أزيدهم المغفرة وأشفعهم فيمن ورائهم.

قال: يا رب، إني أجد في الألواح أمة يرفع أحدهم النعمة إلى فيه فلا تستقر في جوفه حتى يغفر له، يفتتحها باسمك ويختمها بحمدك فاجعلهم أمتي.

= يدخلون النار أصلاً لكنهم يردونها على الخلاف المعروف في الورود، والصحيح أن المراد به: المرور على الصراط وهو منصوب على ظهر جهنم أعاذنا الله منها ومن سائر المكروه. وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى. النووي في شرح مسلم (١/ ١٩٢) دار الكتب العلمية.

(١) روى مسلم في صحيحه (٣-٥٢١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، في فاتحته، عن جابر بن عبد الله قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي... » إلى أن قال: «وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا». قال النووي: قال القاضي: قيل: إن من كان قبلنا لا يصلون إلا فيما يتقنون طهارته من الأرض وخصصنا نحن بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته. شرح مسلم للنووي (٥/ ٤).

قال: هم أمة أحمد.

قال: يا رب، إني أجد في الألواح أمة هم السابقون يوم القيامة، وهم الآخرون في الخلق، فاجعلهم أمتي.

قال: هم أمة أحمد.

قال: يا رب، إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرأونها، فاجعلهم أمتي.

قال: هم أمة أحمد.

قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة إذا همَّ أحدهم بحسنة يعملها، فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة، وإن عملها كتبت له عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف[1]، رب فاجعلهم أمتي.

قال: تلك أمة أحمد.

قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بالسيئة لم يعملها لم تكتب عليه، وإن عملها كتبت سيئة واحدة رب فاجعلها أمتي.

قال: تلك أمة أحمد.

قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة هم خير الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فاجعلهم أمتي.

قال: هم أمة أحمد.

قال: يا رب إني أجد الألواح أمة يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أثلاث: ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حسابًا يسيراً، وثلث يمحصون ثم يدخلون الجنة، فاجعلهم أمتي. قال: هم أمة أحمد.

قال موسى عليه الصلاة والسلام: يا رب بسطت هذا الخير لأحمد وأمته.

قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾.

---

(١) روى مسلم في صحيحه (٢٠٤-١٢٨) كتاب الإيمان ٥٩-باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: ((قال الله ﷻ: إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة، فإن عملها كتبتها سيئة واحدة)). قال النووي: قال القاضي عياض رحمه الله: عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين على ما ذهب إليه القاضي أبو بكر وهو أن من عزم على المعصية بقلبه ووطن نفسه عليها أثم في اعتقاده وعزمه، وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين وأخذوا بظاهر الحديث. وقد تظاهرت نصوص الشرع بالمؤاخذة بعزم القلب المستقر ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾. النووي في شرح مسلم (٢/ ١٢٩).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يومًا لأصحابه: «ما تقولون في هذه الآية: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾؟». فقالوا: الله ورسوله أعلم.

فقال ﷺ: «لما كلم الله تعالى موسى عليه السلام فقال: يا رب هل خلقت أكرم عليك مني، اصطفيتني على البشر وكلمتني بطور سيناء؟ فقال الله ﷻ: يا موسى أما علمت أن محمدًا ﷺ أكرم علي من جميع خلقي، وإني نظرت في قلوب عبادي فلم أجد قلبًا أشد تواضعًا من قلبك، فلذلك اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي، فمت على التوحيد وعلى حب محمد ﷺ.

قال: يا رب فهل خلقت في الأمم أكرم عليك من أمتي، ظللت عليهم الغمام، وأنزلت عليهم المن والسلوى؟ قال الله تعالى: يا موسى أما علمت أن فضل أمة محمد على سائر الأمم كفضلي على جميع خلقي.

قال موسى: يا رب أفأراهم؟ قال: لن تراهم ولكن إن أحببت أن تسمع كلامهم فعلت. قال: إني أحب ذلك.

قال الله تعالى: يا أمة محمد، فأجابوه كلهم بصيحة واحدة يقولون: لبيك اللهم لبيك، وهم في أصلاب آبائهم.

ثم قال الله تعالى: صلاتي عليكم، ورحمتي سبقت غضبي[1]، وعفوي سبق عذابي، وإني قد غفرت لكم قبل أن تستغفروني، وأستجيب لكم قبل أن تدعوني، وأعطيكم قبل أن تسألوني، فمن لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله غفرت له ذنوبه.

فأراد الله أن يمن علي بذلك فقال: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ أمتك».

وعن كعب الأحبار رضي الله عنه قال: وجدت في التوراة أمة محمد ﷺ يصلون صلاة الفجر يسبّحون ويهلّلون، ولهم ثواب الأنبياء ووجدتهم مع كل واحد منهم قضيب من نور، وهو الإسلام.

ووجدتهم ينظرون إلى يوم القيامة إلى ربهم، ووجدتهم على الأرض فتستغفر لهم الملائكة، ووجدتهم يصلون كل يوم خمس صلوات فلهم بكل ركوع وسجود مغفرة ووجدتهم الرجل يخر ساجداً فلا يرفع رأسه حتى يغفر له، ووجدتهم أن الجنة تشتاق إليهم كل يوم خمس مرات عند مواقيت الصلاة، ووجدتهم يصومون كل سنة شهراً وهو شهر

---

(١) حديث: «رحمتي سبقت غضبي» أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٩٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٧٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣١٩)، وابن أبي الدنيا في حسن الظن (٣٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦).

رمضان، فيعطون كل يوم مباعدة مسيرة خمسمائة عام من النار.

ووجدت أن من فعل تطوعًا منهم فله أجر من أدى فريضة من سواهم، ووجدتهم يحجون البيت حج آدم عليه السلام، ويستسنون بسنة إبراهيم، ووجدتهم يزكون في كل سنة، فلهم بالزكاة[١] زيادة في أعمالهم وأموالهم.

وقال وهب بن منبه رحمه الله: قرأت في بعض كُتب الله المنزلة إني باعث رسولاً من الأميين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا قوّال بالهجر (والخنا)[٢]، أسدده (كطفل)[٣] جميل، وأهب له كل خلق كريم، وأجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة منطقه، والحق شريعته، والعدل سيرته، والإسلام ملته، وأهدي به من الضلال، وأؤلف به بين قلوب متفرقة، وأجعل أمته خير الأمم إيمانًا بي وتوحيداً لي وإخلاصًا بما جاء به رسولي. ألهمهم التسبيح والتحميد والتمجيد في مساجدهم وصلواتهم، ذلك فضلي أوتيه من أشاء، والله ذو الفضل العظيم .

وفي بعض كتب الله المنزلة: أنا الله الذي لا إله إلا أنا، وحدي لا شريك لي، محمد المختار عبدي ورسولي، أمته الحمادون رعاة الشمس، فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان، ولو كانت في عاد ما أهلكوا بالريح، ولو كانت في ثمود ما أهلكوا بالصيحة.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من أذنب ذنبًا فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له، وإن لم يستغفر[٤].

وروى الثعلبي بإسناده، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه: يا محمد كيف تدعوني إلى دينك، وأنت تزعم أنه من قتل أو أشرك أو زنا ﴿يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ وأنا قد فعلت ذلك كله، فهل تجد لي من رخصة؟

فأنزل الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ

---

(١) قال النووي في شرح مسلم (٧/ ٤٣): الزكاة هي في اللغة النماء والتطهير، فالمال ينمى بها من حيث لا يرى وهي مطهرة لمؤديها من الذنوب، وقيل: ينمى أجرها عند الله، وسميت في الشرع زكاة لوجود المعنى اللغوي فيها، وقيل: لأنها تزكي صاحبها وتشهد بصحة إيمانه، وسميت صدقة لأنها دليل لتصديق صاحبها، قال القاضي عياض: قال المازري رحمه الله: قد أفهم الشرع أن الزكاة وجبت للمواساة وأن المواساة لا تكون إلا في مال له بال وهو النصاب ثم جعلها في الأموال الثابتة وهي العين والزرع والماشية.

(٢) كذا بالأصل.

(٣) كذا بالأصل.

(٤) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢١١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢٨٦)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٥٩)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٣١٥)، وذكره الألباني في السلسة الضعيفة (٣٢٥).

ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ﴾ [الفرقان:٧٠] الآية.

فقال وحشي: هذا شرط شديد، فلعلّي لا أقدر على هذا، فهل غير ذلك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:٤٨].

فقال وحشي: أراني في شبهة، فلا أدري يغفر لي أم لا، فهل غير ذلك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣][1]. فقال وحشي: نعم هذه، فجاء فأسلم. فقال المسلمون: هذه له خاصة أم للمسلمين عامة؟

قلت: سيأتي الجواب.

وقال قتادة رحمه الله: ذكر لنا: أن أناسًا أصابوا ذنوبًا عظامًا في الجاهلية، فلما جاء الإسلام أشفقوا أن لا يتاب عليهم فدعاهم الله بهذه الآية[2].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: أنزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر كانوا أسلموا، ثم فتنوا وعذبوا، فافتتنوا، فكنا نقول: لا يقبل الله من هؤلاء صرفًا ولا عدلاً أبدًا، قوم تركوا دينهم بعذاب عذبوا به، فأنزل الله هذه الآيات.

وكان عمر بن الخطاب ﷺ كاتبًا فكتبها بيده ثم بعثها إلى عياش بن أبي ربيعة والوليد ابن الوليد وإلى أولئك النفر، فأسلموا وجاهدوا.

وروى مقاتل بن حيان: عن نافع عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أو نقول: إنه ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة، حتى نزلت هذه الآية: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ [محمد:٣٣]، فلما نزلت هذه الآية قلنا: ما هذا الذي يبطل أعمالنا؟ فقلنا: الكبائر والفواحش. قال: فكنا إذا رأينا أحدًا أصاب منها شيئًا رجونا له.

وأراد بالإسراف: ارتكاب الكبائر، والآية عامة للناس أجمعين.

---

(١) هذه الآيات الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه على غير توبة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه. تفسير ابن كثير (٤/ ٥٨).

(٢) أخرج البخاري في صحيحه (٤٨١٠) كتاب تفسير القرآن، سورة الزمر، ١-باب قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا وزنوا وأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما علمنا كفارة، فنزل ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ ونزل ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾.

وقال ثوبان ﷺ: لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «ما أحب أن تكون لي الدنيا وما فيها بهذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾».

وروى الثعلبي رحمه الله بإسناده عن ابن سيرين رحمه الله قال: قال علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه: ما في القرآن أوسع من ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ الآية.

وقيل: أرجى آية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

وروى الأعمش[1]، عن أبي سعيد الأزدي، عن أبي الكنود رحمه الله قال: دخل عبدالله بن مسعود ﷺ المسجد فإذا قاص يقص وهو يذكر الأغلال والنار، فجاء حتى وقف على رأسه وقال: يا مذكِّر، لا تقنِّط الناس، ثم قرأ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقيل: أرجى آية: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

قال زين العابدين ﷺ: أرجى آية ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾[الضحى:٥]، فإن محمداً ﷺ لا يرضى واحداً من أمته في النار.

وروى الثعلبي بإسناده إلى شتير بن شكل[2] قال: سمعت ابن مسعود ﷺ يقول: إن أكثر آية في القرآن فرحاً: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ الآية.

وروى الثعلبي بإسناده عن زيد بن أسلم قال: إن رجلاً كان في الأمم الماضية يجتهد في العبادة ويشدد على نفسه ويُقنّط الناس من رحمة الله، ثم مات فقال: أي رب ما لي عندك؟ قال: النار. قال: أي رب فأين عبادتي واجتهادي؟ قال: إنك كنت تقنط الناس من رحمتي في الدنيا، فاليوم أقنطك من رحمتي.

وقال مقاتل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ : نزلت هذه الآية في اليهود ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ يعني اليهود، ﴿وَيَغۡفِرُ

---

(١) الأعمش سليمان بن مهران، أبو محمد الأسدي الكاهلي، الكوفي، الأعمش، ثقة عارف بالقراءة ورع لكنه يدلس، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٤٧، ١٤٨)، ترجمته: التهذيب (٤/ ٢٢٢)، التقريب (١/ ٣٣١)، التاريخ الكبير (٤/ ٣٧)، الجرح والتعديل (٤/ ٦٣٠)، ميزان الاعتدال (٢/ ٢٢٤) لسان الميزان (٧/ ٢٣٨)، الثقات (٤/ ٣٠٢)، الوافي بالوفيات (١٥/ ٤٢٩)، سير الأعلام (٦/ ٢٢٦).

(٢) شتير بن شكل بن حميد، أبو عيسى العبسي الكوفي ثقة، أخرج له البخاري في الأدب ومسلم وأصحاب السنن الأربعة، ويقال: إنه أدرك الجاهلية. ترجمته: تهذيب التهذيب (٤/ ٣١١)، وتقريب التهذيب (١/ ٣٤٧)، الكاشف (٢/ ٥)، وتاريخ البخاري الكبير (٤/ ٢٦٥)، الجرح والتعديل (٤/ ١٦٨٨)، الثقات (٤/ ٣٧٠)، أسد الغابة (٢/ ٣٨٦).

مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فمشيئته لأهل التوحيد.

وروى الثعلبي رحمه الله بإسناده: عن مطرف بن الشخير[(١)] رحمه الله قال: قال ابن عمر رضي الله عنهما: كنا على عهد رسول الله ﷺ إذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا أنه من أهل النار، حتى نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾. فأمسكنا عن الشهادات.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ[(٢)]: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة ولم تضره خطيئته، كما لو لقيه وهو مشرك به شيئًا دخل النار، ولم تنفعه حسنة». أسند هذا الحديث الثعلبي رحمه الله.

وروى أيضًا بإسناده عن علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه قال: ما في القرآن آية أحبُّ إليَّ من هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

قال: إن شيخًا من الأعراب جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، إني شيخ منهمك في الذنوب والخطايا إلا أني لم أشرك بالله تعالى شيئًا منذ عرفته وآمنت به، ولم أتخذ من دونه وليًا، ولم أواقع المعاصي جراءة على الله ولا مكابرة له، ولا توهمت طرفة عين أني أعجز الله هربًا، وإني لنادم تائب مستغفر، فما حالي عند الله ﷻ؟

فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾.

وقال الحسن رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾: يعني التوبة التي يقبلها الله فتكون (على) بمعنى (عند).

قال الثعلبي رحمه الله: سمعت أبا القاسم بن حبيب يقول: سمعت أبا بكر بن عبدوس يقول: هاهنا بمعنى من يقول: إنما التوبة من الله.

---

(١) مطرف بن عبد الله بن الشخير، أبو عبد الله الحرشي العامري البصري، ثقة عابد، فاضل، أخرج له أصحاب الكتب الستة. ترجمته: تهذيب التهذيب (١٠/ ١٧٣)، التقريب (٢/ ٢٥٣) الكاشف (٣/ ١٥٠)، التاريخ الكبير (٧/ ٣٩٦)، الجرح والتعديل (٨/ ١٤٤٦)، الحلية (٢/ ١٩٨)، سير الأعلام (٤/ ١٨٧).

(٢) أخرج مسلم في صحيحه (١٥٢-٩٣) كتاب الإيمان، ٤-باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن مات مشركًا دخل النار، وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به دخل النار» قال النووي: أما دخول المشرك النار فهو على عمومه فيدخلها ويخلد فيها، ولا فرق فيه بين الكتابي واليهودي والنصراني وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادًا وغيره، ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده ما يكفر بجحده وغير ذلك. وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرًا عليها دخل الجنة أولا، وإن كان صاحب كبيرة مات مصرًا عليها فهو تحت المشيئة فإن من عفي عنه دخل أولاً وإلا عذب ثم أخرج من النار وخلد في الجنة، والله أعلم. النووي في شرح مسلم (٢/ ٨٤).

واختلف المفسرون في معنى الجهالة المذكورة في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ فقال مجاهد والضحاك: هي العمد. وقال الكلبي: لم يجهل أنه ذنب، ولكنه جهل عقوبته.

وقال بعض المفسرين رحمهم الله: يعني المعاصي كلها، وكل من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته.

وقال قتادة: أجمع أصحاب رسول الله ﷺ أن كل شيء عصى العبد به ربه فهو جهالة، عمداً كان أو غيره.

وقال الزجاج معنى قوله: ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية.

ونظيرها في الأنعام: ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء:١٧][(١)]، قيل معناه: قبل أن يحيط السوء بحسناته فيهبطها.

وقال السدي والكلبي رحمهما الله: ما دام في صحته قبل المرض والموت.

وقال عكرمة وابن زيد رحمهما الله: ما قبل الموت فهو قريب.

وقال الضحاك رحمه الله: قبل معاينة ملك الموت عليه الصلاة والسلام.

وروى أبو موسى الأشعري ﷺ: هو أن يتوب قبل موته بفواق ناقة.

وروى الثعلبي بإسناده: عن عبد الرحمن بن السلماني رحمه الله قال: اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ: فقال أحدهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم».

وقال الثاني: وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم».

وقال الثالث: وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر بنفسه»[(٢)].

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل موته سنة تاب

---

(١) قال ابن كثير: يقول سبحانه وتعالى: إنما يتقبل الله التوبة ممن عمل السوء بجهالة ثم يتوب ولو بعد معاينة الملك بقبض روحه قبل الغرغرة، قال مجاهد وغير واحد: كل من عصى خطأ أو عمداً فهو جاهل حتى ينزع عن الذنب. ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٦٣).

(٢) أخرجه: الترمذي (٣٥٣٧) كتاب الدعوات ٩٩-باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، وابن ماجه في الزهد، باب ذكر التوبة، وأحمد في مسنده (٢/ ١٣٢)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٢٥٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٩٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٤٤٩-الموارد).

الله عليه»[1]، ثم قال: «إن السنة لكثيرة؛ من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه»، ثم قال: «إن الشهر لكثير؛ من تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه»، ثم قال: «إن الجمعة كثيرة؛ من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه»، ثم قال: «إن اليوم لكثير، ثم قال: من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه». ثم قال: «إن الساعة لكثيرة، من تاب قبل أن يغرغر تاب الله عليه».

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان قال: وعزتك لا أبرح أغوي عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم. فقال الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي وارتفاعي في مكاني لا أزال أغفر لهم ما استغفروني».

قال الكلبي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] الآية.

عن أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة وقالوا : يا رسول الله: وأيُّنا لم يعمل سوءًا، فكيف الجزاء؟

قال: «منه ما يكون في الدنيا، فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات، ومن جوزي السيئة نقص واحدة من عشر وبقيت له تسعة فويل لمن غلبت عليه آحاده على أعشاره. وأما ما كان جزاء في الآخرة فإنه يؤخر إلى يوم القيامة فيقابل بحسناته وسيئاته، فيأتي مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطى الجزاء في الجنة ويعطى كل ذي فضل فضله».

وقال موسى بن عبيد: أخبرني مولي ابن سباع[2] قال: سمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يحدث عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: كنت عند رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية في سورة النساء﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر ألا أُقرئك آية نزلت علي؟». قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: فأقرأنيها، فلا أعلم أني قد وجدت انقصامًا[3] في ظهري، فتمطأت لها فقال: رسول الله ﷺ: «ما لك يا أبا بكر؟»، قلت: بأبي أنت وأمي، وأينا لم يعمل السوء، وإنا لمجزَوْن بكل سوء عملنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت يا أبا بكر وأصحابك المؤمنون

---

(١) أخرجه: أحمد في مسنده (٢/ ٢٠٦)، والطبري في تفسيره (٤/ ٢٠٦)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٥٢٥).

(٢) هو محمد بن ثابت بن سباع الخزاعي، صدوق أخرج له: الترمذي. ترجمته: التهذيب (٩/ ٨٣)، التقريب (٢/ ١٤٨)، الكاشف (٣/ ٢٦)، التاريخ الكبير (١/ ٥١)، والجرح والتعديل (٧/ ٢١٦)، الثقات (٥/ ٣٦٩)، العقد الثمين (١/ ٤٣٥).

(٣) انقصامًا: أي انكسارًا.

فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله ليس لكم ذنوب، وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة»[1].

وقال عطاء رحمه الله: لما نزلت ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ قال أبو بكر ﷺ: هذه قاصمة الظهر يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «إنما المصيبات تكون في الدنيا».

وروى عبد الله بن أبي مليكة عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: إني لأعلم أي آية في الكتاب أشد؟قال: «أي آية؟»، قلت: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾. قال: «إن المؤمن يجازى بأسوء عمله في الدنيا» ثم ذكر شيئًا منها: المرض والنصب، وكان آخره أن ذكر مصيبة النكبة، كل ذلك يجازى بعمله. «يا عائشة، إنه ليس يحاسب يوم القيامة إلا يعذب». قالت: فقلت: أليس الله يقول:﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ قال: «ذلك العرض، إنه من نوقش الحساب عُذب»[2]، وقال بيده على أصبعه كأنه يكتب.

وقال الحسن رحمه الله في قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾، وقال: هو الكافر، لا يجزي الله تعالى المؤمن يوم القيامة بشيءٍ عمله، ولكن المؤمن يجزى بأحسن عمله، ويتجاوز عن سيئاته، ثم قرأ: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وقال قتاده رحمه الله: بلغنا: أن نبي الله ﷺ قال: «لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام، ولو يعلم قدر عذابه لفج نفسه في العبادة»[3].

وروى الثعلبي بإسناده إلى أبي هريرة وأبي سعيد رضى الله عنهما قالا: إن رسول الله ﷺ جلس على المنبر ثم قال: «والذي نفسي بيده» ثلاث مرات، ثم سكت.

فأقبل كل رجل منا يبكي حزنًا ليمين رسول الله ﷺ، ثم قال: «ما من عبد يأتي

---

(١) أخرجه: الترمذي (٣٠٣٩) كتاب تفسير القرآن ٥-باب من سورة النساء، والقرطبي في تفسيره (٥/ ٣٩٨)، والبخاري في التاريخ الكبير (٦/ ١٠٣)، والبغوي في شرح السنة (٥/ ٢٤٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٢٦)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٤). قال الترمذي: هذا حديث غريب وفي إسناده مقال، موسى بن عبيدة يضعف في الحديث، وضعفه يحيى ابن سعيد وأحمد بن حنبل، ومولى بن سباع مجهول، وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي بكر وليس له إسناد صحيح أيضًا، وفي الباب عن عائشة.

(٢) الحديث أخرجه البخاري (٦٥٣٦) كتاب الرقاق ٤٩-باب من نوقش الحساب عذب، والتفسير، باب تفسير ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ من سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب. والترمذي (٢٤٢٥) كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في العرض، ورقم (٣٣٣٧) كتاب تفسير القرآن، من سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، وقال الترمذي: حديث حسن حديث صحيح.

(٣) أخرجه: السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٠٢) وابن أبي الدنيا في حسن الظن (٦٤)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٥٨).

بالصلوات الخمس ويصوم رمضان ويتجنب الكبائر إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يوم القيامة حتى إنها لتصطفق»[(١)].

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر. ومن تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقُراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة»[(٢)] رواه مسلم.

قال النووي رحمه الله: معنى الحديث: «من تقرب إلي بطاعتي تقربت إليه بمغفرتي ورحمتي، وإن زاد زدت، وإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة»، أي صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود.

وقُراب الأرض: بضم القاف، ويقال بكسرها، والضم أفصح وأشهر، ومعناه: ما يقارب ملئها[(٣)] والله تعالى أعلم.

وعن جابر رضى الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الموجبات؟ فقال: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار»[(٤)] رواه مسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله تبارك وتعالى الرحمة مائة جزء، فأمسك تسعة وتسعون جزءًا، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك

---

(١) أخرجه: الحاكم في المستدرك (١/ ٢٠٠)، (٢/ ٢٤٠) وابن حبان في صحيحه (١٧-الموارد) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٨٧).

(٢) أخرجه: مسلم في صحيحه (٢٢-٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ٦-باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى. قال النووي: الباع والبُوع بضم والبوع بفتحها كله بمعنى وهو طول ذراعي الإنسان وعضديه وعرض صدره، قال الباجي: وهو قدر أربعة أذرع، وهذا حقيقة اللفظ والمراد بها في هذا الحديث المجاز، وهذا الحديث من أحاديث الصفات ومعناه من تقرب إلي بطاعتي تقربت إليه برحمتي والتوفيق والإعانة وإن زاد زدت، فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة أي صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود، والمراد: أن جزاءه يكون تضعيفه على حساب تقربه. النووي في شرح مسلم (١٧/ ٤، ١٠، ١١).

(٣) قال النووي: في قوله تعالى «فله عشر أمثالها أو أزيد» معناه أن التضعيف بعشرة أمثالها لابد بفضل الله ورحمته ووعده الذي لا يخلف، والزيادة بعد بكثرة التضعيف إلى سبعمائة ضعف وإلى أضعاف كثيرة يحصل لبعض الناس دون بعض على حسب مشيئته سبحانه وتعالى، وبقُراب : بضم القاف على المشهور وهو ما يقارب ملئها، وحكي بكسر القاف نقله القاضي وغيره والله أعلم. النووي في شرح مسلم (١٧/ ١١).

(٤) أخرجه: مسلم في صحيحه (١٥١-٩٣) كتاب الإيمان، ٤٠-باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن مات مشركًا دخل النار، وأحمد في مسنده (١/ ٣٨٢، ٤٢٥، ٣/ ٧٩، ٣٩١) والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٧، ١٩) والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٥٦٩).

الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»[١].

وفي رواية: «إن لله تعالى مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعة وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة»[٢]، رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية: «إن الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فبها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة»[٣].

وفي بعض طرق أبي هريرة ﵁: «فإذا كان يوم القيامة رد هذه على تلك التسعة والتسعين، فأكملها مائة فيرحم بها عباده يوم القيامة».

وفي بعض الروايات: «فإذا كان يوم القيامة جمعت الواحدة إلى التسعة والتسعين وكملن مائة رحمة، حتى إن إبليس ليتطاول إليها رجاء أن ينال منها شيئًا».

وقال ابن مسعود ﵁: «لن تزال الرحمة بالناس حتى إن إبليس ليهتز صدره يوم القيامة مما يرى من رحمة الله تعالى وشفاعة الشافعين».

وعن أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه ﷻ قال: «إذا أذنب عبد ذنبًا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي. فقال الله تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب.

ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي[٤]. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب.

ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا،

---

(١) أخرجه: البخاري (٧/ ٩٩) كتاب الأدب، ١٩-باب جعل الله الرحمة مائة جزء، رقم الحديث (٦٠٠٠). ومسلم (١٧-٢٧٥٢) كتاب التوبة، ٤-باب سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

(٢) أخرجه: مسلم (١٩-٢٧٥٢) كتاب التوبة، ٤-باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه، وابن ماجه (٤٢٩٣) وأحمد في مسنده (٢/ ٥٢٦) والحاكم في المستدرك (١/ ٥٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢١٤)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/ ١٨٣). قال النووي: هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين، قال العلماء: لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأكدار الإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه وغير ذلك مما أنعم الله به فكيف الظن بمائة رحمة في الدار الآخرة وهي دار القرار ودار الجزاء والله أعلم. النووي في شرح مسلم (١٧/ ٥٧) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) أخرجه: مسلم (٢١-٢٧٥٣) كتاب التوبة ٤-باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ١٨٢)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٥٥٧).

(٤) إذا تاب العبد من ذنب ثم ذكره هل يجب تجديد الندم؟ فيه خلاف لأصحابنا وغيرهم من أهل السنة، قال ابن الأنباري: يجب. وقال إمام الحرمين: لا يجب. وتصح التوبة من ذنب وإن كان مصرًا على ذنب آخر، وإذا تاب توبة صحيحة بشروطها ثم عاود ذلك الذنب كتب عليه ذلك الذنب الثاني ولم تبطل توبته، هذا مذهب أهل السنة في المسالتين وخالفت المعتزلة فيهما. النووي في شرح مسلم (١٧/ ٥٠) طبعة دار الكتب العلمية.

فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفر الله لك›› .

وفي رواية: ‹‹وفي الثالثة: قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء››[1] رواه البخاري ومسلم.

قال النووي رحمه الله: وقوله: ‹‹فليعمل ما شاء››: أي ما دام يفعل هكذا ويتوب أغفر له، فإن التوبة تهدم ما قبلها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا: قال رسول الله ﷺ: ‹‹والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم››[2] رواه مسلم.

وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ‹‹لولا أنكم تُذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون، يغفر لهم››[3]. رواه مسلم أيضًا.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف رسول الله ﷺ على حمار فقال: ‹‹يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟››. قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ‹‹فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله عز وجل أن لا يُعذب من لا يشرك به شيئًا››. قال: قلت: يا رسو ل الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: ‹‹لا تبشرهم فيتكلوا››[4] رواه البخاري ومسلم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: ‹‹إن الكافر إذا عمل حسنة أُطعم بها طعمة في الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقًا في الدنيا على طاعته››[5] رواه مسلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ‹‹ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه››[6] رواه مسلم أيضًا.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في قبة نحو أربعين رجلاً فقال: ‹‹أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟›› قال: قلنا: نعم، فقال: ‹‹أترضون أن تكونوا ثلث

---

(١) أخرجه: البخاري (٧٥٠٧) كتاب التوحيد، ٣٥-باب قول الله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ ومسلم (٢٩-٢٧٥٨) كتاب التوبة، ٥-باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة.

(٢) أخرجه: مسلم (١١-٢٧٤٩) كتاب التوبة ٢-باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة.

(٣) أخرجه: مسلم (١٠-٢٧٤٨) كتاب التوبة ٢-باب سقوط الذنوب بالاستغفار، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٤١).

(٤) أخرجه:البخاري (٧٣٧٣) كتاب التوحيد، ١-باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ وأمته في توحيد الله. ومسلم (٤٩-٣٠) كتاب الإيمان، ١٠-باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، وابن ماجه (٤٢٩٦) في الزهد، ٣٥-باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٢٩).

(٥) أخرجه: مسلم (٥٧-٢٨٠٨) كتاب صفات المنافقين، ١٣-باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا.

(٦) أخرجه: مسلم (٥٩-٩٤٨) كتاب الجنائز ١٩-باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه.

أهل الجنة؟))، فقلنا: نعم، فقال: ((والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذاك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر))[(١)].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: ((تكون الخلائق يوم القيامة مائة وعشرون صفًا[(٢)] طول كل صف مسيرة أربعين ألف سنة، وعرض كل صف مسيرة عشرين ألف سنة)).

قيل: يا رسول الله كم المؤمنون؟

قال: ((ثلاثة صفوف)) فقيل له: والمشركون؟ قال: ((مائة وسبعة عشر صفًا))، قيل له: فما صفة المؤمنين من الكافرين؟ قال: ((المؤمنون كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود)).

قال القرطبي رحمه الله: وذكر هذا الخبر القتيبي في «عيون الأخبار»، وهو غريب جداً مخالف بصفوف المؤمنين الواردة في الأحاديث.

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا ابن نُمير، قال: حدثنا موسى الجهني، عن الشعبي قال: سمعته يقول: قال نبي الله ﷺ: ((أُبشركم أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟))، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ((إن أمتي يوم القيامة ثلثا أهل الجنة، إن الناس يوم القيامة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم))[(٣)].

وروى ابن ماجه رحمه الله، عن أبي بردة، عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أذن لأمة محمد ﷺ بالسجود، فيسجدون له طويلاً، ثم يقال: ارفعوا رءوسكم قد جعلنا عُدَّتكم فداءكم من النار))[(٤)].

وروى أبو بردة، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهوديًا أو نصرانيا، فيقول: هذا فكاكك من النار))[(٥)].

وفي رواية أخرى: ((لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه من النار يهوديًا أو

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٥٢٨) كتاب الرقاق، ٤٥-باب كيف الحشر؟، ومسلم في صحيحه (٣٧٧-٢٢١) كتاب الإيمان ٩٥-باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، والترمذي (٢٥٤٧) كتاب صفة أهل الجنة، باب ما جاء في صفة أهل الجنة.

(٢) أخرج الترمذي (٢٥٤٦) كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في وصف أهل الجنة عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم)).

(٣) أخرجه: ابن أبي شيبة في مصنفه (١١/ ٤٧٠).

(٤) أخرجه: ابن ماجه (٤٢٩١)، كتاب الزهد ٣٤-باب صفة أمة محمد ﷺ وبهامشه: «قد جعلنا عدتكم...إلخ» ليس المراد: أنهم يدخلون بمجرد أنهم فداء هذه الأمة، بل إنهم يدخلونها لاستحقاقهم لذلك، ويكتفى بدخولهم عن دخول هذه الأمة فصاروا فداء.

(٥) أخرجه: مسلم (٤٩-٢٧٦٧) كتاب التوبة ٨-باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله. والشجري في أماليه (٢/ ١٧٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٥٥٨).

نصرانيًا»[١].

فاستحلفه عمر بن عبد العزيز ﵁ بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات، أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ، قال: فحلف له.

قال القرطبي رحمه الله: قال علماؤنا رحمهم الله: هذه الأحاديث ظاهرة الإطلاق والعموم، وليس كذلك، وإنما هي في ناس مذنبين تفضَّل الله عليهم برحمته ومغفرته، فأعطى كل واحد منهم فكاكًا من النار من الكفار.

واستدلوا بحديث أبي بريدة عن أبيه ﵁ عن النبي ﷺ قال: «يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفر الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى»[٢].

قالوا: وقوله ﷺ في الرواية الأخرى: «لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله تعالى مكانه من النار يهوديًا أو نصرانيًا»[٣].

المعني في ذلك: أن المسلم المذنب ما كان يستحق مكانًا من النار بسبب ذنوبه، وعفا الله عنه وبقي مكانه خاليًا منه، وأضاف الله تعالى ذلك المكان إلى يهودي أو نصراني ليُعذَّب فيه زيادة على تعذيب مكانه الذي يستحقه بسبب كفره، ويشهد لهذا قول النبي ﷺ في حديث أنس ﵁ في السؤال للمؤمن أن يثبت عنده في القبر فيقال له: «انظر إلى مقعدك من النار فدى الله بذلك مقعدًا من الجنة».

وقد جاءت أحاديث دالة أن لكل مسلم مذنبًا كان أو غير مذنب منزلين: منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار.

وذلك معنى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي: يرث المؤمنون منازل الكفار في الجنة ويحصل الكفار على منازلهم في النار.

---

(١) أخرجه: مسلم (٥٠-٢٧٦٧) كتاب التوبة ٨-باب قبول توبة القاتل، وإن كثر قتله، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٩٨)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/ ١٧٦)، (١٠/ ٥٧٠) وقال النووي: ومعنى هذا الحديث ما جاء في حديث أبي هريرة: «لكل واحد منزل في الجنة ومنزل في النار، فالمؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار لاستحقاقه ذلك بكفره»، ومعنى فكاكك من النار: أنك كنت معرضًا لدخول النار وهذا فكاكك لأن الله تعالى قدر لها عدد يملؤها فإذا دخلها الكفار بكفرهم وذنوبهم صاروا في معنى الفكاك للمسلمين. النووي في شرح مسلم (١٧/ ٧٠) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) أخرجه: مسلم في صحيحه (٥١-٢٧٦٧) كتاب التوبة، ٨-باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله.

(٣) تقدم قريبًا، وقال النووي: أما رواية: «يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب» فمعناه: أن الله تعالى يغفر تلك الذنوب للمسلمين ويسقطها عنهم ويضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين ولابد من هذا التأويل لقوله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾. النووي في شرح مسلم (١٧/ ٧٠).

وهو مقتضى حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا وُضع في قبره»[(١)] الحديث، إلا أن هذه الرواية تختلف، فمنهم من يرث ولا حساب، ومنهم من يرث بحساب ومناقشة وبعد الخروج من النار.

وقال أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله: فإن قيل: كيف يضع الله ذنوب المسلمين على اليهود والنصارى وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾، وقالوا أيضًا: هذا يرده العقل[(٢)]؟

فالجواب: أن الخبر إذا صح وجب قبوله.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾.

قال بعض العلماء رحمهم الله: لله تعالى بالمسلمين من الألطاف ما لا تصل إليهم أوهامهم ولا تتصورها عقولهم، ومن شديد النقمة للكفار ما لا يقدر قدره، وإذا جاز أن يكفر الإنسان مرة يسيرة فيعاقبه الله النار أبداً، فلم لا يجوز أن يضع عليه من ذنوب المسلمين ما لا يفعله.

ثم روى أبو القاسم الأصبهاني بإسناده عن عقبة بن وساج قال: كان أبو مسلم الخولاني جار يهودي يكنى أبو مسلم فكان يمر ويقول: يا أبا مسلم أسلم تسلم. فيقول: إن لي دينًا خيراً من دينك.

قال: فمر به ذات يوم وهو قائم يصلي فقال له: يا أبا مسلم، ألم أكن أدعوك إلى هذا الدين فتأبى عليَّ. قال: بلى، ولكن قرأت في التوراة غير(المدلة)[(٣)]: إن هذه الأمة تأتي يوم القيامة على ثلاث أصناف: صنف يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وصنف يحاسبون حسابًا يسيراً، ويبقى صنف أوزارهم على ظهورهم كأمثال الجبال، فيقول الله ﷻ لملائكته: من هؤلاء؟ فيقولون: هؤلاء عباد من عبادك كانوا يشهدون أن لا إله إلا أنت. قال: فيقول الله تعالى: خذوها -يعني أوزارهم- وضعوها على المشركين، فيدخلون الجنة.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُدنَى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي رب

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه (٧٠-٢٨٧٠) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٧ -باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، والنسائي (٤/ ٩٦- المجتبى)، وأبو داود (٣٢٣١) وأحمد في مسنده (٣/ ١٢٦، ٢٣٣)، والبيهقي (٤/ ٨٠).

(٢) قال النووي: المراد: يضع عليهم مثلها بذنوبهم كما ذكرناه، لكن لما أسقط سبحانه وتعالى عن المسلمين سيئاتهم وأبقى على الكفار سيئاتهم صاروا في معنى من حمل إثم الفريقين لكونهم حملوا الإثم الباقي وهو إثمهم، ويحتمل أن يكون المراد: آثام كانت للكفار سبب فيها بأن سنوها فتسقط عن المسلمين بعفو الله تعالى ويوضع على الكفار مثلها لكونهم سنوها ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها والله أعلم. النووي (١٧-٧١).

(٣) كذا بالأصل.

أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته»[(١)]. قال النووي رحمه الله: كنفه: ستره ورحمته.

وقيل: إن ذنوب هذا المؤمن ذنوب صغائر اقترفها، وقيل: كبائر بينه وبين الله تعالى اجترحها، وأمَّا ما كان بينه وبين العباد فلابد فيها من القصاص بالحسنات والسيئات.

وعن المغيرة بن شعبة[(٢)] رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أُدخل أهل الجنة في الجنة فيقال له: اُدخل الجنة.

فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم، فيقال: أما ترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلك من الدنيا؟ فيقول: رضيت يا رب. فيقول: لك ومثله ومثله ومثله ومثله. قال في الخامسة: رضيت يا رب.

قال: يا رب فأعلاهم منزلة؟، قال: أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عين. ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر»[(٣)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولاً فيها، رجل يخرج من النار حبوًا، فيقول الله ﷻ: اذهب فادخل الجنة، فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله ﷻ: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو: إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقول: أتسخر بي وتضحك بي وأنت الملك؟»، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، فكان يقال: «ذلك أدنى أهل الجنة منزلة»[(٤)] رواه البخاري ومسلم رحمهما الله.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما، عن النبي ﷺ: «آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة، يقول أهل الجنة: عند جهينة الخبر اليقين»، ذكره أبو حفص عمر بن عبد المجيد القرشي.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٢-٢٧٦٨) كتاب التوبة، ٨-باب قبول توبة القاتل، وإن كثر قتله. وابن ماجه (١٨٣) في المقدمة، ١٣-باب فيما أنكرت الجهمية، كلاهما عن ابن عمر.

(٢) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف، أبو عيسى، أبو محمد، أبو عبد الله، الثقفي، صحابي مشهور وأسلم قبل الحديبية وولي إمرة البصرة ثم الكوفة، أخرج له الستة، توفي سنة (٥٠) على الصحيح. ترجمته: التهذيب (١٠/ ٢٦٢)، والتقريب (٢/ ٢٦٩)، الكاشف (٣/ ١٦٨)، الجرح والتعديل (٨/ ٢٢٤)، الثقات (٣/ ٣٨٢)، وأسد الغابة (٥/ ٢٤٧).

(٣) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥٠١). قال النووي: قال أهل اللغة: الحبو المشي على اليدين والرجلين وربما على اليدين والركبتين، وربما قالوا: على يديه ومقعدته. شرح مسلم للنووي (٣/ ٣٤).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٧١)، ومسلم في صحيحه (٣٠٨-١٨٦) كتاب الإيمان، ٨٣- باب آخر أهل النار خروجًا، والترمذي (٢٥٩٥) كتاب صفة جهنم ١٠-باب منه ما جاء أن للنار نفسين وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد.

ورواه أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب من حديث عبد الملك بن الحكم، وقال: حدثنا مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر رضى الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «**إن آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له: جهينة، يقول أهل الجنة: عند الجهينة الخبر اليقين؛ سلوه هل بقي من الخلائق أحد**». رواه الدارقطني، وقد قيل: إن اسمه: هناد، والله أعلم.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**والذي نفس محمد بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ما خطر على قلب بشر، والذي نفس محمد بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة يتفاءل لها إبليس رجاء أن تصيبه**».

وعن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**قال الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هُم خير منهم، وإن تقرب مني شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت منه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»[1] رواه البخاري ومسلم. وهذا لفظ إحدى روايات مسلم.

وروي في الصحيحين: «**وأنا معه حين يذكرني**» بالياء. وفي هذه الرواية: «**حين تذكرني**» بالتاء، وكلاهما صحيح .

وعن النبي ﷺ أنه قال: «**ينادي مناد تحت العرش: يا أمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم، وبقيت التبعات فتواهبوها فيما بينكم وادخلوا الجنة برحمتي**».

وقال الحسن رحمه الله: «**يقول الله ﷻ يوم القيامة: جوزوا على الصراط بعفوي، وادخلوا الجنة برحمتي، واقتسموها بأعمالكم**».

وروي عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ وقال: «**خرج من عندي خليلي جبريل آنفًا فقال: يا محمد والذي بعثك بالحق إن لله عبدًا من عباده عَبَدَ الله تعالى خمسمائة سنة على رأس جبل، عرضه وطوله: ثلاثون ذراعًا في ثلاثين ذراعًا، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية، وأجرى الله له عينًا عذبة بعرض الأُصبع بماء عذب، تنبع من أسفل الجبل، وشجرة رمان كل يوم تخرج له رمانة، فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها، ثم قام للصلاة، فسأل ربه أن**

---

(١) أخرجه: البخاري (٩/ ١٤٧)، ومسلم في صحيحه (٢-٢٦٧٥)، ٤٨- كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ١-باب الحث على ذكر الله تعالى، وأحمد في مسنده (٣/ ٢١٠). قال النووي: هذا الحديث من أحاديث الصفات ويستحيل إرادة ظاهرة، ومعناه: من تقرب إليَّ بطاعتي تقربت إليه برحمتي والتوفيق والإعانة وإن زاد زدت فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة أي صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود. شرح مسلم (١٧/ ٤).

يقبضه ساجدًا ولا يجعل للأرض ولا لشيء على جسده سبيلاً حتى يبعثه وهو ساجد، ففعل. قال جبريل ﷺ: ونحن نمرُّ عليه إذا هبطنا وإذا صعدنا وهو على حاله في السجود. قال جبريل ﷺ: ونحن نجد في العلم أنه يُبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول الرب تبارك وتعالى: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي، فنِعم العبد كنت لي يا عبدي، فأدخله الله الجنة. قال جبريل: إنما الأشياء برحمة الله تعالى)).

وذكر الطحاوي رحمه الله من حديث أبي بكر الصديق ﷺ قال: أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم، فذكر حديثًا طويلاً من حديث يوم القيامة، ثم ذكر فيه شفاعة الشهداء، قال: ((ثم يقول الله ﷻ: أنا أرحم الراحمين، انظروا في النار هل فيها من أحد عمل من خير قط؟ فيجدون رجلاً فيقال: عملت خيرًا قط؟ فيقول: لا، غير أني أمرت ولدي إذا مت فأحرقوني بالنار، ثم اصحنوني، حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بي في البحر، فذروني في الريح، فوالله لا يعاقبني رب العالمين إذا عاقبت نفسي في دار الدنيا، قال الله تبارك وتعالى: لم فعلت ذلك؟ قال: مخافتك، فيقول: انظر مَلِكًا أعظم مُلْك؛ فإن لك مثله وعشرة أمثاله)).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((قاربوا وسددوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله))، قالوا: يا رسول الله ولا أنت؟ قال: ((ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل))[1] رواه مسلم رحمه الله.

قال النووي -رحمه الله تعالى-: والمقاربة: القصد الذي لا غلو فيه ولا تقصير، والسداد: الاستقامة والإجابة، ويتغمدني: يلبسني ويسترني.

قال العلماء رحمهم الله تعالى: معنى الاستقامة لزوم طاعة الله تعالى. قالوا: وهي من جوامع الكلم، وهي نظام الأمور، وبالله التوفيق[2].

قال أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي رحمه الله: إن العبد ليدنو من ربه تبارك وتعالى عند العرض فيقول له: عبدي أتحصي عملك؟ فيقول: إلهي كيف أُحصيه من دونك وأنت الحافظ للأشياء. فيذكّره الله تعالى جميع ذنوبه في الدنيا في ساعتها، فيقول: أنت

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه (٧٦-٢٨١٦). وابن ماجه (٤٢٠١)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٩٥، ٢٦٤، ٣١٩)، (٣/ ٣٣٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢٣٠).

(٢) قال النووي: أعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم ولا غيرهما من التكليف ولا تثبت هذه كلها ولا غيرها إلا بالشرع، ومذهب أهل السنة أيضًا أن الله تعالى لا يجب عليه شيء، تعالى الله، بل العالم ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان عدلاً منه وإذا أكرمهم ونعمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه، ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك، ولكنه أخبر وخبره صدق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته، ويعذب المنافقين ويخلدهم في النار عدلاً منه. شرح مسلم للنووي (١٧/ ١٣٢).

عبدي مُقرٌّ بما عرَّفتُك وذكَّرتُك؟ فيقول: نعم سيدي.

فيقول الله ﷻ: أنا سترتها عليك في الدنيا، فلم أجعل للذنوب رائحة توجد منك، ولم أجعل في وجهك شينها، وأنا أغفرها لك على ما كان منك بإيمانك بي وتصديقك المرسلين.

وأوحى الله تعالى إلى نبيه داود عليه الصلاة والسلام: أحبني وأحب من يحبني وحببني إلى خلقي. قال: يا رب أحببك إلى خلقك؟ قال: اذكُرني بالحسن الجميل.

وكان يحيى عليه السلام: إذا لقي عيسى عليه الصلاة والسلام عَبَسَ، وإذا لقي عيسى عليه الصلاة والسلام يحيى عليه الصلاة والسلام تبسم، فقال له عيسى عليه الصلاة والسلام: تلقاني عابسًا، كأنك آيس، فقال له يحيى عليه السلام: تلقاني ضاحكًا كأنك آمن، فأوحى الله إليهما: أن أحبكما إليَّ أحسنكما ظنًا بي.

وقال الحسن بن محمد رحمه الله: «يحاسب الله سبحانه وتعالى المسلمين يوم القيامة بالمنة والفضل، والكفار بالحجة والعدل».

وروى الإمام العالم العلامة أبو الليث السمرقندى رحمه الله: أربع آيات في سورة النساء خير للمسلمين من الدنيا جميعًا:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

وقوله ﷻ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٦٤].

وقوله ﷻ: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾[النساء:٣١].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء:١١٠].

وقال أبو عبيد بن عمير: مكتوب في الزبور: «يا ابن آدم ما عبدتني ورجوتني لأغفرن لك على ما كان منك ولا أبالي».

وحكى أبو شيبة الزبيري رحمه الله: خفت نفسي ورجوت ربي، فأنا أحب أن أفارق ما أخاف إلى من أرجو.

وحكى يحيى بن معاذ رحمه الله: ما من مؤمن ولا مؤمنة إلاَّ وقد دعا له أهل السموات والأرض بالمغفرة، ولو كان نبيًا واحدًا لاستُجيب له، فكيف الجمع من الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وحكي: أنه كان في بني إسرائيل ملك فوصُف له رجل من العُبَّاد، فدعاه الملك،

وراوده على صحبته ولزوم بابه، فقال له العابد: حسن ما تقول، ولكن لو دخلت يومًا بيتك فوجدتني ألعب مع جاريتك ماذا كنت تفعل؟ فغضب الملك وقال: يا فاجر تجترئ عليَّ بمثل هذا الكلام؟! فقال له العابد: إن لي ربًا كريمًا، لو رأى مني سبعين ذنبًا في اليوم ما غضب عليّ، ولا طردني من بابه، ولا حرمني رزقه، فكيف أفارق بابه وألزم باب من يغضب عليّ قبل وقوع الذنب، فكيف لو رأيتني في المعصية؟! ثم خرج وتركه.

وحكي: أن بعض أنبياء بني إسرائيل سُرق له حمار فقال: إلهي، نبيك سُرق حماره، أسألك أن تطلعني عليه؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: إن ذلك الرجل الذي سَرَقَ حمارك سألني أن أستره وأنا أعطيك حماراً آخر، ولا أفضحه بعد أن سألني ستره.

وسمع أعرابي ابن عباس رضى الله عنهما يقرأ: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[آل عمران: ١٠٣]. فقال الأعرابي: والله ما أنقذكم منها، وهو يريد أن يوقعكم فيها[١]. فقال ابن عباس رضى الله عنهما: خذوها من غير فقيه.

وقال أبو نعيم رحمه الله : رأيت أعرابيًا وقد أقبل بجنازة فقال: بخ بخ طوبى لك، فقلت: يا أعرابي أتعرفه؟ قال: لا، ولكن علمت أنه قدم على أرحم الراحمين.

وقال عطاء الخراساني رحمه الله: أرحم ما يكون الرب بعبده إذا أُدخل قبره وتفرق الناس عنه وأهله. وأنشد بعضهم فقال:

إلهي لك الحمد الذي أنت أهلـه ... على نعم ما كنتُ قط لها أهــلا
أزيدك تقصيراً تزدني تفضـــلاً ... كأني بالتقصير أستوجب الفضـلا

وقال آخر:

مني الجفا ومنك الصفح يا أملـي ... فامنن على عبدك الجاني فلم(يعدي)[٢]
إن كان قد فرطت منه قبائحـــه ... فعذره شافـع في يومه وغـــــد

(١) قال النووي: المعتزلة يثبتون الأحكام بالعقل ويوجبون ثواب الأعمال ويوجبون الأصلح ويمنعون خلاف هذا في خبط طويل لهم، تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع، وفي ظاهر الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته، وأما قوله تعالى ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة، فلا تعارض هذه الأحاديث بل معنى الآيات: أن دخول الجنة بسبب الأعمال ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الأحاديث ويصح أنه دخل الجنة بالأعمال أي بسببها وهي من الرحمة والله أعلم، ومعنى «يتغمدني برحمته» يلبسنيها ويغمدني بها ومنه «أغمدت السيف» و«غمدته»: إذا جعلته في غمده وسترته به، ومعنى سددوا وقاربوا: اطلبوا السداد واعملوا به وإن عجزتم عنه فقاربوا أي اقربوا منه، والسداد: الصواب وهو بين الإفراط والتفريط فلا تغلوا ولا تقصروا. شرح مسلم (١٧/ ١٣٢).

(٢) كذا بالأصل.

ويحكى: أنه كان رجلٌ من بني إسرائيل عبد الله سبحانه وتعالى سبعين سنة، لم يفتر فيها ولا اشتغل بغير الله تعاى، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى نبي ذلك الزمان: قل لعبدي فلان إنك وفيت بعهدي وأفنيت عمرك في خدمتي فسأدخلك الجنة بفضلي ورحمتي، فلما قال له النبي ذلك أطرق العبد رأسه ساعة ثم رفعه وقال: إذا كان دخولي الجنة بفضله ورحمته فما فعلت ذلك عبادتي سبعين سنة، فلم يتم كلامه حتى ابتلاه الله بوجع ضرسه فاستغاث، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى نبي ذلك الزمان: إن قلت: له هل أنت باذل عبادتك سبعين سنة في مقابلة دفع هذا الألم؟ قال: ومن يملك ذلك، ولا يستطيع صرفه إلا الله تعالى.

فقال له النبي ﵇: فإن الله سبحانه وتعالى قد أوحى إليَّ بذلك، فقال: قد بذلت ورضيت، فشفاه الله تعالى، وأوحى الله تعالى إلى النبي ﵇: أن قل له: قد أمضيت عبادتك في رفع الألم، فما بقي لله تدخل به الجنة، إن لم أتغمدك بفضلي ورحمتي؟! فتاب إلى الله مما وقع منه.

● وهذه قصة قارون[1].

قال العلماء بأخبار القدماء: كان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهارون عليهما السلام، وأقرأهم للتوراة، وأجملهم وأغناهم، فبغى حتى هلك. وكان سبب بغيه: كثرة المال.

قالوا: وأول طغيانه وعصيانه: أن الله تعالى أوحى إلى موسى الكليم ﵇: أن يأمر قومه أن يعلقوا في أرديتهم خيوطًا أربعة، في كل طرف خيطًا أخضر، لونه كلون السماء. فقال موسى ﵇: يا رب لم أمرت بني إسرائيل بتعليق هذه الخيوط الخضر في أرديتهم؟ فقال الله تبارك وتعالى: إن بني إسرائيل في غفلة، وقد أردت أن أجعل لهم علمًا في ثيابهم يذكرونني به إذا نظروا إلى السماء، ويعلمون أني مُنزِّل منها كلامي، قال موسى: يا رب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضراً، فإن بني إسرائيلَ تحقر هذه الخيوط؟، فقال له ربه ﷻ : الصغير من أمري ليس بصغير، وإن هم لم يطيعوني في الأمر الصغير لم يطيعوني في الأمر الكبير، فدعا موسى عليه الصلاة والسلام بني إسرائيل وقال لهم: إن الله ﷻ أمركم أن تفعلوا في أرديتكم خيطًا أخضر كلون السماء؛ كي تذكروا ربكم إذا رأيتموها، ففعلت بنو إسرائيل ما أمرهم به موسى عليه الصلاة والسلام، واستكبر قارون فلم يطعه وقال: إنما

---

(١) قال ابن كثير: قال ابن عباس: كان ابن عمه، وهكذا قال إبراهيم النخعي وعبد الله بن الحارث بن نوفل وسماك وقتادة ومالك بن دينار وابن جريج وغيرهم أنه كان ابن عم موسى ﵇ قال ابن جريج: هو قارون بن يعمر بن قاهث، وموسى ابن عمران بن قاهث، قال ابن جريج: وأكثر أهل العلم على أنه كان ابن عمه والله أعلم، وقال قتادة بن دعامة: كنا نحدث أنه كان ابن عم موسى وكان يسمى المنور لحسن صورته، وأقرأ للتوراة، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فأهلكه البغي لكثرة ماله، وقال شهر بن حوشب: زاد في ثيابه شبراً طولاً ترفعًا على قومه. تفسير ابن كثير (٣/ ٤١٢، ٤١٣).

يفعل هذا الأرباب بعبيدهم لكي يتميزوا من غيرهم، فكان هذا مبدأ مصيبته وبغيه.

فلما قطع موسى عليه السلام ببني إسرائيل البحر جعلت لهارون عليه السلام الحبورة -وهي رئاسة المذبح- فكان بنو إسرائيل يأتون بهديهم ويدفعونه إلى هارون عليه السلام، فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله، فوجد قارون في نفسه من ذلك.

وأتى قارون إلى موسى عليه الصلاة والسلام فقال: يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة، ولست في شيء من ذلك، وأنا أقرأ للتوراة منكما، لا صبر لي على هذا، فقال موسى عليه الصلاة والسلام: والله ما أنا جعلتها لهارون بل الله تعالى جعلها له، فقال قارون: والله لا أصدقك في ذلك حتى يُريني بيانه، فجمع موسى عليه الصلاة والسلام بني إسرائيل فقال: هاتوا عصيكم فحزمها وألقاها في قبته التي كان يعبد الله تعالى فيها، فجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا، فأصبحت عصى هارون عليه السلام قد اهتز لها ورق أخضر، وكانت من شجر اللوز، فقال موسى عليه الصلاة والسلام: يا قارون ترى هذا؟ فقال: ما هذا بأعجب ما تصنع من السحر.

واعتزل قارون[1] موسى عليه الصلاة والسلام بأتباعه وجعل عليه الصلاة والسلام يداريه للقرابة التي بينهما، وهو يؤذيه كل وقت ولا يزيد في كل يوم إلا عتواً وتجبراً ومعاداة لموسى عليه الصلاة والسلام، حتى بنى داراً وجعل بابها من الذهب، وجعل على جدرانها صفائح الذهب.

---

(١) ذكر أن هلاك قارون كان من دعوة نبي الله موسى عليه السلام واختلف في سببه، فعن ابن عباس رضى الله عنه والسدي أن قارون أعطى امرأة بغيًا مالاً على أن تبهت موسى بحضرة الملأ من بنى إسرائيل وهو قائم فيهم يتلو عليهم كتاب الله تعالى فتقول: يا موسى إنك فعلت بي كذا وكذا، فلما قالت ذلك في الملأ لموسى عليه السلام أرعد من الفرق وأقبل عليها بعدما صلى ركعتين ثم قال: أنشدك بالله الذي فرق البحر والجاكم من فرعون وفعل كذا وكذا لما أخبرتني بالذي حملك على ما قلتِ؟ فقالت: أما إذا نشدتني فإن قارون أعطاني كذا وكذا على أن أقول ذلك وأنا أستغفر الله وأتوب إليه، فعند ذلك خر موسى لله عز وجل ساجداً وسأل الله في قارون، فأوحى الله إليه: أني قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه فأمر موسى الأرض أن تبتلعه وداره فكان ذلك، وقيل: إن قارون لما خرج على قومه في زينته تلك وهو راكب على البغال الشهب وعليه وعلى خدمه ثياب الأرجوان المصبغة، فمر في محفله ذلك على مجلس نبي الله موسى عليه السلام وهو يذكر بأيام الله، فلما رأى الناس قارون انصرفت وجوههم نحوه ينظرون إلى ما هو فيه، فدعاه موسى عليه السلام وقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا موسى أما لئن كنت فضلت عليَّ بالنبوة فلقد فضلت عليك بالدنيا، ولئن شئت لتخرجن فلتدعون عليَّ وأدعو عليك، فخرج موسى وخرج قارون في قومه فقال موسى عليه السلام: تدعو أو أدعو أنا؟ فقال: بل دعو أنا، فدعا قارون فلم يجب له. ثم قال موسى: أدعو؟ قال: نعم. فقال موسى: اللهم مر الأرض أن تطيعني اليوم، فأوحى الله إليه قد فعلت. فقال موسى: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى أقدامهم، ثم قال: خذيهم، فأخذتهم إلى ركبهم، ثم إلى مناكبهم، ثم قال: أقبلي بكنوزهم وأموالهم. قال: فأقبلت بها حتى نظروا إليها ثم أشار موسى بيده ثم قال: اذهبوا بني لاوى. فاستوت بهم الأرض، وعن ابن عباس قال: خسف بهم إلى الأرض السابعة. ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤١٥).

وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما نزلت الزكاة على موسى عليه الصلاة والسلام أتاه قارون، فصالحه على كل ألف دينار على دينار، وعن كل ألف درهم على درهم، وعن كل ألف شاة على شاة، وعن كل كل ألف شيء على شيء، ثم رجع إلى بيته فوجده كثيراً، فلم تسمح بذلك نفسه، فجمع بني إسرائيل وقال لهم: إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم. فقالوا له: أنت كبيرنا وسيدنا، فمرنا بما شئت.

قال: آمركم أن تجيئوا فلانة البغية، فنجعل لها جُعلاً حتى تقذف موسى بنفسها، فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل، فدعوها، وجعل لها قارون ألف درهم، وقيل: ألف دينار، وقيل: طشتًا من ذهب، وقيل: حكّمها وقال لها: إني آمر لك بما شئت وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل.

فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل، ثم أتى موسى عليه الصلاة والسلام فقال له: إن بني إسرائيل قد اجتمعوا ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم.

فخرج إليهم موسى عليه الصلاة والسلام وهم في براح من الأرض، فقام فيهم وقال: يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده ومن (افترى)[1] جلدناه ثمانين جلدة، ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت، فقال له قارون: وإن كنت أنت؟

قال: وإن كنت أنا. قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة. قال: ادعوها، فإن قالت فهو كما قلت، فجاءت فقال لها موسى عليه الصلاة والسلام: يا فلانة، أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ وعزم عليها وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة على موسى إلاَّ صَدَقت، فتداركها الله سبحانه وتعالى بالتوفيق.

وقالت في نفسها: أحدث اليوم توبة أفضل من إيذائي رسول الله ﷺ فقالت: لا، كذبوا؛ ولكن جعل لي قارون جُعلاً على أن أقذفك بنفسي؛ فخرَّ موسى ساجداً لله تعالى يبكي ويقول: اللهم إن كنت رسولك فاغضب لي، فأوحى الله تعالى إليه مُر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك.

فقال موسى عليه الصلاة والسلام: يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون، فمن كان معي فليثبت، ومن كان معه فليعتزل، فاعتزلوا مع قارون ولم يبق معه إلا رجلان، ثم قال موسى: يا أرض خُذيهم. فأخذتهم إلى الركُب، ثم قال: يا أرض خذيهم.

---

(١) أظنه يقصد: من شرب الخمر.

فأخذتهم إلى الأوساط، ثم قال: يا أرض خُذيهم، فأخذتهم إلى الأعناق، وقارون وأصحابه في ذلك يتضرعون إلى موسى عليه الصلاة والسلام سبعين مرة، وموسى في كل ذلك لا يلتفت إليه غضبًا عليه.

ثم قال موسى: يا أرض خُذيهم. فأخذتهم وانطبقت عليهم، فأوحى الله تبارك إلى موسى: استغاثوا بك سبعين مرة فلم ترحمهم ولم تغثهم، أما وعزتي وجلالي لو دعوني لوجدوني مجيبًا قريبًا.

وقال قتاده: ذكر لنا: أنه يُخسف به في كل يوم قامة، وأنه يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة .

قالوا: وأصبحت بنو إسرائيل يتناجون فيما بينهم أن موسى إنما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله، فدعا اللهَ تعالى موسى عليه الصلاة والسلام حتى خسف بداره وأمواله.

فأوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى: أن لا أُعيد الأرض بعدك أبدًا، فلذلك قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ﴾ الآية.

وأما سبب جمعه الأموال: فقد قال سعيد المسيب: كان موسى عليه الصلاة والسلام يعلم الكيمياء، فعلَّم يوشع بن نون، وعلَّم (كالب) [1]، وعلَّم قارون، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه.

وفي خبر آخر: أن الله سبحانه وتعالى علَّم موسى عليه السلام الكيمياء، فعلمت أخته قارون، فكان ذلك سبب أمواله.

وروى الثعلبي رحمه الله تعالى بإسناده إلى أحمد بن أبي الحواري رحمه الله قال: سمعت أبا سليمان الداراني رحمه الله يقول: تبدى إبليس لعنه الله لقارون، وكان قارون أقام في جبل أربعين سنة يعبد الله سبحانه وتعالى، حتى إذا غلب بني إسرائيل في العبادة بعث إليه إبليس شياطينه، فلم يقدروا عليه، فتبدى هو له، وجعل يتعبد، وجعل قارون يتعبد، وجعل إبليس يقهره بالعبادة ويفوقه، فخضع له قارون، فقال له إبليس: يا قارون بهذا الذي نحن فيه لا نشهد لبنى إسرائيل جماعة ولا نعود مريضًا ولا نشهد جنازة.

قال: فأحدره من الجبل إلى البيعة، فكانا يؤتيان بالطعام، فقال له قارون: فأي شيء الرأي عندك؟ قال له: نكتسب يوم الجمعة ونتعبد بقية الجمعة.

فقال إبليس : قد رضينا أن نكون هكذا. فقال له قارون: فأي شيء الرأي؟ قال

---

(١) كذا بالأصل.

نكتسب يومًا ونتعبد يومًا ونتصدق ونعطي.

قال: فلما كسبا يومًا وتعبدا يومًا ذهب إبليس وتركه. ففتحت على قارون الدنيا.

وروى الثعلبي بإسناده: عن المسيب بن شريك في قوله تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ قال: أوعيته، وكانوا أربعمائة ألف في أربعين جرابًا.

وروى الثعلبي رحمه الله: واختلفوا في عدد العصبة في هذا الموضع، يعني في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾.

قال مجاهد: ما بين العشرة إلى خمسة عشر. وقال أبو صالح: أربعون رجلاً.

وقال عكرمة: منهم من يقول: أربعون، ومنهم من يقول: سبعون.

وروى الضحاك عن ابن عباس: ما بين الثلاثة إلى العشرة.

وروى جرير عن منصور عن خيثمة قال: وجدت في الإنجيل: إن مفاتيح خزائن قارون وِقْر[1] ستين بغلاً غراً محجلين، ما يزيد مفتاح على أُصبع، لكل مفتاح منها كنز.

قال مجاهد: كانت المفاتيح من جلود الإبل، ويقال: كان قارون أينما ذهب تحمل معه مفاتيح كنوزه، وكانت من حديد، فلما ثقلت جعلت من خشب، فثقلت عليه، فجعلها من جلود البقر على طول الأصابع. وكانت تحمل معه إذا ركب على أربعين بغلاً.

وروى بعضهم: أراد بالمفاتيح الخزائن، وإليه ذهب أبو صالح . وروى حصين بن رزين قال: لو كان مفتاح واحد لأهل الكوفة كان كافيًا، إنما يعني كنوزه.

وكان قارون ابن عم موسى الكليم عليه الصلاة والسلام؛ لأن قارون: ابن يعمر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب نبي الله عليهم الصلاة والسلام.

وموسى: ابن عمران بن قاهث. هذا قول أكثر المفسرين.

قال ابن إسحاق: إن موسى عليه السلام ابن أخي قارون، وقارون عمه لأبويه .

قال قتاده: وكان يسمى: المنور؛ لحسن صورته، ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة منه، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري.

أنشد الشيخ عبد العزيز الديريني رحمه الله هذه الأبيات:

إذا ارتحل الوفود إليك يومـًا ... ولحّوا في الضراعة والسـؤال

فإن رحالنا حطت وجـاءت ... لفلك عن حلول وارتحــال

ونحْنا عند بابك يا إلهــي ... إليك مفوضين بلا اعتــلال

---

(١) الوقْرُ: الحمل الثقيل جمعها أوقار.

فسسنا كما شئت ولا تكلنا ... إلى تدبيرنا يا ذي الجـــلال

● **بشارة:**

قال بعض العارفين : أخبرني من أثق به أنه رأى النبي ﷺ في منامه فقال: يا رسول الله، اشفع لي عند الله أن يتوفاني مسلمًا، فنظر إليه مغضبًا وقال: «الكريم يهب شيئًا ثم يعود فيه؟! الكريم يهب شيئًا ثم يعود فيه؟!» قالها ثلاثًا.

● **فائدة:**

قال الترمذي الحكيم رحمة الله عليه: رأيت رب العزة في المنام فقلت: يا رب أخاف من زوال الإيمان.

قال: قل بين سُنَّة الفجر والفريضة: يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك، يا الله، يا الله، يا الله، يا محيي الموتى.

وعن الإمام مالك بن دينار رحمه الله أنه قال: رأيت بالبصرة قومًا يحملون جنازة وليس معهم أحد ممن يشيع الجنازة، فسألتهم عنه فقالوا: هذا رجل من كبار المذنبين العصاة المشركين .

قال: فصليت عليه وأدخلته قبره، ثم انصرفت إلى الظل فنمت، فرأيت ملكين قد نزلا من السماء فشقا قبره، ونزل إليه أحدهما وقال لصاحبه: اكتبه من أصحاب النار، فما فيه جارحة سلمت من المصائب والأوزار. فقال صاحبه: يا أخي، لا تعجل عليه، اختبر عينيه.

قال: قد اختبرتهما فوجدتهما مملوئتين بالنظر إلى محارم الله ﷻ.

قال: اختبر سمعه. قال: قد اختبرته فوجدته مملوءاً بسماع الفواحش والمنكرات.

قال: اختبر لسانه. قال: قد اختبرته فوجدته مملوءاً بالخوض في المحظورات وارتكاب المحرمات.

قال: فاختبر يديه. قال: اختبرتهما فوجدتهما مملؤتين بالسعي في النجاسات والأمور المذمومة.

قال: يا أخي، لا تعجل عليه، ودعني أنزل عليه، فنزل الملك الثاني وأقام عنده ساعة، وقال لصاحبه: يا أخي، قد اختبرت قلبه فوجدته مملوءاً إيمانًا فاكتبه مرحومًا سعيداً.

ففضل المولى سبحانه وتعالى مستغرق ما عليه من الذنوب والخطايا، وأنشد (.............)[1].

لأنه علم أن معاصيهم لم تخرج حبَّةُ من قلوبهم، ولا عبدوا معها ربًا غيره.

---

(١) ورقة غير موجودة بالأصل.

وكان أيضًا يقول: من عصى لا كمن أبى، ولا من ترك كمن ضل، ولا من وحَّد كمن ألحد، ولا من دعا أن الله فرد كمن جعل لله نداً.

وكان يقول: إلهي إن لم أكن بحقك راعيًا لم أكن لغيرك داعيًا.

وكان يقول: لولا أن العفو من صفته لما عصاه أحد .

وكان يقول: لولا أنه بالعفو يجود، لما كان أحداً إلى الذنب يعود.

وفي الحديث: ((أن رجلين توخيا في الله ﷿ من بني إسرائيل، وكان أحدهما عابدًا والآخر مُسرفًا، وكان هذا العابد ينهاه ويزجره فيقول له: دعني وربي، أبعثت عليَّ رقيبًا؟!، حتى رآه يومًا على كبيرة فغضب وقال: لا يغفر الله لك.

فيقول الله يوم القيامة للعاصي: أيستطيع أن يحجر رحمتي على عبادي، اذهب قد غفرت لك.

ثم قال للعابد: وأنت قد أوجبت لك النار)).

قال: ((فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وآخرته)).

وقال أبو طالب المكي رحمه الله: روينا عن مسروق بن الأجدع: أن نبيًا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان ساجداً، فوطئ بعض العتاة على عنقه حتى ألزق الحصى بجبهته.

قال: فرفع النبي ﷺ رأسه مغضبًا فقال: اذهب فلن يغفر الله لك. قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: تتألى في عبادي، فإني قد غفرت له.

ومات بعض العصاة فرأته أمه في المنام فقالت له: ما حالك يا بُني؟ قال: يا أماه ساء ظن الناس بي، وحسن ظني بربي فغفر لي.

وقال بعض السادة رحمهم الله: كانت إلى جانبي عجوز لها ولد من المسلمين مبهوت عند الجيران، فلما حضره الموت ندم على ما كان منه، وخاف خوفًا شديداً فقال لأمه : لا تُعلمي الجيران بموتي، فإنهم يشمتون بي، ولا يصلون عليّ، واجعلي قبري في بيتي، فقد آذيت جيراني في حياتي، وما أحب أن أُضر بالموتى بعد وفاتي، ففعلت ما أوصاها به ودفنته في بيته، ثم رأته بعد ذلك في المنام وهو في رؤيا حسنة، وقصور مُزينة، وبين عينيه مكتوب: هذا عبدٌ اعترف بذنبه وذل، فعظم عند ربه ﷻ، فقالت له: يا بني، أخبرني كيف كانت سلامتك؟ وكيف وصلت إلى هذه المنزلة؟

فقال: يا أماه، لما قبضت أوقفني المولى جلت قدرته بين يديه وقال: يا عبدي، هجروك وضيقوا عليك وسدوا مسالك الرحمة بين يديك، كأن عفوي ضاق عن سيئاتك، وكأن

خزائن ملكي فقيرة إلى حسناتك، ثم تخوفت من شدة إشفاقك على الموتى من جيرانك، وعزتي وجلالي لقد غفرت لكل مدفون من جهتك، إكرامًا لخشيتك، ورحمة لفقرك وفاقتك، اذهب فقد غفرت لك.

فقلت: يا رب، حسبي أن عفوت عني، فبم صرت إلى هذا النعيم، أليس كفاني منك الغفران؟

فقال: يا عبدي، أما علمت أنا إذا عفونا أنعمنا وأحسنًا، وإذا غفرنا ذنوب قوم سترناهم بعدما عفونا وجُدنا عليهم بفضلنا .

وحكى القاضي أبو محمد بن عبد الله بن سليمان: عجبت مني ومن همومي وضعف نفسي على يقيني، ولم يزل للإله لطف من كل ناحية يُعِنّي.

وحكى الأصمعي رحمه الله أنه قال: بينما أنا في الطواف بالبيت إذا شاب متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: «اللهم إليك عجت الأصوات بصنوف اللغات، يسألونك قضاء الحاجات، يا مجيب الدعوات، إلهي حاجة عبدك الضعيف إليك أن تذكرني إذا صرت بين أطباق الثرى ونسيني أهل الدنيا».

قال الأصمعي[1]: فما استتم الشاب كلامه إلا ومناد ينادي: يا هذا من لم ينسك وأنت في ظُلمة الأحشاء أينساك وأنت تحت الثرى؟ فولى الشاب وهو يقول:

يا منتهى كـــل وجـــد ... ونعم مولي لكـــل عـــبد

كن بي رحيمًا يا ذا الجـــلال ... إذا أدخلوني القبر وحـــدي

وحكي: أن بعض الملوك حج إلى بيت الله الحرام، فلما دخل البيت تعلق بأستار الكعبة وجعل يبكي ويقول:

يا رب كتبت رحمة الخلق عليــك ... والمرجع والمآب فالكل إليــك

ما لي عمل صالح للعرض عليك ... ارحم ذلي ووقفتي بين يديــك

فسمع هاتفًا يقول له: قد غفرنا لك وسامحناك، لاعترافك بتقصيرك. وأنشد بعضهم:

إلى مـــن يذهــب المملـــوك إلا ... إلى مولاه يا مولى الموالـــي

---

(١) الأصمعي هو عبد الملك بن قريب ين عبد الملك بن علي بن أصمع بن مطهر بن رباح بن عمرو، أبو سعيد الباهلي، الأصمعي البصري، صدوق سني، أخرج له: مسلم في المقدمة وأبو داود والترمذي، توفي سنة (٢١٣، ٢١٦، ٢١٧). ترجمته: التقريب (١/ ٥٢١)، التهذيب (٦/ ٤١٥) الكاشف (٢/ ٢١٣)، التاريخ الكبير (٥/ ٤٢٨).

فَجُدْ لـي بالتجاوز عن ذنوبي ... وغير ما ترى من سوء حالي
فعفوك دائمًا أبدًا جديداً ... لعبدك لا تملّ من السؤال
وفضلك واسع ويدي صفر ... فعمر صفر كفي بالنوالي

وحكي: أن شعيبًا المقنع رحمه الله قال: حججت سبعين حجة على قدمي، فجعلت ثواب خمسين حجة للنبي ﷺ، وعشرة للصحابة رضي الله عنهم، وتسع للمؤمنين والمؤمنات.

وقلت: اللهم إنك تعلم أني قد حججت عن نبيك وأصحابك، وعن المؤمنين والمؤمنات، فاقبل مني هذه الحجة. قال: فلما كان بعد ساعة نمت فرأيت رب العزة جل وعلا في المنام، فقال لي: يا مقنع تتسخى عليَّ وأنا خلقت السخاء، فوعزتي وجلالي لا أترك في ملكي أحداً من الموحدين إلاّ غفرت له.

وسئل بعض السادة رحمهم الله عن سبب توبته فقال: لما أسرفت في المعاصي واستولى علي الطرد والحرمان وقع في قلبي أني لا أُرحم، فأقمت ثلاثة أيام لا أذوق فيها طعامًا ولا شرابًا إلا غمًا وهمًا وحزنًا، فلما كانت الليلة الرابعة رأيت في المنام جارية وبيدها جام من الذهب مكتوب عليه: يا هذا إذا اشتد بك الكرب، فأين الملجأ؟! وإذا عظم عليك الخوف فأين الرجاء؟! وعلى جبينها مكتوب: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

فوضعت الجام بين يدي، فأكلت منه طعامًا لا يشبه طعام الدنيا، فوجدت حلاوة الرجاء في قلبي واستقمت من تلك الليلة على طاعة ربي. وأنشد بعضهم في المعنى يقول:

ما زلت دهراً للقا متعرضاً ... ولطالما قد كنت عنا مُعرضا
فلمَّا لم تجد جانبتنا دهراً ... عوضًا سوانا عدت تبكي ما مضا
هب أننا عدنا عليك تكرماً ... أيعود دهراً بالبعاد وقد انقضا
لو كنت لازمت المقام ببابنا ... للبست من إحساننا خُلعَ الرضا
لكن طرحت حقوقنا وتركتنا ... فلذاك ضاق عليك متسع الفضا
من ذا يطيق صدورنا أم من له ... صبر على سيف الصدود المنقضا
لكننا من فضلنا ننجي الذي ... بعد الإساءة جانا متعرّضا
فيناله عفو ونغفر ذنبه ... ونردّ أسود ما نراه أبيضا

وقال بعض السادة رحمهم الله: حججت سنة من السنين، فلما وصلت إلى البيت وجدت أعرابيًا متعلقًا بأستار الكعبة وعبراته تجري على خديه وهو يبكي ويقول:

ستور بيتك حبل الأمن منك وقد ... علقتها مستجيراً أيها الباري
وما أظنك لما أن علقت بها ... مخوفًا من النار يدنيني من النار

ثم بكى بكاء عظيمًا حتى كادت روحه تفارق الدنيا، فما شعرت إلاَّ وورقة قد

سقطت على الأعرابي مكتوب فيها: إنا قد أمنَّاك من النار، وأنشد يقول هذه الأبيات:

منك أرجو ولست أعرف ربـــًا يرتجى منه بعض ما منك أرجوا
وإذا اشتدت الشدائد فـي الأرض على الخلق فاستغاثوا وعجــوا
وابتليت العابد بالخوف عـــدلاً إذا أصروا على الذنوب ولجـوا
لم يكن لي سواك رب مـــلاذ وتيقنت أننـي بـك الجـــوا

وقال مالك بن دينار رحمه الله: رأيت مسلم بن يسار[1] بعد موته في المنام فقلت له: ماذا لقيت بعد الموت قال: لقيت والله أهوالاً عظامًا شدائد. قلت فما كان بعد ذلك؟

قال: وما تراه يكون من الكريم إلا الكرم، قَبِلَ منّا الحسنات، وعفا لنا عن السيئات، وضمن عنا التبعات، ثم شهق مالك شهقة ووقع مغشيًا عليه، ثم مات بعد أيام، فكانوا يرون أن قلبه انصدع.

ولما مات الإمام مالك بن دينار رحمه الله رُؤئي في المنام فقيل له: بماذا قدمت على الله؟ فقال: قدمت بذنوب كثيرة محاها عني حسن الظن بالله ﷻ.

وقال بعض المشايخ رحمهم الله: رأيت الأستاذ أبا سهل الصعلوكي بعد موته في المنام على هيئة حسنة لا توُصف، فقلت له: يا أستاذ بمَ نلت هذا؟ فقال: بحسن ظني بربي.

وروي: أن داودًا النبي عليه الصلاة والسلام قال: يا رب أرني أهل محبتك. فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: ائت جبل لبنان؛ فإن فيها أربعة عشر رجلاً فيهم شباب وفيهم كهول وفيهم مشايخ، فإذا أتيتهم فأقرئهم مني السلام وقل لهم: إن ربكم يقول لكم: ألا تسألوني حاجة، فإنكم أحبائي وأصفيائي وأوليائي؟

فأتاهم نبي الله داود عليه الصلاة والسلام فوجدهم عند عين من العيون مطرقين مشتغلين بتعظيم الله ﷻ.

فلما نظروا إلى داود عليه الصلاة والسلام نهضوا ليتفرقوا عنه فقال: إني رسول الله إليكم، جئتكم لأبلغكم رسالة ربي، فأقبلوا نحوه، وألقوا أسماعهم نحو قوله، وأطرقوا إلى

---

(١) مسلم بن يسار، وأبو عبد الله البصري الفقيه الزاهد مولى بني أمية، وقيل: مولى طلحة بن عبيد الله التيمي. روى عن عبادة ابن الصامت ولم يلقه، وعن ابن عباس وابن عمر وأبي الأشعث الصنعاني وأبيه يسار ويقال: لأبيه صحبة، روى عنه: ابن سيرين وقتادة ومحمد بن واسع وأيوب وثابت البناني وآخرون، قال ابن عون: كان لا يفضل عليه أحد في زمانه، وقال ابن سعد: كان ثقة فاضلاً عابدًا ورعًا أخرج له: أبو داود والنسائي وابن ماجه، وتوفي سنة (١٠٠) أو بعدها. ترجمته: تهذيب التهذيب (١٠/ ١٤٠)، وتقريب التهذيب (٢/ ٢٤٧)، الكاشف (٣/ ١٤٣)، والتاريخ الكبير (٧/ ٢٧٠)، والتاريخ الصغير (١/ ٢٦٣)، الجرح والتعديل (٨/ ٨٦٨)، لسان الميزان (٧/ ٣٨٦)، الثقات (٥/ ٣٩١).

الأرض، فقال داود عليه الصلاة والسلام: إني رسول الله إليكم؛ ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم: ألا تسألونني حاجة؟ ألا تنادونني؟ أسمع أصواتكم وكلامكم، فإنكم أحبائي وأصفيائي وأوليائي .

قال: فجرت دموعهم على خدودهم، وقال شيخهم: سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك، فاغفر ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من أعمارنا.

وقال آخر: سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك، فامنن علينا بحسن الظن فيما بيننا وبينك.

وقال آخر: اللهم أدم لنا لزوم الطريق إليك.

وقال آخر: اللهم نحن المقصرون في طلب رضاك فارض عنا بجودك .

وقال آخر: اللهم اغفر لنا تقصيرنا في شكرك.

وقال آخر: اللهم إنك تعلم أنه لا حاجة لنا إلا النظر إلى وجهك .

وقال آخر: اللهم هب لنا نوراً نهتدي به إليك.

وقال آخر: اللهم إنا نسألك أن تفضل علينا وتديم ذلك لنا.

وقال آخر: اللهم إنا نسألك تمام النعمة فيما وهبته لنا.

وقال آخر: اللهم إنا نسألك أن تعمي عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها، وقلبي عن الاشتغال بغيرك.

وقال آخر: اللهم قد علمنا أنك تحب أوليائك، فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء.

وقال آخر: اللهم كلِّف ألسنتنا من دعائك لعظم شأنك وقربك من أوليائك وكثر منتك على أهل محبتك.

فأوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام: قل لهم: قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أجبتم، فليفارق كل واحد منكم صاحبه، فإني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم.

فقال داود عليه الصلاة والسلام: يا رب بما نالوا هذا؟

قال: بحسن الظن بي والكف عن الدنيا وأهلها.

وقال بعضهم: رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأن الناس يساقون إلى الحساب وأنا مع طائفة منهم وعليهم التيجان والحلل، فمررنا إلى ساحل بحر فجلسوا فأردت أن أجلس معهم، فقالوا: إليك عنا فلست منا، اطلب أصحابك المذنبين.

فمشيت قليلاً وإذا أنا بأقوام عليهم أثواب رثة وجوههم غير منيرة فقالوا: اجلس

معنا، فأنت من أصحابنا. فجلست معهم وبقيت مفكراً في أمري، وإذا بسفينة من ذهب أحمر وشراعها أي قلعها من السندس الأخضر ومناديًا ينادي: هي سفينة الأبرار المستغفرين بالأسحار.

فقامت طائفة فقالوا: لبيك داعي ربنا وسعديك، وركبوا فرحين مستبشرين حتى غابوا عن أعيننا، ثم أقبلت سفينة من لؤلؤ بيضاء شراعها من السندس الأخضر وإذا مناد ينادي: أين العلماء ورثة الأنبياء؟[1].

فقالوا: لبيك داعي ربنا وسعديك، وركبوا فرحين مستبشرين حتى غابوا عن أعيننا ولم يبق على ساحل البحر غيرنا.

فبينما نحن في كرب وغم وحزن شديد إذا بسفينة قد أقبلت من الياقوت الأحمر شراعها من السندس الأخضر، فتأملت الشراع وإذا مكتوب عليه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ومناديًا ينادي: هذه سفينة الرحمة والتعطف، أين أهل العصيان والتخلف؟ فركبنا مستغفرين ذاكرين الله تعالى، ولم نزل في الرجاء والامتنان حتى شرفنا على وادي العفو والإحسان، فجاءنا توقيع من الكريم المنان: غفرنا ما علمناه، وسترنا ما جهلوا، ووهبنا ما عملوا.

وذكر حماد بن سلمة رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يموتنَّ أحدكم حتى يحسن الظن بالله»[2] وقال: حسن الظن تمنِّي الجنة.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما: أنه قال: عمود الدين وغاية مجده وذروة سنامه: حسن الظن بالله، فمن مات منكم وهو يحسن الظن بالله دخل الجنة مدلاً.

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: والذي لا إله إلا هو لا يحسن الظن أحدكم بالله تعالى إلا أعطاه الله ظنه، وذلك أن الخير بيده.

وذكر ابن المبارك رحمه الله قال: أنبأنا سفيان أن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ليلقى ربه وهو يحسن الظن بربه[3]، وإن كان حيًا فخوفوه.

---

(١) حديث: «العلماء ورثة الأنبياء» أخرجه: ابن ماجه (٢٢٣)، وفي تلخيص الحبير (٣/ ١٦٤)، والقرطبي في تفسيره (٤/ ٤١)، وابن حجر في التاريخ الكبير (٨/ ٣٣٧).

(٢) أخرجه: مسلم في صحيحه (٨١-٢٨٧٧) في الجنة وصفة نعيمها باب: الأمر بحسن الظن بالله، ابن ماجه (٤١٦٧)، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٩٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٧٨).

(٣) قال النووي: قال العلماء معنى حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، قالوا: وفي حالة الصحة يكون خائفًا راجيًا ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف أرجح فإذا دنت أما رات الموت غلب الرجاء أو محضة لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذه الحال =

وقال الفضيل رحمه الله: الخوف أفضل من الرجاء ما كان العبد صحيحًا، فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف.

وعن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنه قال: كانوا يستحبون أن يُلقنوا العبد محاسن أعماله عند الموت حتى يحسن الظن بربه ﷻ.

وقال بعض الصالحين رحمهم الله: كان إلى جانبي شاب من المسرفين على أنفسهم، فلما حضرته الوفاة جلس أهله يبكون عليه، وجعلت أمه توبخه وتلومه على ما كان يصنع، وجعل أبوه يقول: هذا المصرع الذي حذرتك، هذا المضجع الذي أنذرتك، ثم وضع وجهه على وجهه وجعل يقول:

قد كنت أنذرك الحمام وخطبـــه ... فلهيت عن ميعاده حتى أتـــى

واحسرتي لو كان يرجع ما مضى ... أو كان قولي نافعي واحسرتى

فلما سمعه شاب فتح عينه، وأشار إلى أبيه وأمه أن اقربا مني، فلما قرُبا منه قال لهما: لو أن الله تعالى رد أمري إليكما هل كنتما تعذباني؟

فقالا: لا والله، بل لو أمكننا فديناك بأنفسنا.

فقال: والله والله، إن الله أرحم بي منكما وأبر، ولقد وصل إليَّ بره ورأفته قبل أن يكون منكما شيء من ذلك، ثم مات من ساعته.

فرؤي بعد موته في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقال: يا عبدي من أين علمت أني أرحم بك من أمك وأبيك، وأن رأفتي وصلت إليك قبل رأفتهما؟ فقلت: يا رب حين كنت في الأحشاء صورتني وحفظتني ووقيتني وأعوزتني، ولم تزل تلطف بي إلى أن أخرجتني في أحسن تقويم، فمن أين لي أبرُّ منك يا رب؟ فقال: صدقت يا عبدي، اذهب فقد غفرت لك.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كأني أنظر يوم القيامة وأمتي تعرض على الله ﷻ»، ثم قال لأصحابه: «أتدرون كيف يحاسب الله ﷻ أهل التوحيد؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ينادي مناد من قبل العرش: أين فلان؟ فلا يسمع أحد ذلك الصوت إلا تضطرب فرائصه. فتقول الملائكة لذلك الشخص: أنت المطلوب، هلم للعرض على خالق السموات والأرض. فيشخص الخلق بأبصارهم تجاه العرش، ويقف ذلك الشخص بين يدي الله تعالى، فيُلقي الله تعالى عليه من نوره حتى يستره على المخلوقين. ثم يقول له:

=فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له. النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٧٢) طبعة دار الكتب العلمية.

عبدي أما ذكرت موقفك بين يدي؟ فيقول: بلى يا رب. فيقول: أما علمت أني شاهد عملك في دار الدنيا، فيقول: بلى يا رب، فيقول: عبدي أما سمعت بجزائي وثوابي لمن أطاعني؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: يا عبدي فلم عصيتني؟ فيقول: يا رب قد كان ذلك، فيقول الله ﷻ: تحققت أني أعفو عنك. فيقول: نعم يا رب؛ لأنك رأيتني في الدنيا على معصية وسترها عليَّ بحلمك وكرمكَ. فيقول الله ﷻ: قد عفوت عنك وغفرت لك وحققت ظنك، خذ كتابك بيمينك، فما كان من حسنة قد قبلتها منك، ولكن عشر أمثالها، وما كان من سيئة قد غفرها لك، وأنا الجواد الكريم».

ولما مات عبد الرحمن بن همدان رحمه الله رآه بعض الصالحين في منامه فقال: ما فعل الله بك؟ قال: أقامني بين يديه وقال: اقرأ كتابك؟ فقال: يا رب إنما يقرأ الكتاب على الجاهل، وأنت يا رب عالم بما فيه فلا تُخزني بين الخلائق والأصحاب، ولا تخذلني بالهوان والحجاب، وامنن عليّ بالعفو يا وهاب. فقال لي: قد غفرنا لك سوء أفعالك بحسن مقالك، فلك عندنا الكرامة والأمان، لا الفضيحة والخذلان يا عبد الرحمن بن همدان.

وعن علي بن محمد النيسابوري رحمه الله أنه قال: رأيت أيوب السراج بعد موته في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه، ثم قال: يا شيخ السوء، كنت تحمل العلم إلى هؤلاء السلاطين وتنال من دنياهم

فقلت: يا رب، كانت الدنيا علي مكدرة، وكنت مثقلاً بالعيال، فأمر بي في النار.

فقلت يا رب: ما كان هذا ظني بك؟

قال: وما كان ظنك بي، قلت: حدثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة عن قتادة، عن أنس ﷺ، عن نبيك عن جبريل عليهما السلام عنك -يا ذا الجلال والإكرام- أنك قلت: «أنا عند ظن عبدي بي[1] فليظن بي ما شاء»، فقال: صدق عبدي يحيى بن سعيد، صدق شعبة، صدق قتادة، صدق أنس، صدق نبيي، صدق جبريل، أنا قلت ذلك، فعلقت وطيبت وألبست سبعين حلة، ووضع تاج على رأسي، ومشى بين يدي الولدان المخلدون إلى الجنة.

وروى الإمام العالم العلامة أبو الليث السمرقندي رحمه الله بإسناده إلى هارون بن محمد بن أحمد بن سهل قال: رأيت يحيى بن أكثم في المنام فقلت له: يا يحيي ما فعل الله بك؟ قال دعاني فقال: يا شيخ السوء، فعلت وفعلت وفعلت . فقلت: يا رب ما بهذا حدثت عنك. قال: بم حدثت عني؟

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه (٢-٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ١-باب الحث على ذكر الله تعالى.

قلت: حدثنا عبد الرزاق[١]، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ، عن جبريل عليه السلام أنك قلت: «**ما من مسلم يشيب في الإسلام إلا وأنا أستحيي أن أعذبه**»، وأنا شيخ كبير.

قال: صدق عبد الرزاق، صدق معمر، صدق الزهري، صدق عروة، صدقت عائشة، صدق النبي ﷺ، صدق جبريل عليه السلام. ثم أمر بي ذات اليمين إلى الجنة.

قال الليث: وروى ابن عمر رضى الله عنهما أنه دخل على النبي ﷺ فوجده يبكي فقال: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: «**جاءني جبريل عليه الصلاة والسلام فقال: إن الله يستحيي أن يُعذب أحدًا قد شاب في الإسلام، فكيف لا يستحيي من شاب في الإسلام أن يعصي الله تعالى**».

وحكى أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن سعيد قال: كان يحيى بن أكثم صديقًا لي، وكان يودني وأوده، فمات يحيى فكنت أشتهي أن أراه في المنام فأقول: ما فعل الله بك؟

فرأيته في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر الله لي إلا أنه وبخني وقال: يا يحيى، خلطت على نفسك في دار الدنيا. فقلت: أي رب الكعبة، اتكلت على حديث حدثني به أبو معاوية الضرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ أنك قلت: «**إني لأستحيي أن أعذب ذا شيبة في الإسلام بالنار**»، وأنا شبت في الإسلام. فقال: قد عفوت عنك؛ صدق نبيي.

وورد في بعض الأخبار: أنه يؤتى يوم القيامة بشيخ فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول له: يا شيخ ما أنصفتني؛ غذيتك بالنعم صغيراً، فلما كبرت عصيتني، أما إني لأكون لك كما كنت لنفسك، اذهب فقد غفرت لك، والله أعلم.

وروي في بعض الأخبار: أن النبي ﷺ كان جالسًا يومًا إذ أقبل شيخ قد سقط حاجباه من الكبر على عينه، فسلم على النبي ﷺ فرد السلام ثم قال: «**أبشرك في شيبك هذا؟**» قال: بلى يا رسول الله، قال: «**إذا كان يوم القيامة وبعث الله الخلائق من القبور جيء برجل من أمتي كان قد بلغ سنًا وأُوقف بين يدي الله تعالى، فيأمر الله تعالى به إلى الجنة، ثم يرفع إلى الملك الصحيفة ويقول للملك: ادفع إليه الصحيفة حين يصل إلى باب الجنة، فإن فيها أعماله، وإني أستحي ممن شاب في الإسلام من أمة محمد ﷺ أن أُوقفه على ذنوبه،**

---

(١) عبد الرزاق بن همام بن نافع، أبو بكر الحميري مولاهم الصنعاني الإمام اليماني، ثقة حافظ مصنف شهير عمي في آخر عمره فتغير وكان يتشيع، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٢١١) وله (٨٥) سنة. ترجمته: تهذيب التهذيب (٦/ ٣١٠)، تقريب التهذيب (١/ ٥٠٥)، الكاشف (٢/ ١٩٤)، التاريخ الكبير للبخاري (٦/ ١٣٠)، التاريخ الصغير للبخاري (٢/ ٣٢٠)، الجرح والتعديل (٦/ ٢٠٤)، ميزان الاعتدال (٢/ ٦٠٩)، لسان الميزان (٧/ ٢٨٧)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٦٣)، الثقات (٨/ ٤١٢)، البداية والنهاية (١٠/ ٢٦٥)، ديوان الإسلام (١٤٢٨).

فينطلق به الملك حتى إذا صار إلى باب الجنة دفع إليه الصحيفة ورجع الملك فيقول: قف حتى أقرأ ما في الصحيفة، فيقول الملك: ليس لي إذن بالقيام، فينكس وينظر فيها، فإذا ذنوبه كثيرة، فيستحيي ويخجل ويقول في نفسه: كيف أدخل الجنة مع هذه الذنوب، فتهب الريح ويسلب الكتاب من يديه، وتهب ريح الجنة على قلبه فتُسلب من قلبه ذكر الذنوب حتى تطيب له الجنة»).

وقيل: يؤتى بشيخ يوم القيامة لم يعمل حسنة قط فيقول الله عَجَلَّ له: ما الذي أعددت للقائي؟ فيقول: حُسن ظني بك يا رب، فيقول الله عَجَلَّ: أنا عند ظن عبدي بي، ثم يقول الله عَجَلَّ: يا ملائكتي، وعزتي وجلالي، إن هذا الشيخ لم يحسن ظنه بي قط، ولكن أستحيي أن أعذب ذا شيبة، وأنا ذو رحمة واسعة، اذهبوا به إلى الجنة برحمتي.

قال القرطبي رحمه الله: وفي الإسرائيليات: إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما رجع من تقريب ولده إلى ربه عَجَلَّ رأت سارة زوجة الخليل عليهما السلام في لحيته شعرة بيضاء، وكان إبراهيم أول من شاب، فأنكرتها وأرته إياها، فجعل يتأملها وأعجبته، وكرهتها السيدة سارة رضي الله عنها، وطالبته بإزالتها، فأبى وأتاه الملك فقال: السلام عليك يا إبراهيم.

وكان إبراهيم اسمه: إبرام، فزاده في اسمه هاء في السريانية للتفخيم والتعظيم، ففرح بذلك وقال: أشكر إلهي وإله كل شيء. فقال له الملك: إن الله قد صيرك معظمًا في أهل السموات وفي أهل الأرض، وقد وسمك بسمة الوقار في اسمك وفي خلقك، أما اسمك: فإنك تُدعى في أهل السماء وأهل الأرض: إبراهيم، وأما خلقك: فقد أنزل الله تعالى وقاراً على شعرك ونوراً على شعرك، فأخبر سارة بما قال له الملك وقال: الذي كرهيته وقار ونور. قالت: فإني كارهة له، قال: لكني أحبه، اللهم زدني نوراً ووقاراً، فأصبح وقد ابيضت لحيته كلها.

وفي الآثار النبوية: «**من شاب شيبته في الإسلام كان له نورًا يوم القيامة**».

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تبارك وتعالى يستحيي أن يعذب ذا شيبة**»[1].

● **فائدة:**

تكلم الشيوخ رحمهم الله في الرجاء فقال بعضهم:

الرجاء ثلاثة أقسام: رجاء رجل عمل حسنة يرجو قبولها، ورجاء رجل عمل سيئة ثم تاب فهو يرجو المغفرة، الثالث: الرجاء الكاذب، يتمادى في الذنوب ويقول: أرجو المغفرة، ومن عرف نفسه بالإساءة ينبغي أن يكون خوفه غالبًا على رجائه.

وقال عبد العزيز الديريني رحمه الله ونفعنا به: إن الرجاء حُسن الظن بالله تعالى في قبول طاعة وقعت له أو مغفرة سيئة تبت منها.

---

(١) أخرجه: العجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٨٤).

فالطمأنينة مع ترك الطاعات، والإصرار على المخالفات أمن وغرور، وقد نهى الله تعالى عنه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[لقمان: ٣٣][1]. يعني الشيطان فإنه يُحسن لك المعاصي.

وقال شاه الكرماني رحمه الله: الرجاء حسن الطاعة .

وقال الإمام أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله: سبحان الله ما أغفل هذا الخلق عزمًا، أما الخائف منهم مقصر، والراجي منهم متوان.

وعن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: الإيمان ثلاثة أقسام: الرجاء والخوف والمحبة، ففي خوف الخوف: ترك الذنوب، وبه النجاة من النار، وفي خوف الرجاء: الطاعة، وبها وجود الجنة، وفي خوف المحبة: احتمال المكروهات، وبه يجد العبد رضا الله عنه.

وقال الحسن رحمه الله: إن أقوامًا لهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ليست لهم حسنة يقول: أنا أحسن الظن بربي، وكذب لو أحسن الظن بربه أحسن العمل لله، ثم بكى وقرأ ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[فصلت:٢٣].

وعن سعيد بن جبير رحمه الله: الغرة بالله أن يتمادى الرجل في المعصية، ويتمنى على الله المغفرة.

وقال عون بن عبد الله رحمه الله: المنافق يتمنى على الله المغفرة ويعمل بمعصيته.

وقال رسول الله ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني»[2].

ولما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له رجل: إني لأرجو ألا تمس جلدك النار. فنظر وقال: إن من عزرتموه لمغرور، والله لو أن لي ما على وجه الأرض لافتديت به من هول المطلع.

وقال محمد بن السماك رحمه الله فيما يعاتب به نفسه: تقولين: قال الزاهدون، وتعملين عمل المنافقين، والجنة تطمعين أن تدخلي، هيهات، للجنة قوم آخرون، لهم عمل غير ما تعملين.

وقال أبو علي الروذباري رحمه الله: الخوف والرجاء هما كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطائر وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع في النقص، وإذا ذهبا جميعًا صار الطائر في حد الموت.

وقال أبو زكريا النووي رحمه الله: اعلم أن المختار للعبد في حال صحته أن يكون خائفًا

---

(١) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة، فإنه يغر ابن آدم ويعده ويمنيه وليس من ذلك شيء بل كان كما قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾. تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٩).

(٢) أخرجه: أحمد بن حنبل في مسنده (٤/ ٢٤) والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٦٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٧، ٤/ ٢٥١)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٣٣٨، ٣٤١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٥٢)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧/ ٤٤، ٨/ ٤٢٨).

راجيًا، ويكون خوفه ورجائه سواء، وفي حالة المرض يمحص الرجاء .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ[1]: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت، فقال: «ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله، فأحب الله لقاءه» ذكره مسلم[2].

وحكي عن الشبلي رحمه الله: أنه رأى مجنونًا في بعض الأيام، والصبيان يرجمونه بالحجارة، وقد أدموا وجهه وشجوا رأسه، فجعل الشبلي يزجرهم عنه .

فقالوا: دعنا نقتله فإنه كافر يزعم أنه رأى ربه ويخاطبه .

فقال: كفوا عنه، ثم تقدم إليه الشبلي فوجدوه يحدث نفسه ويضحك ويقول: أجميل منك، تسلط عليَّ هؤلاء الصبيان يفعلون بي هكذا؟

فقلت له: يا أخي، ما يقولون عنك هؤلاء الصبيان؟ فقال: ما الذي يقولون عني؟

فقلت: يقولون: إنك ترى ربك وتخاطبه، فصرخ صرخة عظيمة ثم قال: يا شبلي، وحق من تيمني بحبه وهيمني بقربه، لو احتجب عني طرفة عين لتقطعت من ألم البين.

قال الشبلي: فعلمت أنه من الخواص، أرباب الإخلاص، فقلت له: حبيبي ما حقيقة المحبة؟

فقال: مه يا شبلي والله لو قطرت قطرة من المحبة في البحار لصارت سعيراً، ولو وضعت منها ذرة على الجبال لصارت هباءاً منثوراً، فكيف بقلوب كساها الغرام قلقًا وزفيراً، وزاد بها الهيام حرقًا وتحيراً، وأنشد يقول:

كشف الحبيب لمن دعاه ستوراً ... وسقاه كأسًا فاغتدا مخموزا
واعتاده حر اللهيب ولم يرد ... إلاَّ الحبيب فنال منه حبورا
يا فوز من كان الحبيب نديمه ... وغدا إليه في الجميع مشيرا
وإذا رأيت محبة في سكره ... خلع العذار رأيته معذورا
من ذا يطيق الصبر عن محبوب ... حاشا المحب يكون عنه صبورا

وحكي عن الشيخ المزين الكبير رحمه الله قال: كنت بمكة فخطر لي الخروج، فخرجت أريد المدينة، فلما وصلت إلى بئر ميمونة، وإذا أنا بشاب مطروح وهو في النزع فقلت له: قل: لا إله إلا الله، ففتح عينه وأنشد يقول:

---

(١) أخرجه: مسلم (١٥-٢٦٨٤) كتاب الذكر والدعاء ٥-باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

(٢) أخرجه: مسلم كما تقدم في أوله، وأحمد في مسنده (٢/ ٣١٣) والترمذي (١٠٦٦، ١٠٦٧)، والنسائي (٤/ ٩، ١٠-المجتبى) وابن ماجه (٤٢٦٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦٧٤٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٣٣)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٣٣٠)، (٩/ ٦١٥).

أنا إن مت فالهوى حشو قلبـــي ... وبداء الهوى يموت الكـــرام

ثم مات فغسلته وصليت عليه، فلما فرغت من دفنه سكن ما كان بي من إرادات السفر فرجعت إلى مكة.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: أن جبريل عليه الصلاة والسلام جاء إلى النبي ﷺ يومًا فقال: إن الرب يُقرئك السلام وهو يقول: ما لي أراك مغمومًا حزينًا وهو أعلم بذلك. فقال له النبي ﷺ: «يا جبريل قد طال تفكُّري في أمر أمتي يوم القيامة». فقال: يا محمد في أمر أهل الكفر أم في أمر أهل الإسلام؟ فقال: «في أمر من يقول: لا إله إلا الله». قال: فأخذه بيده حتى أقامه على مقبرة بني سلمة، فضرب بجناحه الأيمن على قبر ميت فقال: له قُم بإذن الله تعالى، فقام رجل مبيض الوجه وهو يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، والحمد لله رب العالمين، فقال له جبريل: عُد فعاد كما كان، ثم ضرب بجناحه الأيسر على قبر كافر فقال: قم بإذن الله، فخرج رجل مسود الوجه أزرق العينين وهو يقول: واحسرتاه، واندمتاه واسوأتاه .

فقال جبريل علية الصلاة والسلام: عُد إلى مكانك، فعاد ثم قال له جبريل ﷺ : على هكذا يبعثون يوم القيامة، على ما ماتوا عليه، وأنشد يقول:

قصدت باب الرجاء والناس قد رقدوا ... وقمت أشكو إلى مولاي ما أجـــد
وقلت يا أملـــي في كـــل نائبـــة ... ومن عليه بكشف الضر أعتمـــد
أشكو إليك أمورًا أنت تعلمهـــــا ... ما لي على حملها صبر ولا جلـــد
وقد مددت يدي بالذل مبتهـــــلاً ... إليك يا خير من مُدت إليه يـــد
فلا تردنَّها يـــا رب خائبـــــة ... فبحر جودك يروي كل من يـــرد

***

الباب السابع والستون

في التحذير من كيد الشيطان ومكره

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [النور: ٢١].

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[البقرة: ١٦٨، ٢٠٨]، و[الأنعام:١٤٢].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[يوسف:٥].

وروى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[1]: عمله.

وقال مجاهد وقتادة والضحاك: خطاياه.

وقال السدى والكلبي رحمهما الله: طاعته.

وقال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما: زلاته وشهواته.

وقال المؤرخ: آثاره.

وقال أبو عبيدة: هي المحرمات من الذنوب. وقال الزجاج: طرقه.

● **فائدة:**

قال الثعلبي رحمه الله: الخُطْوة -بضم الخاء وسكون الطاء-: ما بين القدمين، و«الخَطوة» بفتح الخاء وسكون الطاء: الفعلة الواحدة، من قول القائل: خطوات أخطوا خطواً.

● **فائدة أخرى:**

قرأ ابن عامر والكسائي وقنبل وحفص: بضم الطاء من ﴿خُطُوَٰتِ﴾ حيث وقع في القرآن.

وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والبزي وشعبة بسكون الطاء.

---

(١) قال قتادة السدي: كل معصية لله فهي من خطوات الشيطان، وقال:عكرمة: هي نزعات الشيطان، وقال مجاهد: خطؤه أو قال: خطاياه، وقال أبو مجلز: هي النذور في المعاصي، قال الشعبي: نذر رجل أن ينحر ابنه فأفتاه مسروق بذبح كبش وقال: هذا من خطوات الشيطان. تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٤).

وقرأ علي بن أبي طالب ﷺ وعمرو بن ميمون بضم الخاء والطاء، وبهمزة بعد الطاء.

قال الأخفش: أراه ذهب بها مذهب الخطيئة، فجعل ذلك على مثال فعله في الخطأ.

وقال أبو حاتم: أرادوا إشباع الضمة في الواو فانقلبت همزة، وهذا شائع في كل واو مفتوحة.

وقرأ عبد بن عمير: ﴿خُطُوَاتِ﴾ بفتح الخاء والطاء، وهو جمع خطوة بفتح الخاء وسكون الطاء كهمزات جمع همزة.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾ [البقرة: ١٦٩][(١)] يعني الشيطان، ﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾ أي بالإثم، ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾.

قال الثعلبي رحمه الله تعالى: يعني المعاصي وما قبح من القول والفعل.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: هو ما لا يعرف في شريعة ولا سنة.

روى عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: البخل.

وقال السدي رحمه الله: الزنا.

وزعم مُقاتل والكلبي رحمهما الله: أن كل فحشاء في القرآن فهو الزنا إلا في قوله تعالى ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ فإنه منع الزكاة.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

قال الثعلبي رحمه الله: تحريم الحرث والأنعام.

قال أبو علي القونوي رحمه الله ﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾ كل ما ساءك في عافيتك. ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾: البخل. ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بأن تقولوا على الله ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنه خطأ أو صواب، أو هو جميع المذاهب المضلة.

قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ [البقرة:٢٦٨]، أي بالفقر بالإنفاق، قال القونوي رحمه الله: والفقر: انكسار يحدث بقلة ذات اليد من «فقره»: كسر فَقَارَه. ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾: البخل والكسب الخبيث أو منع الحقوق.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ أي ستراً في العقبى، وخيراً في الأولى.

قوله تعالى: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ

---

(١) أي: إنما يأمركم عدوكم الشيطان بالأفعال السيئة وأغلظ منها الفاحشة كالزنا ونحوه وأغلظ من ذلك وهو القول على الله بلا علم فيدخل في هذا كل كافر وكل مبتدع أيضًا. تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٤).

يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:٢٧].

قال الإمام العالم العلامة الشيخ عبد العزيز الديريني: خلق الله تبارك وتعالى آدم عليه الصلاة والسلام من طين من أنواع الأرض، فبقي جسده ملقى على باب الجنة أربعين سنة، فكانت الملائكة عليهم السلام تمرُّ به فتتعجب منه؛ لأنهم لم يروا مثل صورته قط، فمرّ به إبليس فرآه فقال: لأمرٍ ما خُلقتَ، ثم ضربه بيده، فإذا هو أجوف، فقال لمن معه من الملائكة: هذا خلق أجوف لا يثبت ولا يتماسك، أرأيتم إن فضل هذا عليكم، ما أنتم صانعون؟[1].

قالوا: نطيع أمر ربنا، فقال إبليس في نفسه: والله لئن فضل عليَّ لا أطيعه، ولئن فضلت عليه لأهلكنه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أي ما أسره إبليس من الكبر والعداوة.

ثم نفخت الروح في جسده فدخلت في دماغه ثم نزلت إلى عينه، فنظر إلى بداية خلقه وأصله حتى لا يُعجب من نفسه، إذ أكرمه الله تعالى، ثم نزلت الروح إلى خياشيمه فعطس، ونزلت إلى فيه فألهمه الله تعالى، فقال: الحمد لله رب العالمين.

وهذا أول ما جرى على لسانه، فقال الله ﷻ: يرحمك ربك يا آدم، لرحمة خلقتك، فهو قوله ﷻ: «ورحمتي سبقت غضبي». وقوله ﷻ : ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾.

ثم انتشرت الروح في سائر جسده، فصار لحمًا ودمًا، وكان يزداد كل يوم حُسنًا، ثم ألبسه الله تبارك وتعالى من لباس الجنة، وكساه نوراً كنور الشمس، وكان نور محمد ﷺ يلمع في جبينه فيغلب على سائر الأنوار، ثم رفعه على سرير وحمله على أكتاف الملائكة، وأمرهم فطافوا به في السموات ليرى عجائب الملكوت، ثم علَّمه أسماء جميع المخلوقات، ثم أمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا إلا إبليس، فطرده الله تعالى وأبعده وأسكن آدم الجنة .

ثم خلق الله تبارك وتعالى له حواء زوجته من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو نائم، فاستيقظ فرآها فسكن إليها ومد يده، فقالت الملائكة: مَهْ يا آدم، فقال: ولم وقد خلقها الله تعالى لي؟ فقالوا: حتى تؤدي مهرها. قال: وما مهرها؟، قالوا: تصلي على محمد ثلاث مرات.

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٧٥): ثم قال تعالى للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ لما كان حدث نفسه من الكبر والاغترار فقال: لا أسجد له وأنا خير منه وأكبر سنًا وأقوى خلقًا خلقتني من النار وخلقته من الطين. قال: فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله أي آيسه من الخير كله وجعله شيطانًا رجيمًا عقوبة لمعصيته، ثم علَّم آدم الأسماء كلها.. إلى آخر كلامه.

ثم إن الله تعالى أباح لهما نعيم الجنة، ونهاهما عن شجرة الحنطة، فحسدهما إبليس، فهو أول من تكبر وأول من حسد، فأتى إلى باب الجنة، فوجد الطاووس فوقف معه وبكى فقال: ما يبكيك؟ قال: أبكي على الخلائق فإنهم كلهم يموتون إلا من أكل من شجرة الخلد، فهو أيضًا أول من كذب، فقال له الطاووس: أين هذه الشجرة؟ فقال: إن دخلت الجنة أريتك الشجرة.

فقال: لا أقدر على ذلك، ولكن أقول للحية، فإنها تخرج وتدخل في خدمة خليفة الله آدم، وكانت يومئذ من أحسن الدواب، فأتى إلى الحية فأخبرها، فخرجت الحية وتحول إبليس لعنه الله ريحًا فدخل بين أنيابها حتى أتى آدم وحواء، فوقف عليهما وناح نياحة أحزنتهما، فهو أيضًا أول من حلف كذبًا وغش، فأكلت حواء، ثم زينت لآدم حتى أكل وظنا أن أحدًا لا يتجاسر أن يحلف بالله كاذبًا، فعوقبا بعشرة أشياء:

الأول: عاتبهما الله تعالى بقوله : ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾.

والثاني: سقط لباس الجنة عنهما حين بدت لهما سوءتهما.

والثالث: سُلبَ النور عنهما.

والرابع: أخرجهما من الجنة فقال الله تعالى: «أخرجوا آدم وحواء من جواري، فإنه لا يجاورني من عصاني». فأهبط آدم إلى سرنديب من الهند، وحواء بجدة، وإبليس بالأيلة وهي البصرة، وقيل: نيسان، والحية بأصبهان والطاووس ببابل.

والخامس: الفرقة بين آدم وحواء مائة سنة حتى اجتماعا بالمزدلفة، فلذلك سميت جمعًا، وتعارفا بنعمان، ولذلك سمي عرفة.

والسادس: العداوة بين بني آدم وإبليس والحية .

والسابع: النداء بالمعصية في كتاب الله تعالى.

روي: أن إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام قا:ل يا رب، خلقت آدم بيدك ونفخت فيه بروحك وأسجدت له ملائكتك وأسكنته جنتك بلا عمل ثم بزلة واحدة ناديت عليه بالمعصية[1] وأخرجته.

فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم، أما علمت أن مخالفة الحبيب للحبيب أمر شديد.

والثامن: تسلُّط إبليس على أولاده بالإغواء.

---

(١) قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف :٢٢].

والتاسع: جعل الله تعالى الدنيا سجنًا للمؤمنين[(١)] منهم .

والعاشر: أتعبهم في طلب القوت .

إلا أن آدم عليه الصلاة والسلام كان عند الله حبيبًا، فاجتباه وتاب عليه.

وعوقب إبليس لعنه الله بعشرة:

الأول: عزله عن الولاية، وكان مقدمًا على ملائكة السماء الدنيا وملائكة الأرض، وخازنًا من خزان الجنة، فعزله الله تعالى.

والثاني: منعه الجنة، فلا يعود إليها أبدًا.

والثالث: مسخه فصار شيطانًا.

والرابع: غير اسمه وكان اسمه عزازيل فسماه إبليس، والإبلاس: اليأس من الرحمة.

والخامس: جعله إمام الأشقياء، فلا يتبعه إلا شقي .

والسادس: لعنه إلى يوم الدين.

والسابع: سلبه المعرفة، ولم يبق عنده من تعظيم الله ذرة .

والثامن: أغلق عنه باب التوبة.

والتاسع: جعله خاليًا من كل خير.

والعاشر: جعله خطيب أهل النار.

ويقال: شقي إبليس بخمسة أشياء: لم يعترف بخطيئته، ولم ير أن التوبة واجبة، ولم يتب، وتكبر عن أمر الله، وقنط من رحمة الله.

وسعد آدم عليه السلام بخمسة أشياء: اعترف بذنبه، وندم على زلته، ورأى أن التوبة واجبة، وتاب إلى الله، ولم يقنط من رحمة الله.

قال وهب بن منبه رحمه الله: لما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض مكث سبعة أيام لا ترقأ له دمعة، وهو منكس الرأس، فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم ما هذا الجهد الذي أراه بك؟

قال يا رب: عظمت مصيبتي وأحاطت بي خطيئتي وأخرجت من ملكوت ربي، فصرت في دار الهون بعد الكرامة، وفي دار الشقاء بعد السعادة، وفي دار النصب بعد الراحة، وفي دار البلاء بعد العافية، فكيف لا أبكي على خطيئتي.

فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: يا آدم ألم أصطفك لنفسي وأحللتك داري، وخصصتك بكرامتي، وحذرتك سخطي، ألم أخلقك بيدي، ونفخت فيك من روحي، وأسجدت لك

---

(١) حديث: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»: أخرجه مسلم في الزهد رقم(١)، والترمذي (٢٣٢٤)، وابن ماجه (٤١١٣)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٩٧)، والحاكم (٣/ ٦٠٤).

ملائكتي، فعصيت أمري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي، فوعزتي وجلالي لو ملأت الأرض رجالاً كلهم مثلك يعبدونني ويسبحونني، ثم عصوني لأنزلتهم منازل العاصين.

فبكى آدم عليه الصلاة والسلام بعد ذلك ثلاثمائة سنة.

انتهى ما ذكره الديريني رحمه الله، والله أعلم.

وروى الثعلبي بإسناده عن شهر بن حوشب رحمه الله قال: بلغني أن آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط إلى الأرض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياءً من الله ﷻ.

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: بكى آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي عام، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يومًا، ولم يقرب آدم حواء مائة سنة.

قال أكثر المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه:١١٦] أي فترك الأمر والعهد، وهو نظير قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧] أي: تركوا أمر الله فتركهم في النار.

قال ابن زيد: نسي ما عاهد الله في ذلك، ولو كان له عزم ما أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له، وعصى الله الذي كرمهُ وشرفهُ.

قال الثعلبي رحمه الله: وعلى هذا القول يحتمل أن يكون آدم عليه الصلاة والسلام في ذلك الوقت بالنسيان مأخوذًا، أو إن كان هو اليوم عنا مرفوعًا.

قلت: قد يقال: إن في كلام الرسول ﷺ ما يشير إليه، وهو قوله ﷺ: «**رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان**»[1] الحديث.

وقوله تعالى ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه: حفظًا لما أمر به.

وعن قتادة ومقاتل رضى الله عنهما: صبراً.

وقال ابن زيد: محافظة على أمر الله وتمسكًا به.

وقال الضحاك رحمه الله: سرعة أمر. وقال عطية رحمه الله: رأيًا. وقيل: حزمًا.

وقال ابن كيسان: إصراراً وإضماراً على العودة إلى الذنب ثانيًا.

وروى الثعلبي: وأصل العزم: النية واعتقاد القلب على الشيء.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه: لو أن أحلام بني آدم جمعت منذ خلق الله تعالى آدم إلى يوم أن

---

(١) أخرجه: ابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ٢٨١)، والخطابي في إصلاح خطأ المحدثين (١٦) والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٥٢٢) والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٧٧)، والربيع بن حبيب في مسنده (٣/ ٩)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٥/ ١٦٠، ١٦١).

تقوم الساعة ووضعت في كفة ميزان، ووضع حلم آدم في الكفة الأخرى لرجح حلمه بأحلامهم، وقد قال الله تعالى ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾.

وروى محمد بن إسحاق[١]، عن زيد بن عبد الله بن قسيط رحمهم الله قال: سمعت سعيد بن المسيب يحلف بالله -ما استثنى-: ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل، ولكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر قادته إليها فأكلا، فلما أكلا سقطت عنهما ثيابهما، وبدت لهما سوءاتهما وأخرجا من الجنة.

وروى أبيّ بن كعب ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «**كان آدم عليه الصلاة والسلام رجلاً طويلاً كأنه نخلة سحوق، كثير شعر الرأس، فلما واقع بدت له سوءته، وكان لا يراها، فانطلق هاربًا في الجنة، فعرضت له شجرة من شجر الجنة، فحبسته بشعرها، فقال لها: أرسليني، قالت: لست بمرسلتك، فناداه ربه: يا آدم، أمني تفر؟ قال: لا يا رب، ولكن استحيتك**[٢]».

وعن ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة: قال الله تعالى لآدم عليه الصلاة والسلام: ألم يكن لك فيما أبحتك ومنحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة؟ قال: بلى وعزتك ولكن ما ظننت أن أحداً من خلقك يحلف بك كاذبًا.

قال: فبعزتي لأهبطنَّك من الأرض، ثم لا تنال العيش إلا كداً. فأهبط من الجنة، وكانا يأكلان فيها رغداً إلى غير رغد من طعام وشراب، فعُلِّم صنعة الحديد، وأُمر بالحرث، فحرث وزرع، ثم سقى، حتى إذا بلغ حصد، ثم داسه، ثم ذراه، ثم طحنه، ثم عجنه، ثم خبزه، ثم أكله، فلم يبلعه حتى بلع ما شاء الله أن يبلع.

وعن محمد بن قيس: ناداه ربه: يا آدم، لم أكلت منها وقد نهيتُك؟، قال: يا رب أطعمتني حواء، فقال لحواء: لم أطعمتيه؟، قالت: أمرتني الحية، قال للحية: لم أمرتيها؟ قالت: أمرني إبليس، فقال الله تعالى: يا حواء، أما إنك فكما أدميت الشجرة تدمين كل شهر، وأما أنت يا حية، فأقطع قوائمك فتمشين جريًا على وجهك، وسيشرخ رأسك من لقيك، وأما أنت يا إبليس فملعون مدحور.

وقد اختُلِفَ في الشجرة ما هي؟

قال علي بن أبي طالب ﷺ وكرم الله وجهه: هي شجرة الكافور.

---

(١) محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، أبو بكر، أبو عبد الله، المدني المطلبي وإمام المغازي، صدوق يدلس، ورمي بالتشيع، أخرج له: البخاري تعليقًا، وباقي الستة، توفي سنة (١٥٠، ١٥١، ١٥٣)، التقريب (٢/ ١٤٤)، التهذيب (٩/ ٣٨).

(٢) أخرجه: ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٧٢)، وفي البداية والنهاية (١/ ٨٧).

وقال محمد بن كعب ومقاتل رحمهما الله: هي السنبلة، أي الحنطة. وقيل: شجرة العنب، وقيل: شجرة التين .

قال مجاهد رحمه الله: قال إبليس: جُعل لنا: نرى ولا نُرى، ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى.

وروى مالك بن دينار رحمه الله تعالى: إن عدواً يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم الله.

وروي عن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله أنه كان يقول: الشيطان قديم وأنت جديد، الشيطان لا ينساك وأنت لا تزال تنساه، ومِنْ نفسك له عون وليس لك منه عون.

وروى البخاري ومسلم رحمهما الله عن أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت[1]: كان النبي ﷺ معتكفًا فأتيته أزوره ليلاً فحدثته، ثم قمت لأنقلب فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: «على رسلكما إنها صفية بنت حيي» فقالا: سبحان الله يا رسول الله. قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكم شرًا» أو قال : «شيئًا»[2].

وقيل: صدر ابن آدم مسكن له، ويجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يُقذف في قلوبكم شراً-أو قال: شيئًا، وأنت لا تقاومه إلا بعون الله.

وقال ذو النون المصري: إن كان هو يراك من حيث لا تراه فإن الله تعالى يراه من حيث لا يرى الله، فاستعن بالله ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

وقال عروة بن رقيم[3] اللخمي: إن عيسى عليه السلام دعا ربه عز وجل، فقال: يا رب أرني موضع الشيطان من ابن آدم، فجلى له ذلك فإذا له رأس كرأس الحية واضعًا رأسه على

---

(١) قال النووي: فيه استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس في الإنسان وطلب السلامة والاعتذار بالأعذار الصحيحة، وأنه متى فعل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق وقد يخفى أن يبين حاله ليدفع ظن السوء، وفيه الاستعداد للتحفظ من مكائد الشيطان فإنه يجري من الإنسان مجرى الدم فيتاهب الإنسان للاحتراز من وساوسه وشره. النووي في شرح مسلم (١٤/ ١٣١).

(٢) أخرجه: البخاري (٦٢١٩) كتاب الأدب، ١٢١-باب التكبير والتسبيح عند التعجب، ومسلم في صحيحه (١٤-٢١٧٥) كتاب السلام، ٩-باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خاليًا بامرأة...، وأبو داود في الصيام رقم (٢٤٧٠)، وابن ماجه (١٧٧٩)، وأحمد في مسنده (٦/ ١٣٧).

(٣) كذا بالأصل: وهو عروة بن رويم، وقيل: رؤيم، أبو القاسم اللخمي الأزدي، الدمشقي، الشامي، صدوق يرسل كثيراً، أخرج له: أبو داود والنسائي وابن ماجه توفي سنة (١٢٥، ١٣٢، ١٣٥، ١٤٤) ترجمته: تهذيب التهذيب (٧/ ١٧٩)، التقريب (٢/ ١٩)، الكاشف (٢/ ٢٦١)، التاريخ الكبير للبخاري (٧/ ٣٣)، الجرح والتعديل (٦/ ٢٢٠٨)، سير الأعلام (٦/ ١٣٧).

ثمرة القلب، فإذا ذكر الله تعالى خنس، وإن ترك الذكر منّاه، فذلك قوله تعالى ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾.

وقال شقيق رحمه الله: ليس للشيطان سلاح على العبد أشد من خوف الفقر، فإذا قبل ذلك منه أخذ من الباطل ومنع من الحق، وتكلم بالهوى، وظن بربه ظن السوء، ومتى ما أخذه ملك الموت أخذه بسخط الله.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: من بات سكرانًا بات للشيطان عروسًا، وكذلك المخنث والنائحة .

وقال مجاهد رحمه الله: إن من ذرية إبليس: «زنبوراً»، وهو صاحب الأسواق، يضع فيها رايته. و«بترًا» صاحب المزامير. و«القويس» صاحب التحريش. و«المسوط» صاحب الأخبار يلقيها في أفواه الناس، ولا يجدون لها أصلاً. و«داسمًا» صاحب أرباب البيوت، إذا دخل الرجل المنزل ولم يُسم ولم يذكر اسم الله تعالى، ووقع بصره على ما لا يرى من المتاع، لم يحسن موضعه. و«ولهان» صاحب الوسواس في الوضوء والصلاة.

وعن الشيخ أبي نصر ابن الشيخ عبد القادر رحمهم الله: أنه قال: سمعت والدي يقول: خرجت في بعض سياحاتي إلى البرية ومكثت أيامًا لا أجد ماء، فاشتد بي العطش، فأظلتني سحابة وتُرك علي منها شيئًا يشبه الندى، فترويت به، ثم نوراً أضاء به الأفق وبدت لي صورة ونوديت: يا عبد القادر أنا ربك، وقد أحللت لك المحرمات أو قال: ما حرَّمت على غيرك، فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، اخسأ يا لعين، فإذا ذلك النور ظلام وتلك الصورة دخان، ثم خاطبني وقال: يا عبد القادر نجوت مني بعلمك بحكم ربك وفقهك في أحوال منازلاتك، وقد أضللت بهذه الواقعة سبعين من أهل الطريق. فقلت: لربي الفضل والمنة. قال: فقيل له: كيف علمت أنه شيطان؟ قال بقوله: قد أحللت المحرمات.

وحكي عن عكرمة رحمه الله أنه قال: إن رجلاً مر بشجرة تعبد من دون الله ﷻ، فغضب وقال: هذه الشجرة تعبد من دون الله، ثم أخذ فأسًا وركب حماره وتوجه نحو الشجرة ليقطعها، فلقيه الشيطان لعنة الله عليه في الطريق على صورة إنسان فقال له: إلى أين؟

فقال: إني رأيت شجرة تعبد من دون الله ﷻ، فأعطيت الله ﷻ عهداً أن أركب حماري وآخذ فأسي وأتوجه نحوها وأقطعها. فقال له إبليس لعنه الله: ارجع فأنا أعطيك كل يوم أربعة دراهم فترفع طرف فراشك فتجدها. فقال: أو تفعل ذلك؟ قال: نعم، ضمنت لك ذلك كل يوم، فرجع إلى بيته فوجد ذلك يومين أو ثلاثة أو ما شاء الله، فلما أصبح بعد ذلك رفع طرف فراشه فلم ير شيئًا، فلما رأى أنه لا يجد دراهم أخذ الفأس وركب حماره وتوجه نحو الشجرة، فلقيه إبليس لعنة الله عليه على صورة إنسان فقال له: أين تريد؟ قال: شجرة تعبد من دون الله

أريد أن أقطعها. قال له إبليس لعنه الله: لا تطيق ذلك، أما أول مرة فكان خروجك غضبًا لله تعالى، فلو اجتمع أهل السماء والأرض ما ردوك، وأما الآن فإنما خرجت لأنك لم تجد الدراهم، فلئن تقدمت فلأدقن عنقك، فرجع إلى بيته وترك الشجرة.

وفي رواية أخرى: إن إبليس صارع العابد أول مرة فصرعه العابد، وأنه صارعه في المرة الثانية فصرع إبليس العابد .

وذُكِر: أن إبليس لعنه الله كان يُرى في الزمان الأول. قال له رجل: يا أبا مُرَّة كيف أصنع حتى أكون مثلك؟ فقال إبليس: ويحك ما طلب هذا مني أحد فكيف تطلبه أنت؟

فقال الرجل: أنا أحب ذلك، فقال له إبليس لعنة الله عليه: أما إن أردت أن تكون مثلي، فتهاون بالصلاة(١)، ولا تبالي بالحلف كاذبًا أو صادقًا.

فقال الرجل: لا أعود أفعل ذلك أبدًا، وتاب الرجل إلى الله ﷻ.

فقال له إبليس: ما تعلَّم أحد مني بالاحتيال غيرك، وأنا عهدت أن لا أنصح لآدمي قط.

وروى الثعلبي بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الحشر :١٦، ١٧].

وروى أبو عبد الله وهب بن منبه رحمه الله: أن إبليس لعنه الله أتى راهبًا في صومعته فاستفتح عليه وقال: من أنت؟، قال: أنا المسيح، فقال الراهب: والله لئن كنت إبليس لا أخلو بك، ولئن كنت المسيح لما عسيت أن أصنع بك اليوم شيئًا، لقد بلَّغْتَنَا رسالة ربك وقبلنا عنك، وشرَّعت لنا الدين، ونحن عليه، فاذهب فلست بفاتح لك.

قال له: صدقت ، أنا إبليس ولا أريد ضلالتك بعد اليوم أبدًا، فاسألني عما بدا لك أخبُرك به، قال: وأنت صادق، قال: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك به، قال: فأخبرني أي أخلاق بني آدم أوثق في أنفسكم أن تضلوهم بها؟ قال: ثلاثة أشياء: الشُّح والحدَّة والسُّكر.

---

(١) قال النووي: في شرح مسلم (٢/ ٦١) طبعة دار الكتب العلمية: أما تارك الصلاة، فإن كان منكراً لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملة الإسلام، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، ولم يخالط المسلمين من يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه، وإن كان تركه تكاسلاً مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس، فقد اختلف العلماء فيه فذهب مالك والشافعي والجماهير من السلف والخلف أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه، وذهب جماعة إلى أنه يكفر وهو مروي عن علي بن أبي طالب وبه قال أحمد وابن المبارك.

وقيل: لما حج الحسن البصري رحمه الله رجع إلى البصرة وجلس على المنبر للموعظة واجتمع إليه من الناس خلق كثير، فقال لهم: اعلموا رحمكم الله أني أريد أن أُحدثكم اليوم بما سمعت أذناي وما نظرت عيناي من العجائب والعبر، اعلموا أني كنت سألت الله ﷻ أن يجمع بيني وبين إبليس لعنه الله في خلوة حتى أسأله عن أشياء بيني وبينه، فبينما أنا في طريقي إذ أنا بشيخ مستلق على الأرض وقد ميَّل إحدى رجليه على الأخرى وهو يغني، فلما دنوت منه أنكرته فلم أُسلم عليه وقلت له: من أنت أيها الشخص؟ فقال: يا حسن أنا الذي سألت الله أن يجمع بيني وبينك.

فقلت: اللهم لك الحمد، ثم قلت له: من أين جئت؟ قال: من الكوفة، فقلت: هنيئًا لأهل الكوفة إذ خرجت من عندهم، فضحك ثم قال: يا حسن إني استخلفت عليهم المريسي[(١)]، وإنهم يطيعونه ما لم يطيعوني، قلت: بما يأمرهم المريسي؟، قال: يحلف لهم أن القرآن مخلوق يبلى ويفنى، ويأتيهم في ذلك بحجج باردة فيصدقونه.

قال الحسن: فقلت: إني أريد أن أسألك عن مسألة؟، فقال: سل عما شئت، فقال: هل أَرضيتُك في شيء مما تُحب أم لا؟ فقال لي: يا حسن لقد أرضيتني مرة بعد مرة، فقلت: في أي شيء أطعتك؟، قال: أتذكر يوم أتاك الرجل فقال لك: إن لرجل عندي عشرة دراهم وقد فضحني اليوم، وأنا أحب من الله ثم منك أن تُعيرني جاهك اليوم فتأخذ لي بوجهك عشرة دراهم.

فوسوستك وقلت لك: لا تُخضع جاهك ولا تفعل فأطعتني ورددته خائبًا، ولم تبذل لله تعالى جاهك في ملهوف.

وتذكُر يا حسن يوم وقف الرجل السائل العُريان في مجلسك وقال: رحم الله من كساني خَلِقًا، فقلتَ للناس: هذا ظن أن ديننا خَلَق، فسألنا عند قدر ديننا، ولم تهب له خَلِقًا ولا جديدًا، ولا تعصبت له حتى خرج عنك عُريانًا فأعجبني والله ذلك منك.

وتذكُر ليلة النصف من شعبان لما عزمت أن تُحييها حتى الصباح، فقلت لك: اشبع من الطعام وارو من الماء حتى تقوى على العبادة، فأكلت لما شبعت، ورويت من الماء، فقلت لك: اضطجع قليلاً حتى يستمرئ الطعام، فاضطجعت وكحلت عينك حتى أخذك النوم إلى

---

(١) بشر بن غياث بن أبي كريمة، أبو عبد الرحمن المريسي العدوي، مولى زيد بن الخطاب، كان من أعيان أصحاب الرأي، أخذ عن أبي يوسف، وبرع في الفقه، ونظر في الكلام والفلسفة، وجرد القول بخلق القرآن وناظر فيه ودعا إليه وكان رأس الجهمية، وقد رماه بالكفر غير واحد من الأئمة، قال البويطي: سمعت الشافعي يقول: ناظرت المريسي في القرعة فذكرت له حديث عمران بن حصين في القرعة فقال: هذا قمار، فأتيت أبا البختري القاضي فذكرت له قوله فقال: يا أبا عبد الله شاهد آخر وأصلبه. مات سنة (٢١٨). تاريخ الإسلام وفيات (٢١١-٢٢٠).

الفجر، فأصبحت خائبًا من ثواب تلك الليلة.

قال: فبكيت وقلت له: مَه.

فقال: أتذكر ليلة كنت قاعدًا على فُطورك فوقف بالباب سائل فقلت له: نفس عشاك فرددته خائبًا. فسرَّني ذلك منك.

فقلت له: فهل أشقيتك في شيء أو عذَّبتك قط؟

قال: نعم يا حسن إنك والله تنقمني وتؤذيني بسكوتك ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وسكوتك من المغرب إلى العشاء الأخيرة، وتالله إنهما أشد عليَّ من الكيّ على الكبد.

فقلت له: أسألك بالذي عبدته في السموات والأرض وأنظَرَكَ إلى يوم البعث إلا نصحتني: ما أحب إلى الله ﷻ وأنجى من الهلكة؟

فقال: والله إني لأنصحك تقول بعد كل صلاة: «اللهم صل على محمد النبي الأمي» مائة مرة، فإنك والله تفوز مع الفائزين.

فقلت: والله لقد نصحتني فاذهب عني بقية الأيام.

فقال: هيهات يا حسن ما أذهب إلا عن رجلين: أحدهما يمقُت الذهب والفضة كما يمقت الميتة والدم. ورجل يمقُت لذَّات الدنيا كما يمقُت الخمر، وأما سائر الناس فإني لا أفارقهم والله حتى يموتوا.

فقلت له: أوصني؟، فقال: يا حسن من لم يغصب نفسه على طاعة الله ﷻ لم يفلح في دين الله تعالى أبدًا.

ثم مضيت عنه، فالتفت ورائي وقال: يا حسن إذا مررت على غيلان[1] مولى عثمان ابن عفان ﷺ فسلِّم لي عليه، فقلت له: وما بينك وبينه؟، قال: هو قائد من قوادي زاد الله فينا مثله. فقلت له: وبمَ ذا؟، قال: يترك الجمعة والجماعة مع المسلمين ويقول: ما تطيب نفسي بالصلاة خلفه.

---

(١) غيلان القدري أبو مروان صاحب معبد الجهني، ناظره الأوزاعي بحضرة هشام بن عبد الملك، فانقطع غيلان ولم يتب، وكان قد أظهر القدر في خلافة عمر بن عبد العزيز فاستتابه عمر، فقال: لقد كنت ضالاً فهديتني، وقال عمر: اللهم إن كان صادقًا، وإلا فاصلبه واقطع يده ورجليه، ثم قال: أمِّن يا غيلان، فأمن على دعائه، وقد حج بالناس هشام بن عبد الملك سنة ست ومائة في أول خلافته وكان معه غيلان يفتي الناس ويحدثهم وكان ذا عبادة وتأله وفصاحة وبلاغة، ثم نفذت فيه دعوة الإمام الراشد عمر بن عبد العزيز، فأخذ وقطعت أربعته وصلب بدمشق في القدر، نسأل الله السلامة، وذلك في حياة عبادة بن نسي، فإنه أحد من فرح بصلبه. انظر تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (١١١-١٢٠).

قال الحسن رحمه الله: فلقيت غيلان يومًا فقلت له: إن إبليس لعنه الله يسلم عليك وهو راض عنك بتركك الجمعة والجماعة. فقال: إن إبليس أحب إليَّ منك يا مُراءٍ، ثم ذهب.

وقيل: إن إبليس لعنه الله تعرض لرجل من العُبَّاد وفي وسطه هميان، وفي الهميان فخاخ معلقة. فقال له العابد: ما هذه الفخاخ؟

فقال: أنا رجل سائح وليس لي طعام ولا كسب، فإذا جُعت نصبت فخًا من هذه الفخاخ فأصيد الطائر، فآكله فتلك معيشتي. فقال العابد: فأنا أحوج الناس إلى مثل هذا.

قال: فإني سأعمل لك فخًا جيدًا، ثم تفرقا، ومرَّ العابد بامرأة قائمة على باب فقالت: يا عبد الله تُحسن تقرأ الخط فإنه آتاني كتاب من زوجي؟ فقال: نعم، قالت: تدخل الدهليز وتجلس، فإني أُشفق عليك من القيام. قال: فلما دخل أغلقت الباب وراودته عن نفسه. فناشدها بالله تعالى أن ترجع عنه فلم ترجع. فتجانَّ عليها، فلما رأت جنونه بادرت ففتحت له الباب فخرج، فلقيه إبليس لعنه الله فقال له العابد: ما فعلت بالفخ الذي وعدتني به.

فقال له إبليس: قد كنت عملته لك وجوّدته ولكن جنونك لم يدعْك تقع فيه.

انتهى والله تعالى أعلم.



الباب الثامن والستون

فيمن يجرى عليه عمله بعد الموت ويجازى به المؤمن بعد موته

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[1]. رواه مسلم في صحيحه وغيره. ورواه ابن ماجه بإسناد صحيح ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «**خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاثة: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجري يبلغه أجرها، وعلم يُعمل به من بعده**»[2].

قال الإمام الحافظ المنذري رحمة الله عليه: وناسخ العلم النافع له أجره وأجر من قرأه أو نسخه أو عمل به من بعده ما بقي خطه، والعمل به بهذا الحديث وأمثاله، وناسخ غير العلم النافع مما يوجب الإثم عليه وزره ووزر من قرأه أو نسخه أو عمل به من بعده ما بقي خطه والعمل به للأحاديث الواردة في ذلك:

منها: من سنَّ سُنَّة حسنة أو من سَنَّ سُنَّة سيئة[3]. والله أعلم، رواه أحمد بن حنبل والبزار رحمهما الله من حديث أبي أمامة ﷺ واسمه: صدى بن عجلان ولفظه قال: سمعت رسول الله ﷺ: «**أربعة تَجري عليهم أجورهم بعد الموت: رجل مات مرابطًا في سبيل الله، ورجل علَّم علمًا فأجرُها له ما جرى، ورجل ترك ولدًا صالحًا يدعو له**»[4].

رواه الطبراني في الكبير، والمنذري وقال: وهو صحيح ورواه صاحب الفردوس بغير إسناد ولفظه: عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبع يجري للعبد أجرها**

---

(١) أخرجه: مسلم (١٤-١٦٣١) كتاب الوصية، ٣- باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته. وأبو داود (٢٨٨٠) كتاب الوصايا، ١٤- باب ما جاء في الصدقة على الميت، والترمذي (١٣٧٦) ١٣- كتاب الأحكام، ٣٦- باب في الوقف، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٧٧)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٦١٧).

(٢) أخرجه: ابن ماجه (٢٤١) المقدمة، ٢- باب ثواب معلم الناس الخير، وابن حبان في صحيحه (٨٤-الموارد)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٩٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٠٠، ١١٨).

(٣) أخرجه: ابن ماجه في سننه (٢٠٧) المقدمة، ١٤- باب من سن سنة حسنة أو سيئة، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٦١، ٣٦٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٧٦).

(٤) أخرجه: أحمد في مسنده (٥/ ٢٦١)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٤٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١١٦)، والمنذري في الترغيب (١/ ١١٩).

بعد موته وهو في قبره: من علَّم علمًا أو أجرى نهرًا أو حفر بئرًا أو غرس نخلاً أو بنى مسجدًا أو ورَّث مصحفًا أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته»[١]. رواه ابن ماجه، وابن خزيمة في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا بلفظ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علمًا نشره، وولدًا صالحًا تركه، ومسجدًا بناه، وبيتًا لابن السبيل، أو نهرًا أجراه، أو صدقة أجراها من ماله في صحته وحياته يلحق بعد موته»[٢].

ورواه أبو نعيم وأبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» أيضًا من طريق أبي كبشة الأنماري[٣].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث بقين للعبد بعد موته: صدقة أجراها، وعلم أفشاه، وذرية يتقون بعده الله ﷻ».

وعن ثعلبة بن الحكم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لفصل عباده: إني لم أجعل علمي وحكمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أُبالي»[٤]. رواه الطبراني في الكبير، ورواه المنذري وقال: رواته ثقات، وقال: وانظر إلى قوله وأمعنْ النظر يتضحْ لك بإضافته إليه ﷻ أنه ليس المراد علم أكثر الزمان المجرد عن العمل والإخلاص.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج حاجًا فمات كُتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة، ومن خرج معتمرًا فمات كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة، ومن خرج غازيًا فمات كتب له أجر الغازي إلى يوم القيامة»[٥]. رواه أبو يعلى الموصلي والمنذري وقال: في إسناده محمد بن إسحاق وبقية رواته ثقات.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من خرج بهذا الوجه بحج أو عمرة فمات لم يُعرض ولم يُحاسب وقيل له: ادخل الجنة». قالت: وقال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرج هذا وما يليه: ابن ماجه (٢٤٢) في المقدمة، ٢٠- باب ثواب معلم الناس الخير، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٩٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٩٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٥٤)، والهيثمي في المجمع (١/ ١٦٧)، والقرطبي في تفسيره (١٩/ ٩٩)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ١١٤).

(٢) انظر التخريج قبل هذا.

(٣) أبو كبشة الأنماري المذحجي الخزاعي صحابي نزل الشام له حديث عن أبي بكر، أخرج له: أبو داود والترمذي وابن ماجه. ترجمته:- تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٠٩)، تقريب التهذيب (٢/ ٤٦٥)، أسد الغابة (٦/ ٢٦١)، الكاشف (٣/ ٣٧٠).

(٤) أخرجه: السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٠)، وابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٦٧)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٨٦٧).

(٥) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٧٨)، وابن حجر في المطالب العالية (١٠٩٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٠٩)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٧٤٥).

«إن الله ﷻ يُباهي بالطائفين»[1]. رواه الطبراني وأبو يعلى الموصلي، والدارقطني والبيهقي وأبو نعيم في الحلية وأبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا بلفظ: «من مات في طريق مكة لم يُعرض ولم يُحاسب»[2].

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر إن الله ﷻ أعطاني ثواب من آمن به منذ خلق آدم، وأعطاك ثواب من آمن بي منذ بعثني إلى أن تقوم الساعة»[3]. رواه صاحب الفردوس.

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يبعث الله ﷻ العباد يوم القيامة، ثم يُميز العلماء فيقول: يا معشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم لأُعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم»[4]. رواه الطبراني في الكبير.

وعن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «من سنَّ سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر من يعمل بها في حياته وبعد مماته حتى تُتَركْ، ومن سَنَّ سُنَّة سيئة فعليه إثمها حتى تترك، ومن مات مرابطًا جرى عليه عمل المرابط حتى يُبعث يوم القيامة»[5]. رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به، وغيره.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من حفر قبرًا احتسابًا كان له من الأجر كأنما أسكن مسكينًا في بيت إلى يوم القيامة». رواه أبو نعيم الحافظ وأبو منصور الديلمي وقال: متصل الإسناد.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من دخل المقابر فقرأ سورة يس خَفَّفَ الله عنهم يومئذ، وكان له بعدد من فيها حسنات». رواه الطبراني وأبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» بسنده إلى أنس ﷺ وقال: متصل الإسناد.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج من بيته حاجًا أو معتمرًا فلقيه الموت في ذهابه أو رجوعه قبل أن يصل إلى بيته كَتَبَ الله ﷻ له في كل سنة سبعين حجة

---

(١) أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢١٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٧٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٣٦٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٠٨).

(٢) أخرجه: أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢١٦)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ٤١٠)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢١٧).

(٣) رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٨٤).

(٤) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٠١)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٠).

(٥) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٥٨)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٦١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٦٧)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣٠٢). وبلفظ: «فله أجره ومثل أجور من اتبعه غير منقوص من أجورهم شيئًا... الحديث» أخرجه: الترمذي (٢٦٧٥) في العلم، وابن ماجه (٢٠٧) في المقدمة، باب من سن سنة حسنة أو سيئة.

وعمرة»[١]. رواه الطبراني وأبو منصور الديلمي عن والده بسنده إلى أنس بن مالك مرفوعًا فذكره، وقال: متصل الإسناد.

وعن الحسن بن أبي الحسن[٢] رحمه الله: قال موسى عليه الصلاة والسلام: يا رب ما جزاء من عاد مريضًا؟ قال: أبعث إليه ملائكتي يعودونه في قبره إلى يوم القيامة، قال: فما جزاء من غسَّل ميتًا؟ قال: أُخرجَهُ من ذنوبه كيوم ولدته أمه، قال: فما جزاء من شيَّع جنازة؟

قال: أبعث إليه ملائكتي براياتهم يشيعونه من قبره إلى محشره، قال: فما جزاء من عزَّى الثكلى؟ قال: أظلُّه في ظلِّي يوم لا ظل إلا ظلي. رواه سعيد بن منصور في «سننه»، ورواه بالمعنى صاحب الفردوس واسمه شهردار وقد تقدم الحديث في الباب.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: القضاة جسور الناس يمرون على ظهورهم يوم القيامة[٣]. رواه صاحب «الفردوس» وابنه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس».

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«العلماء ورثة الأنبياء، يحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان في البحر إذا ماتوا»**[٤]. رواه أبو نعيم، وعنه أبو عليّ الحديد، وعنه أبو منصور الديلمي بسنده إلى البراء بن عازب مرفوعًا فذكره، وقال: متصل الإسناد.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«البرُّ والصلة يطيلان الأعمار ويعمِّران الديار ويثريان المال، وإن كان القوم فُجّارًا، وإن البِّر والصلة ليخففان سوء الحساب يوم القيامة»**.

قوله: يثريان: يكثران، ثم قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ رواه شهردار صاحب «الفردوس» وابنه منصور في «مسند الفردوس». وأنشد (شعر):

---

(١) أخرجه: الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤/ ٢٧١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٥٣٩).

(٢) الحسن بن أبي الحسن (يسار)، أبو سعيد البصري الأنصاري مولاهم فقيه، ثقة، فاضل مشهور وكان يرسل كثيراً ويدلس، قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز ويقول: حدثنا وخطبنا يعني قومه الذين حدثوا وخطبوا بالبصرة، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١١٠)، وقد قارب الـ(٩٠) سنة. التهذيب (٢/ ٢٦٣)، التقريب (١/ ١٦٥).

(٣) أخرجه: الديلمي في مسند الفردوس (٣/ ٧٥).

(٤) أوله أخرجه: ابن ماجه في سننه (٢٢٣) في المقدمة، ١٧- باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، وابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ١٦٤)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٢)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١/ ٧١)، والقرطبي في تفسيره (٤/ ٤١).

لا عذر لي قد أتى المشيب فليت شعري متى أتوب
إبليس قد عزني ونفسي ومسنى منهما اللغوب
إذا انقضى للشقاء ذنب تجددت بعده ذنوب
ومن وراء حلول قبر ساكنه مفرد غريب
ولست أدري إذا أتاني رسول ربي بما أجيب
هل أنا عند الجواب مني أخطئ في القول أو أصيب
أم أنا يوم الحساب ناج أم لي في ناره نصيب
يا رب جد لي على رجائي بمثله منك لا أجيب

وعن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((ليس من نفس تقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم كفل منها، لأنه أول من سنَّ القتل))(١). رواه البخاري ومسلم، والمنذري.

وعن سلمان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن من الفتان))(٢). رواه مسلم وغيره وزاد: «وبُعث يوم القيامة شهيدًا».

وعن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ قال: ((كل ميت يُختم على عمله إلى يوم القيامة، ويُوقَى فتنته))(٣). رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وابن حبان في صحيحه.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((حرس ليلة في سبيل الله ﷻ أفضل من صيام رجل وقيامه في أهله ألف سنة والسنة ثلاثمائة وستون يومًا كل يوم كألف سنة))(٤).

رواه ابن ماجه وأبو يعلى الموصلي وأبو منصور الديلمي والمنذري.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((عينان لا تمسُّهما النار أبدًا عين باتت تَكلأ في سبيل

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٨٦٧) كتاب الديات، ٢- باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾. ومسلم (٢٧-١٦٧٧) كتاب القسامة، ٧- باب بيان إثم من سن القتل، وابن ماجه (٢٦١٦)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٨٣، ٤٣٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٥).

(٢) أخرجه: مسلم (١٦٣-١٩١٣) كتاب الإمارة، ٥٠- باب فضل الرباط في سبيل الله ﷻ، وأحمد في مسنده (٤/ ٤٤٠).

(٣) أخرجه: أبو داود (٢٥٠٠) كتاب الجهاد، باب في فضل الرباط، والترمذي (١٦٢١) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من مات مرابطًا، وأحمد في مسنده (٦/ ٢٠)، وابن حبان في صحيحه (١٦٢٤-الموارد).

(٤) أخرجه: ابن ماجه (٢٧٧٠)، وأحمد في مسنده (١/ ٦١)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٨١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٥٠)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢١٥)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٧٦).

الله وعين بكت من خشية الله ﷻ))[١]، تكلأ مهموزة. رواه أبو يعلى الموصلي، ورواته ثقات، والمنذري وقال: يشبه أن يكون مرفوعًا.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله ﷻ وكّل بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله، فإذا قَبض الله ﷻ عبده المؤمن قالا: يا رب وكلتنا بعبدك المؤمن نكتب عمله، وقد قبضته إليك فأذن لنا أن نصعد إلى السماء، قال: سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحوني، ولكن قُوما على قبر عبدي فسبّحاني وهلّلاني وكبراني واحمداني إلى يوم القيامة واكتباه لعبدي))[٢]. رواه أحمد بن منيع في «مسنده»، ومن طريقه رواه أبو منصور الديلمي بغير إسناد، ورواه أبو نعيم في «الحلية»، وأبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» من حديث أبي سعيد الخدري، واللفظ له فذكراه بتمامه وقالا: «واكتبا ذلك لعبدي حتى يُبعث».

وروي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((من صلى عليَّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب))[٣]. رواه الطبراني وغيره.

وعن ابن مسعود ﷺ قال: كنت جالسًا عند رسول الله ﷺ فتبسم فقلنا: يا رسول الله بِمَ تبسمت؟ قال: ((عجبت للمؤمن وجذعه من السَّقم ولم يعلم ما له في السَّقم، لأَحب أن يكون سقيمًا حتى يلقى ربَّه))، ثم تبسم الثانية ورفع رأسه إلى السماء فنظر إليها فقالوا: ممَّ تبسمت؟ قال: ((عجبت لملكين نزلا من السماء يلتمسان مؤمنًا في مصلاه الذي كان يصلي فيه فلم يجداه فعرجا إلى الله ﷻ فقالا: يا رب إن عبدك فلان كنا نكتب له من العمل في كل يوم كذا وكذا حبسته في حبالتك[٤] يعني (قبضته)[٥]، فقال لهما: اكتبا لعبدي ما كان يعمل في كل يوم كذا وكذا ولا تنقصاه شيئًا فله أجر ما عمل على أجر ما حبسته))[٦]. رواه باختصار ابن أبي الدنيا والطبراني في «الأوسط» والبزار والمنذري.

---

(١) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٤٨)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٤٦). وأخرجه: الترمذي بلفظ: ((عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله)) انظر الترمذي (١٦٣٩) في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله.

(٢) أخرجه: الخطيب في الفقيه والمتفقه (٣٥)، وابن حبان في صحيحه (١٩٦٨، ٢٥٣٦-الموارد)، والسيوطي في الحبائك في الملائك (٨٢، ٨٣).

(٣) أخرجه: المنذري في الترغيب (١/ ١١٠)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٢٨٩)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٢٨).

(٤) الحَبَلُ: كل ما احتواه غيره.

(٥) غير موجودة بالأصل.

(٦) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٠٤)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/ ١٤١)، وابن حجر في المطالب العالية (٢٤١٣)، والسيوطي في الحبائك في الملائك (٨٢)، والذهبي في الطب النبوي (١٤٣)، والكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (١/ ١٣١).

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «المرض والكفارات» من حديث أبي هريرة مرفوعًا[1]:
«يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار؟ قلت: بلى؛ بأبي وأمي، قال: فاعلم إنك إذا أصبحت لم تُمسيي، وإذا أمسيت لم تصبح، وإنك إذا قلت ذلك في أول مضجعك نجاك الله من النار أن تقول: لا إله إلا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت، وسبحان الله رب العباد والبلاد، والحمد لله كثيرًا كبيرًا، جلاله وقدرته بكل مكان، اللهم إن كنت أمرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في أرواح من سبقت لهم منك الحسنى، وأعذني من النار كما أعذت أولئك الذين سبقت لهم منك الحسنى، فإن مت في مرضك ذلك فإن لك رضوان الله والجنة، وإن كنت قد اقترفت ذنوبًا تاب الله علَيك».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يجازى به العبد المؤمن بعد موته: أن يغفر لجميع من تبع جنازته»[2]. رواه عبد بن حميد والبزار.

ورواه صاحب «الفردوس» من حديث جابر ولفظه: «أول تُحفة المؤمن إذا مات أن يغفر الله ﷻ لكل من تبع جنازته».

رواه من حديث سلمان ولفظه: «أول ما يُبشر به المؤمن أن يقل: أبشر ولي الله قدمت خير مقدم قد غفر الله لمن شيَّعك واستجاب لمن استغفر لك، وقيل: ممن شهد لك»[3]. ثم رواه أيضًا من حديث أبي هريرة.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال العبد: اللهم صل على محمد، خَلَقَ الله ﷻ من تلك الكلمة مَلَك له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورجلاه في تخوم الأرضين ورأسه تحت العرش فيقول: صل على عبدي كما صلى على نبيي، فهو يصلي عليه إلى يوم القيامة». رواه صاحب «الفردوس» بغير إسناد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول: سبحان الله العظيم وبحمده إلا خلق منها طائرًا يتعلق ببعض أركان العرش فيقولها حتى تقوم الساعة ويكتب له أجرها»[4]. رواه صاحب «الفردوس».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل يموت ويترك ورقة

---

(١) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٢٤)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٢٧٦).

(٢) أخرجه: العجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٠٨)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٣٨٢)، وفي الموضوعات (٣/ ٢٢٦)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٧٠).

(٣) أخرجه: ابن أبي شيبة في مصنفه (١٤/ ١٤٥)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ٢٣٠).

(٤) أخرجه: ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٣٢).

من العلم إلا تقوم تلك الورقة سترًا بينه وبين النار، ولأبنينَّ له بكل حرف من تلك الورقة المكتوبة مدينة في الجنة أوسع من الدنيا سبع مرات»[١]. رواه صاحب الفردوس.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يعطس فيقول: الحمد لله. إلا خلق الله ﷻ من تلك العطسة ملكًا يحمد الله ﷻ إلى يوم القيامة، فيكون ثواب الحمد لله لصاحب العطسة»[٢]. رواه صاحب «الفردوس» واسمه: شهردار، وابنه أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» بسنده إلى أنس بن مالك مرفوعًا، وقال: متصل الإسناد.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من مات صائمًا أوجب الله ﷻ له الصيام إلى يوم القيامة». ورواه صاحب «الفردوس».

وعن جابر وابن عمر رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «من صلى يوم الجمعة أو ليلة الجمعة مائة من الصلاة عليَّ قضى الله له مائة حاجة: سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا، ووكَّل الله ﷻ بذلك ملكًا يُدخله قبره كما تدخل عليكم الهدايا، إن علمي بعد موتي كعلمي في حياتي». رواه صاحب «الفردوس».

وروى معاوية بن حيدة[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «ما على أحدكم إذ أراد أن يتصدق بصدقة تطوعًا أن يجعلها على والديه إن كانا مسلمين، فيكون لوالديه ويكون له مثل أجرهما من غير أن ينقص من أجرهما شيء». رواه صاحب «الفردوس».

وروي عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «من عاد مريضًا فله بكل خطوة يخطوها حتى يرجع إلى منزله سبعون ألف حسنة ومحي عنه سبعون ألف سيئة، ويرفع به سبعون ألف درجة، ويوكل به سبعون ألف ملك يدعون ويستغفرون له إلى يوم القيامة» الحديث بطوله رواه الحارث بن محمد بن أبي أسامة عن داود بن المحبر.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأجد في كتاب الله ﷻ سورة هي ثلاثون آية من قرأها عند نومه كتب له بها ثلاثون حسنة، ومحي عنه ثلاثون سيئة، ورفع له ثلاثون درجة، ويبعث الله إليه ملكًا من الملائكة يبسط عليه جناحه ويحفظه

---

(١) أخرجه: ابن عرق في تنزيه الشريعة (١/ ٢٨٠).

(٢) أخرجه: الشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٠٧)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٦٥)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٣٤).

(٣) معاوية بن حيدة بن معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر القشيري، صحابي نزل البصرة ومات بخراسان، أخرج له: البخاري تعليقًا وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. ترجمته: التهذيب (١٠/ ٢٠٥)، التقريب (٢/ ٢٥٩).

من كل سوء حتى يستيقظ، وهي المجادلة، تجادل عن صاحبها في القبر، وهي تبارك»[١].

رواه صاحب «الفردوس».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «إني فرضت على أمتي قراءة يس كل ليلة فمن داوم على قراءتها كل ليلة ثم مات مات شهيدًا». رواه صاحب «الفردوس» وابنه أبو منصور الديلمي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «من مشى في تزويج رجل حلالاً حتى يجمع بينهما رزقه الله عز وجل ألف امرأة من الحور العين، كل امرأة في قصر من دُرٍّ وياقوت، وكان له بكل خطوة خطاها أو كلمة تكلم بها عبادة سنة قيام ليلها وصيام نهارها، ومن وصف لرجل امرأة فذكر جمالها وحُسنها، فافتُتن بها فأصاب منها فاحشة خرج من الدنيا مغضوبًا عليه ومن غضب الله عليه غضب عليه أهل السموات السبع والأرضين السبع وكان عليه من الوزر مثل الذي أصابها».

قلنا: فإن تابا وأصلحا؟

قال: «قُبل منهما ولا يقبل من الذي وصفها، ومن سمع بفاحشة فأفشاها كان كمن أتاها، ومن سمع بخبر فأفشاه كان كمن عمله».

رواه الحارث بن محمد بن أبي أسامة عن داود بن المحبر[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عاد مريضًا وجلس عنده ساعة أجرى الله له أجر ألف سنة لا يعصي الله فيها طرفة عين»[٣].

رواه أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس».

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعا للمؤمنين والمؤمنات في صلاته رد الله عليه من آدم إلى أن تقوم الساعة بكل مؤمن ومؤمنة حسنة»[٤].

رواه أبو محمد بن حيان، ورواه الطبراني وأبو منصور الديلمي في كتاب «مسند الفردوس» من حديث أم سلمة.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لن ينفع حذر من قدر وإن

---

(١) أخرجه: السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٤٧)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٣٠٠). وفي فضل سورة تبارك أخرج الترمذي (٢٨٩١) «إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له».

(٢) داود بن المحبر بن قحذم بن سليمان أبو سليمان الطائي الثقفي البصري صاحب العقل، متروك، وأكثر كتاب «العقل» الذي صنفه موضوعات، أخرج له أبو داود في القدر وابن ماجه، توفي سنة (٢٠٦). ترجمته: التقريب (١/ ٢٣٤).

(٣) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٢١).

(٤) أخرجه: ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٣١).

الدعاء لينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإنه ليلقى القضاء المُبْرَمْ فيعتلجان إلى يوم القيامة»[١].

رواه أبو منصور الديلمي بغير إسناد ورواه أيضًا من حديث عبد الله بن عمر، ولفظه: «الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، مما نزل يُكشَف، ومما لم ينزل يُحبس»[٢]. ورواه أبو محمد بن حيان، وأبو منصور الديلمي من حديث أبي موسى مرفوعًا، ولفظه: «الدعاء جُند من أجناده ﷻ يجبذه برد القضاء بعد أن يُبرَم» أي يُحكم.

وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ عاقب مَلكًا من الملائكة كان متكئًا على سرير حوله مائة ألف ملك كل منهم أمير على مائة ألف فعُرج بنبي قبلي فسجد لذلك حيث نظر إليه متكئًا فعوقب الملك إلى أن تقوم الساعة عقوبة لسجدة النبي إياه». رواه صاحب «الفردوس».

وعن جابر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ﷻ ملكين موكَّلين بأنصاب الحرَم منذ خلق الله ﷻ الدنيا إلى أن تقوم الساعة يدعون لمن حج من مصر ماشيًا». رواه أبو بكر بن أحمد بن على بن لال في كتابه «مكارم الأخلاق».

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ[٣]: «إذا ولدت الجارية للمرء المسلم بعث الله ﷻ ملكًا يزفُّ البركة زفًّا ويقول: ضعيفة خرجت من ضعيف، القيِّم عليها مُعان إلى يوم القيامة، وإذا ولد الغلام للمرء المسلم بعث الله ﷻ إليه ملكًا يُقبِّل ما بين عينه وقال: الله يُقرئك السلام».

رواه صاحب «الفردوس» بغير إسناد.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يمشي في حُلة تُعجبه نفسه مُرَجِّل جُمَّته إذ خَسَفَ الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة»[٤]. رواه البخاري من حديث جابر مرفوعًا ولفظه: «إن رجلاً كان في حُلَّة حمراء فتبختر أو اختال بها فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة». ورواه مسلم[٥] وأبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس».

---

(١) أخرجه: أحمد في مسنده (٥/ ٢٣٤)، والشجري في أماليه (١/ ٢٤٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٤٦)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٨٦).

(٢) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٤٦).

(٣) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٥٦).

(٤) أخرجه: البخاري (٥٧٨٩) كتاب اللباس، ٥- باب من جر ثوبه من الخيلاء، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٩٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٦٨).

(٥) أخرجه مسلم (٥٠-٢٠٨٨) كتاب اللباس والزينة، ١٠- باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه.

وعن يزيد بن عبد الله العنبري، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ في مرضه الذي يموت فيه لم يُفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكُفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة»[١] رواه أبو نعيم في «الحلية».

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر وعمر رضي الله عنهما خير أهل السموات وخير أهل الأرض وخير من بقي إلى يوم القيامة»[٢] رواه أبو منصور الديلمي في كتاب «مسند الفردوس».

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله، ما لي لا أحب الموت؟ قال: «لك مال؟»، قال: نعم، قال: «فقدمهُ»، قال: لا نستطيع، قال: «فإن قلب المرء مع ماله إذا قدمهُ أحب أن يلحقه، وإذا أخره أحب أن يتأخر عنه»[٣]. رواه أبو نعيم في «الحلية».

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: دخل رسول الله ﷺ على رجل يعوده وهو في الموت فقال: «كيف تجدك؟»، قال: أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه وأمَّنه مما يخاف»[٤]. رواه أبو نعيم في «الحلية».

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سَخَط رزقه وبث شكواه ولم يصبر لم يُصعَد له إلى الله ﷻ وهو عليه غضبان»[٥]. رواه أبو نعيم في «الحلية»، عن الطبراني.

ثم رواه أبو نعيم أيضًا من حديث عبد الله بن مسعود وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ ، فذكره بتمامه إلا أنهما قالا: «لم يُصعَد له إلى الله ﷻ حسنة، ولقي الله ﷻ وهو عليه غضبان».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول: أَطلعَت الحمراء بعد. فإذا أراها قال[٦]: لا مرحبًا، ثم قال: إن ملكين من الملائكة هاروت وماروت سألا الله ﷻ أن يهبطا إلى الأرض، فهبطا إلى الأرض، فكان يقضيان بين الناس، فإذا أمسيا تكلما بكلمات وعَرَجَا بها إلى السماء، فقيض الله لهما امرأة من أحسن النساء، وألقيت عليهما الشهوة فجعلا يأمرانها

---

(١) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٤٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٤١٢)، والألباني في السلسلة الضعيفة (٣٠١).

(٢) أخرجه: الخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٢٥٣)، والذهبي في الميزان (١٤٣٥)، وابن حجر في لسان الميزان (٢/ ٣٧٩).

(٣) أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٣٥٩).

(٤) أخرجه: الترمذي في سننه (٩٨٣) كتاب الجنائز، ١١- باب منه: ما جاء أن المؤمن يموت بعرق الجبين. وابن ماجه (٤٢٦١) في الزهد، ٣١- باب ذكر الموت الاستعداد له، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٩٢).

(٥) أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢٤٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٤٨).

(٦) ذكر ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤١) وقال: فكان ابن عمر كلما رآها لعنها وقال: هذه التي فتنت هاروت وماروت، فلما كان الليل أراد أن يصعدا فلم يطيقا فعرفا الهلكة فخيُرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فعلقا ببابل، وجعلا يعلمان الناس كلامهما وهو السحر، وقد تقدم أكثر من ذلك من قبل.

وألقيت في أنفسهما فلم يزالا يفعلان حتى وعدتهما ميعاداً فأتتهما للميعاد فقالت: علماني الكلمة التي تعرُجان بها، فعرجت إلى السماء فمُسخت فجُعلت كما ترون، فلما أمسيا تكلما بالكلمات التي كانا يعرُجان بها إلى السماء فلم يعرُجا، فبعث إليهما: إن شئتما فعذاب الآخرة وإن شئتما فعذاب الدنيا إلى أن تقوم الساعة وتلقيان الله ﷻ، فإن شاء عذبكما، وإن شاء (حكمكما)[1]. فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال أحدهما لصاحبه: هلا تختار عذاب الدنيا ألف ألف ضعف، فهما يعذبان إلى تقوم الساعة[2].

رواه أبو بكر بن أبي شيبة، وعبد بن حميد والحاكم موقوفًا وصححه واللفظ له.

ورواه مرفوعًا باختصار أحمد بن حنبل وابن حبان والمنذري رحمة الله عليه.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا من الحمد فإن لها عينين وجناحين، تطير في الجنة تستغفر لقائلها إلى يوم القيامة**».

رواه شهردار صاحب «الفردوس» وابنه أبو منصور الديلمي قال: أخبرنا والدي رحمة الله عليه قال: أخبرنا أبو القاسم عبد الملك بن عبد الغفار بن الحسن قال: أخبرنا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسن الأبهري قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسن قال: حدثنا محمد ابن عبد الله قال: حدثنا علي بن محمد الرَّوزي قال: حدثنا محمد بن أبي نُميلة قال: حدثنا أبو بكر بن عياش[3] قال: عن حصين قال: عن الشعبي قال: عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ... الحديث.

وذكر محمد بن مقسم في كتاب «شفاء الصدور» قال: ما من عبد قال لأهله وولده: أنا غداً إن شاء الله خارج إلى الرباط ثم لم يفعل إلا كُتب مرابطًا إلى يوم القيامة.

والمرابط حبيب الله، نَفَسَهُ تسبيح ونومه عبادة، وليس ترد له دعوة حتى إذا مات أتاه آتٍ فقال: أبشر يا ولي الله، فإن الله أغلق عنك أبواب النار وفتح لك أبواب الجنة، ادخل من أي أبواب الجنة شئت.

وخرج أبو أحمد بن عدي بإسناد فيه ضعف عن حذيفة ﷺ أن النبي ﷺ بعث إلى عثمان بن عفان يستعينه في غزوة غزاها، فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار فوضعها بين يديه قال: فجعل النبي ﷺ يُقلِّبها بين يديه ويدعو له يقول: «**غفر الله لك يا عثمان ما**

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) انظر ما تقدم من التخريجات من قبل.

(٣) أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الحناط الأزدي، ثقة عابد إلا أنه لما كبر ساء حفظه وكتابه صحيح، أخرج له: مسلم في المقدمة وأصحاب السنن الأربعة. ترجمته: تهذيب التهذيب (١٢/ ٣٤)، التقريب (٢/ ٣٩٩)، الوافي بالوفيات (١٠/ ٢٤١).

أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يبالي عثمان ما عمل بعدها»[(١)].

وروى كعب ﷺ قال: غزوة بعد حجة الإسلام خير من ألف ألف حجة. ذكره في كتاب «شفاء الصدور». وحديث الشيخ محيي الدين ابن النحاس .

وقد اختلفت الأحاديث في قدر التضعيف مما تقدم، فإن تَعيَّن الاحتجاج ببعضها أُعتمد، وإلا فالتفاوت راجع إلى تفاوت الغزوات في نياتهم ومقاصدهم وحسن عملهم، فمنهم من تكون غزوته أفضل من عشر حجج، ومنهم من تكون غزوته أفضل من أربعين أو أقل أو أكثر، وقد يكون التفاوت باعتبار النظر إلى موقع الجهاد في وقت، والنظر في ترجيح المصلحة وتأكيدها في الغزو على المصلحة في الحج[(٢)] والله أعلم.

وذكر صاحب «شفاء الصدور» عن ضرار بن عمرو قال: طالت إقامتي ببلد الجهاد فاشتقت إلى الحج وأردت أن أُجاور في البيت فتجهزت، ثم أتيت أودع إخواني فأتيت إسحاق بن أبي فروة لأُودعه ، فقال: وأين تريد يا ضرار بن عمرو؟ قال: قلت: الحج.

قال: وما نقص رأيك عن الجهاد؟

قلت: لا إله إلا الله، إني طالت إقامتي ببلد الجهاد، وقد أحببت الحج وأردت أن أُجاور ذلك. قال: فقال لي: لا تنظر فيما تحب يا ضرار، ولكن انظر فيما يحب الله يا ضرار ابن عمرو، أوَما علمت أن رسول الله ﷺ لم يحج ذلك البيت قط إلا حجة واحدة[(٣)] ثم لم يزل مصراً في الجهاد حتى لقي الله ﷻ.

يا ضرار بن عمرو[(٤)] أما إن حججت فإن لك أجر حجتك وعمرتك، وإنك إذا كنت مرابطًا أو مجاهداً ومن وراء عورات المسلمين، فحج ذلك البيت مائة ألف ومائة ألف وما أنت قائل من العدد، فكان لك مثل أجر حجِّهم وعمرتهم وكان لك من الأجر بعدد كل مؤمن ومؤمنة منذ خلق الله ﷻ آدم إلى يوم ينفخ في الصور، لأن من نصر آخر المؤمنين كان له أجر من نصر أولهم وآخرهم، وكان له من الأجر بعدد كل مشرك ومشركة منذ خلق الله

---

(١) انظر ما روى الترمذي في سننه (٣٧٠١) كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان ﷺ.

(٢) قال النووي فيما رواه مسلم (٢٠-١٧٤٢) في كتاب الجهاد السير، باب كراهية تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء: في قوله ﷺ: ((واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف)) أي معناه ثواب الله والسبب الموصل إلى الجنة عند الضرب بالسيوف في سبيل الله ومشي المجاهدين في سبيل الله فاحضروا فيه بصدق واثبتوا. شرح مسلم للنووي (١٢/ ٤١).

(٣) وهي حجة الوداع التي حجها ﷺ والتي أخذت منها الأمة المناسك وكيفية أداء أركان الحج والتي قال فيها النبي ﷺ: ((خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم... الحديث)) وهو في البيهقي (٥/ ١٢٥) وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٢١٧، ٤٩٩).

(٤) ضرار بن عمرو الغطفاني المعتزلي كان من رءوس البدع في عصره. انظر تاريخ الإسلام وفيات (٢٩١-٢٠٠).

آدم إلى يوم ينفخ في الصور، لأن من جاهد آخر المشركين كان كمن جاهد أولهم وآخرهم وكان له من الأجر بعدد حروف كل ما أنزل الله في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان؛ لأنك تجاهد عن نور الله ﷻ أن لا يُطفأ نوره.

يا ضرار بن عمرو أما علمت أن ليس من أحد أقرب من درجة النبوة من درجة العلماء والمجاهدين. قلت: كيف ذلك يرحمك الله؟

قال: لأن العلماء أقاموا بما جاءت الأنبياء من تثبيت ما أنزل الله ﷻ في عباده وبلاده ويدلُّون الناس على الله، وأن المجاهدين قاموا بما جاءت به الأنبياء من الرب من توحيد الله ﷻ أن لا يطفأ نوره، ولأن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى أو كما جاء الحديث[(١)].

قال ضرار: فتركت ما كنت من قصد الحج، وأقمت ببلد الجهاد. حتى لحق بالله ﷻ.

ونقل الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه «بداية الهداية» في آخر آداب الوضوء، وفي آخر دعاء الوضوء قال: فإذا فرغت فقل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي، أستغفرك وأتوب إليك فاغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين.

قال: فمن قال هذه الدعوات في وضوءه خرجت جميع خطاياه من أعضائه وختم على وضوءه بخاتم ورفع له تحت العرش فلا يزال يسبح الله ﷻ ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم القيامة، وهذا الذي نقله الإمام الغزالي رحمه الله، ورواه صاحب «الفردوس» موقوفاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال[(٢)]: من توضأ فقال: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، جعل في رِقٍّ ثم طُبع عليه بخاتم، فلم يكسر إلى يوم القيامة. ولم يذكره أبو منصور الديلمي في كتاب «مسند الفردوس».

وعن سليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا شفيع كل أخوين تحابًا في الله من مبعثي إلى يوم القيامة**»[(٣)]. رواه أبو نعيم وأبو محمد بن حيان، وأبو منصور الديلمي في كتاب «مسند الفردوس».

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٧٤٥٨) كتاب التوحيد، ٢٨- باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ عن أبي موسى، وفيه عن النبي ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

(٢) أخرجه: النسائي (٨١) في عمل اليوم والليلة، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٦٤) وصححه وتعقبه الذهبي فقال: ووقفه ابن مهدي عن الثوري عن أبي هاشم. والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٧٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٣٩)، وابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ١٠١).

(٣) أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣٦٨).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات المؤمن وهو يحفظ القرآن بَعث الله ﷻ ملكًا في قبره يُعلّمه القرآن حتى يبعثه يوم القيامة وهو يحفظه». رواه صاحب الفردوس، وابنه أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» بغير إسناد.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات العالم صوِّر عِلمُهُ في قبره يُؤنسه إلى يوم القيامة، ويُدرأ عنه هوام الأرض». رواه صاحب «الفردوس» وابنه أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» بغير إسناد.

وعن جعفر بن محمد[1] عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ[2]: «ما أدخل رجل على مؤمن سرورًا إلا خلق الله ﷻ من ذلك السرور ملكًا يعبد الله ﷻ ويوحده.

فإذا صار العبد في قبره أتاه ذلك السرور فيقول له: أتعرفني؟، فيقول: لا، فيقول: أنا السرور الذي أدخلتني على فلان، أنا اليوم أُؤنس وحشتك وأُلقّنك حجتك وأُثبّتك بالقول الثابت وأُشهدك مشاهد يوم القيامة وأشفع لك إلى ربك، وأُريك منزلك من الجنة». رواه الشيخ أبو بكر أحمد بن على بن لال الفقيه.

ومن طريقه رواه أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» ولفظه: «أفضل الأعمال أن تُدخل على أخيك المؤمن سرورًا لتقضي عنه دينًا أو تُطعمه خبزًا»[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة ناداها زوجها فقالت: لبيك، خلق الله ﷻ من قولها: لبيك ملكًا يسبح الله ﷻ ويحمده ويُكتب ثواب ذلك لها كلما قالت: لبيك». رواه صاحب الفردوس.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ أكرم هذه الأمة بأربع: بضعف أبدانهم كي لا يتمادى بهم البغي، وقصَّر أعمارهم حتى لا تكثُر ذنوبهم، وقلل أرزاقهم كي لا يطول حسابهم يوم القيامة، وآخرَّهم آخر الأمم حتى لا تبقى تحت التراب طويلاً».

رواه أبو منصور الديلمي في كتاب «مسند الفردوس».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿الم تنزيل﴾ السجدة، و﴿تبارك الذي بيده الملك﴾، بين المغرب والعشاء فكأنما قام ليلة القدر منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة وله بكل نبات أنبتته الأرض حسنة». رواه صاحب «الفردوس».

---

(١) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو عبد الله القرشي الهاشمي العلوي المدني الصادق فقيه، إمام، صدوق، أخرج له البخاري في الأدب ومسلم وأصحاب السنن، توفي سنة (١٤٠، ١٤٨). ترجمته: التقريب (١/ ١٣٢).

(٢) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩٥).

(٣) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩٤).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ[١]: ((من ترك الجمعة لم يكن له في تركها عذر كتبه الله ﷻ في الكتاب الذي لا يُمحى ولا يُبدل: منافق إلى يوم القيامة)). رواه أبو منصور الديلمي في كتاب «مسند الفردوس».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ[٢]: ((إن الله ﷻ فرض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كما فرض عليكم الصلاة والصيام والحج والزكاة، فمن أبغض واحدًا منهم فلا صلاة له ولا صيام له ولا حج له ولا زكاة له، ويُحشر يوم القيامة من قبره إلى النار)).

رواه أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» بغير إسناد.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله ﷻ فضَّل المرسلين على المقربين، لما بلغت السماء السابعة لقيني ملك من نور فسلمت عليه فرد عليَّ السلام فأوحى الله ﷻ سلِّم عليك صفيي ونبيي فلم تقم إليه، وعزتي وجلالي لتقومنَّ فلا تقعُد إلى يوم القيامة)). رواه أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس»[٣].

وعن معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله ﷺ: ((لاتزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرين على الناس))[٤].

رواه البخاري ومسلم وأبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» واللفظ له وقال: سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن هذه الطائفة فقال: إن لم يكن أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟! وكذلك ابن المبارك ويزيد بن أبي هريرة، وعلي بن المديني[٥]، وأحمد بن

---

(١) أخرجه: الشافعي في مسنده (٧٠)، والتبريزي في المشكاة (١٣٧٩)، والساعاتي في بدائع المنن (٢٣٥)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٢/ ١٦٢).

(٢) أخرجه: ابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ٤٠٦).

(٣) أخرجه: الخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٣٠٧)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٩٢)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ٣٢٥)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ١٤٢)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٨٤٦).

(٤) أخرجه: البخاري (٧٣١١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ١٠- باب قول النبي ﷺ: ((لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق)). ومسلم في صحيحه (١٧٠) في الإمارة، باب قوله ﷺ: ((لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق)). وأبو داود في الفتن، باب (١)، والترمذي (٢٢٢٩)، وابن ماجه (٦) في المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ.

(٥) علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح أبو الحسن المديني السعدي مولاهم البصري، ثقة ثبت إمام أعلم أهل عصره بالحديث وعلله حتى قال البخاري: ما استصغرت نفسي إلا عنده، وقال فيه شيخه ابن عيينة: كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلمه مني. وقال النسائي: كأن الله خلقه للحديث، عابوا عليه إجابته في المحنة لكنه تنصل وتاب واعتذر بأنه كان يخاف على نفسه، أخرج له: البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في التفسير، توفي سنة (٢٣٤، ٢٥٨). ترجمته: تهذيب التهذيب (٧/ ٣٤٩)، تقريب التهذيب (٢/ ٤٦، ٤٠)، الكاشف (٢/ ٢٨٨)، تاريخ البخاري الكبير (٦/ ٢٨٤)، الجرح والتعديل (٦/ ١٠٦٤)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٨)، الثقات (٨/ ٤٦٩)، سير الأعلام (١١/ ٤١).

سنان القطان[١]، ومحمد بن إسماعيل البخاري وإبراهيم بن الحسين الهمداني كلهم قالوا: إن الطائفة المنصورة هم أصحاب الحديث والأثر.

وعن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((إياكم وشتم عثمان[٢]، فمن شتمه عليه لعنة الله ﷻ إلى يوم القيامة))**. رواه أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» بغير إسناد.

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((أيُّما رجل ظلم رجلاً مسلمًا فمات المظلوم من قبل أن يحل الظالم، فقال الظالم: اللهم اغفر لفلان ذنوبه لظلمي إياه باعتدائي عليه؛ إلا أحل الله ذلك عن الظالم))**. رواه أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس».

وعن أنس بن مالك ﷺ قال رسول الله ﷺ: **((أيما رجل نتف شعرة بيضاء متعمدًا صارت رُمحًا يوم القيامة يُطعَن به يوم القيامة))**[٣]. رواه أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس».

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((أيها الناس من أبغضنا أهل البيت حشَرَهُ الله ﷻ يوم القيامة يهوديًا، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم))**[٤]. رواه أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس».

وعن أبي هريرة ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الظَّلَمة وأعوان الظَّلَمة وأشباه الظَّلَمة حتى من (لاق)[٥] لهم دواة، ويرى لهم قلمًا؟ فيجتمعون في تابوت ثم سيق بهم على رءوس الخلائق إلى نار جهنم. رواه أبو منصور الديلمي في مسنده بغير إسناد.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **((إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين العافون عن الناس[٦]؟ هلُموا إلى ربكم، وخُذوا أُجوركم، وحق**

---

(١) أحمد بن سنان القطان، الواسطي الحباني القطعي، ثقة، حافظ، أخرج له: البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي في مسند مالك وابن ماجه، توفي سنة (٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩). ترجمته: تهذيب التهذيب (١/ ٣٤)، تقريب التهذيب (١/ ١٦)، الكاشف (١/ ٥٩)، الجرح والتعديل (٢/ ٥٣).

(٢) أخرج مسلم في صحيحه (٢٢١-٢٥٤٠) كتاب فضائل الصحابة، ٥٤- باب تحريم سب الصحابة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تسبوا أصحابي لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه)).

(٣) أخرجه: العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٥٠٣).

(٤) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٧٢).

(٥) كذا بالأصل وأظنها (أحضر).

(٦) روى الترمذي في سننه (١٣٩٣) كتاب الديات، باب ما جاء في العفو، عن أبي الدرداء، وفيه عن رسول الله ﷺ: ((ما من رجل يصاب بشيء في جسده فيتصدق به إلا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة)).

لكل مسلم إذا عفا أن يُدخله الجنة». رواه أبو محمد بن حيان، وأبو منصور الديلمي بسنده إلى ابن عباس مرفوعًا فذكره وقال: متصل الإسناد.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ألا ليقُم بغضاء الله ﷻ، فيقوم (سوّاد)[١] المساجد».

رواه أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» عن والده بسنده إلى أنس بن مالك مرفوعًا، فذكره وقال: متصل الإسناد.

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة جاء أقوام والناس في الحساب قد أنبت الله لهم أجنحة خضر فيُساقطون على حيطان الجنة فتقول لهم خزنة الجنة: من أنتم؟، فيقولون: نحن من ولد آدم، فيقولون: هل شهدتم الحساب؟، قالوا: لا، قالوا: أفعبرتم الصراط؟، قالوا: وما الصراط؟، فيقال لهم: بمَ نلتم هذه المنزلة؟، قالوا: كنا نعبد الله ﷻ سرًا فأدخلنا الجنة سرًا». رواه أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» بسنده مرفوعًا، فذكره وقال: متصل الإسناد.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من أمَّ قومًا وفيهم من هو أقرأ للقرآن منه[٢] وأفقه لم يزل في سِفَال إلى يوم القيامة»، والسفال ضد العُلا. رواه الطبراني وأبو منصور الديلمي في مسنده.

وعن صفوان بن عسال قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة جاء الإيمان والشرك يَجْثون بين يدي الله تبارك وتعالى فيقول الله ﷻ للإيمان: انطلق أنت وأهلك إلى الجنة، ويقول للشرك: انطلق أنت وأهلك إلى النار»[٣]. رواه الحاكم أبو عبد الله، وعنه أحمد بن خلف وعنه أبو منصور الديلمي .

وعن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا: عملت من الخير شيئًا؟ قال: كنت أمرت فتياني أن ينتظروا الموسر ويتجاوزوا عن المعسر، فقال الله ﷻ: تجاوزوا عنه»[٤]. رواه البخاري ومسلم، وأبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» واللفظ له.

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) اشترطوا لصحة الإمامة أن يكون الإمام قارئًا، وإذا كان المأموم قارئًا فلا تصح إمامة أمي بقارئ، والشرط هو أن يحسن الإمام قراءة ما لا تصح الصلاة إلا به. فلو كان إمام قرية مثلاً يحسن قراءة ما لا تصح الصلاة إلا به فإنه يجوز للمتعلم أن يصلي خلفه، أما إذا كان أميًا فإنه لا تصح إمامته إلا بأمي مثله سواء وجد قارئ يصلي بهما أو لا باتفاق ثلاثة من الأئمة وخالف المالكية. الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٣٣٠).

(٣) أخرجه: السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١١٨).

(٤) أخرجه: البخاري (٢٠٧٧)، ومسلم في صحيحه (٢٦-١٥٦٠) كتاب المساقاة، ٦- باب فضل إنظار المعسر، والدارمي في سننه (٢/ ٢٤٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٣٥٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٢).

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «حُب أبي بكر وعمر من الإيمان وبُغضهما من الكفر، ومن سبَّ أصحابي فعليه لعنة الله ﷻ، ومن حفظني فيهم فلا لعنة الله عليه»[1]. رواه أبو نعيم، وعنه أبو علي الحسن بن أحمد المقرئ الحداد وعنه: أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» وقال: متصل الإسناد.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: حُب أبي بكر يُوجب الغفران، وحُب عمر يَمحي العصيان، وحُب عثمان يُقوِّي الإيمان، وحب علي يخمد النيران، أي يطفئها. رواه أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» بغير إسناد.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: حُب علي بن أبي طالب ﷺ يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب[2].

رواه أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس»، هكذا بغير إسناد موقوفًا، وكذا صاحب الفردوس.

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: حُب علي بن أبي طالب ﷺ حسنة لا تضرُّ معها سيئة، وبُغضه سيئة لا تنفع معها حسنة.

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: حُب علي بن أبي طالب براءة من النار.

وروى أبو يعلى الموصلي وأبو منصور الديلمي من حديث أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله إني أحب ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقال: «حُبك إياها أدخلك الجنة»[3].

وروى أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» بغير إسناد من حديث عبد الله ابن مسعود موقوفًا قال: حُب آل محمد يومًا خير من عبادة سنة، ومن مات عليه دخل الجنة، وحُب الأولاد ستر من النار، والأكل معهم براءة من النار، وإكرامهم جواز على الصراط.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله ﷻ بعبد خيرًا أرسل الله إليه ملكًا قبل الممات فهيأه وأرشده وأصلحه حتى يموت على خير حال، فيقول

---

(١) أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ١٠٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٤٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤٨٣)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٢٤١).

(٢) أخرجه: الخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ١٦١)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ١٨٤)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٧٠).

(٣) بلفظ آخر في آخره لفظ الحديث: «حبك إياها أدخلك الجنة» أخرجه: البخاري (٧٧٤م) في الأذان، ١٠٦- باب الجمع بين السورتين في الركعة، وأحمد في مسنده (٣/ ١٤١)، والدارمي في سننه (٢/ ٤٦١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٨٢).

الناس: رحم الله فلانًا مات على خير حال، وإذا أراد الله ﷻ بعبد شرًّا أرسل إليه الشيطان فأغواه وألهاه حتى يموت على شرٍّ حال، فيقول الناس: فلان مات على شرٍّ حال».

رواه أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» بسنده عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا فذكره وقال: متصل الإسناد.

وروي عن ثابت عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم: «**هل تدرون من المؤمن؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**المؤمن من لا يموت حتى يملأ الله ﷻ مسامعه مما يحب، ولو أن عبدًا اتقى الله ﷻ في جوف بيته إلى سبعين بيتًا على كل بيت باب من حديد ألبسه الله ﷻ رداء عمله حتى يتحدث به الناس ويزيدون**»، قالوا: وكيف يزيدون يا رسول الله؟، قال: «**إن الفاجر لو استطاع أن يزيد في فجوره لزاد**»، وكان ثابت إذا حدَّث بهذا الحديث قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «**المؤمن نيته أبلغ من عمله**». رواه سعيد بن منصور في سننه عن يوسف بن عطية السعدي وهو ضعيف عن ثابت. ورواه صاحب الفردوس بغير إسناد.

وعن أبي بكر الصديق ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال موسى: يارب ما لمَن تَبع جنازة؟، قال: تنصرف عنه الملائكة إلى الموقف، قال: فما لمن عزَّى رجلاً؟، قال: أُظلُّه في ظلِّي يوم لا ظلَّ إلا ظلِّي**». رواه صاحب الفردوس.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل الناس يرجون النجاة يوم القيامة إلا من سبَّ أصحابي، فإن أهل الموقف يلعنونه**». رواه الحاكم أبو عبدالله الحافظ، وعنه أحمد بن خلف، وعنه أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» بسنده إلى ابن عمر وقال: متصل الإسناد.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من قال في كل يوم: اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات. ألحق الله ﷻ به من كل مؤمن ومؤمنة حسنة**»[1]. رواه الطبراني، وأبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» بسنده إلى أم سلمة مرفوعًا.

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ[2]: «**من قال في كل يوم مائة مرة: لا إله إلا الله الملك الحق المبين. كان له أمانًا من الفقر وأمانًا من وحشة القبر وفُتحت له أبواب الجنة**». رواه أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» بسنده إلى علي بن أبي

---

(١) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢١٠).

(٢) أخرجه: الشجري في أماليه (١/ ١٢)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٣٦).

طالب مرفوعًا فذكره وقال: صحيح الإسناد. وقال: قال الفضيل بن غانم: والله لو خرجتم في طلب هذا الحديث إلى اليمن لكان قليلاً.

وعن زيد بن أرقم ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال في دُبر كل صلاة: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، ثلاث مرات فقد اكتال بالجريب الأوفى من الأجر**». رواه الطبراني، وأبو نعيم الحافظ وأبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» إلى زيد بن أرقم مرفوعًا فذكره وقال: متصل الإسناد.

وعن جابر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كما لا تلتقي الشفتان على قول: لا إله إلا الله كذلك لا تحجب عن سماء حتى تنتهي، لها دويّ كدويّ النحل تشفع لقائلها**»[1]. رواه أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» بسنده إلى جابر ﵁ مرفوعًا فذكره وقال: متصل الإسناد.

وعن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الكافر إذا عمل حسنة أُعطي بها طَعْمة من الدنيا، وأما المؤمن فإن الله تعالى يؤخر حسناته في الآخرة ويعقبه رزقًا في الدنيا على طاعته**»[2]. رواه الطبراني وأبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس».

وروى عن أبي هريرة ﵁، وابن عباس رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**من مشى بالنميمة بين اثنين سلَّط الله ﷻ عليه في قبره نارًا تحرقه إلى يوم القيامة ويُدخله النار**»[3]. رواه الحارث بن محمد بن أسامة، عن داود بن المحبر.

وروى علي بن أبي طالب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مؤذن أهل السماء جبريل، وإمامهم ميكائيل، يؤُم بهم عند البيت المعمور، فتجتمع ملائكة السموات فيطوفون بالبيت المعمور وتُصلي، وتستغفر فيجعل الله ﷻ ثوابهم واستغفارهم وتسبيحهم لأُمة محمد ﷺ**». رواه صاحب الفردوس وابنه أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» عن والده بسنده إلى علي بن أبي طالب مرفوعًا، فذكره وقال: متصل الإسناد.

وروى ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاءوا برجل إلى النبي ﷺ فشهدوا عليه أنه سرق ناقة لهم، فأمر به النبي ﷺ أن يقطع، فولى الرجل وهو يقول: اللهم صلِّ على محمد

---

(١) أخرجه: الديلمي في مسند الفردوس (٤٩١٥).

(٢) أخرجه: مسلم في صحيحه (٥٧-٢٨٠٨) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ١٣- باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، عن أنس بن مالك.

(٣) أخرجه: ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣١٣)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٧١).

حتى لا يبقى من صلاتك شيء، وبارك على محمد حتى لا يبقى من بركاتك شيء، وسلِّم على محمد حتى لا يبقى من سلامك شيء. فتكلم الجمل فقال: يا محمد، إنه بريء من سرقتي، فقال النبي ﷺ: ((من يأتيني بالرجل فأفتد به سبعين من أهل بدر))، فجاءوا به إلى النبي ﷺ فقال: ((ماذا قلت آنفًا؟))، فأجابه بما قال، فقال النبي ﷺ: ((لذلك نظرت إلى الملائكة يخترقون سكك المدينة حتى كادوا يحولوا بيني وبينك))، ثم قال رسول الله ﷺ: ((لتردَنَّ على الصراط ووجهك أضوءُ من القمر ليلة البدر))[1]. رواه الطبراني في كتاب الدعاء، وأبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس»، وقال: متصل الإسناد.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من قال: اللهم أدخل على القبور من المسلمين السرور، اللهم أغنِ كل فقير، اللهم أشبع كل جائع، اللهم أكس كل عاري، اللهم ردَّ كل غائب، اللهم فُكَّ كل أسير، اللهم اصلح كلَّ فاسد من أمور المسلمين، اللهم اكشف عن كل مريض، اللهم أدِّ الدين عن كل مديون، اللهم فرّج عن كل مكروب، استغفرت لك أرواح العباد إلى يوم القيامة)). رواه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» بغير إسناد.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((من قال: الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته، والحمد لله الذي ذلَّ كل شيء لعزته، والحمد لله الذي خضع كل شيء لملكه، والحمد لله الذي استسلم كل شيء لقدرته: كتب الله ﷻ له ألف ألف حسنة، ورُفع له بها ألف ألف درجة، ووكّل به سبعون ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة))[2]. رواه الطبراني وأبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: شهدت للنبي ﷺ وأتي برجل فقال: يا رسول الله قلَّت ذات يدي؟ فقال: ((أين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق؟!)). قال ابن عمر: فقلت: يا رسول الله فما هو؟ قال: «صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، وأستغفر الله، مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الصبح تأتيك الدنيا صاغرة راغمة، ويخلق الله ﷻ من كل كلمة ملكًا يسبح الله ﷻ إلى يوم القيامة))[3]. رواه الحاكم أبو عبد الله الحافظ متصل الإسناد.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من شاب شيبة في الإسلام كانت

---

(١) أخرجه: ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٣٢).

(٢) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٢٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٩٦)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٨٠).

(٣) أخرجه: ابن حبان في المجروحين (١/ ١٣٨)، والذهبي في الميزان (٧١٩)، وابن حجر في اللسان (١/ ١٠٦٩)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ١٣).

له نورًا يُضيءُ ما بين السماء والأرض إلى يوم القيامة لا تطفأ، حتى يلقاها يوم القيامة فتزمُّه كما تُزم الناقة بزمامها حتى تدخله الجنة»[١].

رواه أبو محمد بن حيان وأبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» هكذا بغير إسناد.

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى الفجر في جماعة وقعد في مصلاه وقرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام، وكَّل الله به ﷻ سبعين ملكًا يسبحون الله ﷻ ويستغفرون له إلى يوم القيامة»[٢].

رواه أبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس» متصل الإسناد.

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لبس ثوبًا جديدًا فقال: الحمد لله الذي كساني ما أُواري به عورتي وأتجمَّل به في حياتي ، ثم عمد إلى الثوب الذي أَخلق أو أُبلي فتصدق به ، كان في حفظ الله ﷻ وفي كنفه وفي ستر الله حيًّا وميّتًا». مرتين[٣]، قال: أو ثلاثًا.

رواه أحمد بن حنبل وأحمد بن منيع، وأبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» واللفظ له.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سقى ولده شربة ماء في صغره سقاه الله ﷻ سبعين شربة من ماء الكوثر يوم القيامة».

رواه أبو منصور في «مسند الفردوس»، وأبو نعيم في كتابه.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى جنازة فقال: الله أكبر صدق الله ورسوله، هذا ما وعدنا الله ورسوله، اللهم زدنا إيمانًا وتسليمًا: كتب الله ﷻ له عشرين حسنة في كل يوم لمن يقولها».

---

(١) أوله: أخرجه: الترمذي (١٦٣٤) في كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل من شاب شيبة في سبيل الله، عن كعب بن مرة، والنسائي (٦/ ٢٦-المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٦١، ١٦٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٨٠، ٢٨١).

(٢) أخرجه: السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣).

(٣) أخرجه: الترمذي (٣٥٦٠) كتاب الدعوات، باب (١٠٨) باب منه - في دعاء النبي ﷺ. وابن ماجه (٣٥٥٧) في اللباس، باب ما يقول الرجل إذا لبس ثوبًا جديدًا، والحاكم في المستدرك (٤/ ٩١، ٩٣).

رواه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» عن والده بسنده إلى أنس مرفوعًا، وقال: متصل الإسناد.

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أدْخَلَ على أهلِ بيتٍ سرورًا خلق الله ﷻ من ذلك السرور خلقًا يستغفرون له إلى يوم القيامة**»[1].

رواه أبو محمد بن حيان وأبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس».

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ** ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٨، ١٩] **عند مقامه: خلق الله ﷻ منه سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة**»[2].

رواه أبو نعيم الحافظ وغيره.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من دخل المقابر فقال: اللهم رب هذه الأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي مؤمنة أدخل عليهم روحًا منك وسلامًا منا: كتب الله ﷻ له بعدد كل مؤمن من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة حسنات**».

رواه أبو محمد بن حيان وأبو منصور الديلمي في كتابه «مسند الفردوس».

وعن معاوية ﷺ قال: من مات وفي قلبه بغض علي بن أبي طالب فليمُت يهوديًا أو نصرانيًا[3].

رواه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» بغير إسناد.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات وعليه دَيْن علم الله ﷻ أنه يريد قضاءه: لم يُعذبه الله ﷻ ولم يسأله**».

رواه أبو نعيم الحافظ وغيره.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات وعليه دينار أو**

---

(١) أخرجه: الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٧٠)، وابن الجوزي في العلل (٢/ ٢٤)، والسيوطي في الدر (٤/ ٢٨٦)، والمنذري في الترغيب (٣/ ٣٩٤).

(٢) أخرجه: الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ١٣٣)، والقرطبي في تفسيره (٤/ ٣، ٤٢).

(٣) أخرجه: ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٨٥)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ٩٠)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ٢٥٠).

درهم قُضي من حسناته، ليس ثَمَّ دينار ولا درهم»[(١)].

رواه ابن ماجه، وصاحب الفردوس.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من مات من أمتي يعمل عمل قوم لوط نقله الله ﷻ إليهم حتى يُحشر معهم»**[(٢)].

رواه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس».

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: **«ما من مؤمن يقوم على رأس قبر إذا سوي عليه التراب**[(٣)] **وقال: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم اغفر له ولا تحرمنا أجره ولا تُضلَّنا بعده. إلا غفر الله ﷻ له ولميته وبعث إليه من كل سماء سبعين ألف ملك يكتبون له الحسنات إلى يوم القيامة»**.

رواه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» مرفوعًا بغير إسناد.

انتهى والله تعالى أعلم.

***

---

(١) أخرجه: ابن ماجه (٢٤١٤) كتاب الصدقات، ١٢- باب التشديد في الدين عن ابن عمر. قال في الزوائد: في إسناده محمد ابن ثعلبة بن سواء قال فيه أبو حاتم: أدركته ولم أكتب عنه. ولم أر لغيره من الأئمة فيه كلام غيره، وباقي رجال الإسناد ثقات على شرط مسلم.

(٢) أخرجه: العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٨٧).

(٣) روى ابن أبي شيبة في مصنفه في الدعاء للميت إذا فرغ من دفنه عن أنس بن مالك (٣/ ٣٣٠) ولفظه: «اللهم عبدك رد إليك، فارأف به وارحمه، اللهم جاف الأرض عن جنبيه، وافتح أبواب السماء لروحه، وتقبله منك بقبول حسن، اللهم إن كان محسنًا فضاعف له في إحسانه، وإن كان مسيئًا فتجاوز عن سيئاته».

الباب التاسع والستون

في ذكر أشياء من فعلها أو وجدت فيه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وحرّمه الله على النار وأعتقه

روى الأئمة رضي الله تعالى عنهم أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

والحديث مشهور في الصحيحين من رواية أبي عبد الرحمن السلمي في قصة حاطب ابن أبي بلتعة، فلا يطيل بتخريجه لكنه بلفظ: «لعل الله اطلع»[1]. ورواه ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة بإسناد جيد.

فقيل: الأمر في قوله تعالى: «اعملوا» للتكريم، وأن المراد: كل عمل عمله البدريّ لا يؤخذ به لهذا الوعد الصادق.

وقيل: المعنى: أن أعمالهم السيئة تقع مغفورة فكأنها لم تقع، وقيل: إن ذلك على أنهم حُفِظُوا، فلا يقع من أحدهم سيئة.

ومما يدخل في المعنى: ما رواه مسلم[2] من حديث أبي قتادة: «إن صوم يوم عرفة يُكفّر ذنوب سنتين: سنة ماضية وسنة آتية»، فإنه وإن كان متقيداً بسنة واحدة لكنه دار على وجود التكفير قبل وقوع الذنب، فهو من شواهد صحة ذلك.

ومما يدخل في هذا المعنى: ما أخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق عبد الله بن وهب عن حيوة بن شريح عن أبي صخر حميد بن أبي قسيط وهو: يزيد بن عبد الله بن قسيط عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت من رسول الله ﷺ طيبة نفس، فقلت: يا رسول الله ادع لي.

---

(١) أخرجه: البخاري (٣٩٨٣) كتاب المغازي، ٩- باب فضل من شهد بدراً، عن علي بن أبي طالب، ومسلم (١٦١-٢٤٩٤) كتاب فضائل الصحابة، ٣٦- باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة.

(٢) أخرجه: مسلم في صحيحه (١٩٦-١١٦٢) كتاب الصيام، ٣٦- باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس، وأخرجه الترمذي (٧٤٩) كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل صوم عرفة، عن أبي قتادة وقال: حديث حسن، وقد استحب أهل العلم صيام يوم عرفة إلا بعرفة. وأخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٩٦)، وابن أبي شيبة (٣/ ٥٨).

فقال: «اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر ما أسررت وما أعلنت»[(١)] الحديث.

وقال ابن أبي شيبة في مصنفه: حدثنا محمد بن قاسم الأسدي عن الأوزاعي، عن عطية ﷺ أن النبي ﷺ قال لعثمان: «غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وما أسررت وما أعلنت، وما أخفيت وما أبديت، وما هو كائن إلى يوم القيامة»[(٢)].

وهذا مرسل قوي، وله شاهد من حديث ابن مسعود في الطبراني، وأخرجه ابن عساكر في ترجمة عثمان فدعاء المعصوم لبعض أمته دال على جواز وقوع ذلك.

وسيأتي في حديث العباس بن مرداس[(٣)]: أنه ﷺ طلب ذلك في موقف عرفة فأجيب إلى ذلك واستثنى (التبعات)[(٤)]، ثم أُجيب مطلقًا في صبيحة المزدلفة، وإذا علم أن الله مالك كل شيء له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى لم يمتنع أن يعطي لمن شاء ما شاء.

وقد ثبت أن ليلة القدر خير من ألف شهر، وقد يقع العمل في بعض الليالي السنة من بعض الناس أكثر مما يعمل فيها، ومع ذلك فالعمل فيها أفضل من غيرها ثلاثين ألف ضِعف، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

وهذا حديث من كتاب الطهارة: قال أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه وفي مسنده معًا: حدثنا خالد بن مخلد قال: حدثنا إسحاق بن حازم[(٥)] سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: حدثني حمران مولى عثمان بن عفان قال: دعا عثمان بوضوء في ليلة شديدة البرد وهو يريد الخروج إلى الصلاة فجئته بماء فأكثر ترداد الماء على وجهه ويديه فقلت: حسبك قد أسبغت الوضوء والليلة باردة.

فقال: صب فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يَسبغ الوضوء عبد إلا غُفر له ما

---

(١) أخرجه: الحاكم في المستدرك (٤/ ١١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٤)، وقال البزار: ورجاله رجال الصحيح غير أحمد ابن منصور وهو ثقة. وأخرجه: ابن أبي شيبة (١٢/ ١٣٢)، والبزار كشف الأستار (٢٦٥٨).

(٢) أخرجه: ابن أبي شيبة (١٢/ ٥٤)، وابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ٢١٣).

(٣) عباس بن مرداس بن أبي عامر، أبو الهيثم أبو الفضل السلمي، صحابي مشهور، أسلم بعد يوم الأحزاب وسكن البصرة بعد ذلك. ترجمته: تهذيب التهذيب (٥/ ١٣٠)، تقريب التهذيب (١/ ٣٩٩)، الكاشف (٢/ ٦٨)، التاريخ الكبير للبخاري (٧/ ٢)، أسد الغابة (٣/ ١٦٨)، الإصابة (٣/ ٦٣٣).

(٤) كذا بالأصل.

(٥) إسحاق بن حازم وقيل: ابن أبي حازم المدني البزار صدوق، تكلم فيه للقدر، أخرج له: ابن ماجه. ترجمته: تهذيب التهذيب (١/ ٢٢٩)، تقريب التهذيب (١/ ٥٧)، الكاشف (١/ ١٠٩)، الثقات (٦/ ٤٨)، التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٣٨٥)، الجرح والتعديل (٢/ ٢١٦).

تقدم من ذنبه وما تأخر»[١].

قلت: وأصل هذا الحديث في فضل الوضوء عن عثمان في الصحيحين.

ومن كتاب الصلاة: عن عامر بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سمع المؤذن** -وفي رواية محمد بن عامر: **من قال حين سمع المؤذن**- **يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا** -وفي رواية محمد بن عامر: رسولاً-: **غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»**[٢].

فقال له رجل: يا سعد بن أبي وقاص -وفي رواية محمد: يا سعد- ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال: هكذا سمعته من رسول الله ﷺ.

حديث رواية شعيب بن الليث[٣]: «**من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد**»، والباقي عن مثله عن النبي ﷺ. وهذا الحديث خرَّجه مسلم عن قتيبة، وابن ماجه عن محمد ابن رمح، وأبو داود والترمذي والنسائي.

فإنه في فضل صلاة التسبيح[٤]: عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب: «**يا عماه ألا أُعطيك؟ ألا أمنحك؟ ألا أحبوك؟ افعل ثلاث عشرة خصلة، إذا أنت فعلت ذلك غُفر لك ذنبك أوله وآخره، قديمه وجديده خطؤه وعمده، كبيره وصغيره، سره وعلانيته، عشر خصال: أن تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة، فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم قلت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة، ثم ترجع فتقولها وأنت راكع عشرًا، ثم ترفع رأسك من الركوع، فتقولها عشرًا، ثم تسجد فتقولها عشرًا، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرًا، ثم تسجد ثانيًا فتقولها عشرًا، ثم ترفع رأسك من السجدة الثانية فتقولها عشرًا، فذلك خمس وسبعون في كل ركعة، تفعل ذلك في الأربع ركعات، إن استطعت أن تفعلها في كل يوم فافعل، فإن لم تفعل ففي كل**

---

(١) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٥٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٣٧).

(٢) أخرجه: مسلم في صحيحه (٣٨٦) في الصلاة، وأبو داود (٥٢٥)، والترمذي (٢١٠)، والنسائي (٢/ ٢٦-المجتبى)، ورقم (٧٣) في عمل اليوم والليلة، وابن ماجه (٧٢١)، وأحمد في مسنده (١/ ١٨١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٠٣).

(٣) شعيب بن الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو عبد الملك الفهمي مولاهم، المصري الفقيه ثقة نبيل فقيه، أخرج له: مسلم وأبو داود والنسائي، توفي سنة (١٩٩). ترجمته: تهذيب التهذيب (٤/ ٣٥٥)، تقريب التهذيب (١/ ٣٥٣)، التاريخ الكبير للبخاري (٤/ ٢٢٤)، الجرح والتعديل (٤/ ١٥٣٨)، الوافي بالوفيات (١٦/ ١٦١)، الثقات (٨/ ٣٠٩).

(٤) أخرجه: الحاكم في المستدرك (١/ ٣١٨)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٤٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٢٤٤).

شهر مرة، فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة، فإن لم تفعل ففي عمرك مرة». هكذا أورده أبو داود، وأشار أليه الترمذي، وأورده ابن خزيمة في صحيحه.

حديث في فضل التأمين: روى أبو سلمة بن عبد الرحمن: أن أبا هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا أمَّن الإمام فأمِّنوا فإن الملائكة تُؤمِّن، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[1]. هكذا في المجلس الثاني من الأمالي لأبي عبد الله الجرجاني.

حديث في فضل صلاة الضحى: عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى سُبْحة الضحى ركعتين إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

حديث في فضل القراءة بعد صلاة الجمعة: عن أنس ﷺ قال[2]: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ إذا سلَّم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثني رجله فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص والمعوذتين سبعًا سبعًا: غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأُعطي من الأجر بعدد من آمن بالله واليوم الآخر». هكذا رواه الأسعد (التسر)[3] في الأربعين.

حديث في فضل الصيام: في الترمذي، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال: إن رسول الله ﷺ كان يأمر بصيام رمضان من غير أن يأمرنا فيه بعزيمة ويقول: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[4]. هكذا أخرجه أحمد في مسنده، وقد رواه الترمذي.

وقال يوسف: فقال أبو بكر المقرئ في فوائده: حدثنا إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن العباس المطلبي الشافعي في المسجد الحرام، حدثنا يوسف بن يعقوب النجاحي، حدثنا سفيان، حدثنا الزهري، عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر

---

(١) أخرجه: البخاري (٧٨٠) كتاب الأذان، ١١١- باب جهر الإمام بالتأمين، ومسلم (٧٢) في الصلاة، وأبو داود (٩٣٦)، والترمذي (٢٥٠)، والنسائي (٢/ ١٤٤-المجتبى)، وابن ماجه (٨٥٢)، والبيهقي في السنن (٢/ ٥٥، ٥٧).

(٢) أخرجه: الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣/ ٢٧١).

(٣) كذا بالأصل.

(٤) أخرجه: البخاري (١٩٠١) كتاب الصوم، ٦- باب من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ونية، وفي (٢٠٠٨) كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان، ومسلم (١٧٣-١٧٦) كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح. وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٣، ٢٤١)، والترمذي (٦٨٣) كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل شهر رمضان.

إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[(١)].

وعن سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن أبي سلمة عن أبي هريرة بلغ به النبي ﷺ قال: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

حديث آخر في ليلة القدر: قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: حدثنا حيوة بن شريح، حدثنا بقية بن الوليد، حدثني يحيى بن سعيد، عن خالد بن معدان، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال[(٢)]: «ليلة القدر في العشر البواقي، من قامهُنَّ ابتغاء حَسَنَتَهُنَّ فإن الله تعالى يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهي ليلة وتر: تسع أو سبع أو خامسة أو ثالثة أو آخر ليلة»، هذا حديث رجاله ثقات.

حديث في صيام يوم عرفة: قال أبو سعيد محمد بن علي بن عمر بن مهدي النقاش الحافظ في أماليه: حدثنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن إبراهيم، حدثنا سعيد بن عثمان، حدثنا هارون بن صالح المقرئ قال: حدثني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يوم عرفة غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي قتادة: إن صيام يوم عرفة يُكفِّر ذنوب سنتين: سنة ماضية وسنة آتية، فلعل ذلك المراد من قوله: «ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[(٣)].

ومن كتاب الحج: حديث في فضل الإهلال: عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أهلَّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»، أو قال: «وجبت له الجنة» شك عبد الله أيتهما؟

قال وفي حديث آخر: «غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ووجبت له الجنة».

في فضل الحج الخالص: قال أبو نعيم في الحلية في ترجمة مِسْعَرْ: حدثنا عبد الواحد بن

---

(١) أخرجه: البخاري (١٩٠١) كتاب الصوم، ٦- باب من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ونية، ومسلم في صحيحه (١٧٥-٧٦٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٢٥- باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح. والترمذي (٦٨٣) في الصوم، ١- باب ما جاء في فضل شهر رمضان، والنسائي (٤/ ١٥٧، ٨/ ١١٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٤١)، والبيهقي (٤/ ٣٠٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٩٠، ١٠٦).

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده (٥/ ٣٢٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٧٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٧٥)، وابن كثير في تفسيره (٨/ ٤٦٦).

(٣) أخرجه: مسلم (١٩٦-١١٦٢) كتاب الصيام، ٣٦- باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس. وقال النووي: معناه: يكفر ذنوب صائمه في السنتين، قالوا: والمراد بها: الصغائر، وإن لم تكن صغائر يرجى التخفيف من الكبائر، فإن لم يكن رفعت درجات.

الحسين الكوفي، حدثنا الحسين بن محمد بن شريح، حدثنا أبو يزيد بن طريف، حدثنا زكريا ابن يحيى بن زكريا بن أبي زيادة، حدثنا إسماعيل بن يحيى، عن مِسْعَر، عن حماد، عن إبراهيم، عن علقمة عن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**من جاء حاجًّا يريد وجه الله فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وشفع فيمن دعا له**))[1]. قال أبو نعيم: من حديث مِسْعَر.

وعن عائشة رضي الله عنها، وعن هانئ بن قيس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إذا خرج الحاج من بيته كان في جوار الله، فإن مات قبل أن يقضي نُسُكه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإنفاق الدرهم في ذلك الوجه يعدل أربعين ألف درهم فيما سواه**))[2].

في إسناده من لا يُعرف، وفيه ألفاظ منكرة جدًا، وهي في الجزء التاسع من كتاب الترغيب لأبي حفص بن شاهين.

وقال أحمد بن منيع في مسنده: حدثنا مروان بن معاوية عن موسى بن عبيدة، عن أخيه عبد الله بن عبيدة، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من قضى نُسُكه وسَلِم المسلمون من لسانه ويده غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**))[3].

وقال القاضي عياض في «الشفا» (قبل القسم الثالث: فيما يجب للنبي ﷺ وما يستحيل) ما نصه.

وعنه عليه الصلاة والسلام قال: «**من صلى خلف المقام ركعتين غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحُشر يوم القيامة من الآمنين**».

ومن كتاب «الأذكار والقراءة»: حديث في القراءة بعد الجمعة في الصلاة: تقدم في الصلاة حديث في قراءة القرآن أو بعضه: قال الطبراني: حدثنا أحمد بن محمد بن نافع، حدثنا أبو داود سليمان بن يزيد القزويني حدثنا علي بن أبي طاهر، حدثنا عبيد الله بن المنكدر حدثنا ابن أبي فديك، عن عمرو بن سهل، عن الحسن البصري رحمه الله، عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ[4]: ((**من علَّم ابنًا له القرآن غُفر له ما تقدم من ذنبه وما**

---

(١) أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٣٥) بلفظ: ((من خرج حاجًا... الحديث)).

(٢) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٤/ ٤٣٤)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ١٧٥)، والفتني في تذكرة الموضوعات (٧٣)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (١٠٩).

(٣) أخرجه: ابن حجر في المطالب العالية (١٠٨٧)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٢٠)، وابن كثير في تفسيره (١/ ٣٤٧).

(٤) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٦٥) يزيد بن أبان أبو عمرو، أبو عمرو الرقاشي البصري القاص، الزاهد، ضعيف، أخرج له: البخاري في الأدب والترمذي وابن ماجه، توفي سنة (١١٠-١٢٠). ترجمته: التهذيب (١/ ٣٠٩)، التقريب (٢/ ٣٦١).

تأخر، ومن علّمه إياه طاهرًا فكلما قرأ الإبن آية رفع الله الأب درجة حتى ينتهي إلى آخر ما معه من القرآن)). قلت: في إسناده من لا يعرف.

حديث في آخر سورة الحشر: قال أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره: أخبرني ابن فنجويد الدينوري، حدثنا حمدان، حدثنا أبي، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا أبو الأشهب، عن يزيد بن أبان، عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((من قرأ آخر سورة الحشر غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر))[١].

حديث في فضل التسبيح والتهليل والتكبير: قال أبو محمد عبد الله بن جعفر بن حيان المعروف بابن الشكح الأصبهاني في «فوائد الأصبهانيين» له: حدثنا الحسين بن بشار ودليك بن إبراهيم قالا: حدثنا عبيد بن عمر، حدثنا عبد الرحمن بن معراء، عن سعيد بن المرزبان، عن رجل من أهل المدينة، وعن الكلبي عن أبي صالح عن أم هانئ وكانت تكثر الصيام والصلاة والصدقة فدخل عليها رسول الله ﷺ فشكت إليه ضعفها فقال: ((سأخبرك بما هو عوض عن ذلك: تُسبحين الله مائة مرة، فذلك مثل مائة بدنة تفدينها مُتقبَّلة، وتحمدين الله مائة مرة، وهناك يُغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر)).

حديث في فضل حمد الله تعالى عُقيب الأكل والشرب ولبس الثوب: قال أبو داود في السنن: حدثنا نضير بن الفرج، حدثنا عبد الله بن يزيد هو المقرئ، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، عن أبي مرحوم، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال[٢]: ((من أكل طعامًا ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غُفر له ما تقدم من ذنبه. ومن لبس ثوبًا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)). هذا إسناده حسن عن سهل بن معاذ ابن أنس الجهيني المصري، تابعي مشهور صدوق.

وأبو مرحوم اسمه: عبد الرحيم بن ميمون[٣] مصري أيضًا.

حديث ذكره أبو الربعى في «فضائل البحر»: قال: روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((من عدَّ في البحر أربعين موجة وهو يُكَبر الله غُفر الله له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر، وإن

---

(١) أخرجه: الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤/ ٤٦٨) بلفظ: ((من قرأ آخر سورة الحشر فمات من ليلته مات شهيدًا)).

(٢) أخرجه: أبو داود (٤٠٢٣) في اللباس، والترمذي (٣٤٥٨)، وابن ماجه (٣٢٨٥)، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٣٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٩٢، ٥٠٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٩٣)، والشجري في أماليه (١/ ٢٥١).

(٣) عبد الرحيم بن ميمون أبو مرحوم المدني المعافري المصري، صدوق زاهد، أخرج له: أصحاب السنن الأربعة، توفي سنة (١٤٣). ترجمته: تهذيب التهذيب (٦/ ٣٠٨)، تقريب التهذيب (١/ ٥٠٥)، تاريخ البخاري الكبير (٦/ ١٠١)، الجرح والتعديل (٥/ ١٥٩٧).

الأمواج والتكبير لتحتّ الذنوب حتًّا».

من كتاب الجهاد في: فضل الرباط بعكا: قال أبو الحسن علي بن محمد بن شعاع الربعي في كتاب «فضائل الشام»: حدثنا علي بن محمد بن عبيد، عن داود بن زكريا القطان، حدثنا إبراهيم بن سليمان بن مكي بن سليمان -من علماء الحجاز-، حدثني أبي، عن محمد بن عزيز الأيلي، عن سلامة بن روح، عن عقيل بن خالد، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مدينة بين الجبلين على البحر يقال لها: عكا، من دخلها رغبة فيها غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن خرج منها رغبة عنها لم يبارك له في خروجه، وبها عين تسمى عين البقر، من شرب منها ملأ الله بطنه نورًا، ومن أفاض عليه منها كان طاهرًا إلى يوم القيامة». هذا حديث منكر جدًا، وفي إسناده غير واحد من المجهولين.

حديث في فضل قود الأعمى: عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من قادَ مكفُوفًا أربعين خُطُوة غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[1]. قال أبو عبد الله: هذا غريب.

حديث في فضل السعي في حاجة المسلم: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سعى لأخيه المسلم في حاجة قُضيت له أو لم تقض له غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكُتب له براءتان: براءة من النار وبراءة من النفاق». قلت: ورجاله ثقات[2]. وقد ذكره ابن حبان في الثقات.

حديث في فضل المصافحة: عن قتادة عن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ: «ما من مسلمّين يلتقيان فيتصافحان ويُصلّيان على النبي ﷺ: لم يفترقا حتى يُغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر»[3]. أخرجه ابن حبان في كتاب الضعفاء.

حديث فيمن سَلَّمَ المسلمين من لسانه ويده: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قضى نُسُكَه وسَلِم الناس من يده ولسانه: غُفر له ما تقدم

---

(١) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٣٨)، وابن حجر في المطالب العالية (٢٥٩١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ١٥٨)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٧٦)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٧١)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ٤٧).

(٢) أخرجه: ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ١٤٣)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٨٤)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٤٥١).

(٣) أخرجه: أبو داود في الأدب، باب في المصافحة رقم (٥٢١٢)، والترمذي (٢٧٢٧) في الاستئذان، وابن ماجه (٣٧٠٣) بلفظ: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا».

من ذنبه وما تأخر، وحُشر يوم القيامة من الآمنين»[(١)]. هكذا ذكره بغير إسناد.

حديث في فضل التعمير في الإسلام: عن عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ[(٢)]: «إذا بلغ العبد المسلم أربعين سنة صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء: الجنون والجُذام والبرص. فإذا بلغ خمسين سنة خفف الله عنه ذنوبه، فإذا بلغ ستين رزقه الله الإنابة إليه، فإذا بلغ سبعين أحبته ملائكة السماء -وفي رواية البغوي: أحبه أهل السماء- فإذا بلغ ثمانين أثبتت حسناته ومحيت سيئاته، فإذا بلغ تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وسمي: أسير الله في الأرض، ويشفع لأهل بيته -وفي رواية البغوي: وشفعه الله في أهله- يوم القيامة».

قلت: سياق البغوي مستقيم.

وروى سلام أبو سلمة مولى أم هانئ: سمعت شيخنا يقول: سمعت عثمان بن عفان يقول: قال الله جل ذكره وتقدست أسماؤه[(٣)]: إذا بلغ عبدي أربعين سنة عافيته من البلايا: الجنون والجُذام والبرص، فإذا بلغ خمسين سنة حاسبته حسابًا يسيرًا، فإذا بلغ ستين سنة حُبيت إليه الإنابة، فإذا بلغ سبعين سنة أحبته الملائكة، فإذا بلغ ثمانين سنة كُتبت حسناته وأُلقيت سيئاته، فإذا بلغ التسعين سنة قالت الملائكة: هذا أسير الله في الأرض، وغُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفع في أهله.

وروى الحكيم الترمذي هذا من جيد الحديث، وورد من طريق أخرى عن النبي ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا بلغ أربعين سنة وهي العمر أمَّنه الله من البلايا الثلاث: الجنون والجُذام والبرص، فإذا بلغ خمسين سنة وهي الدهر خَفَفَ الله عنه السيئات، فإذا بلغ ستين سنة فهو في إدبار من قُوَّته، فإذا بلغ سبعين سنة وهي الخبث أحبته ملائكة السماء، فإذا بلغ ثمانين سنة وهي (الحرف)[(٤)] أُثبتت حسناته ومُحيت سيئاته، فإذا بلغ تسعين سنة وهي (الفندوقة)[(٥)]، ذهب العقل غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وشفع في أهل بيته وسماه أهل السماء: أسير الله، فإذا بلغ مائة سُمِّي: حبيب الله، وحقًا على الله أن لا يعذب حبيبه».

---

(١) أخرجه: السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٢٠)، وابن حجر في المطالب العالية (١٠٨٧).

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده (٢/ ٨٩)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٥١)، وابن حبان في المجروحين (٣/ ٨٢).

(٣) أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٢٦٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٢٢٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٠٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٥٤).

(٤) كذا بالأصل.

(٥) أظنها كما قال يعقوب عليه السلام: ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ أي تسفهون أو تهرمون. انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٥٠٣).

وعن أبي قلابة عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «(يتغو)[1] الغلام بسبع سنين ويحتلم في أربع عشرة سنة، ويتم طوله لإحدى وعشرين، ثم لا يزداد بعد ذلك عقلاً إلا بالتجارب. فإذا بلغ الأربعين سنة عافاه الله من أنواع البلاء: الجنون والجُذام والبرص، فإذا بلغ خمسين سنة رَزَقَهُ الله الإنابة إليه، فإذا بلغ ستين سنة حببه الله إلى أهل سمائه وأرضه، فإذا بلغ السبعين أُثبتت حسناته ومُحيت سيئاته، فإذا بلغ الثمانين استحيى الله منه أن يُعذبه، فإذا بلغ تسعين سنة كان أسير الله في الأرض ولم يخط عليه القلم بحرف»، وهكذا أورده في ترجمة ابن عبدوس في طبقة شيوخه.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: المولود حتى يبلغ الحلم ما عمل من حسنة كُتبت لوالديه، وما عمل من سيئة لم تُكتب عليه ولا على والديه، فإذا بلغ الحلم وجرى عليه القلم أمر الله تعالى الملكين الذين معه أن يحفظانه وأن يسدداه، فإذا بلغ أربعين سنة في الإسلام أمنه الله من البلايا الثلاث: الجنون والجُذام والبرص، فإذا بلغ الخمسين سنة خفف الله حسابه، فإذا بلغ الستين رَزَقه الله الإنابة إليه فيما يحب، فإذا بلغ السبعين أحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين يكتب الله حسناته ويتجاوز عن سيئاته، فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفَّعه الله في أهل بيته وكان أسير الله في أرضه. فإذا بلغ أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئًا كتب الله له مثل ما كان يعمل في صحته من الخير، فإذا عمل سيئة لم تُكتب عليه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤] قال: يعني: في أعدل تقويم خُلق، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين:٥] يعني إلى أرذل العمر، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[2] [التين:٦] يعني غير منقوص.

يقول: فإذا بلغ المؤمن أرذل العمل وكان يعمل في شبابه عملاً صالحًا كتب الله له من الأجر مثل ما كان يعمل في صحته وشبابه ولم يضره ما عمله في كبره، ولم تكتب عليه الخطايا التي عملها بعدما بلغ أرذل العمر. إسناده صحيح وفيه إشارة إلى أن ما ذكر في الأحاديث السابقة: من كان يعمل صالحًا في شبابه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وهذا آخر الخصال المُكفِّرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة، وصلى الله على سيدنا ونبينا

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) قال ابن كثير: أي خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل منتصب القامة سوي الأعضاء حسنها، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ أي إلى أرذل العمر. تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢٧).

وحبيبنا وشفيعنا محمد وغيَّاثنا وملاذنا ومولانا ومُنقذنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا أبدًا إلى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وهذه الأشياء التي من فعلها حرَّمه الله على النار وأعتقه منها كما وعدنا بذلك في أول الباب وهي بحمد الله كثيرة .

وها أنا إن شاء الله تعالى أذكر من الكثير اليسير ومن اليسير اليسير:

ففي البخاري[١] عن النبي ﷺ أنه قال: «من اغْبرَّتْ قدماهُ في سبيل الله حرَّمه الله على النار».

وعن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى قبل الظهر أربعًا وبعدها أربعًا حرَّمه الله على النار»[٢].

وفي حديث آخر: «من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يُحسن قراءهُنَّ وركوعَهُنَّ وسُجودهنَّ صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل».

وفي كتاب «البركة»: عن النبي ﷺ: «من صلى أربع ركعات عند زوال الشمس يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي عصمه الله في أهله وماله ودينه ودنياه».

وعن النبي ﷺ: «من صلى قبل العصر أربعًا حرم بدنه على النار»[٣].

وعن النبي ﷺ: «لاتزال أمتي يصلون هذه الأربع ركعات قبل العصر حتى يمشي أحدهم -يعني على الأرض- مغفورًا له مغفرة تامة»[٤] رواه الطبراني.

قال في «العوارف»: يقرأ في كل الأربع قبل العصر: ﴿إذا زلزلت﴾ و﴿العاديات﴾، و﴿القارعة﴾، و﴿الهاكم﴾.

وفي رواية ابن عمر رضي الله عنهما: «حرَّم الله النار على امرئ صلى قبل العصر أربعًا».

قال سهل بن سعد ﷺ، عن النبي ﷺ: «من قعد في مصلاه حتى ينصرف من صلاة الصبح حتى يصلي أربع ركعات وركعتي الضحى، لا يقول إلا خيرًا: غفر الله له خطاياه

---

(١) أخرجه: البخاري (٩٠٨) في الجمعة، باب المشي إلى الجمعة، والترمذي (١٦٣٢) في فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من اغبرت قدماه في سبيل الله، والنسائي (٦/ ١٤ -المجتبى)، والدارمي في سننه (٢/ ٢٠٢)، وابن أبي شيبة (٥/ ٣١٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٢٩٧).

(٢) أخرجه: الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣/ ٣٣٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ١٩٤).

(٣) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٠٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٢، ٢/ ٢٢٢)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ١٤٩).

(٤) أخرجه: المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٠٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٢٢).

وإن كانت أكثر من زَبَد البحر»[١]. وفي رواية الحسن: «لم تمس النار جلده». وفي رواية عائشة: «خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه». وفي رواية: «من صلى الفجر ثم قعد في مجلسه حتى تطلع الشمس ستره الله من النار»[٢]. ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب الذكر.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «من مشى مع أخيه في حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق، ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والأرض»[٣].

وفي «طبقات الأتقياء» عن النبي ﷺ: «من كبَّر تكبيرة عند غروب الشمس على ساحل البحر رافعًا صوته: أعطاه الله من الأجر بعدد كل قطرة في البحر عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات»[٤]. رأيته في كتاب «الذريعة» لابن العماد بخط مؤلفه رحمه الله تعالى.

وعن النبي ﷺ: «إذا زار أحدكم أخاه فألقى له شيئًا يقيه التراب وقاه الله من النار»[٥].

وفي «ربيع الأبرار»: عن النبي ﷺ: «استكثروا من الإخوان؛ فإن الله حييٌّ كريم يستحيي من عبده أن يُعذبه بين إخوانه يوم القيامة»[٦].

وفي كتاب «البركة» عن جعفر الصادق رحمه الله: أطيلوا الجلوس على المائدة مع الإخوان فإنها ساعة لا تحسب من أعماركم، وورد: «الأكل مع الإخوان شفاء».

وعن النبي ﷺ: «من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقًا على الله أن يعتقه من النار»[٧].

وعن النبي ﷺ: «أيُّما عبد قال: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين: حق على الله أن يُحرِّمَه على النار».

وعن النبي ﷺ: «من قال حين يصبح: لا إله إلا الله والله أكبر، أعتقه الله من

---

(١) أخرجه: أبو داود (١٢٨٧) كتاب الصلاة، باب صلاة الضحى، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٣٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٤٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٩٥).

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده (١/ ١٤٧)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ١٢٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٩٩).

(٣) أخرجه: ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (٣٥).

(٤) أخرجه: الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٨٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ١٢٥).

(٥) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٣٣٢)، والشجري في أماليه (٢/ ١٤١)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٢).

(٦) أخرجه: العجلوني في كشف الخفا (١/ ١٣٨).

(٧) أخرجه: الترمذي (١٩٣١) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم، وأحمد في مسنده (٦/ ٤٥٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٦٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥١٧).

النار»[١].

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «إذا قال العبد: يا معتق الرقاب، يقول الرب جل جلاله: يا ملائكتي قد علم عبدي أنه لا يعتق الرقاب غيري فأُشهدكم أني قد أعتقته من النار».

وعن النبي ﷺ: «إذا قال العبد في ركوعه: سبحان ربي العظيم عُتق ثلث جسده من النار، وإذا قال ثلاث مرات عُتق جسده كُلُّه من النار».

وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال: «من بلغه عن الله فضيلة فلم يُصدقها لم يَنلْها»[٢].

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «إذا لعق الرجل القصعة استغفرت له القصعة، وتقول: اللهم أعتقه من النار كما أعتقني من الشيطان»[٣].

وقال النبي ﷺ: «من لعق الصَّحفة ولعق أصابعه أشبعه في الدنيا والآخرة»[٤].

وعن النبي ﷺ: «اغسلوا القصعة واشربوه، فمن فعل ذلك كان كمن أعتق أربعين رقبة من ولد إسماعيل».

وعن أنس رضي الله عنه: «أحب شيء إلى الله تعالى: أن يرى المؤمن مع امرأته وولده على مائدة يأكلون، فإذا اجتمعوا عليها نظر الله إليهم بالرحمة والمغفرة، ويُغفر لهم قبل أن يتفرقوا».

وفي «ربيع الأبرار»: عن النبي ﷺ: «من نظر إلى أخيه نظر مودَّة لم يطرفْ حتى يغفر الله له ما تقدم من ذنبه»[٥].

وقال ابن المبارك: من كان في قلبه مودة لأخيه المسلم ولم يُعْلمه بها فقد خان.

وكان علي رضي الله عنه يقول: أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وقال أيضًا: القلوب وحشيّة فمن تآلفها أقبلت عليه.

وكان النبي ﷺ إذا أُحضر له طعام يقول عند أول لقمة: «يا واسع المغفرة اغفر لي»[٦].

وكان النبي ﷺ يكره الطعام الحارّ ويقول: «عليكم بالبارد فإنه دواء وبركة، ألا وإن

---

(١) أخرجه: أحمد في مسنده (٥/ ٤٢٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١١٢).
(٢) أخرجه: ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٢/ ٤٩٣)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٥٣).
(٣) أخرجه: ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٢٦٧)، والفتني في تذكرة الموضوعات (١٤٢).
(٤) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٠٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٢٢٥).
(٥) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٧٥).
(٦) أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٤٤).

الحارّ لا بركة فيه)).

وفي «العوارف» عن النبي ﷺ: ((النفخ في الطعام يُذهب البركة))[1].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة. ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار))[2].

● **لطيفة:**

قال رجل: يا رسول الله أريد منك ناقة أركبها وشاة أحلبها؟ فقال له: ((عجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل؟))، فقيل: وما عجوز بني إسرائيل؟، فقال: ((إن موسى لما خرج ببني إسرائيل من مصر أظلم عليهم القمر، فقال: ما هذا؟، فقال: إن يوسف أخذ علينا العهد أن لا نخرج من مصر إلا بجسده، فقال موسى: أيُّكم يعلم قبره؟، قالوا: عجوز، فسألها عن ذلك، فقالت: لا أفعل حتى تعطيني حُكمي، قال: وما حُكمك؟، قالت: أكون معك في الجنة)).

قال بعض العلماء رحمهم الله: آدم عليه الصلاة والسلام عُلِّم الأسماء فحصل له الشرف عند الملائكة، والهدهد كان يعلم موضع الماء فحصل له الشرف عند الطيور.

فيقول لسليمان: يا نبي الله الماء هاهنا، فينزل في ذلك المكان، فإذا نزلوا حفروا وجدوا الماء، وهذه المرأة أفادها علمها بقبر يوسف أن تكون في الجنة مع موسى عليه الصلاة والسلام.

وكذلك المؤمن إذا استفاد علمًا ظهر شرفه على غيره. قال النبي ﷺ: ((من صلى خلف عالم فكأنما صلى خلف نبي))[3].

وعنه ﷺ: ((من طلب العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتى يأتي عليه العلم فيكون لله، ومن طلب العلم فهو كالصائم نهاره وكالقائم ليله، فإن بابًا من العلم يتعلمه الرجل

---

(١) أخرجه: ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٣٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٢٢١)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٥٤)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢/ ١٣٧).

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٥٧٢) في صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة، والنسائي (٨/ ٢٧٩-المجتبى)، وابن ماجه (٤٣٤٠)، وابن حبان في صحيحه (٢٤٣٣-الموارد)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٣٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٥١)، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٠٨).

(٣) أخرجه: العجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٤٠)، والزيلعي في نصب الراية (٢/ ٢٦)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٣٢)، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٧٣).

خير له من أن يكون أبو قيس ذهبًا ينفقه في سبيل الله)).

وعن علي ﷺ: العلم يقوي الرجل على المرور على الصراط. ذكره الرازي في تفسيره.

قال القرطبي: من أطاع مولاه وخالف هواه كانت الجنة مأواه، ومن تمادى في عصيانه وأرخى زمام طُغيانه واتبع هوى نفسه وشيطانه كانت النار أولى به.

وذكر في «الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة»: من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كُتب له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة[1].

● فائدة يختم بها الباب:

وجد في «الوجوه المسفرة»: قال أُبي بن كعب للبراء بن مالك رضي الله عنهما: ما تشتهي؟، قال: سويقًا وتمراً فأطعمه حتى أشبعه، فبلغ النبي ﷺ فقال: ((إن المرء إذا فعل ذلك بأخيه لوجه الله لا يريد بذلك جزاءً ولا شكورًا بعث الله إلى منزله عشرة من الملائكة يُسبحون الله ويكبرونه ويهللونه ويستغفرون حولاً كاملاً، فإذا كان الحول كتب الله له مثل عبادة أولئك الملائكة وحق على الله أن يطعمه من طيبات الجنة في جنة الخلد، ومُلك لا يَبيد)).

قلت: البراء بن مالك لم أراه في «تهذيب الأسماء واللغات» وإنما ذُكر البراء بن عازب[2]، وروى ثلاثمائة حديث وخمسة أحاديث وهو صحابي ابن صحابي.

وأُبيّ بن كعب: روى مائة حديث وأربعة وستين حديثًا.

قالت عائشة رضي الله عنها: قال النبي ﷺ: ((إذا قال العبد: يا رب الأرباب. قال الله تعالى: لبيك عبدي، سل تعطه)).

فرحم الله امرءاً قال: يا رب الأرباب، أسألك النجاة من جهنم دار الهوان والعقاب، والفوز بالجنة محل الرضوان، ومجمع الأحباب، لي وللمسلمين، ومؤلف هذا الكتاب، من غير عذاب يسبق، يا كريم يا وهَّاب. انتهى والله تعالى أعلم.

***

(١) انظر الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٨١، ٨٢)، والبخاري في تاريخه الكبير (٤/ ٢١٩).

(٢) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن مجدعة بن حارثة، أبو عمارة، الأنصاري الأوسي المدني، ذو الغرّة الحارثي، صحابي ابن صحابي، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٧٢). انظر التهذيب (١/ ٤٢٥)، التقريب (١/ ٩٤).

الباب السبعون

في هول الموت

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، [العنكبوت:٥٧].

قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة:١١].

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر:٤٢].

وروى الثعلبي رحمه الله: فإن قيل: ما الجامع بين قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾، و﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، و﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام:٦٠].

قيل: توفي الملائكة: القبض والنزع، وتوفي ملك الموت: الدعاء والأمر، يدعي الأرواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها، وتوفي الله سبحانه وتعالى: خلق الموت فيه، والله أعلم.

قال المفسرون -الألفاظ مختلفة والمعاني متفقة-: إن الله سبحانه وتعالى لما أراد خلق آدم عليه الصلاة والسلام أوحى إلى الأرض: إني خالق منكم خلقًا، منهم من يُطيعني ومنهم من يعصيني، فمن أطاعني أدخلته الجنة، ومن عصاني أدخلته النار، ثم بعث الله جبريل عليه الصلاة والسلام ليأتيه بقبضة من تراب الأرض.

فلما أتاها ليقبض منها القبضة قالت الأرض: إني أعوذ بعزّة الله الذي أرسلك أن لا تأخذ مني اليوم شيئًا يكون فيه غداً للنار نصيب. فرجع جبريل عليه الصلاة والسلام إلى ربه ولم يأخذ منها شيئًا. وقال: يا رب استعاذت بك فكرهْت أن أقدم عليها، فأمر الله ﷻ ميكائيل عليه الصلاة والسلام، فأتى الأرض فاستعاذت بالله منه أن يأخذ منها شيئًا، فرجع إلى ربه ولم يأخذ منها شيئًا. فبعث الله تعالى ملك الموت عليه الصلاة والسلام فأتى الأرض فاستعاذت بالله أن يأخذ منها شيئًا، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أعصي له أمراً.

فقبض منها قبضة من زواياها الأربع من أديمها: سبخها وطينها، وأحمرها الجبل والسهل، وأسودها وأبيضها، فلذلك كان من ذرية آدم الطيب والخبيث والصالح والجميل والقبيح. ولذلك اختلفت صورهم وألوانهم.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾.

ثم صعد بها ملك الموت إلى الله تعالى فأمره أن يجعلها طينًا بالماء المُرّ والملح والعذب، فعجنها حتى جعلها طينًا وخمَّرها، لذلك اختلفت أخلاقهم.

ثم أمر جبريل عليه السلام أن يأتي بالقبضة البيضاء التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها ليخلق منها محمداً ﷺ.

فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام في ملائكة الفردوس المقربين الكروبين وملائكة (الصفيح)(١) الأعلى فقبض قبضة من موضع قبر النبي ﷺ وهي يومئذ بيضاء نقية فعُجنت بماء التسنيم، ورغْرغَت حتى صارت كالدُّرة البيضاء، ثم غُمست في أنهار الجنة كلها وطِيفَ بها في السماء والأرض فعَرفت الملائكة حينئذ محمداً ﷺ قبل أن تعرف آدم عليه الصلاة والسلام، ثم عجنها بطينة آدم ثم تركها أربعين سنة حتى صارت طينًا لازبًا ثم تركها أربعين عامًا حتى صارت صلصالاً كالفخار(٢) وهو الطين اليابس الذي إذا ضربته صلصل أي صوَّت، ليعلم أن أمره بالصنع والقدرة لا بالطبع والحيلة، فإن الطين اليابس لا ينقاد ولا يتأتى تصويره، ثم جعله جسداً وألقاه على طريق الملائكة التي تهبط وتصعد أربعين سنة، فلذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان:١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الإنسان: آدم، والحين: أربعون سنة كان آدم جسداً مُلقى على باب الجنة.

قال السدي رحمه الله: بعث الله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام إلى الأرض ليأتيه بطائفة منها، فقالت الأرض: إني أعوذ بالله منك أن تقبض مني، فرجع ولم يأخذ شيئًا، فقال: يا رب إنها استعاذت بك، فبعث ميكائيل عليه الصلاة والسلام فاستعاذت، فبعث ملك الموت فاستعاذت بالله منه، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أُخالف أمره، وأخذ من وجه الأرض السوداء والحمراء والبيضاء. ولذلك اختلفت ألوان بني آدم، ثم عجنها بالماء العذب والملح والمُرّ. ولذلك اختلفت أخلاقهم.

فقال الله ﷻ لملك الموت: رحم جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام الأرض ولم

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) وذلك في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٤، ١٥].

ترحمها، لا جَرَم أجعلُ قبض أرواح من خُلِقَ من هذا الطين بيدك.

وروى الترمذي بالإسناد عن رسول الله ﷺ: «أن الله تبارك وتعالى خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الأرض من السهل والجبل والأسود والأبيض والأحمر، فجاء الأولاد على ألوان الأرض»[١].

وسأل عبد الله بن سلام رضي الله عنه رسول الله ﷺ: كيف خلق الله تعالى آدم؟ قال: «خلق وجهه من تُربة الكعبة، وصدره وظهره من بيت المقدس، وفخذيه من أرض اليمن، وساقيه من أرض مصر، وقدميه من أرض الحجاز، ويده اليمين من أرض المشرق، ويده اليسرى من أرض المغرب، ثم ألقاه على باب الجنة، فكلما مر به ملك من الملائكة عجب من حُسنه وحُسن صورته وطول قامته، ولم يكونوا قبل ذلك رأوا شيئًا يشبهه من الصور، فمر به إبليس فرآه ثم قال: (لامره)[٢] ما خلقت، ثم ضربه بيده فإذا هو أجوف، فدخل في فيه وخرج من دُبره.

وقال لأصحابه الذين معه من الملائكة: هذا خلق أجوف لا يثبُت ولا يتماسك.

ثم قال لهم: أرأيتم إن فَضُلَ هذا عليكم ما أنتم فاعلون؟ قالوا: نُطيع ربنا، فقال إبليس في نفسه: والله لا أطيعه وإن فَضُلت أنا عليه لأهلكنّه، فذلك قوله تعالى للملائكة: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة:٣٣]».

يعني: ما أظهرت الملائكة من الطاعة وما أسرَّ إبليس من المعصية.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤].

وفي الحديث: «إن جسد آدم عليه الصلاة والسلام بقي ملقى أربعين سنة يمطر عليه الحُزن، ثم أمطر عليه السرُور»، فلذلك كثُرت الهموم في أولاده وتصير عاقبتها إلى الفرح والراحة. وقال أبو عوانة المهرجاني رحمه الله:

يقولون إن الدهر يومان كلـه ... فيوم تحيات ويوم مكـــاره
وما صدقوا فالدهر يوم تحيــة ... وأيام مكروه كثير البدايـــة

وأنشد ابن الأعرابي الصولي رحمه الله تعالى:

أي شيء يكون أعجب من ذا ... لو تفكرت في صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنــًا ... والبلايا تكيل بالقفـــزان[٣]

---

(١) أخرجه: أبو داود (٤٦٩٣) في السنة، والترمذي (٢٩٥٥) كتاب تفسير القرآن: سورة البقرة، وأحمد في مسنده (٤/ ٤٠٠، ٤٠٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ١٠٤)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٦).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) القفيز: مكيال كان يكال به قديمًا ويختلف مقداره في البلاد ويعادل بالتقدير المصري نحو ستة عشر كيلو جرامًا.

وقال العلماء رحمهم الله: لما أراد الله تبارك وتعالى أن يُنفخ في آدم عليه الصلاة والسلام الروح أمرها أن تدخل فيه، فقالت الروح: مدخل بعيد الفقر مُظلم المدخل، ثم قيل للروح ثانية مثل ذلك. فقالت مثل ذلك، وكذلك الثالثة، إلى أن قيل في الرابعة: ادخلي كرْهًا واخرجي كرهًا، فلما أمرها الله تعالى دخلت فيه.

فأول ما نُفخ فيه: دماغه فاستدارت مقدار مائتي عام، ثم نزلت في عينيه.

والحكمة في ذلك: أن الله سبحانه وتعالى أراد أن ينظر آدم عليه الصلاة والسلام إلى بدء خلقه وأصله حتى إذا تتابعت عليه الكرامات لا يدخله الزهو ولا العجب بنفسه.

ثم نزلت إلى خياشيمه فعطس. فقبل فراغه من عطاسه نزلت الروح إلى فيه ولسانه، ولقنه الله تعالى حين قال: «الحمد لله رب العالمين»، فكان ذلك أول ما جرى على لسانه، فأجابه ربه ﷻ: رحمك ربك يا آدم، للرحمة خلقتك. وقال تعالى: «رحمتي سبقت غضبي»[1].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً﴾ [الإسراء:١١]. وقال تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء:٣٧].

فلما وصلت الروح إلى جوفه اشتهى الطعام، فهو أول عَرَض دخل جسد آدم عليه الصلاة والسلام.

وفي بعض الأخبار: أن آدم عليه الصلاة والسلام لما قال الله ﷻ: «يرحمُك ربك يا آدم»، مد آدم يده فوضعها على أم رأسه وقال: أواه، فقال: ما لك يا آدم؟، فقال: إني أذنبت ذنبًا، فقيل: ومن أين علمت؟ قال: لأن الرحمة للمذنبين.

فصارت تلك عادة إذا أصاب أحدهم مصيبة أو محنة وضع يده على رأسه وتأوّه.

ثم انتشرت الروح في جسده كله فصار لحمًا ودمًا وعظمًا وعروقًا وعصبًا، ثم كساه الله تعالى لباسًا من (ظفر)[2] يزداد في كل يوم حسنًا.

فلما قارف الذنب بدِّل بهذا الجلد وأبقيت منه بقية في أنامله ليتذكر بها أول حاله.

قال الحكماء رحمهم الله: خلق الله تعالى الخلق ليظهر وجوده، فلو لم يخلق لما عُرف أنه موجود، وليظهر كمال علمه وقدرته بظهور أفعاله المتقنة المحكمة لأنها لا تأتي إلا من قادر حكيم، وليعبد فإنه يُحب عبادة العابدين ويثيبهم عليها على قدر أفعاله لا أفعالهم. وإن كان غنيًا عن عبادة خلقه لا يزيد في ملكه طاعة المطيعين، ولا ينقص من ملكه معصية العاصين.

---

(١) أخرجه: أحمد في مسنده (٢/ ٣٩٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣١٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦)، وابن أبي الدنيا في حسن الظن (٣٣).

(٢) كذا بالأصل وأظنها: «من ظفر الأصبع»؛ أوضحه ما يليه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]. وليظهر إحسانه، لأنه مُحسن فأوجدهم ليحسن إليهم وليتفضل عليهم، فعامل بقضائه لأنه يقضي بالعدل ويقضي بالفضل، وخلق المؤمن خاصة للرحمة.

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣].

وقال ﷻ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود:١١٨، ١١٩]. وقال ابن عباس، وجعفر بن محمد الصادق[1]، والضحاك وقتادة رضي الله عنهم: وللرحمة خلقهم، ولم يقل: ولتلك. والرحمة مؤنثة لأنها مصدر.

وقال الحسن ومقاتل بن حيان وعطاء: وللاختلاف خلقهم، وقيل: إن المراد: ولاختلاف الرحمة خلقهم.

وقال الحسن رحمه الله: خلق هؤلاء لجنته، وهؤلاء لناره، وهؤلاء لرحمته، وهؤلاء لعذابه.

وروي: أن آدم عليه الصلاة والسلام لما خلقه الله تعالى وعرض عليه ذريته وجد فيهم الصحيح والسقيم والحَسن والقبيح والأسود والأبيض، فقال: يا رب هل سويت بينهم؟ فقال الله تعالى: إني أحب أن أشكر.

وقال بعض العلماء رحمهم الله تعالى: خلق الله الملائكة عليهم السلام للقدرة، وخلق الإنسان للعبرة والمحنة.

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: ٤٠].

وقال بعضهم: خلقكم لإظهار القدرة، ثم رزقكم لإظهار الكرم، ثم يُميتكم لإظهار القهر، ثم يُحييكم لإظهار العدل والفضل والثواب والعقاب.

ومنهم من قال: خلق الله تعالى الخلق جميعًا لأجل محمد ﷺ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام: أن آمن بمحمد وأمُر أمتك أن يؤمنوا به[2]، فلولا محمد ما خلقت آدم والجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء، فاضطرب فكتب عليه بالنور: لا إله إلا الله

---

(١) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله القرشي الهاشمي العلوي المدني الصادق، صدوق فقيه إمام، أخرج له: البخاري في الأدب ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، توفي (١٤٠، ١٤٨). التهذيب (٢/ ١٠٣)، التقريب (١/ ١٣٢) وقد تقدمت ترجمته بأوسع من ذلك من قبل.

(٢) انظر إلى حديث: ((لو كان موسى حيًا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني)). أخرجه: القرطبي في تفسيره (١٣/ ٣٥٥)، وفي مختصر العلو للعلي الغفار تحقيق الألباني (٦١)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٨)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٣٨).

محمد رسول الله. فسكت.

وقيل: خلقهم لأمر عظيم عيبَهُ عنهم لا يُجلِّيه حتى يُجلّ لهم ما خلقهم له.

قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون:١١٥].

قال الأوزاعي رحمه الله: بلغني أن في السماء ملكًا ينادي في كل يوم: ألا ليت الخلق لم يُخلقوا وليتهم إذا خُلقوا عرفوا ما خُلقوا له، فذكروا ما عملوا.

قال بعض الحكماء رحمهم الله: يا ابن آدم انظر إلى خطر مقامك في الدنيا إن ربك حلف فقال: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٩، السجدة: ١٣].

وأن إبليس لعنه الله حلف وقال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1] [ص:٨٢].

وأنت المسكين بين الله تعالى وبين إبليس مطروح ساهٍ، لاهٍ.

وقال أبو القاسم الحكيم رحمه الله: إن الله تعالى جعل ابن آدم بين البلوى والبلاء فما دامت الروح في جسده فلا يخلو من البلوى، وإذا فارقته الروح صار إلى البلاء، فأنى له السرور بين آفة البلوى والبلاء؟!

وروي: أن الله ﷻ لما مسح ظهر آدم عليه السلام فاستخرج ذريته، قالت الملائكة: رب لا تسعهُم الأرض. قال الله تعالى: أنا جاعل موتًا. قالت: رب لا يهنأهم العيش. قال: إني جاعل أملاً.

قال القرطبي رحمه الله: فالأمل رحمة من الله تعالى، ينتظر أسباب المعايش ويستحكم بهم أمور الناس، ويَتَقَوى به الصانع على صنعته، والعابد على عبادته.

فالغفلة والأمل نعمتان عظيمتان على ابن آدم ولولاهما ما مشى المسلمون.

وروى مطرف بن عبد الله رحمه الله: لو علمت متى أجلي لخشيت ذهاب عقلي، ولكن منَّ الله على عباده بالغفلة عن الموت، ولولا الغفلة ما تهنّوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق.

وروى البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من أحب لقاء الله

---

(١) قال ابن كثير: إن الله تعالى أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشراً من صلصال من حمأ مسنون، وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكرامًا وإعظامًا واحترامًا وامتثالاً لأمر الله ﷻ، فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسًا كان من الجن فخانه طبعه وجبلته أحوج إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه ﷻ فيه وادعى أنه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه، وقد أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك، فأبعده الله ﷻ وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه. تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣).

أحب الله لقاءه»[1]، فقالت عائشة رضي الله عنها أو بعض أزواجه: إنا نكره الموت، قال: «ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضره الموت بُشر بعذاب الله وعُقوبته، فليس بشيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه»[2].

وذكر عن عائشة رضي الله عنها في تفسير هذا الحديث أنها قالت: إذا أراد الله بعبد خيراً قيض له قبل موته بعام ملكًا فسدده ووفقه حتى يقول الناس: فلان خير ما كان، فإذا حضر ورأى ثوابه تهوَّع نفسه أو قالت: تهوَّعت[3] نفسه، فذلك حين أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإذا أراد الله بعبد شراً قيض له قبل موته بعام شيطانًا فأضلَّه وفتنه حتى يقول الناس: مات فلان شرَّ ما كان، فإذا حضر ورأى ما ينزل به من العذاب تثلع نفسه، فذلك حين يكره لقاء الله، وكره الله لقاءه.

وخرج الترمذي رحمه الله في أبواب القدر عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله»، فقال: كيف يستعمله يا رسول الله؟، قال: «يوفقه للعمل الصالح قبل الموت»[4].

ومنه الحديث الآخر: «إذا أراد الله بعبد خيرًا عسَّله»، قالوا: يا رسول الله وما عَسله؟، قال: «يفتح الله له عملاً صالحًا بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله».

قوله: «عَسله»: هو بالعين والسين المهملتين، من قولهم: عسلت الطعام أعسّله: بفتح السين في الماضي، وفي ضمها وكسرها في المضارع، أي عملته بالعسل.

وروي: أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال لملك الموت: ما لك رسول

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٥٠٧) كتاب الرقاق، ٤١- باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومسلم (١٤) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، والترمذي (١٠٦٦، ١٠٦٧) كتاب الجنائز، باب ما جاء فيمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، والنسائي (٤/ ٩، ١٠-المجتبى)، وابن ماجه (٤٢٦٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣١٣).

(٢) قال النووي: هذا الحديث يفسر آخره أوله ويبين المراد بباقي الأحاديث المطلقة من أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله، ومعنى الحديث: أن الكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه وما أعد له ويكشف له عن ذلك، فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعد لهم، ويحب الله لقاءهم أي فيجزل لهم العطاء والكرامة وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه، ويكره الله لقاءهم أي يبعدهم عن رحمته وكرامته ولا يريد ذلك بهم، وهذا معنى كراهته سبحانه لقاءهم. النووي في شرح مسلم (١٧/ ٩) - طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) تهوّع: تكلف القيء.

(٤) أخرجه: الترمذي (٢١٤٢)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٣٥)، والحاكم في مستدركه (١/ ٣٤٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٩٢، ٤/ ٢٥٣).

تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك؟

قال: نعم والله لي رُسل كثيرة من الأعلال والأمراض والشيب والهرم وفقد السمع والبصر، فإذا لم يتذكر مما نزل به ولم يتب بأن قبضته ناديته: ألم أقدم لك رسولاً بعد رسول ونذيراً بعد نذير؟ فأنا الرسول الذي ليس بعدي نذير.

وقيل: ما من يوم تطلع شمسه إلا وملك الموت ينادي: يا أبناء الأربعين هذا وقت أخذ الزاد، أذهانكم حاضرة وأعضاؤكم قوية شداد.

يا أبناء الخمسين قد دَنا وقت الأخذ والحصاد.

يا أبناء الستين نسيتُم العقاب وغفلتُم عن رد الجواب، فما لكم من نظير أو لم نُعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير؟

وفي البخاري عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **((أعذر الله إلى امرئ أخَّرَ أجله حتى بلغه ستين سنة))**[١].

قال القرطبي رحمه الله: يقال: «أعذر في الأمر» أي بالغ فيه، أي: أعذر غاية الإعذار الذي لا إعذار بعده. وأكثر الأعذار إلى بني آدم: بعثه الرُسل إليهم، أي كنتم حجة عليهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء:١٥]، وقال تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ قيل: (النذير): القرآن. قال زيد بن علي: وقيل: الرسول ﷺ.

قال ابن عباس وعكرمة وسفيان بن عيينة، ووكيع[٢] والحسين بن الفضيل والفراء والطبري رحمهم الله: هو الشيب، فإنه يأتي في سن الاكتهال، فهو علامة لمفارقة سن الصبا الذي هو سن اللهو واللعب. قال الشاعر:

رأيت الشيب من نذر المنايـــا ... لصاحبه وحسبُك من نذير

وقال آخر:

فقلت لها المشيب نذير عمري ... ولست مسوداً وجه النـذير

وقيل: النذير: الحمَّى، ومنه قوله ﷺ: **((الحُمَّى نذير الموت))**.

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه (٦٤١٩) كتاب الرقاق، ٥- باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٥٣)، والبخاري في التاريخ الكبير (١١/ ٢٣٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٥٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٢٧٢)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٢٧٠).

(٢) وكيع بن الجراح بن مليح، أبو سفيان الرؤاسي الكوفي الحافظ، ثقة حافظ، عابد، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٩٦). ترجمته: تهذيب التهذيب (١١/ ١٢٣)، تقريب التهذيب (٢/ ٣٣١)، الكاشف (٣/ ٢٣٧)، التاريخ الكبير للبخاري (٨/ ١٧٩)، الجرح والتعديل (٩/ ١٦٨)، سير الأعلام (٩/ ١٤٠)، تراجم الأحبار (٤/ ١٩٢).

وقال الأزهري: معناه: أن الحُمّى رسول الموت، أي: فإنها تُشعر بقدومه وتُنذر بمجيئه، وقيل: موت الأهل والأقارب والأصحاب والإخوان، وذلك أنه أنذر بالرحيل في كل وقت وأوان وحين وزمان. وقال الشاعر:

وأراك تحملهم ولست تردهم وكأنني بك قد حملت فلم ترده

والنذير بمعنى الإنذار والإعذار والإنزال قريب بعضه من بعض، وجعل الستين غاية الإعذار، لأن الستين قريب من معترك المنايا، وهو سن الإنابة والخشوع والاستسلام لله وترقب المنية ولقاء الله، فهو إعذار بعد إعذار، وإنذار بعد إنذار.

الأول: بالنبي ﷺ.

والثاني: بالشيب، وذلك عند كمال الأربعين، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ [الأحقاف:١٥]. فذكر ﷻ أن من بلغ أربعين سنة فقد آن له أن يعلم مقدار نعم الله تبارك وتعالى عليه وعلى والديه وشكرها.

قال (...)[١]: أدركت أهل العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا حتى يأتي لأحدهم أربعون سنة، فإذا أتت اعتزلوا الناس.

وعن جابر ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله الذي لا إله إلا هو إذا أراد خلقه قال للملك: اُكتب: رزقه، وأمره، وأجله، واكتب: شقي أو سعيد، ثم يرتفع ذلك الملك، ويبعث الله ملكًا آخر فيحفظه حتى يُدرك، ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته وسيئاته. فإذا جاءه الموت ارتفع ذلك الملكان.**

ثم جاءه ملك الموت عليه الصلاة والسلام يقبض روحه، فإذا دخل حُفرته رد الروح في جسده، ثم يرتفع ملك الموت، ثم جاءه ملكا القبر فامتحناه، ثم يرتفعان فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فأنشطا[٢] كتابًا في عنقه، ثم حضرا معه واحد سائق وشهيد».

وفي الخبر: أن ملك الموت عليه الصلاة والسلام جالس بين يديه صحيفة تكتب له في ليلة النصف من شعبان وهي التي يفرق فيها كل أمر حكيم يعني القرآن في ليلة مباركة من الأرزاق والآجال في قول بعض العلماء وعكرمة وغيره .

---

(١) كلمة غير واضحة.

(٢) نَشَطَ الحبل نشطًا: عقده بأُنشوطة.

وفي الصحيح: أن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم[1]: ليلة القدر من شهر رمضان، وهو قول قتادة والحسن ومجاهد وغيرهم، يدل على قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[2] [الدخان:١، ٢] يعني: القرآن في ليلة القدر.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله تبارك وتعالى يقضي الأقضية في ليلة النصف من شعبان، ويُسلمُها إلى أربابها في ليلة القدر.

قال القرطبي رحمه الله: وكأن هذا جمع بين القولين، والله أعلم.

فإذا انقضى عُمر ذلك الشخص الذي حان قَبْض روحه سقطت ورقته من سِدرَة المنتهى التي فيها اسمه على اسمه في الصحيفة، فعرف أنه قد فرغ أجله وانقطع أكله.

وفي خبر آخر: إن ملك الموت تحت العرش يسقط عليه صحائف من يموت من تحت العرش.

قال القرطبي رحمه الله: الصحائف هنا ورق السدرة، والله أعلم كما في الخبر قبله.

فإذا نظر إلى الإنسان قد نفذ رزقه وانقطع أجله ألقى عليه سكرات الموت فغشيته كرماته، وأدركته نزعاته .

وفي خبر الإسراء: عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مررت على ملك آخر جالس على كرسي إذا جميع الدنيا ومن فيها بين ركبتيه، وبيده لوح مكتوب، لا يلتفت عنه يمينًا ولا شمالاً.

فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا ملك الموت.

فقلت: يا ملك الموت كيف تقدر على أرواح جميع من في الأرض برها وبحرها؟ قال: ألا ترى أن الأرض كلها بين ركبتي، وجميع الخلائق بين عيني ويداي تبلغان المشرق والمغرب، فإذا نفد أجل عبد نظرت إليه، فإذا نظرتُ إليه عرف أعواني من الملائكة أنه مقبوض غدوًا فبطشُوا به، يعالجون نزع روحه، فإذا بلغوا بالروح الحلقوم علمت ذلك فلم يخف عليَّ شيء من أمره مددت يدي فأنزعه من جسده وأقبضه».

---

(١) قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ أي في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق وما يكون فيها إلى آخرها، وهكذا روي عن ابن عمر ومجاهد وأبي مالك والضحاك وغير واحد من السلف، وقوله تعالى: ﴿حَكِيمٍ﴾ أي محكم لا يبدل ولا يغير. تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٧، ١٣٨).

(٢) يقول تعالى مخبراً عن القرآن العظيم أنه أنزله في ليلة مباركة وهي ليلة القدر كما قال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تبارك وتعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾، ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان كما روى عن عكرمة فقد أبعد النجعة، فإن نص القرآن أنه في رمضان. تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٧).

وعن معاذ بن جبل ﷺ أنه قال[١]: إن لملك الموت عليه السلام حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب، فإذا انقضى أجل عبد ضرب رأسه بتلك الحربة وقال: الآن يُزاد بك عسكر الموتى.

وقيل: إن ملك الموت عليه الصلاة والسلام رأسه في السماء ورجلاه في الأرض، وإن الدنيا كلها في يد ملك الموت كالقصعة بين يدي أحدكم يأكل منها.

وقيل: إن ملك الموت عليه الصلاة والسلام يكون قائمًا وسط الدنيا، فينظر الدنيا كلها برّها وبحرها وجبالها بين يديه كالبيضة بين رجلي أحدكم[٢].

وقيل: إن لملك الموت عليه الصلاة والسلام أعوانًا، الله أعلم بهم، (ليس لهم)[٣] ملك إلا لو أذن له أن يلتقم السموات والأرض في لقمة واحدة لفعل.

وقيل: إن ملك الموت تفزع منه الملائكة أشد من فزع أحدكم من السبع.

وقيل: إن حملة العرش عليهم الصلاة والسلام إذا قرب ملك الموت من أحدهم ذاب حتى يصير مثل الشعرة من الفزع منه.

وروي عن عكرمة رحمه الله أنه قال: رأيت في بعض صحف شيث عليه السلام أن آدم عليه الصلاة والسلام قال: يا رب أرني ملك الموت حتى أنظر إليه، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه أن له صفات لا تقدر على النظر إليه، وسأنزله عليك في الصورة التي يأتي فيها للأنبياء والمصطفين، فأنزل الله تعالى عليه جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام وأتاه ملك الموت في صورة كبش أملح قد نشر من أجنحته أربعة آلاف جناح، منها جناح جاوز السموات وجناح جاوز الأرض وجناح جاوز أقصى الشرق، وإذا بين يديه ما اشتملت عليه الجبال والإنس والدواب، وبما أحاط بها من البحار وما علاها من الأجواء في ثغرة نحره كالخردلة في فلاة من الأرض، وإذا له عيون لا يفتحها إلا في مواضع فتحها، وأجنحة لا ينشرها إلا في موضع نشرها، وأجنحة للبشرى ينشرها للمصطفين، وأجنحة للكفار فيها سفافيد[٤] وكلاليب ومقاريض، فصعق آدم صعقة إلى مثل تلك الساعة من اليوم السابع.

---

(١) أخرجه: الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٢٨٣)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٩٥)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٦٥)، والفتني في تذكرة الموضوعات (٢١٤).

(٢) قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ الظاهر من هذه الآية: أن ملك الموت شخص معين من الملائكة كما هو المتبادر من حديث البراء، وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل وهو المشهور، قاله قتادة وغير واحد، وله أعوان، وقد ورد في الحديث: أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت. تفسير ابن كثير (٣/ ٤٧٤).

(٣) كذا بالأصل.

(٤) السفّود: عود من حديد ينظم فيه اللحم ليشوى، جمعها: سفافيد.

ثم أفاق وكان في عروقه الزغفران.

ذكر هذا الخبر محمد بن ظفر في كتاب «النصائح».

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام سأل ملك الموت عليه الصلاة والسلام أن يُريه كيف يقبض روح المؤمن؟ فقال له: اصرف وجهك عني، فصرف وجهه عنه ثم نظر إليه فرآه في صورة شاب حسن الصورة حسن الثياب طيب الرائحة حسن البشر فقال له: والله لو لم يلق المؤمن من السرور شيئًا سوى وجهك كفاه، ثم قال له: أرني كيف تقبض روح الكافر؟ فقال: لا تطيق ذلك، قال: اصرف وجهك عني، فصرف وجهه عنه، ثم نظر إليه فإذا هو صورة إنسان رجلاه في الأرض ورأسه في السماء كأقبح ما رأى من الصور تحت كل شعرة من جسده لهيب نار، فقال له: والله لو لم يلق الكافر سوى نظره إلى شخصك لكفاه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا[1]: كان إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام رجلاً غيوراً، وكان له بيتًا يتعبد فيه، فإذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فإذا هو برجل في جوف البيت، فقال له: من أدخلك داري؟ قال: أدخلنيها ربها.

قال: أنا ربها، قال: أدخلنيها من هو أملك لها منك.

قال: فمن أنت من الملائكة؟ قال: أنا ملك الموت.

قال: هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن؟ قال: نعم.

ثم التفت إبراهيم عليه الصلاة والسلام فإذا شاب قد (كرمن)[2] حَسُنَ وجهه وحَسُنَ ثيابه وطيب رائحته، فقال: يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك لكان حسبُه، ثم قبض روحه عليه الصلاة والسلام.

وقال مقاتل والكلبي رحمه الله: بلغنا أن اسم ملك الموت: عزرائيل عليه الصلاة والسلام، وله أربعة أجنحة: جناح له بالمشرق، وجناح له بالمغرب، وجناح له في أقصى العالم من حيث يجيء ريح الصبا، وجناح له بالأفق الآخر، ورجْل له بالمشرق، ورجْلٌ له بالمغرب، والخلق بين رجليه ورأسه وجسده كما بين السماء والأرض، وجعلت له الدنيا مثل راحة اليد صاحبها يأخذ منها ما أحب من غير مشقة ولا عناء، فهو يقبض أنفُس الخلق في مشارق الأرض ومغاربها، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إن المؤمن ليُبشر بصلاح ولده من بعده لتقر عينه.

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**تحضر الملائكة، فإذا كان**

---

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (٢/ ٥٥) بلفظ: «كان إبراهيم أغير الناس».

(٢) كذا بالأصل وأظنها مضروب عليها.

الرجل صالحًا قال: أُخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، أُخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان، فلايزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرض بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان بن فلان، فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب؛ أُدخلي حميدة وأبشري بروح وريحان[1] ورب راض غير غضبان، فلايزال يقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله تبارك وتعالى، وإذا كان الرجل السوء، قالوا: أُخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث أُخرجي ذميمة وأبشري بجحيم وغسَّاق، فلا يزال يقال لها ذلك حتى لتخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان. فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة فإنه لا يفتح لك أبواب السماء. ثم تصير إلى القبر».

● **فائدة:**

ذكر القرطبي رحمه الله في قوله ﷺ: «حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله تبارك وتعالى» أن معناه: أمر الله وحكمه، وهي السماء السابعة التي عندها سدرة المنتهى التي يصعد إليها ما يصعد به إلى الأرض ومنها ما يهبط ما ينزل به منها.

● **فائدة أخرى:**

اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في الروح والريحان في قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: أي راحة، وقال سعيد بن جبير رحمه الله: فرح، وقال الضحاك وابن جبير رحمهما الله: مغفرة ورحمة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ أي مستراح، وقال مجاهد وسعيد بن جبير رحمهما الله: رزق، قال مقاتل: هو بلسان حُمير، يقال: خرجت أطلب ريحان الله أي رزقه.

وقال الربيع بن خيثم وابن زيد رحمهما الله: فرح عند الموت وريحان يخبأ له في الآخرة.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ أي فلهم روح وريحان، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت كما في حديث البراء: أن ملائكة الرحمة تقول: أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان، وعن ابن عباس ﴿فَرَوْحٌ﴾ يقول: راحة، ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ يقول: مستراحة، وكذا قال مجاهد: إن الروح: الاستراحة، وقال أبو حرزة: الراحة من الدنيا، وقال سعيد بن جبير والسدي: الروح: الفرح، وعن مجاهد ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ جنة ورخاء، وقال قتادة: ﴿فَرَوْحٌ﴾ فرحمة، وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير: ﴿وَرَيْحَانٌ﴾: ورزق. وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة. تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٠).

وقال آخرون: هو الريحان المعروف الذي يشم.

قال أبو العالية: لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يُؤتى بعض ريحان الجنة فيشمه، ثم تُقبض روحه.

وقال الترمذي: الروح: الراحة في القبر، والريحان: دخول الجنة.

قال ديسام بن عبد الله: الروح: السلامة، والريحان: الكرامة.

وقال بعضهم: الروح: (معنقة)[1] الأبكار، والريحان: موافقة الأبرار.

وقال الخزَّاز: الروح: كشف الغطاء، والريحان: الرؤية واللقاء.

وقيل: الروح: الموتُ كل الشهادة، والريحان: نداء السعادة.

وقيل: الروح: كشف الكروب، والريحان: غفران الذنوب.

وقيل: الروح: الثبات على الإيمان، والريحان: نيل الأمان.

وقيل: الروح: فضله، والريحان: وصله.

وقيل: الروح: تخفيف الحساب، والريحان: تضعيف الثواب.

وقيل: الروح: عفو بلا عتاب، والريحان: رزق بلا حساب.

وقيل: الروح لأزواجهم، والريحان لقلوبهم، والجنة لأبدانهم، والحق لأسرارهم.

ويقال: فروح للسابقين، وريحان للمقتصدين.

● **فائدة أخرى:**

أجمع القراء السبعة على فتح الراء من قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾، وقرأ الحسن وقتادة ويعقوب رحمهم الله: (فرُوح) بضم الراء على معنى: أن روحه تخرج في الريحان.

قال الحسن وقتادة: الروح الرحمة، وقيل: معناه فحياة وبقاء لهم.

قال الثعلبي رحمه الله بإسناده: وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقرأ هذا الحرف ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ بضم الراء.

وإسناده أيضًا عن عائشة[2] رضي الله عنها، سمعت رسول الله ﷺ يقرأ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ بضم الراء.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إذا خرجت روح العبد

---

(١) كذا بالأصل وأظنها (معانقة).

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٩٣٨) كتاب القراءات، باب من سورة الواقعة، وأبو داود في الحروف والقراءات، والنسائي في الكبرى في التفسير، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٠).

تلقاها ملكان يصعدان بها»[١].

قال حماد: فذكر من طيب ريحها، وذكر المسك، قال: «ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض: صلى الله عليك وعلى جسد كنت تُعمرينه، فينطلق بها إلى ربها، ثم يقول: انطلقوا بها إلى آخر الأجل.

وإن الكافر إذا خرجت روحه». قال حماد: وذكر من نتنها، وذكر كعبًا: «ويقول أهل السماء: روح خبيثة جاءت من قبل الأرض، انطلقوا بها إلى آخر الأجل».

وروي عن سلمان الفارسي ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ارقُبوا من الميت عند موته ثلاثًا: إن رشَحَ جبينه وزَرِفَت عيناه وانتشر منخراه فهي رحمة من الله قد نزلت به، وإن غطَّ غطيط البكر المخنوق وخمد لونه وأزبد شدقاه: فهو عذاب من الله قد حل به». خرجه أبو عبد الله الترمذي.

وقال: قال عبيد الله: إن المؤمن تبقى عليه خطايا من خطاياه، فيُجازى بها عند الموت، أي يجازى فيعرق لذلك جبينه. وقال بعض العلماء: إنما يعرق جبينه حياء من الله ﷻ لما اقترف من مخالفته؛ لأن ما سفل منه قد مات، وإنما بقيت منه قوى الحياة وحركاتها فيما علا، والحياء في العينين فذاك وقت (....)[٢]، والكافر في عَمىً من هذا كله، والموحد المعذَّب في شُغُل عن هذا كله بالعذاب الذي قد حل به، وإنما العرق الذي يظهر لمن حلت به الرحمة فإنه ليس من وليّ ولا صديق ولابرٍّ، إلا وهو مستحيٍ من ربه ﷻ مع البشرى (والتحض)[٣] والكرامات.

قال القرطبي رحمه الله: وقد تظهر العلامات الثلاث، وقد تظهر واحدة، وقد تظهر اثنتان، وقد شاهدنا عرق الجبين وحده، وذلك بحسب تفاوت الناس في الأعمال والله تعالى أعلم.

وفي حديث ابن مسعود ﷺ: «موت المؤمن عرق الجبين فتبقى عليه البقية من الذنوب فيجازى بها عند الموت» أي يُشدُّ لتُمحص عنه ذنوبه[٤].

---

(١) أخرجه: مسلم (٧٥-٢٨٧٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٧- باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه. قال النووي: اعلم أن مذهب أهل السنة: إثبات عذاب القبر، وقد تظاهرت به دلائل الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، والأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ في مواطن كثيرة، ولا يمتنع في العقل أن يعيد الله تعالى الحياة في جزء من الجسد ويعذبه، وإذا لم يمنعه العقل وورد به الشرع وجب قبوله واعتقاده. النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٦٥).

(٢) كذا بالأصل، كلمة غير موجودة.

(٣) كذا بالأصل.

(٤) أخرجه: النسائي في الجنائز، باب علامة موت المؤمن، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٥٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٢٩٧)، وابن حجر في المطالب العالية (٦٩٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٢٥)، والترمذي (٩٨٢)، كتاب الجنائز، باب ما جاء أن المؤمن يموت بعرق الجبين.

وفي الخبر المأثور: يقول الله تبارك وتعالى: إني لا أخرج أحدًا من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أوفيه بكل خطيئة كان عملها سقمًا في جسمه ومصيبة في أهله وولده وضيقًا في معاشه وإقتارًا في رزقه، حتى أبلغ به مثاقيل الذَّر، فإن بقي عليه شيء شدَّدت عليه الموت حتى يفضي إليَّ كيوم ولدته أمه.

قال القرطبي رحمه الله: وهذا بخلاف من لا يُحبه ويرضاه كما في الخبر، يقول الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لا أخرج عبدًا من الدنيا أريد أن أعذبه حتى أوفيه كل حسنة عملها بصحة جسده وسعة في رزقه ورغد وأمن في سربْه، حتى أبلغ منه مثاقيل الذَّر، فإن بقي له شيء هوَّنت عليه الموت حتى يفضي إليَّ وليس له حسنة يقي بها النار.

قال القرطبي رحمه الله: وفي مثل هذا المعنى ما خرَّجه أبو داود بسند صحيح عن النبي ﷺ قال[1]: ((موت الفجأة أخذة أسفٍ))، ورواه أيضًا مرسلاً.

وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنها راحة المؤمن وأخذة أسف للكافر[2].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن داود عليه الصلاة والسلام مات فجأة يوم السبت.

وعن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: إذا بقي على المؤمن من ذنوبه شيء لم ينفعه بعمله شُدِّد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجة في الجنة، وإن الكافر إذا عمل معروفًا هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا ثم يصير إلى النار.

وخرَّج أبو نعيم الحافظ من حديث الأعمش، عن إبراهيم عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: **((نفس المؤمن تخرج رَشْحًا، ونفس الكافر تُسل كما تُسل نفس الحمار، وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيُشدد بها عليه عند الموت ليُكفر بها عنه، وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزى بها))**[3].

قال القرطبي رحمه الله: والنفس والروح هاهنا بمعنى واحد.

وروى أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه قال[4]: إذا قبضت نفس المؤمن تلقَّاها أهل الرحمة من عباد الله كما يتلقون البشير في الدنيا فيقبلون عليه يسألونه، فيقول بعضهم لبعض:

---

(١) أخرجه: أبو داود (٣١١٠) كتاب الجنائز، باب موت الفجأة، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٢٤، ٤/ ٢١٩)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٠١)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٢٦٢).

(٢) أخرجه: البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٧٩)، وأحمد في مسنده (٦/ ١٣٦)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٢٦٢).

(٣) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١١٠).

(٤) أخرجه: السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٨٦)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٣٩٤).

انظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان في كرب شديد، قال: فيقبلون عليه، فيسألوه: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ هل تزوجت؟

فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله، فيقول: إنه قد هلك، فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية.

قال: فتعرض عليه أعماله، فإن رأوا حسنًا فرحوا واستبشروا وقالوا: اللهم هذه نعمتك على عبدك فأتمها، وإن رأوا شرًا قالوا: اللهم (راجع)[1] بعبدك.

وقال وهب بن منبه رحمه الله: إن لله تعالى في السماء السابعة دار يقال لها: البيضاء، تجتمع فيها أرواح المؤمنين، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح فيسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم عليهم. ذكره أبو نعيم.

وخرج الترمذي الحكيم عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعمالكم تُعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى، فإن كان خيرًا استبشروا، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تُميتهم حتى تهديهم إلى ما هديتنا»[2].

وروي من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز، عن أبيه، عن جده ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تعرض الأعمال يوم الإثنين ويوم الخميس على الله ﷻ، وتُعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم، وتزداد وجوههم بياضًا ومشرقة، فاتقوا الله ولا تُؤذوا أمواتكم»[3].

وروى أبو هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إن أرواحكم إذا مات أحدكم تُعرض على عشائركم وموتاكم، فيقول بعضهم لبعض: دعوه يستريح فإنه كان في كرب، ثم يسألونه ما فعل فلان؟ وما عملت فلانة؟ فإن كان خيرًا حمدوا الله واستبشروا، وإن كان شرًا قالوا: اللهم اغفر له. حتى إنهم يسألون هل تزوج فلان؟ هل تزوجت فلانة؟. قال: فيسألونه عن رجل مات قبله، فيقول: ذاك مات قبلي، أما مرَّ بكم؟ فيقولون: لا والله، إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمُه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية. حتى إنهم يسألونه عن هذا البيت». ذكره الثعلبي رحمه الله، وقد قيل في قوله ﷺ: «الأرواح جنود مجندة فما

---

(١) كذا بالأصل وأظنها (رحمتك).

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده (٣/ ١٦٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٥٤)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٩٩)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٣٨٥، ٣٩٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٢٨)، والألباني في السلسلة الضعيفة (٨٦٣).

(٣) أوله أخرجه: مسلم (٣٦) في البر والصلة والآداب، ١١- باب النهي عن الشحناء والتهاجر، والترمذي (٧٤٧) كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم يوم الإثنين والخميس، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»[١]: إنه هذا التلاقي.

وقيل: تلاقي أرواح النيام والموتى، والله أعلم.

قالت عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ: «الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته»[٢].

وروي عن عروة رحمه الله أنه قال: وقع رجل في علي كرم الله وجهه ورضي عنه عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له عمر: ما لك قبّحك الله! لقد آذيت رسول الله ﷺ في قبره.

وروى إبراهيم رحمه الله قال: حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت، وإن مفاصله يسلم بعضها على بعض تقول: عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة»[٣].

وفي الخبر: «أنه ينزل عليه أربعة من الملائكة: ملك يجذب النفس من قَدَمه اليمين، وملك يجذبها من قَدَمه اليسرى، وملك يجذبها من يده اليمين، وملك يجذبها من يده اليسرى. ذكره الإمامَ الغزالي رحمه الله.

وربما كشف للميت عن الأمر الملكوتي قبل أن يُغرغر فيُعاين الملائكة على حقيقة علمه على ما يتحيزون إليه من عالمهم، فإن كان لسانه مطلقًا، حدَّث بوجودهم وربما أعاد على نفسه الحديث بما رأي، وظن ذلك من فعل الشيطان به، فيسكت حتى يعقل لسانه وهم يجذبونها من أطراف البنان من رءوس الأصابع والنفس تنسّل إنسلال (القذا)[٤] من الشقيّ، والفاجر تُسل روحه كالسّفود من الصوف المبلول»، هكذا حكى صاحب الشرع ﷺ.

والميت يظن أن بطنه مُلِئ شوكًا كأنما نفسه تخرج من ثقب إبرة، وكأنما السماء انطبقت على الأرض وهو بينهما.

فإذا احتضرت نفسه إلى القلب مات لسانه عن النطق وما أحد ينطق والنفس مجموعة في صدره لسرّين:

أحدهما: أن الأمر عظيم قد ضاق صدره بالنفس المجتمعة فيه، ألا ترى أن الإنسان إذا

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه (١٥٩-٢٦٣٨) كتاب البر والصلة والآداب، ٤٩- باب الأرواح جنود مجندة، وأبو داود (٤٨٣٤) كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٣٢٣).

(٢) أخرجه: الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٣٧٤).

(٣) أخرجه: الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٢٦٣)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٧٥)، والفتني في تذكرة الموضوعات (٢١٤).

(٤) كذا بالأصل.

أصابته ضربة في الصدر بقي مدهوشًا، فتارة لا يقدر على الكلام، وكل مطعون يصوت إلا مطعون الصدر فإنه يخرج ميتًا من غير تصويت.

وأما السرّ الآخر: فلأن السرّ الذي فيه حركة الصوت المندفعة من الحرارة الغريزية فصار نفسه متغير الحال حال الارتفاع والبرودة لأنه فقد الحرارة، فعند هذا الحين تختلف أحوال الموتى فمنهم من يطعنه الملك حينئذ بحربة مسمومة قد سُقيت سُمًّا من نار.

وعن عمرو بن دينار رحمه الله أنه قال: ما من ميت يموت إلا وروحه في يد ملك ينظر إلى جسده كيف يُغسّل؟ وكيف يُكفَّن؟ وكيف يمشى به ويجلس في قبره؟ قال داود: وزاد في هذا الحديث: ويقال له وهو على سريره: اسمع ثناء الناس عليك[1]. ذكره أبو نعيم الحافظ.

وقال الشيخ العالم العلامة أبو حامد الغزالي رحمه الله في «كشف علوم الآخرة»: فإذا قبض الملك النفس السعيدة تناولها ملكان حَسِنَا الوجه عليهما أثواب حسنة ولهما رائحة طيبة، فيبلغانها في حريرة من حرير الجنة، وهي على قدر النحلة، شخص إنساني ما فقد من عقله ولا من علمه المكتسب في دار الدنيا شيئًا، فيعرجان به في الهواء فلايزال يمُر بالأمم السالفة والقرون الخالية كأمثال الجراد المنتشر، حتى ينتهي إلى السماء الدنيا. فيقرع الأمين الباب فيقال للأمين: من أنت؟

فيقول: أنا صلصائيل، وهذا فلان معي، بأحسن أسمائه وأحبه، فيقولون: نعم الرجل في عقيدته غير شاك. ثم يمر حتى ينتهي إلى السماء الثانية، فيقرع الباب فيقال له: من أنت؟ فيقول مقالته الأولى، فيقولون: أهلاً وسهلاً بفلان، كان محافظًا على صلاته بجميع فرائضها. ثم يمر حتى ينتهي إلى السماء (...)[2] الرابعة فيقرع الباب، فيقال له: من أنت؟، فيقول كدأبه في مقالته على عادته، فيقولون: أهلاً بفلان كان يصوم فيُحسن الصوم (...)[3] الرفث وحرام الطعام. ثم يمُر حتى ينتهي إلى السماء الخامسة، فيقرع الباب، فيقال: من أنت؟، فيقول كعادته، فيقال: أهلاً وسهلاً أدى حجة الله الواحدة من غير سمعة ولا رياء. ثم ينتهي إلى السماء السادسة، فيقرع الباب، فيقال: من أنت؟، فيقول الأمين كدأبه في مقالته، فيقال: مرحبًا بالرجل الصالح والنفس الطيبة، كان كثير البِرِّ بوالديه. فيفتح له الباب، ثم يمُر حتى ينتهي إلى السماء السابعة، فيقرع الباب، فيقال له: من أنت؟، فيقول الأمين مقالته، فيقال: مرحبًا بفلان كان كثير الاستغفار بالأسحار، ويتصدق في السرّ ويتكفل الأيتام. ثم يفتح له

(١) أخرج السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٦٧) بلفظ: ((ما من ميت يموت إلا وهو يعرف غاسله وحامله)).

(٢) لم يذكر السماء الثالثة.

(٣) كلمة غير واضحة.

فيمر به حتى ينتهي إلى سرادقات الجلال، فيقرع الباب، فيقال له: من أنت؟، فيقول الأمين مثل قوله، فيقال: أهلاً وسهلاً بالعبد الصالح والنفس الطيبة، كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويُكْرِم المساكين، ويمر بملأ من الملائكة كلهم يبشرونه بالخير ويصافحونه حتى ينتهي إلى سدرة المنتهى، فيقرع الباب، فيقال: من أنت؟، فيقولك كدأبه في مقالته، فيقال: أهلاً وسهلاً بفلان، كان عمله عملاً صالحًا لوجه الله ﷻ.

ثم يفتح له فيمر في بحر من نار، ثم يمر في بحر من نور، ثم يمر في بحر من ظلمة، ثم يمر في بحر من ماء، ثم يمر في بحر من ثلج، ثم يمر في بحر من نور، ثم يمر في بحر من ظلمة، ثم يمر في بحر من برد، طول كل بحر منها ألف عام، ثم يخترق الحجب المضروبة على عرش الرحمن، وهي ثمانون ألفًا من السرادقات، كل سرادق ثمانون ألف شرفة، على كل شرفة ثمانون ألف قمر يهلل الله ويسبحه ويُقدّسه، لو برز منها قمر واحد سماء الدنيا لأحرقها نوراً، فحينئذ ينادى في الحضرة القدسية من وراء أولئك السّرادقات: من هذه النفس الذي جئتم بها؟ فيقال: فلان بن فلان، فيقول الجليل جل جلاله: قرّبوه فنعم العبد كنت يا عبدي. إذا أوقفه بين يديه الكريمتين أخجله بعض اللوم والمعاتبة، حتى يظن أنه قد هلك، ثم يعفو عنه.

وحكي: عن ابن نباتة رحمه الله: أنه رؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: إنه أوقفني بين يديه الكريمتين وقال: أنت الذي كنت تخلص كلامك حتى يقال: ما أفصحه، قلت: سبحانك إن كنت أصِفُكَ قال: قل كما كنت تقول في دار الدنيا. قلت: إن ربهم الذي خلقهم وأسكتهم، أنطقهم وسيجدهم كما خلقهم، وسيجمعهم كما فرّقهم.

قال لي: صدقت، اذهب فقد غفرت لك.

ومن الناس من إذا انتهى إلى الكرسي سمع النداء: ردوه. ومنهم من يُرَدُّ من الحجب.

وإنما يصل إلى الله تعالى عارفوه.

وأما الكافر، فتؤخذ نفسه عُنفًا[١]، فإذا وجهه كالحنظل، والملك يقول: أُخرجي أيتها النفس الخبيثة من الجسد الخبيث، فإذا له صراخ أعظم ما يكون كصراخ الحمير. فإذا قبضها عزرائيل عليه الصلاة والسلام، ناولها زبانية قباح الوجوه سُود الثياب، منتنين الرائحة، بأيديهم مسوح من سقر، فيلفونها فتستحيل شخصًا إنسانيًا على قدر الجرادة، فإن الكافر أعظم جرُمًا من المؤمن، يعني في الجسم في الآخرة.

---

(١) انظر ما ورد في حديث البراء بن عازب والذي أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٨٧) من حديث طويل.

وفي الصحيح: ((إن ضرس الكافر مثل أحد))[(١)].

فيعرج به حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيقرع الأمين الباب، فيقال: من أنت؟، فيقول: أنا دقيائيل، لأن اسم الملك الموكل على زبانية العذاب: دقيائيل، فيقال: من معك؟ فيقول: فلان بن فلان. بأقبح أسمائه وأبغضها إليه في دار الدنيا، فيقال: لا أهلاً ولا سهلاً ولا تفتح له أبواب السماء، ولا يدخل الجنة. فإذا سمع الأمين هذه المقالة طرحه من يده، فتهوي به الريح في مكان سحيق. أي: بعيد. وهو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[(٢)] [الحج:٣١].

فإذا انتهى إلى الأرض ابتدرته الزبانية، وسارت به إلى سجّين وهي صخرة عظيمة تأوي إليها أرواح الفجار.

وأما النصارى واليهود: فمردودون من الكرسي إلى قبورهم هذا من كان منهم على شريعته، ويُشاهد غسلهم ودفنهم، وأما المشرك فلا يُشاهد شيئًا من ذلك لأنه قد هوى، وأما المنافق فيُرد ممقوتًا مطرودًا إلى حفرته.

وأما المقصّرون المؤمنون: فتختلف أنواعهم: فمنهم من تُرد صلاته، لأن العبد إذا نقر في صلاته، سارقًا لها تُلف كما يُلف الثوب الخَلِق ويُضرب بها وجهه. ثم تَعرُج وهي تقول: ضيّعك الله كما ضيعتني، ومنهم من تُرد زكاته، لأنه إنما يُزكّي ليقال: فلان متصدق[(٣)]، ومنهم من يُرَد صومه، لأنه صام عن الطعام ولم يَصُمْ عن الكلام، فهو رفث وخسران.

ومن الناس من يُرَد حجه؛ لأنه إنما حج ليقال: فلان حج، أو يكون حج بمال خبيث.

ومن الناس من يرده العقوق وسائر أحوال البرّ كلها، لا يعرفها إلا العلماء بأسرار المعاملات وتخليص العمل الذي للملك الوهاب.

---

(١) أخرجه: مسلم (٤٤-٢٨٥١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٣- باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٢٨، ٣٣٤). والترمذي (٢٥٧٩) كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في عظم أهل النار، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٢٧٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٨٣)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٧١).

(٢) ولهذا جاء في حديث البراء الذي أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٨٧): إن الكافر إذا توفته ملائكة الموت وصعدوا بروحه إلى السماء فلا تفتح له أبواب السماء بل تطرح روحه طرحًا من هناك ثم قرأ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري... إلى آخر الحديث.

(٣) قال النووي: في حديث ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله... الحديث))، وهو قوله ﷺ: ((ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه)) هذا حديث فضل صدقة السر، قال العلماء: وهذا في صدقة التطوع فالسر فيها أفضل لأنه أقرب إلى الإخلاص وأبعد من الرياء، وأما الزكاة الواجبة فإعلانها أفضل، وهكذا حكم الصلاة فإعلان فرائضها أفضل وإسرار نوافلها أفضل لقوله ﷺ: ((أفضل الصلاة: صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة)). النووي في شرح مسلم (٧/ ١٠٩) طبعة دار الكتب العلمية.

فكل هذه المعاني جاءت بها الآثار والأخبار كالخبر الذي جاء به معاذ بن جبل ﷺ في رد الأعمال وغيره، فإذا رُدّت النفس إلى الجسد ووجدته قد أخذ في غُسله إن كان قد غُسّل، فيقعد عند رأسه حتى يُغسّل، فإذا أُدرج الميت في أكفانه صارت ملتصقة في الصدر من خارج الصدر ولها خوار وعجيج تقول: أسرعوا بي إلى رحمة ربي، لو علمتم ما أنتم حاملي إليه.

وإن كان بُشّر بالشقاء تقول: رويداً بي إلى عذاب ربي، لو تعلمون ما أنتم حاملي إليه.

فإذا دخل القبر وأهيل عليه التراب نادى القبر: كنت تفرح على ظهري، فاليوم تحزن في بطني، كنت تأكل الألوان على ظهري فاليوم تأكلك الديدان في بطني، ويكثر عليه مثل هذه الألفاظ الموبخة حتى يُسوى عليه التراب.

ثم يناديه ملك يقال له رومان وهو أول ما يَلقى الميت إذا دخل قبره.

وأما شدَّة سكرات الموت: ففي الخبر من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الملائكة تُكتّف العبد وتحبسه، ولولا ذلك لكان يعدو في الصحاري والبراري من شدَّة سكرات الموت»[1] (...)[2].

الرواية بأن ملك الموت إذا تولى قبض نفسه بعد موت الخلائق يقول: وعزتك لو علمت من سكرة الموت ما أعلم ما قبضت نفس مؤمن. ذكره القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله.

وعن شهر بن حوشب رحمه الله أن قال: سُئل رسول الله ﷺ عن الموت وشدته فقال[3]: «إن أهون الموت بمنزلة حَسَكَة كانت في صوف، فهل تخرج الحَسَكة من الصوف إلا ومعها صوف».

وعن ميسرة رفعه قال: «لو أن شعرة من الموت وضعت على أهل السموات والأرض لماتوا جميعًا».

وذكر المحاسبي رحمه الله: إن الله تبارك وتعالى قال لخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: يا خليلي كيف وجدت الموت؟

قال: كسفود محمي جُعِلَ في صوف رطب، ثم جُذب.

قال: أما قد هوَّنا عليك.

وإن موسى الكليم عليه الصلاة والسلام قال له الله تبارك وتعالى: يا موسى كيف

---

(١) أخرجه: الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٢٧١).

(٢) بياض بالأصل.

(٣) أخرجه: الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٢٦٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٤٤٧).

وجدت الموت؟

قال: وجدت نفسي كالعصفور الحي حين يلقى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير.

وروي: أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: وجدت نفسي كشاة تُسلخ بيد القصاب.

وقال حامد اللفاف رحمه الله: لما مات موسى عليه الصلاة والسلام جاءت الملائكة في السموات بعضها إلى بعض واضعي أيديهم على خدودهم ينادون: مات كليم الله فأي الخلق لا يموت؟ وقال عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام: يا معشر الحواريين، ادعوا الله أن يُهون عليكم هذه السكرة. يعني سكرة الموت.

وروى يوسف بن يعقوب الحنفي رحمه الله: إن يعقوب النبي عليه الصلاة والسلام لما آتاه البشير قال له: لا أدري ما أثيبك عليه، هون الله عليك سكرات الموت.

وذكر: أن الموت أشدّ من ضرب بالسيف، ونشر بالمناشير، وقرض بالمقاريض[(١)].

وروى أبو نعيم الحافظ من حديث مكحول عن واثلة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: ((والذي نفسي بيده لُمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف))[(٢)].

وقيل: لو وضع وجع شعرة من الموت على السموات والأرض لأذابهما حتى إذا بلغت الحلقوم وَلِيَ القبض ملك الموت عليه الصلاة والسلام.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: ((لو تعلم البهائم ما تعلمون من الموت ما أكلتم لحمًا سمينًا أبدًا))[(٣)].

وروى الإمام العالم العلامة أبو الليث السمرقندي رحمه الله بإسناده عن جابر بن عبدالله ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((تحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، فإنه قد كانت فيهم الأعاجيب))[(٤)].

ثم أنشأ يحدث فقال: خرج طائفة من بني إسرائيل حتى أتوا مقبرة، فقالوا: لو صلينا

---

(١) أخرجه: ابن الأعرابي في معجم شيوخه (٢/ ٣٨٣) رقم (٢١٧٣)، عن الحسن البصري قال: الموت أشد من ضربة ألف سيف يقعن جميعًا وأشد من ضج في الأرض وقطع بالمناشير. معجم شيوخ ابن الأعرابي [من تحقيقنا – طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه: الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٢٧١)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٧٨).

(٣) أخرجه: الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٢٢٦)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٢٠)، وابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ١٦٩).

(٤) أخرجه: أحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ١٣)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٢٦٠).

ثم دعونا الله ربنا حتى يخرج لنا بعض الموتى فيخبرنا عن الموت، فصلوا حتى دعوا ربهم، فبينما هم كذلك إذا رجل قد أطلع رأسه من قبر، فقال: يا هؤلاء ما أردتم فوالله لقد مِتُّ منذ تسعين سنة أو مائة سنة فما ذهبت حرارة الموت مني حتى الآن، فادعوا الله أن يُعيدني كما كنت، وكان بين عينيه أثر السجود.

وروي عن عليٍّ ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ رأى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبي ﷺ: «ارفق بصاحبي فإنه مؤمن[1]».

فقال: أبشر يا محمد فإني بكل مؤمن رفيق، والله يا محمد إني لا أقبض روح ابن آدم، فإذا صرخ صارخ من أهله قلت: ما هذا الصراخ؟ فوالله ما ظلمناه ولا استبقنا أجله، ولا استعجلنا قدره، فما لنا في قبضه من ذنب، فإن ترضوا بما صنع الله تعالى تُؤجروا، وإن تسخطوا أو تجذعوا تأثموا وتؤزروا، ما لكم عندنا من عتبة، وإن لنا عليكم لبغتة وعوذة، الحذر الحذر، وما من أهل بيت شعر ولا مدر في بحر ولا برّ إلا وأنا أتصفح وجوههم في كل يوم وليلة خمس مرات، حتى إني أعْرفُ بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، والله يا محمد لو أني قبضت روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله تعالى الآمر بقبضها».

● **فائدة:**

اختلف العلماء في أن ملك الموت عليه الصلاة والسلام هل يقبض روح كل ذي روح من بني آدم وغيرهم، أو يقبض روح من كان من بني آدم فقط؟

وأما سواهم فإن الله تعالى يتولى قبض أرواحهم بقدرته. قال عمر ﷺ لكعب الأحبار[2]: يا كعب حدثنا عن الموت، فقال: إن الموت كشجرة شوك أُدْخلت في جوف ابن آدم فأخذت كل شوكة بعرق، ثم أخذها رجل شديد الجذب فجذبها فقطع منها ما قطع وأبقى منها ما أبقى.

وذكر الإمام سفيان الثوري رحمه الله: أنه كان إذا ذكر الموت عنده لا ينتفع به أيامًا، فإن سئل عن شيء قال: لا أدري.

وذكر: أن عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام قال له بعض الكفرة: إنك قد

---

(١) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٢٦١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٧٣)، وابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٤٧)، والسهمي في تاريخ جرجان (٧١).

(٢) كعب الأحبار هو كعب بن ماتع الحميري اليماني الكتابي، أسلم في خلافة أبي بكر أو أول خلافة عمر، وسكن الشام وغزا بها وتوفي بحمص، روى عن عمر وصهيب وعن كتب أهل الكتاب وكان في الغالب يعرف حقها من باطلها لسعة علمه وكثرة اطلاعه، توفي سنة (٣٢). انظر تاريخ الإسلام وفيات سنة (٣٢).

أحييت من كان حديث الموت ولعله لم يكن ميتًا فأحي لنا من مات في الزمن الأول، فقال لهم: اختاروا من شئتم، فاختاروا سام بن نوح عليه الصلاة والسلام، فجاء إلى قبره فإذا رأسه ولحيته قد ابيضًا، قال: ما هذا؟ يعني: أن الشيب لم يكن في زمانك. قال: سمعت النداء فظننت القيامة فشاب رأسي ولحيتي من الهيبة، فقال: منذ كم أنت ميت؟، قال: منذ أربعة آلاف سنة وما ذهبت عني سكرات الموت.

وقال الحسن بن عمران: الموت أشد من ألف ضربة بالسيف، ومن قطع بالمناشير ومن طبخ بالقدر، ولو أن ألم شعرة من الموت وضع على أهل الدنيا لوجدوا لها ألمًا.

وقال النخعي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾[1] [إبراهيم:١٧]، قال: حتى من أطراف شعره.

وقال وهب المكي رحمه الله: إن العبد لا يخرج من الدنيا حتى ينظر إلى الملكين اللذين كانا يحفظانه. فإذا رآهما لا يرجع إلى الدنيا، فإن كان قد صحبهما بما لله تعالى فيه رضا قالا: جزاك الله من صاحب خير، فنعم الصاحب كنت أنت، رُبَّ مجلس خير أجلستنا، ورُبَّ كلام خير قد أسمعتنا، ورُبَّ عمل خير قد أحضرتنا، فنحن لك اليوم على ما تحب، وإن كان صحبهما بما لم يكن لله تعالى فيه رضا قالا له: لا جزاك الله من صاحب خير فرُبَّ مجلس سوء قد أجلستنا، ورُبَّ كلام سوء قد أسمعتنا، ورُبَّ عمل سوء قد أحضرتنا، فنحن لك اليوم على ما تكره.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾[2] [فصلت:٣١] أي أنصاركم، قال السدي: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ يعني الحفظة الذي كنا معكم في الدنيا، ونحن أولياؤكم في الآخرة.

وروي عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾. قال: قُرناؤُهم الذين كانوا معهم في الدنيا، وإن كان يوم القيامة قالوا: لن نفارقكم حتى نُدخلكم الجنة.

وقيل: إن المؤمن إذا مات بكت عليه أهل السموات والأرض أربعين صباحًا.

قال عطاء في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان:٢٩]:

---

(١) قال إبراهيم التيمي: من موضع كل شعرة أي من جسده حتى من أطراف شعره، وقال ابن جرير: أي من أمامه وخلفه. وفي رواية: عن يمينه وشماله ومن فوقه ومن تحت أرجله ومن سائر أعضاء جسده. تفسير ابن كثير (٢/ ٥٤٢).

(٢) أي تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: (نحن كنا أولياءكم) أي قرناءكم (في الحياة الدنيا) نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور وعند النفخة في الصور ونؤمنكم يوم البعث والنشور ونجاوزكم الصراط المستقيم ونوصلكم إلى جنات النعيم. تفسير ابن كثير (٤/ ٩٩).

بكاؤها: حُمرة أطرافها.

قال السدي رحمه الله: لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكت عليه السماء، وبكاؤها حمرتها.

وروي عن محمد بن سيرين رحمه الله أنه قال: أخبرونا: أن الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قُتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ونفعنا بهما.

وروي عن سليم القاضي رحمه الله أنه قال: ومَطرنا دمًا أيام قتل الحسين رضي الله عنهما.

وروى الثعلبي رحمه الله بإسناده، عن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال[1]: «ما من عبد إلا له بابان: باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله، فإذا مات فقداه وبكيا عليه. وتلا هذه الآية: ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾».

وذلك أنهم لو كانوا يعملون على الأرض عملاً صالحًا فماتوا بكي عليهم ولم يصعد من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فيفقدهم إلا بكي عليهم.

وبإسناده عن شريح بن عبيد الحضرمي قال: قال رسول الله ﷺ[2]: «إن الإسلام بدأ غريبًا، ولا غُربة على مؤمن، ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض»، ثم قرأ رسول الله ﷺ[3]: «﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [الدخان:٢٩]. ثم قال: «إنهما لا يبكيان على الكافر»[4]. انتهى والله تعالى أعلم.

***

(١) أخرجه: السيوطي في الدر (٦/ ٣٠)، والهيثمي في الجمع (٧/ ١٠٥)، وابن حجر في المطالب (٣٧٣٣)، وابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٣٩).

(٢) بلفظ آخر أخرجه: مسلم في صحيحه (٢٣٢-١٤٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا فطوبى للغرباء». وكذا أخرجه: ابن ماجه (٣٩٨٨).

(٣) أخرجه: السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٠)، وابن كثير في تفسيره (٧/ ٢٣٩).

(٤) قال النووي: قال القاضي: وظاهر الحديث العموم وأن الإسلام بدأ في آحاد من الناس وقلة، ثم انتشر وظهر ثم سيلحقه النقص والإخلال حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضًا كما بدأ. شرح مسلم للنووي (٢/ ١٥٢).

فهرس موضوعات الجزء الثاني

